الذكريات

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م

الذكريات

د/ صالح بن مطر الهطالي
www.alhatali.com

حقوق الطبع محفوظة

رؤى
واتساب: ٩٧٥٤٩٢٢٣
ruaadar@gmial.com
تويتر: @ruaadar

مكتبة السيدة فاطمة الزهراء
هاتف: 92908620
25434506 92988061

د. صالح بن مطر الهطالي

الذكريات

(المجلَّد الثالث)

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م



فهرس المُجلَّد الثالث

ذِكْرَيَاتُ رَحَلَاتي (الجزءُ الثاني).....١٥
رَحَلاتي إلىٰ تايلاند.....١٧
١- رحلة يوليو ٢٠٠٨م.....١٨
أ- الوصول إلىٰ مستشفىٰ ويشتاني وبدء العلاج.....٢٠
ب- مواصلة العلاج والتحسُّن التدريجي.....٢٦
ج- عملية العمود الفقري لأختي.....٢٩
د- العودة إلىٰ عمان.....٣٣
هـ- مُشاهدات ومواقف.....٣٨
٢- رحلة فبراير ٢٠٠٩م.....٤٩
أ- المغادرة إلىٰ تايلاند والعلاج في المستشفىٰ الملكي.....٥١
ب- بدء العلاج الطبيعي والانتقال إلىٰ مستشفىٰ ويشتاني.....٥٣
ج- تكملة العلاج في مستشفىٰ ويشتاني.....٥٤
د- إجراء عملية رقاع لطبلة الأذن.....٥٦
هـ- العودة إلىٰ عمان.....٦٠
و- مُشاهدات ومواقف.....٦١
٣- رحلة يونيو ٢٠١٠م.....٦٧
أ- عملية العمود الفقري لي.....٦٨
ب- عملية الرُّكْبة لوالدي.....٧١
ج- العودة إلىٰ عمان.....٧٣

٤- رحلة مايو ٢٠١٣م ٧٣
أ- الوصول والاستقرار في مستشفىٰ ويشتاني ٧٤
ب- بدء العلاج الطبيعي ٧٧
ج- العودة إلىٰ عمان ٨١
د- مُشاهدات ومواقف ٨٢
٥- رحلة يوليو ٢٠١٧م ٩٤
أ- الوصول إلىٰ تايلاند ٩٥
ب- بَدْء العلاج الطبيعي ٩٦
ج- العودة إلىٰ عمان ٩٧
د- مُشاهدات ومواقف ٩٨
رحلاتي إلىٰ ماليزيا ١٠٣
١- رحلة علاج في مارس ٢٠١٣م ١٠٣
ا- الوصول إلىٰ كوالالمبور ١٠٤
ب- البحث عن مكان للإقامة فيه ١٠٧
ج- العلاج في العيادة الصينية ١١٠
د- البحث عن مكان مُتخصِّص في العلاج الطبيعي ١١٦
هـ- التدريب في المركز الرياضي ١١٩
و- عيادة أخرىٰ للإبر الصينية ١٢٥
ز- رحلة إلىٰ قرية عبد الحكيم ١٣٢
ح- الانتقال إلىٰ منطقة أمبانج ١٣٥
ط- العمانيون الذين التقيتُ بهم ١٤١
ي- رحلة إلىٰ جبال الكاميرون ١٤٥
ك- زيارة أماكن سياحية أخرىٰ ١٥٤

ل- مغادرة ماليزيا ١٦٢
م- مُشاهدات ومواقف ١٦٤
٢- رحلة سياحية في يناير ٢٠١٥م ٢٠٥
ا- الوصول إلىٰ ماليزيا ٢٠٥
ب- زيارة جزيرة لينكاوي ٢٠٨
ج- التوجُّه إلىٰ جزيرة بينانج ٢١٣
د- نزهة في الكاميرون ٢٢٠
هـ- التوجُّه إلىٰ كوالالمبور ٢٢٣
و- العودة إلىٰ عمان ٢٢٩
ز- مُشاهدات ومواقف ٢٣٠
رحلاتي إلىٰ إيران ٢٣٣
١- رحلة سياحية إلىٰ كلارَدِشت في يونيو ٢٠١٨م ٢٣٣
أ- الوصول إلىٰ كلارَدِشت ٢٣٣
ب- جولة في مدينة «نَمَكْ أَبْرود» الترفيهية ٢٣٦
ج- جولة في «سَيهْ هَزار» و«دُو هَزار» ٢٣٩
د- في مدينة «رامسَر» ٢٤٠
هـ- إلىٰ جبال رودباراك ٢٤١
و- في «جَوَاهِرْدَة» ٢٤٤
ز- إلىٰ «جالوس» و«نُوشَهْر» ٢٤٨
ح- العودة إلىٰ طهران ٢٤٩
ط- المغادرة إلىٰ عمان ٢٥٦
٢- رحلة علاج إلىٰ شيراز في نوفمبر ٢٠٢٠م ٢٥٦
أ- أخذ رأي الاختصاصيّين في عمان ٢٥٧

ب- الوصول إلىٰ شيراز ٢٥٩
ج- إجراء العمليات ٢٦١
د- العودة إلىٰ عمان ٢٦٦
رحلاتي إلىٰ دول أخرىٰ ٢٧١
١- رحلة إلىٰ مصر في أغسطس ١٩٩٥م ٢٧١
أ- الوصول إلىٰ القاهرة ٢٧٣
ب- زيارة المتحف المصري وجامع محمد علي باشا ٢٧٣
ج- زيارة أهرامات الجيزة وبرج القاهرة ٢٧٦
د- زيارة الإسكندرية ٢٨٠
هـ- زيارة المتاحف الأخرىٰ ٢٨٣
و- المغادرة إلىٰ أمريكا ٢٨٦
٢- رحلة إلىٰ تونس في مايو ١٩٩٧م ٢٨٧
أ- المغادرة وحضور المؤتمر ٢٨٧
ب- زيارة بعض الأماكن السياحية ٢٨٨
ج- العودة إلىٰ عمان ٢٩٠
د- مُشاهدات ومواقف ٢٩٠
٣- رحلة إلىٰ الأردن في مارس ٢٠٠١م ٢٩٢
أ- الوصول وزيارة جامعة آل البيت ٢٩٣
ب- زيارة مدينة عجلون وإربِد ٢٩٤
ج- المواصلة إلىٰ أمريكا ٢٩٦
٤- رحلة إلىٰ بريطانيا في مارس ٢٠٠٢م ٢٩٧
أ- في مدينتَيْ برمنجهام وكوفنتري ٢٩٨
ب- في مدينة لندن ٣٠١

ج- الوصول إلىٰ أمريكا ٣٠٥
رحلتي مع المرض ٣٠٧
فيروس الكبد الوبائي ٣١٥
١ - التجهيز لبدء العلاج ٣١٥
أ- تقصِّي حالة الالتهاب ونوعه ٣١٦
ب- اكتشاف نقص هرمون الغدة الدرقية ٣١٧
٢ - خمس دورات من العلاج ٣١٨
أ- الدورة الأولىٰ من العلاج ٣١٨
ب- مشكلة البواسير وعلاجها ٣٢٢
ج- دورة علاج التهاب الكبد الثانية ٣٢٤
د- أخذ عيِّنة من الكبد للمرة الثانية ٣٢٥
هـ- دورة العلاج الثالثة ٣٢٩
و- دورة العلاج الرابعة ٣٣١
ز- دورة العلاج الخامسة والأخيرة ٣٣٤
مشكلات العمود الفقري ٣٣٧
١ - الشلل الكامل للجزء السفلي من جسدي ٣٣٨
أ- وقوع مشكلة الشلل ٣٣٨
ب- عملية إزالة الغضروف ٣٤١
ج- التكيُّف مع الحياة الجديدة ٣٤٥
د- معاناة الحصول علىٰ علاج طبيعي مناسب داخل عمان ٣٤٩
هـ- مواصلة العلاج الطبيعي في الخارج ٣٥٠
٢ - عملية العمود الفقري الثانية ٣٥١
أ- إجراء العملية في تايلاند ٣٥٢

ب- المعاناة بعد العملية ٣٥٢
ج- التخطيط للعملية الثالثة ٣٥٣
د- مواصلة العلاج الطبيعي في عمان ٣٥٧
هـ- العودة إلىٰ العلاج في الخارج ٣٥٨
مواقف لا تُنسىٰ ٣٥٩
مواقف طريفة ٣٦٢
١- عمل الشاي للأساتذة ٣٦٢
٢- حُلْم CTRL-C ٣٦٣
٣- حلاقة شعر رأسي ٣٦٤
٤- طلبية البيتزا ٣٦٥
٥- سحب «جونية» الأرز في المطار ٣٦٥
٦- «قوطي» التمر والعُوال ٣٦٦
٧- أُضحية العيد ٣٦٧
٨- حفل تخرُّج الدفعة الأولىٰ لجامعة السلطان قابوس ٣٦٧
أ- استقبال الضيوف في المطار ٣٦٨
ب- مأدبة عشاء في قصر البستان ٣٦٩
ج- مأدبة عشاء في بيت السفير السعودي ٣٧٠
٩- «رُبَّ في التأخيرة خيرة» ٣٧١
١٠- الجهل قد يكون منجاة ٣٧٢
١١- سامحني يا سيِّدي ٣٧٢
مواقف أمنية ٣٧٥
١- طلعة توسان ٣٧٥
٢- اتِّصال من FBI ٣٧٦

٣- تفجيرات مركز التجاري العالمي في نيويورك..... ٣٧٧
أ- التفجيرات والتَّداعيات التي أعقبتها..... ٣٧٧
ب- الأيام التالية للتفجيرات..... ٣٨٢
ج- دقُّ نواقيس الحرب علىٰ أفغانستان..... ٣٩٣
٤- شراء الكتاب..... ٣٩٥
٥- الهروب إلىٰ عمان..... ٣٩٩
٦- استدعائي في عمان للتحقيق..... ٤٠٢
٧- استقبال مُثير في مطار ميامي..... ٤٠٢
٨- تحقيقات أمنية في ماليزيا..... ٤٠٦
٩- اعتقال بسبب صلاة العيد..... ٤٠٨
مَواقِفُ مُتفرِّقة..... ٤١٧
١- علىٰ وَشْك وقوع حادث دهس..... ٤١٧
٢- علىٰ وشك وقوع حادث دهس آخر..... ٤٢٠
٣- المعاناة في مطارات السعودية..... ٤٢٢
٤- السفر علىٰ الطيران الماليزي..... ٤٢٣
٥- حذف ملفات رسالة الدكتوراة..... ٤٢٨
٦- دراما عاملة المنزل..... ٤٢٩
٧- طيشُ شابٍّ سعودي..... ٤٣٥
٨- التذكرة بدرهم والحقيبة بألف..... ٤٤٠
٩- دودة الوادي..... ٤٤٢

ذِكْرَيَاتُ رَحَلَاتي

(الجزءُ الثاني)

رَحَلاتي إلى تايلاند

عد أن ابتلاني الله -سبحانه وتعالىٰ- في نهاية أبريل ٢٠٠٨م بمشكلة العمود الفقري، أُصِبتُ من جرَّاء ذلك بشلل كامل للنصف السُّفلي من جسدي، وبعد أن أجريتُ في مستشفىٰ خولة عمليةً لإزالة الغضروف بدأتِ الحركة تعود إليَّ ولكن ببطء، وحوَّلوني إلىٰ قسم التأهيل والعلاج الطبيعي المجاور لمستشفىٰ نزوىٰ القديم للقيام بالعلاج الطبيعي، ولكن المستشفيات عندنا كانت -وما زالت- لا توجد بها إمكانات كبيرة للعلاج الطبيعي؛ فمثلًا في نزوىٰ خصَّصوا لي جلسة واحدة فقط في الأسبوع، أما في تايلاند -كما سأذكر لاحقًا- فكانت هناك جلستان يوميًّا؛ أي بمُعدَّل أربعة عشرة جلسة في الأسبوع.

كذلك، كنتُ أحتاج إلىٰ قطع قرابة مئة كيلومتر في الذهاب والإياب من بيتي إلىٰ مكان العلاج الطبيعي في نزوىٰ، وكنتُ أعاني خلالها كثيرًا من حركة السيارة بسبب ترهُّل العضلات، وعندما أصل يُبقوني عندهم لأقلِّ من نصف ساعة، وغالبًا ما يطلب المُدرِّب مني خلالها القيام بالتمارين التي علَّمني إياها من قبل ثم يتركني ويذهب لغيري، وأما في تايلاند فكان العلاج في نفس مكان الإقامة، والجلسة الواحدة كانت تمتدُّ لأكثر من ساعتين، وكان المُدرِّب لا يُفارق المريض إلىٰ أن تنتهي الجلسة.

لذا، رأيتُ أن بقائي في عمان لن ينفعني في عودة الحركة إلىٰ رجليَّ، وإنما أنا بحاجة إلىٰ علاجٍ طبيعيٍّ مُكثَّف، ومن هنا جاء قراري -بعد بحثٍ وسؤال- للذهاب إلىٰ تايلاند، وقد توالتْ سفراتي إليها خمس مرات، أربع منها للعلاج الطبيعي وواحدة لإجراء عمليات لي ولوالدي.

١ رحلة يوليو 2008م

علىٰ الرغم من أني كنتُ قد عقدتُ العزم للسفر إلىٰ تايلاند فإن العقبة الكبرىٰ كانت في توفير تكاليف العلاج، وكنتُ لا أريد الاقتراض من أحد خشية تكاثر الديون عليَّ، وفي تلك الآونة كانت أسعار الأراضي قد قفزتْ قفزًا خياليًّا، وكانت لي أرض في ولاية العامرات قد وصلتْ قيمتها إلىٰ ١٩ ألفًا، ولكني عندما سألتُ عنها آنذاك أُخبرتُ بأن سعرها قد هبط إلىٰ نحو ١٤ ألفًا، فقرَّرتُ تأجيل بيعها علىٰ أمل أن يرتفع سعرها مرة أخرىٰ، واقترضتُ المبلغ من بعض زملائي -جزاهم الله خيرًا-، ولو كنتُ أعلم الغيب لبعتُها لأن أسعار الأراضي تواصلتْ في الانخفاض إلىٰ أن بعتُ أرض العامرات عند ذهابي إلىٰ تايلاند للمرة الثانية بقيمة ٤٥٠٠ ريال فقط.

بعد بحثٍ وسؤال عن مستشفيات تايلاند التي تُقدِّم أفضل علاج طبيعي كانت نصيحة العديد من الإخوة أن أذهب إلىٰ مستشفىٰ «ويشتاني» (Vejthani Hospital)؛ فهو من ناحية أسعاره أقل بكثير من المستشفيات الموجودة في العاصمة بانكوك مثل «المستشفىٰ الأمريكي» (Bumrungrad Hospital) و«المستشفىٰ المَلَكي» (Bangkok Hospital) ومستشفىٰ «بيا ويت» (Piyavate Hospital)، ومن ناحية أخرىٰ فالمُدرِّبون فيه يعتمدون علىٰ التمارين اليدوية أكثر من الأجهزة مما يكون له نتائج أفضل في تقوية العضلات.



مستشفىٰ ويشتاني في بانكوك

كانـت أختي سـعادة قد أُصيبتْ بانزلاق في إحدىٰ فقـرات عمودها الفقري قبـل أيام من ذهابي وتم تنويمها في مستشـفىٰ نزوىٰ، والمستشـفيات الصغيرة عندنـا لا تُؤتَمَـن علىٰ العمليـات الكبيـرة والمُعقَّدة، فاقترحـتُ عليها أن تأتي

معنـا، وفعلًا رتّـب أولادها لذلك، ورافَقَنا في الرحلة ابنـي عبد الله وابن أختي خالد لمسـاعدتنا في المطارات والمستشـفىٰ، وقد تواصلـتُ قبل الذهاب مع المستشـفىٰ وحجزتُ المواعيد مع الأطباء وأخبرتهم بيوم وصولنا لاسـتقبالنا في المطار.

أ الوصول إلى مستشفى ويشتاني وبدء العلاج

كان إقلاعنا من عمان في السادسـة مسـاءً بتوقيت مسقط من يوم ١٢ يوليو، واستغرقتِ الرحلة من مسقط إلىٰ بانكوك ستَّ ساعات ونصفًا، ولم تكن رحلة سـهلة ويسيرة لي ولأختي؛ فالبقاء علىٰ الكُرسـيِّ هذه المدة الطويلة يُضاعِف من الأوجاع، والحركة داخل الطائرة أشدُّ صعوبة من ذلك وأكثرها آلامًا، وقد أردتُ مـرة دخـول دورة المياه في الطائرة فاحتجتُ إلـىٰ أن يحملني ابني وابن أختي ليُدخلاني إليها، وسبحان الله يشعر المرء في تلك الظروف بأنه فعلًا ليس له حولٌ ولا قوة، ولولا عناية الله ورعايته لما استطاع القيام بشيء.

بعد خروجنا من مطار بانكوك في السادسـة صباحًا وجدنا سيارة المستشفىٰ تنتظرنا، وبعد وصولنا المستشفىٰ المُكوَّن من اثْنَيْ عشر طابقًا أخذونا أولًا إلىٰ قسم العلاقات العربية لتسجيلنا وفتح ملفات لنا.



في قسم العلاقات العربية مع أختي وابني عبد الله

بعد أن أنهَوْا إجراءات التسجيل أخذونا إلىٰ مكان إقامتنا في الطابق السادس عشـر من فندق المستشـفىٰ الملاصق له والمُتكوِّن من ستة عشر طابقًا، وكان إيجـار كل غرفة ١٢٠٠ بات في اليـوم (أي نحو ١٥ ريالًا عمانيًّا) فأخذنا غرفة لي ولابني عبد الله وغرفة لأختي وابنها خالد، ثم نِمنا إلىٰ الظهر، ولما استيقظنا صلَّينـا الظهـر والعصر ثـم ذهب عبـد الله وخالـد لإحضار الغـداء من مطعم المستشـفىٰ، ثم بعـد ذلك جاءنا أحـد المُترجمين المسـلمين الذين يتكلَّمون اللغة العربية الفصيحة وأخذنا إلىٰ عيادة العظام، وكنتُ قد سـألتهم في الهاتف

عندما كنتُ في عمان عن أفضل اختصاصي عظام لديهم، فأخبرونا بأنه الدكتور «**ثونج تشاي**» فأخَذَنا المترجم إليه، وكان نعم الطبيب أخلاقًا ومهارة.

بعد أن عاين الطبيب حالتي والأشعة التي أحضرتُها معي، حولني إلىٰ قسم العلاج الطبيعي، ولما قابلتُ طبيب العلاج الطبيعي أجرىٰ بعض الفحوصات المبدئية والأسئلة ثم عيَّن لي برنامجًا يتكوَّن من جلستين يوميًّا، وكل جلسة لمدة ساعتين تقريبًا، وكانت تكلفة كل جلسة نحو ١٣ ريالًا فقط، وكما ذكرتُ من قبل فممَّا يُميِّز العلاج في هذا المستشفىٰ أنه يدويٌّ إلا في الحالات النادرة، وكان المُعالِج يبقىٰ بجانب المريض إلىٰ أن ينتهي من جميع التمارين التي كانت تصل -أحيانًا- إلىٰ أكثر من أربعين تمرينًا بما فيها تمارين لليدين.

وإذا كان هذا حال العلاج الطبيعي عندهم، فلماذا لا يكون عندنا مثله؟ أهو من قلة عدد الفنيين أم بسبب كثرة المرضىٰ أم تدنِّي ساعات العمل؟ والحقيقة أن كل ذلك موجود عندنا؛ فالعمل عندنا لسبع ساعات أو أقل، أما عندهم فهو يمتدُّ من الثامنة صباحًا إلىٰ الثامنة مساءً، وبعض العيادات تعمل علىٰ مدار الأربع والعشرين ساعة، وعندهم أكثر من ثلاثين فنيَّ علاج طبيعي (وفي المستشفىٰ المَلَكي أكثر من ٢٥٠ مُعالجًا)، في حين لا يوجد في مستشفياتنا إلا أفراد قلائل، وقد يكونون غير مُؤهَّلين للقيام بعملهم بمهارة.

كان المُدرِّبون عندهم يُدقِّقون الملاحظة علىٰ طريقة أدائي للتمارين وقَسَمات وجهي، ولو لاحظوا مني ما يُشعِر بالإرهاق أو الوجع فحينها يُخفِّفون التمارين أو يُغيِّرونها أو يستخدمون الموجات الصوتية أو غيرها لتسكين الأوجاع، وعندما يرَوْن أني صرتُ قادرًا علىٰ أداء أحد التمارين فإنهم يزيدون الأوزان التي يضعونها علىٰ اليدين أو الرجلين، وأحيانًا يُغيِّرون التمرين لآخر أفضل منه.

كنـتُ عندما وصلنا إلىٰ المستشـفىٰ وأوصلونا إلىٰ غرفنا قد طلبتُ كُرسـيًّا مُتحـرِّكًا لدخول دورة المياه، فقالوا إنه غير مُتوفِّر في فندق المستشـفىٰ، ولكن يمكـن اسـتئجاره بـ ٣٠٠ بات لليوم، فقرَّرتُ محاولـة دخول دورة المياه دون كُرسـيٍّ، وكنـتُ في البداية لا أسـتطيع الوقوف وإنما أُمسِـك بيدٍ عبـدَ الله ويدٍ خالدًا حتىٰ يُجلساني في كُرسيٍّ قريبٍ من المرحاض، ثم بعد أن تحسَّن وضعي صِـرتُ أُمسِـك بأحدهما بيد والأخرىٰ في الجدار، ثم علـىٰ مرور الأيام بدأتُ أدخل بنفسي وأنا أمشي وأعتمد بإحدىٰ يديَّ علىٰ الجدار.

وفي مـدة الشـهرين والنصـف التـي قضيتُهـا في هـذه الرحلة لـم أخرج من المستشفىٰ إلا مرتين؛ مرة ذهبنا فيها إلىٰ السفارة العمانية ومرة ذهبنا نستكشف إمكانـات المستشـفىٰ المَلَكـي في العـلاج الطبيعي، وسـأُبيِّن هاتيـن المرتين لاحقًـا، وفي كلتيهمـا كان ابني عبد الله وابن أختي خالـد لا يزالان معي، وبعد عودتهمـا إلىٰ عمان مع أختي بعد أسـبوعين من وصولنا إلـىٰ تايلاند بقيتُ في المستشـفىٰ بمفردي، ومرَّ عليَّ شـهر رمضان لذلك العام وأنـا ما زلتُ هناك، وهذا يُعطينا درسًا مُهمًّا؛ وهو أن هناك أولويات في الحياة، والإنسان الذي يسير وفق أولوياته يسـتطيع الاسـتعانة بالله للتركيز علىٰ ما هو مُهمٌّ في حياته وتذليل الصعوبات والعقبـات التي تواجهه دون الإخـلال بالالتزامات الأخرىٰ، فهو قادرٌ -بعون الله- علىٰ تكييف مُتطلَّبات الحياة كيفما يشاء.

وما سـاعدني علىٰ البقاء تلك المدة الطويلة رغم وضعي الصِّحي الضعيف هو رعاية الله أولًا وآخرًا ثم التسهيلات الموجودة في المستشفىٰ، التي منها:

- الفندق والمستشفىٰ مُتَّصِلان عبر ممرات ومصاعد وكأنهما بناية واحدة؛ ما يُسهِّل الحركة بينهما.

۞ يوجد في المستشفىٰ قسمٌ عربي به أكثر من ثلاثين مُترجِمًا يتكلَّمون اللغة العربية الفصيحة، ومعظمهم تخرَّجوا في الأزهر أو جامعات السعودية، وهم -والتايلنديون عمومًا- ذوو أخلاقٍ عالية وتعاملٍ راقٍ جدًّا، ومَن يرىٰ تلك الوجوه النَّيِّرة من المسلمين يشعر بسعادة لا توصف، وكأنهم ملائكة ساقهم الرحمن ليُلطِّفوا عليه أجواء غربته، وهذا حال المسلمين في أيِّ بقعةٍ من الأرض، فهم كما وصفهم الحبيب المصطفىٰ -عليه الصلاة والسلام- بقوله: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»[1].

۞ يوجد في المستشفىٰ فريقٌ من الذين يقودون الكراسي المُتحرِّكة، وهم يأخذون الشخص من أيِّ مكان في الفندق أو المستشفىٰ وإلىٰ أيِّ مكان آخر داخلهما، وكل ما يحتاج إليه المريض هو الاتِّصال برقمهم الخاص ليحضروا فورًا إلىٰ غرفته، ثم يأخذونه إلىٰ المكان الذي يريد، ثم يُعيدونه إلىٰ غرفته بعد انتهاء حاجته، وكان عند هؤلاء من المرح وطلاقة الوجه ما يُسلِّي المريضَ ويُؤنسه.

۞ كان هناك مطعمٌ داخل المستشفىٰ يُقدِّم وجبات عربية يُعِدُّها طُهاة عرب، ويُشرف القسم العربي علىٰ حِلِّية اللحوم والدواجن وغيرها من المأكولات، وكانوا يُحضرون ما يريده الشخص من الوجبات إلىٰ غرفته سواءٌ في المستشفىٰ أو الفندق وأسعارهم مناسبة جدًّا، ولا أظنُّ أن هناك من نزلاء المستشفىٰ أو الفندق، سواءٌ أكانوا من المرضىٰ أم مرافقيهم، مَن قد يشتكي من جودة الطعام أو تنوُّعه؛ فجميعه يُعَدُّ ويُقدَّمُ حسب

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ٣٣٣٦، ج ٤، ص ١٣٣) من حديث السيدة عائشة -رضي الله عنها-.

رغبـة الشـخص وذوقـه، وأمـا في المستشـفيات عندنا فإن أسـوأ خدمة يتذكَّرها المريض والمرافق هي في جانب الطعام، والسـبب ببساطة يعود إلـىٰ أنه موكـولٌ إلىٰ شـركات تجارية لا تهمُّها رغبـات الناس ورضاهم بقَدْر ما يهمُّهم مقدار الربح الذي سـيُوفِّرونه من وراء التقليل من الطعام أو جودته أو نوعيته، وللأسف فالمسؤولون في المستشفيات إما غافلون عمَّا يجري فيها وإما يتستَّرون عليهم.



في مطعم المستشفىٰ مع ابني عبد الله وابن أختي خالد

❁ كانـوا يأتون لتنظيف غرفة الفندق يوميًّـا، وكنتُ عندما أحتاج إلىٰ فواكه أو بعض المُسـتلزمات الأخرىٰ أطلب من أحد هؤلاء أن يشتريها لي من خارج المستشفىٰ مقابل إكرامية يسيرة يفرحون بها، وأما ملابسي فكنتُ

-لغلاء الغسـيل عندهم- أغسلها بنفسـي في دورة المياه ثم أُجفِّفها علىٰ حوامل خاصَّة أحضروها لي.

۞ كان يوجـد في كل غرفة ميكروويف وغلَّاية ماء وأكواب وصحون وغيرها من الأدوات البسيطة، لذا كنتُ أُعِدُّ الشاي والقهوة بنفسي وخاصة في شهر رمضان.

ومـن خـلال تعاملي مـع الفئـات المختلفـة في المستشـفىٰ رأيـتُ الأمانة والصدق في التعامل عند غالبيتهم -سـواءٌ أكانوا مسـلمين أم غير مسـلمين-، وللأسف فإننا نجد هذا الأمر شبه مفقودٍ عند كثيرٍ من المُوظَّفين في مستشفياتنا، وقـد يرجع ذلك إلىٰ المبـادئ والقِيَم التي تربَّىٰ عليها أولئك، ولكن الأهمَّ هو أن تلك الأخلاق والمعاملة الحسـنة قد صارت جزءًا من نظام العمل عندهم، ولذلـك لا ترىٰ الشـخص يتكلَّـف أو يتصنَّـع معاملتـه وإنما تشـعر بأنه يريد خدمتك بصدقٍ وإخلاص.

ب مواصلة العلاج والتحسُّن التدريجي

علىٰ الرغم من طول مدة العلاج التي قضيتُها هناك بقي الضعف موجودًا في رجلَيَّ وسـائر جسـدي وخاصة في الأقدام وعند الخاصرة، ولكنه بدرجة أكبر في الرجـل اليمنىٰ؛ إذ كنتُ لا أسـتطيع تحريك القـدم وأصابعها إلىٰ أعلىٰ ولا أسـتطيع تحريكهـا جانبيًّا إلا قليلًا، ولا أسـتطيع رفع الرجل إلـىٰ أعلىٰ عندما أكون نائمًا علىٰ بطني، وأما بقية الجسد فأنا لا أستطيع القيام من دون مساعدة، ولا أسـتطيع البقاء واقفًا إلا لحظات؛ فكنتُ أشـعر بعدم القدرة علىٰ التوازن، وعندما أقوم بأدنىٰ جُهْد كنتُ أشعر بالإعياء ويبدأ العرق يتصبَّب بغزارة، حتىٰ

إنهم كانوا يمشون خلفي يمسحون الأرض بمنديل خشية أن ينزلق عليها أحد، غير أن ذلك الضعف ما كان ليُؤثِّر -بحمد الله- في عقلي وبقية جوارحي، فسبحان الله واهب النِّعَم ومُوزِّع الأرزاق.

ونظرًا إلىٰ كثرة وتفاوت المُدرِّبين الذين يتناوبون معي في كل جلسة لاحظتُ أن هناك واحدًا منهم لديه مهارة عالية وجِدِّية وإخلاص وحُسْن تعامل في أثناء القيام بالتمارين، وبالمقابل كان هناك مَن يُقلِّد غيره من غير إتقان ولا يأتي بجديد، وكنتُ أحيانًا أشترط عليهم بعض المُدرِّبين الجيِّدين، فكانوا في بعض المرات يُلبُّون ما أطلب وفي بعضها يأتي غيرهم، نظرًا إلىٰ عملهم بالنوبة واختلاف أوقات المواعيد.

بعد نحو عشرين يومًا من وصولي هناك بدؤوا تدريبي علىٰ الوقوف، وكان الأمر صعبًا جدًّا؛ إذ إن عضلات الخصْر كانت لا تزال ضعيفة، وكنتُ عندما أنتصبُ واقفًا يطلبون مني البقاء مستقيمًا دون أن أُمسِك بشيء لتمريني علىٰ التوازن، وكان هذا مقدورًا عليه في بعض الأحيان، ولكني سرعان ما أفقد توازني عندما يطلبون مني تحريك إحدىٰ يديَّ إلىٰ الأمام وإبقائها مستقيمة، وعندما أستطيع فعل ذلك يطلبون مني رفع كلتا يديَّ إلىٰ الجانبين ثم إلىٰ أعلىٰ وكان هذا أصعبها.

وسبحان الله لو تدبَّر الواحد منا لوجد أن تلك الجزئيات الدقيقة والبسيطة في حركة الأطراف والمفاصل والعضلات هي نعمٌ عظيمة لا يشعر بأهميتها وعظمتها إلا مَن افتقدها، ولذا كنتُ عندما أُشاهِد ولو حركة بسيطة أو تحسُّنًا طفيفًا في شيءٍ منها أشعر بغبطة لا توصف، فكم من الملايين والمليارات من مثل تلك الجزئيات موجودة في أجسادنا ونحن لا نشعر بها ولا نشكر المولىٰ عليها؟

بعد ذلك، بدؤوا يُدرِّبونني علىٰ المشي بين الأعمدة دون عُكَّازات، ولكن بالاعتماد علىٰ يد واحدة فقط، فبدأتْ معي أوجاع في أعلىٰ الفخذ اليمنىٰ وخاصة عندما أمشي، وكنتُ أيضًا أشعر بآلام في رجليَّ وتنمُّل في قَدَمَيَّ عندما أقف، فأعطوني بعض الأدوية لتخفيف التنمُّل وبدؤوا يدلكون موضع الوجع بالموجات فوق الصوتية بعد الانتهاء من جلسات التمارين، ثم يتركونني أنام لنحو ٢٠ دقيقة علىٰ كمَّادة ساخنة، وكان لتلك الإجراءات -بحمد الله وفضله- أثرٌ كبير في تخفيف ما أجد من أوجاع، وبسبب تلك الزيادات امتدَّت كل جلسة من نحو ساعة وربع إلىٰ نحو ساعتين ونصف، وزادت التكلفة بنحو عشرة ريالات إضافية لكل جلسة.

وبعد أن بدأتِ العضلات تقوىٰ، بدأتُ أمشي معتمدًا علىٰ عصىٰ ذات ثلاث أرجل أمسكها بيدي اليسار نظرًا إلىٰ ضعف رجلي اليمين، ثم بدأتُ محاولات المشي في غرفتي في الفندق دون الاعتماد علىٰ شيء، وكانت -بحمد الله- مُوفَّقة رغم صعوبة نقل الرجل اليمنىٰ؛ ما يجعلني أحتاج إلىٰ لمس شيء قائم للمحافظة علىٰ التوازن، وفي اليوم الذي سبق مغادرتي تايلاند طلبتْ مني المُدرِّبة أن أمشي دون استخدام العصا، وكانت هي تقف خلفي لكي لا أفقد توازني فأترنَّح أو ربما أسقط، وبحمد الله ومِنَّته وفضله مشيتُ بنفسي قرابة خمسين خطوة، وكنتُ حينها في سعادة لا توصف؛ إذ كانت أول مرة أمشي فيها دون الاعتماد علىٰ شيء منذ وقوع مشكلة الظهر عندي قبل أربعة أشهر.

ج عملية العمود الفقري لأختي

عندما قابلنا اختصاصي العظام ورأىٰ الأشعة التي أحضرناها معنا قرَّر إجراء عملية فورية لها، واتَّفقنا مع مالية المستشفىٰ أن يكون سعر العملية خمسة آلاف ريال عماني، فنوَّموها فورًا في غرفة داخل المستشفىٰ، وعملوا لها أشعة رنين مغناطيسي مُلوَّنة لغرض العملية، وبدؤوا يعملون لها فحوصات وإجراءات ما قبل العملية.

في العاشرة ليلًا أدخلوها إلىٰ غرفة العمليات وبقينا نحن ننتظر في غرفتي في الفندق، وحدث موقفٌ لا يُنسىٰ؛ وهو أنهم في نحو الثانية عشرة ليلًا اتَّصلوا بنا وطلبوا منا الذهاب فورًا إلىٰ غرفة العمليات، فانتابنا قلق من أن مكروهًا قد حدث لأختي فذهبنا إلىٰ هناك، وبعد قليل خرج الجرَّاح «**ثونج تشاي**» بلباس العمليات المُتلطِّخ بالدم، فقال إنه وجد هشاشة في عظام أختي، ولا بُدَّ من تثبيت الفقرة المُنزلقة بمسمار من البلاتين لأنه لو لم يفعل ذلك لربما عاودها الانزلاق مرة أخرىٰ، فسألته عمَّا يريده منا، فقال إنه أراد فقط أن يُخبرنا بذلك ويستأذننا في تثبيت المسمار، فتعجَّبنا من أمانته، فقد ترك العملية ليُخبرنا بأنه سيقوم بإجراءٍ فيه خيرٌ ومنفعة للمريض، وبعد أن أذِنَّا له بإجراء ما يريد دخل غرفة العمليات وأكمل عمليته، وأُخرِجت أختي في نحو الثانية بعد منتصف الليل.

لم يكتفِ الطبيب بما قام به من استدعائنا إلىٰ غرفة العمليات وشرحه لما يريد القيام به، وإنما أحضر لنا في اليوم التالي كاميرته الخاصة، وأرانا صورًا للفقرة المُنزلقة ومقطعًا صوَّره بنفسه وهو يُحرِّك الفقرة في أثناء العملية ليُبرهن علىٰ عدم ثبوتها، فازداد إعجابنا بكفاءته وأمانته، وبحمد الله وفضله بعد عودة

أختـي إلىٰ عمـان وزوال أوجاع العمليـة زالت جميع الأوجـاع الأخرىٰ التي كانت تعانيها، وإلىٰ يومنا هذا لم تشكُ شيئًا من جراء تلك العملية.

وإذا قارنـا حـال ذلك الدكتور بمَـن هم عندنا لوجدنا البون الشاسـع بينهم -سواءٌ في الأخلاق والتعامل أو في المهارة-؛ فأنا أُجريتْ لي عملية في مستشفىٰ خولـة وإلىٰ يومي هذا لم ألتقِ بالجرَّاح الذي أجـرىٰ لي العملية ولا أعلم عنه شيئًا، وكذلك الحال بالنسبة لوالدي عندما أُجريتْ له عملية في مستشفىٰ خولة، فقد بقي -كما ذكرتُ سـابقًا- لأكثر من سبعة أشهر في المستشفىٰ وهو يصرخ من شـدة الأوجاع، والأطبـاء لا يريدون الاعتراف بخطئهم في فشـل العملية، وإنما كانوا يُلقون اللوم عليَّ وعلىٰ والدي.

وفيمـا يخـصُّ عملية أختي فقد حـدث أمرٌ لم نكن نتوقَّعـه أو بالأحرىٰ لم يُفهمونا إياه؛ وهو أن استدعاءنا إلىٰ غرفة العمليات كان لغرضٍ طبيٍّ وأخلاقيٍّ مـن قِبَـل الطبيب، ولكـن المترجـم ومُوظَّـف الماليـة اللَّذَيْن كانـا حاضرَيْن لـم يُخبرانـا حينها أن تثبيت تلك الفقرة بمسـمار من البلاتين سـيزيد من قيمة العملية بنحو ٢٥٠٠ ريال عمانيٍّ، ولذا فوجئنا بتلك الزيادة الكبيرة فقط بعد أن أحضروا لنا الفواتير بعد ترخيص أختي من غرفة المستشفىٰ وإعادتها إلىٰ غرفة الفندق بعد نحو أسـبوع من إجـراء العملية، وربما كنـا مُغفَّلين في يوم العملية عندما لم نسأل -أو علىٰ الأقل نتوقَّع- مثل تلك الزيادة، والقانون -كما يُقال- لا يحمي المُغفَّلين.

في بدايـة الأمـر حاولنا من خـلال المترجمين وقسـم العلاقـات العربية في المستشـفىٰ التفاهم مع الإدارة بأنهم لم يُخبرونا عـن تلك الزيادة، لذا فإننا لن ندفعها، وبعد أن رأينا تعنُّتهم قرَّرنا الذهاب إلىٰ سـفارة عمان في تايلاند لنأخذ

رأيهـم في ذلك، وهناك قابلنـا الملحق الصِّحي الذي -بدلًا من أن يسـاعدنا- أخـذ يلومنـا في أننا لم نُخبرهم بوصولنا إلىٰ تايلانـد عندما جئنا من عمان ولم نتَّصـل بهـم، فحاولـتُ إقناعه بأني وأختي كنـا في حالة يصعـب معها التواصل معهم، وأيضًا لم يكن عندنا رقمهم، وبعد كلام طويلٍ معه أخبرنا بأن السـفارة لا تسـتطيع فعل شيء إلا تزويدنا برسـالة لطلب تخفيض التكلفة بنسبة ١٠٪، وعندما سـلَّمنا المستشفىٰ تلك الرسالة أخبرونا بأنهم اعتادوا من ذات أنفسهم أن يُعطوا المريض ذلك التخفيض مباشرة دون الحاجة لتزويدهم بأيّ رسائل.

كانـت زيارتنـا للسـفارة مُحبِطة لنـا جـدًّا؛ فكنا ننظـر إليها علىٰ أنهـا مَلاذ المواطن في غربته، وأنها سـتقوم بما في وسعها لمسـاعدتنا كما تفعل سفارات الـدول الأخرىٰ، وعلىٰ الرغم مـن أن الملحق الصِّحـي كان يلومنا علىٰ عدم التواصل معهم، فإنه بالمقابل كان يزور المرضىٰ العمانيين في ذلك المستشفىٰ وغيـره من المستشـفيات الذيـن جاؤوا علىٰ نفقـة ديوان البلاط السـلطاني أو جهـاتٍ أخرىٰ، وكان يراني ويـرىٰ غيري من المرضىٰ العمانيين، ومع ذلك لم تطاوعه نفسه حتىٰ للسلام علينا، وهذا أمرٌ شاهدناه منه في أكثر من موقف.



في مبنىٰ السفارة العمانية في بانكوك

لم أكتفِ بما قالوه في المالية وقسم العلاقات العربية، فطلبتُ مقابلة المدير التنفيذي للمستشفىٰ، ولكنه للأسف أسمعني الكلام نفسه الذي سمعته من قسم العلاقات العربية، وبعد نقاش طويلٍ معه أخبرته بأنه ليس بإمكاننا إلا دفع المبلغ الذي أُخبرنا عنه قبل العملية، فطلب من المترجم أن يُطلِع سفارة عمان بالموضوع، وبعد مدة جاءني أحد المسؤولين من قسم العلاقات العربية فأخبرني بأن السفارة تكلَّمت معهم حول خفض التكلفة، وأنهم سيقومون بذلك ولكن ليس للحدِّ الذي نطالب نحن به، فطلبتُ منه أن يخبرني أولًا بمقدار التخفيض لكي نستطيع التفاهم حوله.

كذلك، ذهبتُ إلىٰ الجرَّاح الـذي أجرىٰ العملية وحاولتُ أن أقنعه بحذف المبلـغ المضاف، فأخبرني بأنه سـيتواصل مع المصنع الذي اشـترَوْا منه ذلك المسمار، وبعد أن عُدتُ إليه أخبرني بأن المصنع قد خفَّض التكلفة إلىٰ ١٢٥٠ ريالًا، وأنه -أي الجرَّاح- من جانبه سيتنازل عن حصته التي يحصل عليها من كل عملية، وأما غير ذلك فليس بإمكانه فعل شيءٍ آخر لأنه لا يستطيع التدخُّل في شـؤون إدارة ومالية المستشـفىٰ، لذا بعد نحو شهر ونصف من المراجعات والمناقشـات معهم لم أجد بُدًّا من دفع التكلفة الجديدة، وكانت نحو ٦٣٠٥ ريـالات، أي أقلَّ بنحو ١٢٠٠ ريال عن السِّـعر الذي جاء في الفاتورة الأولىٰ، وما ضاع حقٌّ له مُطالِب.

والمسـمار الذي سبَّب تلك الزيادة في سـعر العملية لم يكن مسمارًا عاديًّا؛ فهـو أولًا مصنوعٌ مـن البلاتين الذي لا يصدأ، ويمكن أن يبقىٰ داخل الجسـم مدىٰ الحياة، ثم إنه مسمارٌ مَرِنٌ يسمح بانحناء الظهر في أثناء الحركة، ولو كان صلبًا لما سمح بذلك، فسبحان مَن علَّم الإنسان ما لم يعلم.

د العودة إلى عمان

كانت مغادرتي تايلاند في يوم ٢٥ من رمضان لعام ١٤٢٩هـ/ ٢٥ من سبتمبر لعام ٢٠٠٨م، وتوقَّفتُ عن العلاج الطبيعي قبل يومين من المغادرة علَّ الأوجاع التـي كنتُ أعانيهـا من جَـرَّاء التمارين تخفُّ فـلا تُؤثِّر فيَّ خـلال رحلة العودة الطويلـة، وفي يـوم المغادرة جهَّزتُ حقائبي، وعندما حـان وقت الظهر صلَّيتُ الظهـر والعصـر جمعًا وقصـرًا، والتقطتُ بعض الصور مـع بعض المترجمين والمُوظَّفين والعُمَّال، ثم أخذوني بكُرسـيٍّ مُتحرِّك إلىٰ قسـم العلاقات العربية والتقطتُ هناك صورًا مع بعض المترجمين ومسؤولي القسم.



مع أحد الإخوة الإماراتيين (عن يميني) وبعض المترجمين في قسم العلاقات العربية

سألني مسؤول قسم العلاقات العربية ما إذا كنتُ أستطيع المشي بمفردي فأخبرته بأني أستطيع المشي بالعصا وأما دونها فبصعوبة، فبدأ يتكلَّم مع امرأة من الإدارة فشككتُ في الأمر، ثم جاءني بعد قليل ليسألني عمَّا إذا كنتُ قد حجزتُ كُرسيًّا مُتحرِّكًا ليأخذني إلىٰ الطائرة، فأخبرته بأني أحضرتُ أوراقي إلىٰ قسم العلاقات العربية فأخبروني بأن الشخص المعنيَّ بالحجوزات في إجازة، وأخبرتهم بضرورة حجز الكُرسيِّ وأخبرتهم بالإجراءات اللازمة لذلك.

بدأ المسؤول يتحدَّث مع المرأة مرة ثانية، وبعد مدة جاءني ليخبرني بأنه لا يمكنني السفر في ذلك اليوم لأنهم لم يرسلوا أوراقي إلىٰ مكتب الطيران العماني في بانكوك إلا صباح ذلك اليوم، فأخبرته بأنه لا يمكنني تأجيل السفر لأن أهلي

ينتظرونني، والحقيقة هي أن ذلك كان أحد الأسباب، ولكن الأهم هو أني من ناحية نفسية مُتشوِّقٌ للعودة إلىٰ عمان وغير مُستعدٍّ للبقاء في المستشفىٰ يومًا آخرَ.

حاول هو وأحد الإخوة من دولة الإمارات إقناعي بتأجيل السفر فأصررتُ علىٰ الذهاب، وزادني الأخ الإماراتي قلقًا عندما أخبرني بأنهم قد لا يسمحوا لي بالسفر دون مرافق، وأنه قد أحتاج لتأجيل السفر إلىٰ أن يأتي شخص من عمان لمرافقتي، وهذا يعني تأخير العودة أيامًا عدة وعيد الفطر علىٰ الأبواب، وبعد مدة طالت جاءني المسؤول وحاول إقناعي مرة أخرىٰ بتأجيل السفر فقلتُ له: «**علينا أن لا نُضيِّع الوقت هنا وإنما نذهب إلىٰ المطار فورًا، فإن وافقوا علىٰ سفري كان بها، وإلا فلا حول ولا قوة إلا بالله**».

استصوب المسؤول رأيي فتحرَّكنا في التَّوِّ، وعندما رآني سائقو الكراسي المُتحرِّكة لابسًا الزيَّ العماني ومعي حقائبي جاؤوا لوداعي والتقطتُ معهم بعض الصور، ثم سألني المترجم الذي سيرافقنا إلىٰ المطار عن جواز سفري فأخبرتُه بأنه في قسم العلاقات العربية فأصابني القلق مرة أخرىٰ من تأجيل الرحلة، ولكنه -بحمد الله- عاد بعد قليل ومعه الجواز.

عندما وصلنا إلىٰ مكتب الطيران العماني في المطار وجدنا قبطان الطائرة ورئيسة المضيفات ينتظروننا ليُقرِّروا ما إذا كان بإمكاني السفر، وبعد أن رأوا التقارير وحالتي وافقوا علىٰ سفري، وكم كانت سعادتي بذلك؛ فقد كنتُ وأنا في طريقي إلىٰ المطار أدعو الله من ناحية أن يُسهِّل عليَّ السفر ويُلين قلوب المسؤولين في المطار، ومن ناحية أخرىٰ كنتُ أتخيَّل ما يمكن أن يحدث لو لم يوافقوا علىٰ سفري، ولكن الحمد لله أولًا وآخرًا الذي يسَّر الأمور وفرَّج الكربة.

بعـد أن ودَّعـتُ المترجـم والمـرأة التـي جـاءت معنـا لتُكلِّـم القبطان في موضوعي، أخذني أحد سـائقي الكراسـي المُتحرِّكة إلىٰ باب الطائرة مباشرة، ودخلتُ الطائرة بالعصا الثلاثية الأرجل التي كنتُ اشـتريتها من المستشـفىٰ، ومشيتُ وأنا أُمسِك بيديَّ بكراسي الطائرة، وأجلسوني في أول صف في الدرجة السياحية، وأقلعتِ الطائرة في الرابعة والنصف بعد العصر، وبعد أن استوتْ في السماء جاؤوا بالغداء لغير الصائمين.

بعـد أن انتَهَوْا من الغـداء ذهبتُ إلىٰ مُؤخِّرة الطائـرة وبقيتُ هناك إلىٰ نحو الثامنـة بتوقيـت تايلانـد عندما جاؤوا بالفطـور للصائمين، وكنـا لا نزال نرىٰ الشـمس مشـرقة ولكنهم أخبرونا بأننا في ذلـك الوقت فوق سـماء الهند وأنه بتوقيت الهند قد حان وقت الإفطار، فاسـتحييتُ من الله أن أُفطِر والشـمس لا تزال مشرقة، فانتظرتُ مدةً علَّها تغرب ولكنها لم تفعل، فحينها أفطرتُ ورأيتُ بقية المسـلمين يُفطرون أيضًا، وبعد الإفطار جـاؤوا بوجبة خفيفة للجميع مع القهوة والشاي.

هبطتِ الطائرة في مطار مسـقط في السـابعة مسـاءً، فانتظرتُ حتىٰ أحضروا الكراسي المُتحرِّكة، وأنزلوني بالرافعة مع مجموعة من النساء، وعندما كنتُ في الحافلة المُتَّجهة إلىٰ مبنىٰ المطار اتَّصل ابني عمر وسألني إن كنتُ قد وصلتُ فأخبرتـه بأننا في طريقنا إلىٰ مبنىٰ المطار، وربما أخرج بعد نحو نصف سـاعة، وعندمـا أدخلونا مبنىٰ المطار سـاعدني شـخص لإنهاء إجـراءات الوصول ثم ساعدني بتحريك الكُرسيِّ مسافة، ثم أخبرتُه بأني سأحركه بنفسي، وكنتُ أريد أن أبعث السـرور في نفوس أهلي الذين جاؤوا لاستقبالي فقرَّرتُ الخروج من المطار واقفًا وأنا أدفع أمامي عربة الحقائب لأظهر لهم وكأني أستطيع المشي.

ساعدني أحد المُوظَّفين بتحميل حقائبي في العربة وأيضًا لتمريرها عند الشرطة الذين يُفتِّشون الأمتعة، وبعدها طلبتُ منه أن أدفع العربة بنفسي، ولما خرجتُ من المستشفىٰ رأيتُ زوجتي وبعض أولادي وبناتي في انتظاري، وجاءتني ابنتي الصغيرة تقوىٰ من تحت الحواجز، فسلَّمتْ عليَّ وأعطتني وردة فاحتضنتها وقبَّلتها، ثم تخطَّىٰ ابني عمر الحاجز الفاصل بين مكان الانتظار والممر وعانقني، ثم عانقتُ بقية أهلي.

كنتُ مسرورًا جدًّا لرؤيتهم وكانوا هم أكثر سرورًا مني، لما رأوه من تحسُّن حالي وقدرتي علىٰ المشي بعد أن غادرتهم وجسدي كتلة هامدة، فمشيتُ إلىٰ خارج المطار وأنا أُمسك بالعربة لأستطيع التوازن، وفي الطريق إلىٰ البلد أخبرتُ أهلي بأني أريد حلاقة شعر رأسي قبل الوصول إلىٰ البلد لأني لم أحلقه منذ أن كنتُ في عمان قبل سفري إلىٰ تايلاند (أي ما يقارب ثلاثة أشهر)، علىٰ الرغم من أنه كان يوجد صالون حلاقة في مبنىٰ المستشفىٰ، غير أني سألتُ عنه فأخبروني بأنه تعمل فيه نساء فاستحييتُ أن تحلق لي امرأة أجنبية، وكانت هناك محالُّ حلاقة خارج المستشفىٰ، ولكن يصعب دخولها بالنسبة إليَّ لوجود سلالم، وأحتاج إلىٰ مَن يحملني من الكُرسيِّ المُتحرِّك ويُجلسني علىٰ كُرسيِّ الحلاقة، فاستحييتُ أن أطلب من أحد القيام بذلك.

في الطريق بدأتِ الاتِّصالات تنهال عليَّ من أهلي وهم يُهنِّئونني بسلامة الوصول، وكنتُ أنوي أن أُصلِّي المغرب والعشاء وأحلق شعري في محطة بدبد، ولكننا لم نجد هناك دورة مياه بها حمَّام إفرنجي فواصلنا السير، ثم توقَّفنا للصلاة في بلدة «فرق» عند الوكالات وأحضر لي الأولاد ماء الوضوء إلىٰ السيارة، ثم بعد الصلاة أخذنا طريق جحفان عند برج القرن في نزوىٰ وأوقفوا السيارة عند محلٍّ للحلاقة، ثم ساعدني الأولاد لدخول المحلِّ والجلوس علىٰ الكُرسيِّ، فحلقتُ ثم غادرنا.

عندما كنا قريبين من دوار الحمراء، وكانت الساعة تقترب من الحادية عشرة، أخبرني أولادي بأن أهلي ينتظروننا في بيت والدي، فأحسستُ بإحراج لتكليفهم مشقة الانتظار، ثم رأيتُ ابني عمر ينعطف باتِّجاه محطة نفط عمان القريبة، ثم أوقف السيارة أمام حشد من السيارات لم أنتبه لها من قبل، فإذا بها سيارات أولاد أخي وأختي وأنساب أختي وقد جاؤوا مع أهليهم وأولادهم لاستقبالي، فأحسستُ بإحراجٍ شديد من ذلك، فأنا لا أستحقُّ منهم كل ذلك التقدير، ولكنها طيبتهم وحُسْن أخلاقهم، فهبطتُ للسلام عليهم، ثم غادرنا المكان وهم وراءنا يُزمِّرون بسياراتهم وكأنها زفة عرس، وكانت أكثر من سبع سيارات.

مررنا داخل بلدة القلعة والناس يشاهدون السيارات تمرُّ بإشارات الخطر وهم يظنُّون أنه عرس، وفور وصولنا توجَّهنا بالسيارات مباشرة إلىٰ منزل الوالد للسلام عليه وعلىٰ والدتي وأخي وبقية أهلي، وبقينا هناك مدةً لتناول القهوة، ثم غادرنا إلىٰ بيتنا وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة ليلًا، وفي اليوم التالي -الذي وافق يوم الجمعة- جاء بقية الأهل والجيران للسلام عليَّ، ثم لما حان وقت صلاة الجمعة ذهبتُ مع أولادي إلىٰ جامع القلعة، لأني لم أُصلِّ الجمعة منذ أن وقعتْ لي مشكلة الظهر قبل ما يزيد علىٰ خمسة أشهر، وهناك جاء الكثير من الناس للسلام عليَّ.

هـ مُشاهدات ومواقف

لا بُدَّ لمثل هذه الرحلات الطويلة أن تكون مليئة بالإثارة والمشاهدات العديدة، وقد ذكرتُ فيما سبق العديد منها، وفيما يلي أذكر غيرها:

١ كنتُ كثيرًا ما أتمنىٰ أن تتهيأ لي الظروف لأتفرَّغ للعلم دون مُلهيات أو مُنغِّصات، وكنتُ أدعو الله أن يُوفِّقني للطاعات حتىٰ يُصبح جُلُّ وقتي في طاعة المولىٰ سبحانه، وشاءت إرادة المولىٰ أن يتحقَّق الكثير من ذلك عندما بقيتُ في هذه الرحلة قرابة شهرين ونصف؛ ففي المدة التي قضيتُها هناك رأيتُ عناية الله ولطفه يُحيطانني في جميع أوقاتي، وتحققتْ لي أمورٌ ما كنتُ أحلم بها، منها:

- كنتُ قد اصطحبتُ معي مجموعة من كُتب السيرة، فشاء المولىٰ -سبحانه- أن يُؤنسني بالقراءة فيها.
- عندما بدأتْ بعضٌ من خواطر اليأس تأتي إلىٰ نفسي بسبب طول المدة وتباطؤ التحسُّن، شاءت إرادة اللطيف الرحيم أن أقرأ كتاب «**الوابل الصَّيِّب من الكَلِم الطَّيِّب**» لابن قيِّم الجوزية، وكنتُ أحسبه في السيرة فإذا به كتاب أذكار، فتعلَّمتُ منه أذكارًا لتفريج الهموم والكُرَب، وبقيتُ أدعو بها في معظم أوقاتي.
- التقيتُ مرة في المصعد بأختٍ مغربية تعمل في المستشفىٰ، فسألتُها عن توفر مكتبة عربية فيه، فأحضرتْ لي كتاب «لا تحزن» للدكتور عائض القرني وسيرة ابن هشام، فبدأتُ بكتاب «لا تحزن»، فكأنما ساقه الله ليُسلِّيني به مما أجد من غُربة ووحدة، ومنه تعلَّمتُ معنىٰ الرضىٰ بالقضاء والقدر خيره وشره، حتىٰ صرتُ أشعر بغبطة عظيمة مما أنا فيه لعلمي بجزيل المثوبة ومَرتبة التسليم والرضىٰ بقضاء الله، ولولا أنه سبحانه قد تعبَّدنا بسؤاله الشفاء كما تعبَّدنا بالتسليم والرضىٰ له لتمنَّيتُ أن تطول مدة التَّشافي لتبقىٰ تلك النفحات الإيمانية العظيمة، والخير -كما يُقال- كثيرًا ما يكمُن في بطن الشر.

۞ ثـم جـاءت مرحلـة مضاعفة الأجـور، فحلَّ رمضـان وأنا مـا زلتُ في تايلانـد، فاغتنمتُ معظم أوقاتي خارج وقت العلاج الطبيعي والنوم في قراءة القرآن والذِّكر والدعاء والمطالعة، وقد سـاعدني علىٰ ذلك عدم قـدرتي علىٰ الجلـوس علىٰ الكُرسـيِّ، وعدم وجود وسـائل التواصل الاجتماعي التي تُلهي الناس في أيامنا هذه.

٢ عندما اقترب شـهر رمضان المبارك كنتُ مُتردِّدًا بين الرجوع إلىٰ البلد بنهاية شـهر شـعبان ومواصلة العلاج، وصيامُ رمضان في البلد لا شكَّ أنه أفضل لسـلامة الصوم مما قد يخدشـه من مناظـر لا تليق به وأيضًا لكونه مع الأهل، وبالمقابل فإن مواصلة العلاج أفضل لتحسُّن وضعي الصِّحي علىٰ الرغم من أن بقائي هناك سيحتاج إلىٰ نقود إضافية، وقد دبَّر المولىٰ -سبحانه- لي ذلك، كما سأُبيِّنه بعد قليل.

عندمـا هلَّ الشـهر الفضيـل، كنتُ أذهب لجلسـات العـلاج الطبيعي في الصبـاح وبعـد الإفطار، وعلـىٰ الرغم من أنه كان يوجـد مُصلًّىٰ في الطابق الذي أُقيم فيه في الفندق، غير أني لم أتمكَّن من حضور صلوات التراويـح لصعوبـة الحركة دون كُرسـيٍّ مُتحرِّك، وكنـتُ عندما يحين وقـت الإفطار أُعد القهـوة العمانية في الغرفة، والتحـرُّك داخل الغرفة ليـس سـهلًا وإنما كان فقـط زحفًا؛ إذ إننـي إلىٰ ذلك الوقـت كنتُ لا أسـتطيع الوقوف علىٰ رجليَّ دون الاسـتناد إلىٰ شـيءٍ، وكنتُ أسمع أصـوات مُكبِّرات الصـوت لصلاة التراويح من أحـد الجوامع القريبة من المستشفىٰ فأتحسَّر من عدم قدرتي علىٰ الذهاب إليها.

٣ عندما وصلتُ إلىٰ تايلاند كنتُ في البداية أنوي البقاء شهرًا واحدًا فقط، لكون المبلغ الذي لديَّ لا يكفيني لأكثر من ذلك، ولكن بعد أن رأيتُ جـودة العلاج والتحسُّـن الكبير الـذي حصلتُ عليه منـذ قدومي من عمان قرَّرتُ إطالة المدة شهرًا آخرَ، ولكن بقيتْ مُعضلة تدبير النقود، فشـاء المولىٰ -سبحانه- أن يُدبِّر لي ما أحتاج إليه من مبالغ من خلال أهلي وبعـض أصدقائي المخلصين؛ حتىٰ إن أحد أصدقائي اتَّصل بي وأخبرني بأنه يريد أن يُرسـل لي ١٥٠٠ ريال تبرَّع بها بعض أصدقائي، فرفضتُ قبول المبلغ ولكنه ألحَّ عليَّ، فاشـترطتُ عليه أن أُعيده إليهم بعد عودتي، ولكنهم بعد عودتي رفضوا قبول المبلغ وعدّوه هدية منهم لي، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

٤ عندمـا ذهبتُ إلـىٰ تايلاند كنتُ آخذ حُقَن الإنترفيـرون لعلاج التهاب الكبـد الوبائي، وقد اصطحبتُ معي سـتَّ حُقَن من مستشـفىٰ جامعة السـلطان قابـوس الذي كنـتُ أعالج فيـه، وكانت هذه باهظـة الثمن، وعندمـا ذهبـتُ لأخـذ الحقنة الأخيـرة في عيـادة الأمـراض الباطنية، أخـذوا أولًا -كالعـادة- عيِّنات الدم لمعرفة نسـبة الصفائـح الدموية وكريـات الـدم الحمـراء والبيضاء ووظائـف الكبد، وبعـد أن ظهرت النتيجـة أخـبرني الطبيب بأن وظائف الكبد طبيعية ولكن نسـبة كريات الـدم البيضـاء مُنخفضة جدًّا، وكان هـذا يحدث معي كثيرًا بسـبب ما يقوم به الإنترفيرون من تدميرٍ لها.

كانـوا في السـابق قد اقترحـوا عليَّ أخـذ حُقْنـة مُحفِّزة لكريـات الدم البيضـاء ولكنـي رفضتها لكونهـا باهظة الثمن؛ إذ إن سـعرها نحو ٨١ ريالًا، ولكني بعد تفكير أخبرتهم بأني سـآخذها، وبعد أخذها انتظرتُ يومين ثم أخـذتُ حقنة الإنترفيرون الأخيرة، وكانوا عندما قدمتُ إلىٰ المستشـفىٰ قد عرضوا علـيَّ علاج هذا الوباء بالكامل، ولما سـألتهم عـن التكلفة أخـبروني بأنها قرابة ١٥٠ ألف ريـالٍ عماني، فحمدتُ الله الذي هيَّأ لـي في عمان أخذ تلك الحُقَـن والأدوية الأخرىٰ المصاحبة لها مجانًا لستِّ دوراتٍ من العلاج خلال عشرة أعوام.

بعد أسبوع من انتهاء مدة علاج التهاب الكبد، عملوا لي فحوصات دم لمعرفة مدىٰ اختفاء الفيروس، ثم بعدها بأسبوع عملوا أشعة تلفزيونية للكبـد والطحـال والكلىٰ، فوجـدوا أن الفيروس قد اختفـىٰ بالكامل (للأسـف، فقد عاد مرات عدة بعد ذلك)، وأن الأشـعة التلفزيونية قد أظهـرت أن الكبـد والطحـال والكلىٰ كلها -بحمد الله- سـليمة، وأن هرمـون الغدة قـد عاد بعد أيام إلـىٰ وضعه الطبيعـي، ولكنهم وجدوا مسـتوىٰ كريات الدم البيضاء مُنخفضًا كثيرًا، فأعطوني مرة أخرىٰ حُقَنًا مُحفِّـزة لهـا، ولكن هـذه المرة لأربع أيـام متوالية، وقيمـة كل واحدة -كما ذكرتُ- نحو ٨١ ريالًا.

وبعد أخذ الحُقَن الأربع، بيَّن فحص الدم الذي أجريته ارتفاع مستوىٰ كريـات الدم البيضاء مـن ١,٣ مليون في المليمـتر المُكعَّب قبل أخذ الحُقَن إلىٰ ٢٣ مليونًا، علىٰ الرغم من أن المسـتوىٰ الطبيعي هو بين ٤ و ١٠ ملايين فقط، فسـألتُ طبيبة الدم إن كان لذلك الارتفاع تأثيرات جانبية، فأخبرتني بأن بعض الأشـخاص يشـعرون بأوجاع في مواضع

من جسـمهم وأن المستوىٰ سـيعود إلىٰ وضعه الطبيعي بعد أيام، وقد تكـون آلام الظهر والصَّـدْر والبطن التي حصلتْ لي -كما سـأذكرها لاحقًا- هي بسبب ذلك الارتفاع.

٥ في أثنـاء بقائي في المستشـفىٰ لـم أنجُ من محـاولات الابتـزاز؛ ومنها أني كنـتُ أذهب كل أسـبوع إلىٰ عيـادة الأمراض الباطنيـة لأخذ حقنة الإنترفيـرون الخاصـة بعـلاج التهاب الكبـد، ومرة أحسسـتُ بحرقة عنـد التبوُّل فحوّلـوني إلىٰ طبيبة أعصاب لأنه قد يكـون مرتبطًا بعملية غضـروف الظهـر، فأعطتني بضع حبات، ولكـن دون فائدة، فحوَّلوني إلىٰ طبيب المسالك البولية، وفيما يبدو أن هذا الطبيب عرف أني عربيٌّ فـأراد ابتزازي ولـم أنتبه لما يقوم به لظنِّي أن الأطباء هناك علىٰ شـاكلة واحدة في نزاهتهم وأمانتهم.

بعـد أن أجـرَوْا لي فحصًـا للبول أخبرني ذلـك الطبيب بأنهـم وجدوا التهابًا في المثانة، وأمر بتنويمي داخل المستشـفىٰ ليُعطوني حُقْنة مضادٍّ حيويٍّ كل ١٢ سـاعة، فخشـيتُ من أسـعار غرف المستشفىٰ الباهظة والتكاليف العالية التي يمكن أن يحسـبوها علـيَّ في أثناء بقائي هناك، فحاولـتُ إقناعـه بأن عنـدي غرفة في الفنـدق ويمكننـي المجيء إلىٰ عيادتـه لأخذ الحُقْنة، فقال إن المستشـفىٰ لا يسـمح بإعطاء مثل تلك الحُقَن في العيادات.

عملوا لي أشعة وفحص بول آخر ليعرفوا نوع البكتيريا المُسبِّبة للالتهاب ثم أخذوني إلىٰ غرفة التنويم، وفي مساء ذلك اليوم أعطوني

الحقنة الأولىٰ وفي صباح اليوم التالي أعطوني الحقنة الثانية، فحاولتُ إقناعهم بترخيصي، ولكنهم تعلَّلوا بأن الطبيب يريد أن يعمل لي منظارًا للمسالك البولية، وأن طبيبة الدم قد أمرتْ لي بحقنة لتحفيز كريات الدم البيضاء بعدما وجدوها مُنخفضة جدًّا بسبب أخذ علاج التهاب الكبد.

في صباح اليوم الثالث عملوا فحصًا آخر للدم وأخبروني بأن مستوىٰ كريات الدم البيضاء قد أصبح طبيعيًّا، فأحسستُ بأنهم يريدون استغلالي من ناحية إطالة مدة بقائي في غرفة المستشفىٰ وأيضًا من ناحية كثرة الفحوصات والأدوية التي يكتبونها لي، فأخبرتهم بأني لا أريد عمل المنظار وطلبتُ منهم التعجيل بالرخصة ولكنهم أبقوني حتىٰ ظهر ذلك اليوم بحُجَّة تخليص الإجراءات المالية، وبعد أن طال انتظاري أخبرتهم بأنه إما أن يُرخِّصوني وأعود إلىٰ غرفة فندق المستشفىٰ وإما أن أذهب بنفسي بالعكازات، وفعلًا خرجتُ من غرفة التنويم بالعُكَّازات وانتظرتُ إلىٰ أن جاء مَن يأخذني إلىٰ غرفة الفندق، وعندما أحضروا لي الفواتير لاحقًا وجدتُ أن تكلفة تلك الحُقَن واليومين اللَّذَيْن قضيتُهما في المستشفىٰ قد تجاوزت ٤٥٠ ريالًا عمانيًّا، فندمتُ كثيرًا علىٰ تضييع تلك المبالغ في لا شيء؛ إذ إن حرقة البول استمرتْ عندي مدةً، ولم تُجدِ تلك المضادات شيئًا.

وبعد أن تواصلتْ حرقة البول عندي مدةً طويلةً، اضطررتُ إلىٰ إجراء عملية المنظار لمعرفة السبب، فأخبرني الطبيب نفسه أن المثانة سليمة،

وأن هناك التهابًا في الحالب فأعطاني له مضادًّا حيويًّا، وقد كلَّفتني تلك العملية التي لم تستغرق إلا نحو ربع ساعة قرابة ١٣٠ ريالًا.

٦ بعد نحو شهر ونصف من وصولي إلىٰ تايلاند بدأ عندي مرة في منتصف الليل ألم شديد في الظهر، مع صعوبة في التنفُّس وآلام في البطن والصَّدْر، ولم أستطِع النوم طوال تلك الليلة؛ فكنتُ ما إن يلمس جسدي السرير إلا ويبدأ الألم يشتعل، سواءٌ نِمتُ علىٰ ظهري أو جنبي، وعندما كنتُ أجلس كان الألم يبدأ أيضًا وخاصة إن تحرَّكتُ أو تنفَّستُ.

كل ذلك جعلني أشكُّ من حدوث انزلاق في إحدىٰ الفقرات، وخشيتُ أن تكون العملية السابقة قد انزلقتْ فقراتها، وكنتُ أُرجِع السبب إلىٰ بعض تمارين تقوية الظهر والصَّدْر والبطن التي يطلبون مني القيام بها، ومرة أعزوها إلىٰ تمرين نصب الظهر الذي أقوم به في السرير، وأحيانًا أشكُّ أن السبب قد يكون في انسداد بعض شرايين القلب نظرًا إلىٰ ما أجد من صعوبة في التنفُّس، ومرة أقول إن السبب وجود حصىٰ بالكلىٰ أو المرارة أو بسبب الزائدة الدودية.

بقيتُ أُفكِّر كثيرًا في عواقب ما بعد العملية فيما لو احتجتُ إلىٰ عملية أخرىٰ؛ فمن ناحية كنتُ متفائلًا من أنه لو أُجرِيتْ لي عملية أخرىٰ في العمود الفقري، فربما تُصحِّح الضعف الموجود في رجليَّ وأستطيع المشي بعد العملية، وهذا يجعلني أعود إلىٰ البلد -بإذن الله- قبل انقضاء شهر رمضان، ومن ناحية أخرىٰ كنتُ أُفكِّر فيما يؤول إليه حالي

بعـد العملية فيما لو ظهر أنها لم تُصلِح أحوال رجليَّ، فهل سـأواصل العـلاج الطبيعي أم أرجع إلـىٰ البلد بعد العملية مباشـرة، وكأنني أبدأ مشوار ما جرىٰ قبلًا من جديد؟

كذلك، كنتُ أُفكِّر في الحالة النفسية لأهلي -وخاصة والدتي وزوجتي- عندما يعرفون أني مُنوَّم لعملية أخرىٰ، وكنتُ أُفكِّر في إخفاء الأمر عنهم علـىٰ الأقل إلىٰ ما بعد العملية، وكنتُ أُفكِّر أيضًا في كيفية توفير تكلفة العمليـة؛ فحتمًا سـأحتاج إلىٰ حملـة جديدة من سـؤال -أو بالأصح استجداء- الناس لإقراضي ما أحتاج إليه من مبالغ، وكل تلك الأفكار جعلتنـي أدعو الله أن يُقـدِّر لي ما فيه الخير، ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام:٦٣-٦٤].

عندمـا رنَّ المنبه لصلاة الفجر توضَّأتُ وصلَّيتُ وأنا أغالب الألم، ثم اسـتلقيتُ علىٰ السـرير علَّني أحظـىٰ بغفوة قبل النهوض في السـابعة، ولكني لم أستطِع النوم من شدَّة الألم، فدخلتُ دورة المياه واستحممتُ ثـم انتظرتُ إحضار الإفطـار، وبعدها طلبتُ كُرسـيًّا مُتحرِّكًا ليأخذني إلىٰ الدكتور «ثونج تشـاي» -طبيب العمود الفقري الذي قابلتُه عندما قدمـتُ إلـىٰ تايلاند-، ولكنهم أخبروني في عيادتـه بأنه لن يأتي في ذلك اليوم وأن عليَّ انتظار طبيب آخر.

بدأ الألم يشـتدُّ بسـبب الجلوس علىٰ الكُرسـيِّ فأدخلتنـي المُمرِّضة لأنام علىٰ سـريرٍ هناك، ولكن الألم تزايـد أكثر ففضَّلتُ الانتظار علىٰ الكُرسـيِّ، وعندما دخلتُ علىٰ الطبيب وشـرحتُ له مـا جرىٰ أمر لي

فورًا بحُقنة مُسكِّنة لتخفيف الألم وطلب مني عمل أشعة عادية للظهر، وعندما دخلتُ عليه بعد الأشعة كنتُ في قلق شديد وأدعو الله ألّا تكون هناك حاجة لعملية أخرىٰ.

كان الألم حينها قد زال بسبب الحُقنة، فتفحَّص الطبيب الأشعة فلم يجد شيئًا يُقلق، فتفحَّص رجلي اليمنىٰ وسألني عن خلفيات العملية وحالة رجليّ، فاقترح إجراء عملية أخرىٰ فشككتُ في نواياه، وخفتُ أن يكون يحاول استغلالي كما فعل طبيب المسالك البولية من قبل، فسألتُ المترجمة عن ضمان رجوع رجليَّ إلىٰ وضعهما الطبيعي، فأكَّد بضمان ذلك، ولكن بعد شهر ونصف من العملية علىٰ أن أواصل في تلك الآونة العلاج الطبيعي، وطلب أن يرىٰ أشعة الرنين المغناطيسي، وبعد أن تفحَّصها أحسَّ بتشكُّكي في الحاجة إلىٰ عملية أخرىٰ فأخبرني بأنه سيُؤجِّل البتَّ في العملية إلىٰ أن يرجع منسوب كريات الدم البيضاء إلىٰ وضعها الطبيعي.

عندما حان وقت العلاج الطبيعي في الثانية ظهرًا، رأيتُ أن أُطلِع طبيبة العلاج الطبيعي بما جرىٰ، وكنتُ حينها أشعر بأن الألم قد بدأ يعود مرة أخرىٰ، فأخبرتني بأن الألم هو بسبب ضعف عضلات الظهر واقترحتْ علاج ذلك باستخدام الموجات الصوتية والكمَّادة الساخنة، ولكني تعوَّدتُ ألّا أُطيع هؤلاء الأطباء فيما يقترحون عليَّ لملاحظتي محاولتهم استغلالي من خلال أمور لا أحتاج إليها، فرفضتُ مقترحها بحُجَّة أني لا أشعر بألم في عضلات الظهر، ولكنه داخل العمود الفقري، وفي ذلك اليوم عملتُ التمارين التي كنتُ أعملها فضلًا عن تلك المُتعلِّقة بالظهر والبطن والصَّدر، وكنتُ أحسُّ

بآلام ولكنها أقلُّ مما كانت عليه في الصباح، وبحمد الله تحسَّن وضعي في تلـك الليلة كثيرًا، وعملتُ العلاج الطبيعي في اليوم التالي دون آلام تُذكَـر، فلله الحمد والمنة وله الشـكر أولًا وآخـرًا أن أنقذني من ورطة صِحِّية ونفسـية واجتماعية ومالية، وصدق الله حين قال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [المعارج:١٩-٢٠].

٧ عندما كان ابني وابن أختي لا يزالان معي، أخذاني مرة إلىٰ «مستشـفىٰ بانكوك» المعروف باسـم «المستشفىٰ المَلَكي» لأتعرَّف علىٰ خدمات العـلاج الطبيعي المُتوفِّرة عندهم، وقد وجـدتُ أن لديهم بناية مُكوَّنة من سـبعة طوابق خاصة فقـط بالعلاج الطبيعي، ووجـدتُ لديهم من الأجهزة والإمكانات الشـيء الكثير؛ فمثـلًا عندما يحين وقت العلاج يُسـلِّمون الشـخص لباسًـا خاصًّا، ويترك ملابسـه وأدواته الخاصَّة في خزانـات هنـاك، وبعد انتهـاء العلاج كانـت هناك أماكن للاسـتحمام وتغيير الملابس، وكذلك كانت عندهم بركة سباحة ساخنة للمصابين بالشلل أو ضعف في حركة الأطراف.

عندمـا قابلتُ أحد أطباء العـلاج الطبيعي عندهم أخبرتُه بأني أُعالج في مستشـفىٰ «ويشـتاني»، فقال: «إنه مستشـفًىٰ صغير؛ فنحـن لدينا ٢٥٠ مُدرِّبًـا للعلاج الطبيعي مقارنة بنحو ٣٠ مُدرِّبًا في مستشـفىٰ ويشـتاني، ولدينـا من الصـالات الرياضية والأجهـزة وغيرها مـن الإمكانات ما يفـوق الحصر»، واقترح لي علاجًا مُكثَّفًا في الصباح والمسـاء يشـمل السباحة والتنشيط بالكهرباء والتمارين السريرية والمشي، ولما سألتُ عن تكلفة كل جلسـة أخبروني بأنها ٤٧٠٠ بـات (أي نحو ٥٧ ريالًا)،

علىٰ الرغم من أنها في مستشفىٰ ويشتاني نحو ١٣ ريالًا فقط، وطبعًا لم أقُم هناك بأي جلسات في تلك الرحلة، ولكني عندما عُدتُ إلىٰ تايلاند في المرة التالية بقيتُ عندهم نحو أسبوعين، كما سأذكر ذلك لاحقًا.

٨ عندما قدِمنا إلىٰ تايلاند أعطونا في المطار تأشيرة لمدة شهر، وبعد مُضيِّ شهر وأيامٍ علىٰ انتهائها أخبروني في قسم العلاقات العربية أن عليَّ تجديدها فورًا، وأخذوا لي لغرض التجديد صورة وأنا أحمل جريدة تايلاندية وأخرىٰ دونها، ثم طلبوا مني دفع ٢٠٠٠ بات للتجديد و٣٥٠٠ غرامة بواقع ٥٠٠ بات غرامة تفرضها مصلحة الهجرة عن كل يوم تأخير في تجديدها، فأخبرتهم بأن المستشفىٰ يتحمَّل تلك الغرامة لأن الجواز بحوزتهم منذ قدومنا، ولم يخبروني متىٰ تنتهي التأشيرة ولا عن إجراءات تجديدها.

أخذني أحد المترجمين إلىٰ مصلحة الهجرة واستغرقتْ رحلتنا نحو أربع ساعات منذ أن غادرنا المستشفىٰ وإلىٰ أن عُدنا إليه، نظرًا إلىٰ زحمة الشوارع وكثرة المراجعين، ودفعتُ لهم ٥٥٠٠ بات (نحو ٧٣ ريالًا) لرفض المستشفىٰ تحمُّل غرامة التأخير، وجددوا التأشيرة شهرًا آخرَ، واحتجتُ للقيام بالإجراءات نفسها بعد مُضيِّ الشهر الثاني هناك.

٢ رحلة فبراير 2009م

بعد عودتي من تايلاند في نهاية سبتمبر ٢٠٠٨م واصلتُ في البيت وبمساعدة أهلي التمارين التي كانوا يعملونها لي هناك، وبدأ وضعي -بحمد الله- يتحسَّن

فتشـجَّعتُ للعودة إلىٰ العمل مرة أخرىٰ، وكنتُ قد عقدتُ العزم من قبل علىٰ الالتحـاق بجامعة نـزوىٰ، فلما تواصلتُ مـع الإخوة المسـؤولين فيها رحَّبوا بذلك كثيرًا، وفعلًا بدأتُ العمل في ١٢/ ١/ ٢٠٠٩م، أي بعد نحو أربعة أشهر مـن عودتي من تايلانـد، ولكون رجلي اليمنىٰ لا تزال ضعيفة لم أسـتطِع قيادة السـيارة، وكان أيضًا يصعُب عليَّ التردُّد بين البلد والجامعة كل صباح ومساء فاسـتأجرتُ بيتًـا في بركة الموز للبقـاء فيه طوال أيام العمـل، وكنتُ أذهب في الصبـاح إلىٰ الجامعـة وأعود بعد انتهاء الـدوام مع أحد زملائي في القسـم أو الإدارة أو في سـيارة أجـرة، علىٰ الرغم من أن البيت الذي اسـتأجرتُه يبعُد عن الجامعة نحو ٥٠٠ متر فقط، وفي نهاية الأسـبوع كنـتُ أعود إلىٰ البلد مع أحد أفراد الأهل أو الأصدقاء.

مشـتِ الأمور في الجامعة في الأسـبوعين الأوَّلَيْن بصعوبة بالغة؛ سواءٌ عند التحـرُّك داخلها أو خارجها، وذلك بسـبب الضعف الكبير في رجليَّ وظهري، وفي ٢٥/ ١/ ٢٠٠٩م كانـت عنـدي أول محاضـرة، وكانـت في مبنًىٰ بعيد عن مكتبـي، لذا تعبتُ كثيـرًا إلىٰ أن وصلتُ إلىٰ هناك، ووجـدتُ صعوبة بالغة في صعود السُّلَّم المُؤدِّي إلىٰ قاعة المحاضرة وأيضًا في إلقائها، وعندما حان وقتُ صلاة العصر لذلك اليوم ذهبتُ إلىٰ مسـجد الجامعة، فصلَّيتُ تحية المسـجد واقفًا، ثم أردتُ النهوض لأُصلِّي ركعتين أُخرَيَيْن، فأحسسـتُ بصعقٍ كهربائيٍّ شـديد في الظهر، وقد ذكـرتُ ما جرىٰ لي بعد ذلـك في المُجلَّد الأول من هذا الكتاب عندما تحدَّثتُ عن العمل في جامعة نزوىٰ.

بعـد تلك الحادثة بقيـتُ طريح الفراش بضعة أيام، لـذا رأيتُ من الصعوبة مواصلـة العمل إلا بتحسُّـن وضعـي الصِّحي، فقـرَّرتُ الذهاب إلـىٰ تايلاند مـرة أخـرىٰ لمواصلـة العـلاج الطبيعـي، وأخبرتُ رئيس شـعبة الحاسـوب

والمسـؤولين في الجامعة بذلك فشجَّعوني -جزاهم الله خيرًا-، وعقدتُ العزم في هـذه المرة أن أذهب إلىٰ «المستشـفىٰ المَلَكي» (أي «مستشـفىٰ بانكوك») بدلًا من مستشفىٰ «ويشتاني» الذي ذهبتُ إليه في المرة السابقة.

أ المغادرة إلى تايلاند والعلاج في المستشفى الملكي

كانت أولىٰ الترتيبات التي قمتُ بها لجمع مبلغٍ كافٍ لهذه الرحلة التي استمرَّتْ أيضًا نحو شـهرين ونصف، وقد ذكرتُ أنه كانت عندي أرض في العامرات قد وصل سعرها قبل رحلة تايلاند الأولىٰ إلىٰ قرابة تسعة عشر ألفًا، ولكن أسعار الأراضـي في عمـان انخفضت كثيـرًا في تلك الآونـة فبعتُها قبيل هـذه الرحلة بـــ ٤٥٠٠ ريال فقط، وصرفتُ جزءًا من ذلـك المبلغ لبعض الالتزامات ولم يبـقَ منـه إلا ٢٠٠٠ ريال لأخذها معي؛ ما يعنـي أني إن لم أحصل علىٰ قرضٍ إضافي فلن أسـتطيع البقاء للعلاج الطبيعي حتىٰ شـهر واحـد، ولكني أوكلتُ أمري إلىٰ الله الذي بيده تصريف الأمور.

في اليوم الذي سـبق الرحلة اشـتريتُ تذكرة علىٰ الطيـران التايلاندي بقيمة ٢١٢ ريـالًا، وكنـتُ علـىٰ أُهبـة البدء بـدورة جديـدة لعلاج فيـروس الكبد، فتسـلَّمتُ حُقَـن الإنترفيرون من مستشـفىٰ جامعة السـلطان قابـوس لأخذها معي، وفي عصر يوم المغادرة ٥/ ٢/ ٢٠٠٩م ودَّعتُ أهلي وأولادي وأوصلني ابني عبد الله إلىٰ مطار مسقط وصلَّينا المغرب والعشاء في السيح الأحمر، وفي المطـار وجدوا زيـادة في وزن الحقيبتيـن اللَّتَيْن أخذتهما معـي فأخرجتُ من إحداهما الحاسـوب المحمول فقبلـوا الحقيبتين، وحملتُ الحاسـوب معي وكنـتُ مُتخوِّفًا من عدم قدرتي علىٰ حملـه وخاصة عند صعود الطائرة، ولكن الله -بفضله ومَنِّه- سهَّل لي الأمور.

أقلعتِ الطائرة في التاسعة والنصف ونزلتْ أولًا في مطار كراتشي في ١١:٢٠ ليـلًا، ثم أقلعتْ بعد سـاعة ووصلنا -بحمد الله- إلىٰ مطـار بانكوك في الثامنة صباحًـا، وبعد أن أنهيتُ إجـراءات الخروج بحثتُ عمَّن جاء من المستشـفىٰ ليأخـذني من المطار فلم أرَ أحدًا، علىٰ الرغـم من أني كنتُ قد تواصلتُ معهم قبـل مغادرتي عمان وأعطيتهم بيانات الرحلة، ولذا توجَّهتُ إلىٰ بوابة الخروج واستأجرتُ سيارة أجرة بنحو ٣٠٠ بات (أقل من أربعة ريالات).

كان وصولي إلىٰ المستشـفىٰ في يوم الجمعـة فأخذوني إلىٰ غرفتي في فندق المستشفىٰ، ثم رتَّبتُ أغراضي واستحممتُ، ثم توجَّهتُ لموعد طبيب العلاج الطبيعـي في الحادية عشـرة الذي كنتُ عملته من خـلال اتِّصالي بهم في عمان، وبعـد أن شـخَّص الطبيب حالتي اقـترح لي بعض التماريـن فأخبرته بأني أريد البـدء من الغد، ثـم عُدتُ إلىٰ غرفتي وتوضَّـأتُ وكانت السـاعة حينها الثانية عشـرة والنصف ظهرًا فوجدتُ بعض المسـلمين في طريقهـم لصلاة الجمعة فصاحبتهم إليها.

بعد الصلاة تناولتُ غدائي من مطعم «**الرَّيان**» في بناية قريبة من المستشفىٰ، ثم عدتُ إلىٰ غرفتي وكنتُ مرهقًا جدًّا؛ إذ لم أنم في الطائرة إلا لُحيظات، وعلىٰ الرغم من ذلك بقيتُ مسـتيقظًا ولم أستطِع النوم إلا عند الواحدة بعد منتصف الليل بسبب الإزعاج الذي كان يُحدثه بعض العرب في الغرف المجاورة؛ فقد كانـوا يصرخـون ويتحدَّثون وكأنهم في نـادٍ ليلي، ولقد هممـتُ مرات عدة أن أذهـب لأتشـاجر معهم أو أن أتَّصل بمكتب الفنـدق وأبلغهم بما يُحدثونه من إزعـاج، ولكني تصبَّرتُ وعزمـتُ أن أطلب من مكتب الفنـدق أن ينقلني من ذلك الطابق.

عندمـا اسـتيقظتُ في صباح اليوم التالي في التاسـعة ذهبـتُ لتناول الإفطار في كافتيريـا خاصة بنزلاء ذلك الطابق، وكانـت قريبة من غرفتي والإفطار فيها مجانًا، وهو عبارة عن بوفيه من تشكيلات من الأكلات والعصائر، وبعد الإفطار ذهبتُ لمكتب الفندق لشـراء بطاقة للإنترنت بقيمة ٨٠٠ بات (أي نحو عشرة ريالات) لمدة شهر واحد، وكان هذا السعر خاصًّا بنزلاء المستشفىٰ فقط.

ب بدء العلاج الطبيعي والانتقال إلى مستشفى ويشتاني

في الواحـدة والنصـف ظهرًا ذهبـتُ إلىٰ مركـز التأهيل، وبدأتُ بالسـباحة والقيام ببعض التمارين لنحو ساعة في البركة الساخنة المُخصَّصة لمَن عندهم ضعـف في حركة الأطـراف، وبعدها كانت سـاعة أخرىٰ للتمارين السـريرية، ثـم تنشـيط القدم اليمنىٰ بالكهربـاء لنحو ٢٠ دقيقة، وكانـت التمارين في بركة السـباحة وعلىٰ السرير مُتعِبة بسبب انقطاعي عن القيام بأي تمارين منذ عودتي مـن تايلانـد في المرة السـابقة قبل نحو أربعة أشـهر باسـتثناء المشـي وبعض التمارين اليسيرة.

بعد مُضِيِّ أقل من أسبوعين من وصولي إلىٰ مستشفىٰ بانكوك، وجدتُ أنه لم يتبقَّ في حسـابي البنكـي إلا نحو ١٠٠٠ ريال؛ أي إننـي صرفتُ في أقل من أسـبوعين نصف المبلغ الذي أحضرته معي؛ فكلُّ شـيء في ذلك المستشـفىٰ أسـعاره مرتفعـة؛ فمثـلًا سـعر الغرفة فيـه بـ ٢٠٠٠ بـات، في حيـن كانت في مستشـفىٰ ويشـتاني بقيمة ١٢٠٠ بات ويُعطون تخفيضًـا بقيمة ١٥٪ لمَن يبقىٰ عندهم لأكثر من ٤٥ يومًا، وجلسـة العلاج في مستشـفىٰ بانكوك بنحو ٤٥٠٠ بات، في كانت في مستشفىٰ ويشتاني بنحو ١١٠٠ بات فقط.

رأيتُ أني بالمبلغ المُتبقِّي لن أستطيع مواصلة العلاج في مستشفىٰ بانكوك لأكثر من سبعة عشر يومًا أخرىٰ؛ فتكلفة العلاج والسكن والأكل في اليوم الواحد تصل إلىٰ ٨٠ ريالًا، وقد أحتاج إلىٰ إجراء فحوصات أو أشعة أو الحصول علىٰ علاج لأمور أخرىٰ قد تطرأ، وكل ذلك سيُكلِّفني الكثير، لذا قرَّرتُ الانتقال إلىٰ مستشفىٰ ويشتاني الذي كان المصروف اليومي فيه في المرة السابقة نحو ٣٢ ريالًا فقط.

ما دعاني إلىٰ الانتقال أيضًا هو ما رأيتُه في مستشفىٰ بانكوك من الاعتماد الكبير علىٰ الأجهزة بينما لا يجعلون للتمارين السريرية إلا نحو نصف ساعة، والأجهزة علىٰ الرغم من أنها مفيدة لبعض أجزاء الجسد فإنها لا تبني العضلات كما تبنيه التمارين اليدوية، وبالنسبة إلىٰ بركة السباحة فكانت مفيدة في الأيام الأولىٰ، ثم لما بدأتْ عضلات الرجلين والقدمين تتقوَّىٰ قليلًا صارت الحركات التي أقوم بها في الماء سهلة جدًّا، لذا لم تكن ذات نفع لي.

ج تكملة العلاج في مستشفى ويشتاني

بدأتُ العلاج الطبيعي في مستشفىٰ ويشتاني من الصفر، لأنهم وجدوا معظم العضلات ضعيفة بسبب ما ذكرته من اعتماد مستشفىٰ بانكوك علىٰ الأجهزة التي لم تنفع لتقوية العضلات كثيرًا، وقد ركَّزوا في مستشفىٰ ويشتاني أيضًا علىٰ التوازن عند الوقوف والمشي.



منظر من غرفتي في الطابق السادس عشر للمنطقة المجاورة للمستشفىٰ

عندما ذهبتُ إلىٰ مستشفىٰ ويشتاني في الرحلة السابقة كان هناك صبيٌّ صغيرٌ من الإمارات وشـابٌّ مـن عمان يتلقَّيان العلاج الطبيعـي، وعندما ذهبتُ هذه المـرة كانا لا يـزالان مواصلين العلاج رغم مرور أكثر من عشـرة أشـهر علىٰ بقائهما هناك، ولكنهما -بحمد الله- بدآ المشي باستخدام العكازات.

في خـلال بقائـي في المستشـفىٰ جـاء للعلاج فيـه من بلدتي العـارض الأخ علي بـن محمد بن سـالم العـدوي وأبوه وأمـه وأولاده، ومـن القلعة الإخوة مسـعود بن علي بن مسـعود الهطالي وعلي بن سـالم بن علـي العدوي، ومن ذات خيـل الأخ عيسـىٰ بن عبد الله بن سـعيد الناعبي وزوجتـه، ومن الحمراء الأخ محمد بن سـعيد الحلحلي، وكان أهلـي -أحيانًا- يعلمون بمَقْدِم هؤلاء فيُرسلون لي معهم بعض الأغراض.

د إجراء عملية رقاع لطبلة الأذن

كنتُ أعاني بسبب ثقبٍ كبير في طبلة أذني اليمنىٰ منذ صغري، وكنتُ أذهب باستمرار إلىٰ مستشفىٰ النهضة عندما تشتدُّ بي الأوجاع بسبب الالتهابات المُتكرِّرة، وفي هذه الرحلة قبل عودتي إلىٰ عمان بنحو أسبوعين سألتُ أحد المترجمين إن كان ينصح باختصاصي أذن فأعطاني اسم أحدهم، فذهبتُ فورًا إلىٰ عيادة الأذن والأنف والحنجرة ولما قابلتُه وشرحتُ له المشكلة التي أعانيها أدخل منظاره في أذني اليمنىٰ وأخبرني فورًا بأن عندي ثقبًا في الطبلة، ثم أخذني إلىٰ غرفة مجاورة لفحص الأذن بالمنظار الإلكتروني، وكنتُ أراقب ما يجري في شاشة تلفاز كبيرة أمامي، فتعجَّبتُ لمشاهدة أذني من الداخل مُكبَّرة مئات أو ربما آلاف المرات وشاهدتُ الثقب في الطبلة.

وعندما انتقل إلىٰ الأذن اليسرىٰ التي لم يكن بها ثقب وإنما أوساخ فقط شاهدته وهو يُزيل تلك الأوساخ وكأنه يطوي سجادة فازداد إعجابي به، ثم طلب مني الذهاب لقياس السمع، وعندما عدتُ إليه اقترح إجراء عملية لرقع طبلة الأذن اليمنىٰ فسألته بعض الأسئلة عن العملية وما يتبعها، فأخبرني بأنها تستغرق نحو ساعة واحدة فقط، وأحتاج إلىٰ النوم في جناح التنويم لمدة يوم واحد فقط، وبعد العملية سيضعون ضمَّادة في الأذن لمدة أسبوع، وبعد ذلك سيعود السمع -بإذن الله- كما هو عليه الحال في الأذن اليسرىٰ.

بعد خروجي من عنده طلبتُ من المترجم الذي كان معنا أن يسأل المُمرِّضات عن سعر العملية فاتَّصلتْ إحداهنَّ بقسم المالية، فجاءت مُوظَّفة وعملت تقديرات فكانت التكلفة المُقدَّرة تتراوح بين ٨٠ ألف - ١٠٠ ألف بات، فقلتُ للمترجم إني أريد قيمة واحدة فقط تشمل كل ما يتعلَّق بالعملية، وبقيتُ أتفاوض مع المُوظَّفة حتىٰ استقرَّ الأمر علىٰ أن تكون بقيمة ٨٠ ألف

بات (أي نحو ٨٥٠ ريالًا عمانيًّا)، فتشـجَّعتُ لإجرائها نظرًا لأن الأهل حوّلوا ألف ريال لي بعد وصولي إلىٰ هذا المستشفىٰ.

تذكَّرتُ ما جرىٰ لعملية العمود الفقري لأختي في الرحلة السابقة، وتخوَّفتُ مـن تكرار ما حدث من رفع سـعرها لأسـباب لم نقتنع نحن بهـا، لذا أخبرتُ المُوظَّفة بأني أريد نسـخة من الاسـتمارة التـي فيها تلك التقديـرات فرفضتْ بحُجَّة أن ذلك ممنوع عندهم، وفهمتُ فيما بعد أن سـبب المنع هو خشـيتهم من أن آخذ تلك الورقة لمستشـفًىٰ آخر، ولكني أصررتُ علىٰ طلبي وأخبرتُ المترجـم بأني لـن أعمل العمليـة إلا إن أعطوني نسـخة من تلـك الورقة، وفي النهاية وافقت المُوظَّفة بشرط أن أوقِّع أوراقًا أخرىٰ تُثبِتْ أني سأُجري العملية عندهم وليس في مستشفًىٰ آخر.

بعد أن اتَّفقنا علىٰ موعد العملية طلبوا مني الحضور في الحادية عشرة صباحًا لإجـراء فحوصات ما قبل العمليـة، فعلَّق المترجم بأن تلـك الفحوصات لن تُكلِّفني كثيرًا، فقلتُ له إني اشـترطتُ عليكم أن يكون المبلغ الذي أعطيتموني إياه شاملًا لجميع الفحوصات والأشعة، وبعد أخذٍ وردٍّ وافقتْ مُوظَّفة المالية علـىٰ ذلك، واعتـذرتُ لهم إن بدا مني شـيء من الغِلظـة في الحديث، فقالت المُوظَّفة إنها تعجَّبت لإصراري علىٰ ما أريد.

في موعد العملية أخذوني لغرفـة التنويم فصلَّيتُ الظهر والعصر، ثم جاءت طبيبة التخدير وسـألتني بعض الأسـئلة، وبعد قليل جـاءت مُوظَّفة من المالية تطلب مبلغ العملية قبل إجرائها، فأخبرتهم بأني لا أُمانع من دفع المبلغ ولكني أريد من قسـم العلاقات العربيـة أن يعطيني تخفيضًا بـــ ١٠٪ كما يفعلون مع غيـري، فقالـت إنهم سـيُرجعون قيمة التخفيض بعـد العمليـة فأعطيتُها بطاقة البنك وسحبَتِ المبلغ.

أخذوني إلىٰ غرفة العمليات، وهناك وجدتُ الطبيب الذي سيُجري العملية وطبيبة التخدير في انتظاري، وبعد أن وضعوا أسلاك جهاز القلب وضعوا كمامة الأكسجين علىٰ أنفي وما هي إلا لحظات حتىٰ تلاشت الرؤية، ثم استيقظتُ وأنا خارج غرفة العمليات، وأعادوني إلىٰ غرفة التنويم بعد نحو ثلاث ساعات من أخذي منها، وكنتُ أشعر ببعض الآلام في أذني وحلقي ومغص في بطني، فأخبرتني المترجمة أن ألم الحلق بسبب إدخال أنبوب بالحلق في أثناء العملية وأنه سيزول بعد يومين، وأما المغص فلأني صمتُ منذ منتصف الليل فأحضرتْ لي شربة عدس.

كنتُ أنام قليلًا وأستيقظ عندما تأتي إحدىٰ المُمرِّضات لقياس الضغط والحرارة، وأحسستُ بآلام الأذن والحلق تتزايد، فطلبتُ من المُمرِّضات دواءً لتسكينه فأحضرتْ إحداهنَّ حبَّتين وقالت إن لم ينقص الألم بعد ساعة فستعطيني حُقْنة، وفي السابعة توضَّأتُ وصلَّيتُ المغرب والعشاء ثم جاؤوا بالعَشاء فلم أستطِع تناول إلا اليسير منه بسبب وجع الحلق والغثيان.

في تلك الليلة التي قضيتُها في ذلك الجناح رأيتُ حُسْن المعاملة وجودة الاعتناء بالمريض؛ فالهدوء كان يعمُّ أرجاء الجناح، والأنوار في الغرفة خافتة تُريح المريض وتكفي لدخول المُمرِّضات اللاتي كُنَّ يأتين بهدوء ولا يُسبِّبْنَ أيَّ إزعاج للمريض، ولو قارنا ذلك بما في مستشفياتنا لرأينا البون الشاسع؛ فعندما تم تنويمي في مستشفىٰ خولة في ٢٠٠٨م استأجر لي أهلي غرفة خاصة، ورغم ذلك كان دويُّ وضجيج المُمرِّضات والعمال -سواءٌ داخل الغرفة أو خارجها- أشدُّ بلاءً عليَّ من آلام العملية، وكانت حركة الزوار لا تكاد تنقطع من أول الصباح إلىٰ العاشرة ليلًا، وقد لاحظتُ مثل ذلك الحال أيضًا في مستشفىٰ جامعة السلطان قابوس وفي مستشفيات الهند، وأتذكَّر أنه في

الهنـد كانت عاملـة النظافة تأتي لتنظيف الغرفة في الرابعـة قبل الفجر، وتُضيء المصابيـح وتبقىٰ تُسـبِّب لنا الإزعـاج لأكثر من نصف سـاعة، ونحن بداخلنا نغلي من تلك المُضايقات.

في اليـوم التالي، بعد الإفطار جاء طبيـب الأذن وغيّر الضمَّادة التي وضعها علـىٰ الأذن بعد العمليـة، وقال إن علـيَّ مراجعته بعد أسـبوع لإزالة الضمَّادة الداخلية، وعند التاسـعة والنصـف جاءت مُوظَّفة من الماليـة وقالت إن عليَّ دفـع ٣٥٠٠ بات للأدوية التي سـأُعطىٰ إياها عندمـا يُرخِّصونني وأيضًا تكلفة فحوصات ما قبل العملية، فأخبرتها بأننا اتَّفقنا لتشمل قيمة العملية الفحوصات والأدوية، وبعد مناقشة معها دفعتُ فقط قيمة الأدوية، وعند العاشرة والنصف أحضروا لي الأدوية ثم أوصلوني بكرسيٍّ إلىٰ غرفتي في الفندق.

عندمـا ذهبتُ إلىٰ قسـم العلاقـات العربيـة في المستشـفىٰ للحصول علىٰ تخفيـض الـ١٠٪ وجدتُ رئيس القسـم فقال أنـه لا يمكن إرجـاع مبلغ بعد طباعـة الفاتورة الأصلية، فأخبرته بـأن مُوظَّفة المالية التـي جاءتني للغرفة قد أخبرتني بأنها سـتُرجع لـي أيَّ تخفيض أحصل عليه، فاتَّصـل بالمُترجمة التي كانـت موجودة عندما قالت مُوظَّفة المالية ذلك، فأنكرتْ في البداية أن مُوظَّفة المالية قالت ذلك، وبعد حوار معها قالت إنها لا تتذكَّر ما قالته المُوظَّفة ثم بدأ يتذرَّع بأعاذير منها أنه لا يمكن فعل شـيء بعد طباعة الفاتورة الرسمية، ومنها أن التخفيض مبلغ زهيد في حدود ٢٠٠٠ بات لأنهم سـيُعطونني فقط ٥٪، لأن تكلفـة العمليـة أقل من ١٠٠ ألف بـات، وأن التخفيض سـيكون فقط لتكلفة الغرفـة والدواء، فأحسسـتُ أنـه لا يريد أن يعطينـي أيَّ تخفيـض، فتمالكتُ أعصابي وشكرته ثم خرجتُ وأنا أُردِّد بداخلي: «**حسبي الله ونعم الوكيل**».

والعجيب أن الإخوة والأخوات في قسم العلاقات العربية مسلمون، ولكنهم كثيرًا ما يُخلِفون وعودهم ويتَّخذون الكذب والمراوغة مَطِيَّة لحرف الكلام أو تضليل المريض، وقد لاحظتُ ذلك أكثر فيمَن تلبَّسوا بمناصب إدارية، وربما تصدق عليهم مقولة أحد زملائي الإداريين بأنه لا ينجح في الإدارة إلا مَن كان يكذب ويُراوغ.

هـ العودة إلى عمان

في يـوم المغادرة وهـو ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٩م ذهبـتُ في الثانية عشـرة والنصف لصلاة الظهر في المُصلَّىٰ، ووجدتُ العمانيين المسافرين قد أخرجوا حقائبهم، فطلبتُ من مُوظَّفي الفندق إخراج حقائبي من الغرفة، وصاحبني مدير الفندق إلـىٰ السـيارة التي سـتأخذني للمطـار، وفي طريقنا مـررتُ علىٰ قسـم العلاج الطبيعـي لأُودِّع المُوظَّفيـن والفنييـن هنـاك، وعندمـا خرجنا من المستشـفىٰ وجدنا المسافرين قد غادروا وأخذوا حقائبي معهم فطلب مدير الفندق سيارة لتوصلني إلىٰ المطار.

عندما وصلتُ إلىٰ كاونتر الطيران العماني وجدوا وزن الحقيبتين زائدًا علىٰ الوزن المسموح به فاقترحتِ المُوظَّفة إما دفع نحو ٥٠ ريالًا وإما أخذ الحقيبة الصغـرىٰ معـي في الطائـرة، فأخبرتها بأن الحقيبـة ثقيلة ومـن الصعب حملها معـي فطلبتْ لي كُرسـيًّا مُتحرِّكًا، وطلبتْ أن أضع بعـض محتويات الصغرىٰ في الكـبرىٰ ثم وضعوا الحقيبة الصغرىٰ علىٰ فخـذي وحملتُ معي اللابتوب والعصىٰ وكيسًا به حُقَن فيروس الكبد وآخر به بعض الكعك.

بعـد أن أنهينا إجراءات الجوازات مشـينا لما يقارب السـاعة مررنا خلالها علىٰ سـوق المطـار، وقبل دخولنا إلـىٰ البوابات فتَّش الأمـن أمتعتي فوجدوا

في الحقيبة بعض المواد التي لا يسمحون بحملها في الطائرة، لأن وزن كل واحدة منها يزيد على ١٠٠ مل لتر، فرموها -ظاهريًّا- في سلة القمامة، وربما يأخذونها لأنفسهم لاحقًا، وعندما وصلنا قرب البوابة وجدنا أمة من الناس تنتظر المغادرة؛ فالطائرة تُقِلُّ ما يقارب من ٦٠٠ راكبًا، فأوصلني المُوظَّف الذي يدفع الكرسيَّ المُتحرِّك إلى بوابة الطائرة قبل بقية المسافرين ثم ساعدوني في حمل أمتعتي إلى داخل الطائرة، وأقلعنا في الثالثة والنصف ووصلنا -بحمد الله وتيسيره- إلى مطار مسقط في السادسة مساءً.

و مُشاهدات ومواقف

لكوني في هذه الرحلة أستطيع المشي وقعتْ لي مشاهدات ومواقف عدة، أذكر منها ما يلي:

١ في الآونة التي قرَّرتُ فيها الذهاب إلى تايلاند كنتُ على أُهبة البدء في دورة جديدة لعلاج فيروس الكبد الوبائي باستخدام حُقَن الإنترفيرون، وقد أعطوني في مستشفى جامعة السلطان قابوس ستَّ حُقَن منها، فوضعتُها -حسب اشتراطهم- في برَّاد به ثلج، وعندما كنا في بهلاء بعد مغادرتنا إلى المطار تذكَّرتُ أني نسيتُ أخذ البرَّاد معي، فقلتُ لابني عبد الله الذي أخذني إلى المطار بأننا لن نرجع إلى البيت خوف فوات الرحلة علينا، وأنهم إن وجدوا شخصًا يريد الذهاب إلى تايلاند فليرسلوها معه وإلا فسأبدأ -بإذن الله- علاج فيروس الكبد بعد رجوعي من تايلاند.

لكننا عندما كنا بالقرب من سـمائل اتَّصلتْ زوجتي وأخبرتني بأن ابنة أخي وزوجها سيذهبون إلىٰ مسقط بعد قليل وأنهم سيرسلونها معهم، وعندمـا وصلنـا إلىٰ المطار اتَّصـل قريبي وأخبرني بأنهـم لا يزالون في إزكي، فأخبرته بأننا انتهينا من إجراءات الشحن وأني سأنتظره إلىٰ قرب التاسـعة، ولكنهـم بعد قليل أعلنوا بدء دخول المسـافرين فاتَّصلتُ به وأخبرته بذلك، فقال بإنه سـيحاول إيصالها لي عن طريق أحد زملائه في المطار إن كنتُ ما زلتُ لم أركب الطائرة.

عندمـا بـدأ الركاب صعـود الطائرة اتَّصـل بي وأخبرني أنـه موجود في مكتب مراقبة الجوازات وطلب مني الذهاب إلىٰ هناك لتسلُّم الحُقَن، فأخـبرتُ المُضيف بذلك وذهبتُ إلىٰ مـكان مراقبة الأمتعة وأخبرتهم بأني أنتظر شخصًا ليأتيني بغرض نسيته، فذهب أحد رجال الشرطة إلىٰ مكتـب مراقبة الأمتعة واصطحب قريبي معه، فتسـلَّمتُ منه الحُقَن ثم رجعتُ إلىٰ بوابة الركوب وتوجَّهتُ -بحمد الله- إلىٰ الطائرة.

٢ بعد أيامٍ من وصولي إلىٰ مستشـفىٰ بانكوك ذهبتُ لمقابلة طبيبة الكبد وشـرحتُ لها حالة فيروس الكبد عندي، وأخبرتها بأني أحضرتُ معي ستَّ حُقَن إنترفيرون ولكني لم أبدأ دورة العلاج الجديدة بعدُ، فقالت إنه لا بُدَّ من إجراء فحوصات دم وأشـعة تلفزيونية أولًا، وسـألتني عن رأيي في إجراء منظار يُدخَل من الأنف للجوف لمعرفة ما إذا كان تليُّف الكبـد قد أثَّر في بقية الأعضاء، فرفضتُ ذلك لخوفي من أنه سـيُكلِّفني كثيـرًا؛ إذ كل مـا في ذلك المستشـفىٰ أسـعاره باهظة، فمثـلًا أخبرتني الطبيبة أن تكلفـة الفحوصات فقط نحو ٢٤ ألف بات (أي قرابة ٣٠٠

ريال)، فأخبرتها بأن التكلفة عالية وأني لن أعمل الفحوصات والأشعة التلفزيونية، ثم قرَّرتُ تأجيل البدء في دورة العلاج إلىٰ بعد عودتي إلىٰ عمان، وتركتُ الحُقَن في الثلاجة.

٣ في هذه الرحلة قضيتُ لحظاتٍ من أمتع أيام حياتي؛ ليس تجوالًا في الحدائق والمتنزَّهات، ولا تسكُّعًا في الشوارع والأسواق، ولا مُجونًا -والعياذ بالله- في المراقص والحانات، ولكن في غرفة فندق المستشفىٰ أنتقل بين الكتب والمقالات، أبحث عنها في الشبكة العنقودية، فإذا وجدتها استضفتها إلىٰ حاسوبي وأنا في غبطة لا تضاهيها بهجة مَن حانتْ ليلة عرسه، ودنا موعد لقياه بمحبوبته!

لقد كانت رحلتي السابقة إلىٰ تايلاند إيمانية أكثر من كونها علمية؛ فكانت حركتي حينئذٍ ضعيفة، وكنتُ أقضي معظم وقتي في سريري، لذا كنتُ أقضي الكثير من وقتي في الذِّكر والدعاء وتلاوة القرآن، وفي بعض الأحيان في قراءة الكتب التي أحضرتُها معي، وأما هذه الرحلة فيغلب عليها الطابع العلمي، وبالمقابل فقد خَبَتْ -للأسف- الجذوة الإيمانية التي عايشتُها في الرحلة السابقة، وانساقت النفس في جلب الكتب من الإنترنت وتصنيفها، وأحيانًا في قراءتها وتدوين ما أستفيده منها.

في هذه المرة أحضرتُ جهاز حاسوب سريع، وتوفَّر لي -بحمد الله- خطٌّ سريع للإنترنت عندما كنتُ في مستشفىٰ بانكوك؛ ما اضطرَّني إلىٰ شراء قرصٍ خارجي بسعة ٥٠٠ جيجا بايت لاستيعاب الكمِّ الهائل من الكتب والمقالات التي أُنزِّلها، وعندما انتقلتُ إلىٰ مستشفىٰ

ويشتاني يَسَّر لي المولىٰ -سبحانه- الظروف فوجدتُ الإنترنت مُتوفِّرًا علىٰ مدار الساعة، علىٰ الرغم من أنه أبطأ بكثير عن ذلك المُتوفِّر في مستشفىٰ بانكوك.

صرتُ -بحمد الله وتوفيقه- أقضي معظم وقتي في غرفتي عدا نحو ساعتين كنتُ أقضيها في العلاج الطبيعي، وعندما أكون في الغرفة فإني أقضي غالب وقتي في القراءة، وخاصة قراءة الكتب؛ فبالرغم من أني أحضرتُ معي قرابة عشرة كتب، فإني أيضًا جعلتُ مُجلَّدًا خاصًّا في الحاسوب أحتفظ فيه بما تتلهَّف نفسي لقراءته في أثناء تصنيفي للكتب التي أُنزِّلها، وقد وصل عدد الملفات التي جمعتها إلىٰ أكثر من ٥٠ ألف ملف، والكتب تفوق ٢٠ ألف عنوان، وكان هدفي أن أوصلها إلىٰ ١٢٠ ألف عنوان، وأما المقالات والمجلات فلم أهتمَّ بالبحث عنها أو تصنيفها.

وفي أثناء قراءتي في الكتب التي أحضرتُها معي كنتُ أضع علامات علىٰ الفوائد التي أراها مناسبة لإدراجها في سلسلة «**جواهر العلوم**» التي بدأتُ جمعها من قبل، وفي بعض الأحيان كنتُ أقرأ من الحاسوب وأنقل الفوائد التي أحصل عليها مباشرة إلىٰ ملفات «**جواهر العلوم**».

أما ما يتعلَّق بالتأليف، فكنتُ في هذه الرحلة أراجع كتاب «**العمل التطوُّعي**»، وأُضمِّنه أي فوائد مناسبة لمواضيع الكتاب التي أحصل عليها من قراءتي في الكتب والمقالات المُتنوِّعة، أو تلك المُتعلِّقة بالعمل التطوُّعي التي قاربت العشرين كتابًا وبحثًا وأكثر من مئة مقال، وبدأتُ -بحمد الله وتوفيقه- أيضًا مراجعة كتاب «**أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد**»، ولذا فبالرغم من أن أهلي وأصدقائي يُشفقون عليَّ

مـن الغربة والوَحدة التـي يظنُّونني أعانيها، فإني كنـتُ أتمنىٰ لو تطول المدة هناك لأُنجز -بحول الله وتسـديده- بعض ما تمنيَّتُ إنجازه منذ سنوات، فيا لها من نعمة عظيمة تفيأتُها في هذه الرحلة.

٤ حاولـتُ في هذه الرحلة أن أقوِّي عضلات رجليَّ بشـتىٰ الصور؛ ومن ذلـك أني بـدأتُ تعويد نفسـي علىٰ الصعود باسـتخدام السـلالم إلىٰ غرفتـي في الطابـق ١٦، وكان الأمـر شـاقًّا ولكني أحسسـتُ بفائدته، وذات يوم صادفتُ نزول إحدىٰ مسؤولات المستشفىٰ من طابق لآخر عبر سـلالم الفنـدق فوجدتني أصعد، وكانت تعـرف حالتي الصِّحية، فخافت أن يقع لي مكروه بسبب ذلك الإجهاد فيتم تحميل المستشفىٰ تبعاتـه، وما هي إلا أيام حتىٰ منعوا النزول والصعود عبر السـلالم من الطوابق التي فيها نزلاء، وذات مرة رآني أحد المسؤولين وأنا أمشي في ممـرات المستشـفىٰ بغير توازن فخاف عليَّ من السـقوط، وطلب من قسـم العلاج الطبيعي أن يضعوا علىٰ يدي سـوارًا مكتوبًـا عليه «**قابل للسـقوط**»، وربما ليحترز الآخرون من مزاحمتي في المشـي، أو ربما ليُنبِّه الآخرين لمسـاعدتي إن احتجتُ لذلك، وكانت تلك الاحترازات مما أثار في نفسي الإعجاب بهذا المستشفىٰ.

٥ كنتُ بحاجة إلىٰ شراء قرصٍ كبير الحجم، فسألتُ عن مكان مُتخصِّص في بيع مسـتلزمات الحاسـوب، فدلُّوني علىٰ مُجمَّع ضخم من خمسـة طوابق اسـمه «**بانتِبْ بـلازا**» (**Pantip Plaza**) مُتخصِّـص فقط في كلِّ ما

يتعلَّق بالحواسيب من أجهزة وبرامج وشبكات، سواءٌ الأصلي منها أو المنسوخ والتقليدي، فاشتريتُ منه قرصًا سعته ٥٠٠ جيجا بايت بنحو ٥٢ ريالًا فقط، وكان سعره في عمان أعلىٰ من ذلك بكثير.



مُجمَّع **Pantip Plaza** المُتخصِّص في كل ما يتعلَّق بالحواسيب

٦ قبل انتهاء تأشيرة القدوم إلىٰ تايلاند أخذوني مع عائلة إماراتية إلىٰ مصلحة الهجرة لتجديد تأشيراتنا، وخرجتُ دون إفطار إلا كوبًا من القهوة، وفي طريقنا كان الزحام في كل مكان ومرُّوا بنا علىٰ سفارة الإمارات، ووصلنا إلىٰ مصلحة الهجرة في الثانية عشرة ظهرًا ومن كثرة المراجعين لم ننتهِ إلا في الثالثة والنصف وعُدنا إلىٰ المستشفىٰ في الرابعة، وطوال تلك المدة لم أذُق إلا قنينة ماء اشترتها لي المترجمة التي رافقتنا من المستشفىٰ، وخلال فترات الانتظار عند سفارة

الإمارات وفي مصلحة الهجرة أنهيتُ قراءة كتاب «**الإسـلام والسياسة**» للدكتور محمد عمارة.

٣ رحلة يونيو 2010م

بعـد عودتي من تايلاند في أبريل ٢٠٠٩م، باشـرتُ العمل في جامعة نزوىٰ، وخلالهـا أُوكِلـتِ إلـيَّ رئاسـة شـعبة الحاسـوب في قسـم العلـوم الرياضية والفيزيائيـة، وبدأنا إعادة صياغة جديدة للخطط الدراسـية التي كانت تتطلَّب مني البقاء في المكتب من بعد الفجر إلىٰ نحو التاسعة ليلًا، وبسبب ذلك بدأتِ الأوجاع تتزايد عندي زيادة لا تُطاق، ولما ذهبتُ إلىٰ مستشفىٰ مسقط لمقابلة أحد الاستشاريين وعملتُ أشـعة الرنين المغناطيسي تبيَّن أن عندي غضروفًا آخر، فقرَّرتُ الذهاب إلىٰ مستشـفىٰ ويشتاني في تايلاند لإجراء العملية خلال إجـازتي الصيفيـة، وذلـك لمـا رأيتُه -بحمـد الله وفضلـه- من نجـاحٍ لعملية العمـود الفقـري لأختي التـي أُجرِيتْ لهـا في ذلك المستشـفىٰ خلال رحلتي الأولىٰ لتايلاند.

ومنـذ مدة كان والدي يعاني أوجاعًـا في ركبته، وقد ذكرتُ من قبل أننا ذهبنا إلىٰ الهند لإجراء عملية له ولكنهم وجدوا عنده التهابًا في الركبة الأخرىٰ بسبب الكسـر الـذي حصل له من جرَّاء سـقوطه من النخلة في عـام ١٩٩٧م فرفضوا إجراء العملية له في ذلك الوقت، لذلك اقترحتُ عليه أن يأتي معي في هذه الرحلة لإجرائها في تايلاند فوافق، ورافقنا في الرحلة زوجتي وولديَّ عمر ويوسف.

أ عملية العمود الفقري لي

وصلنا إلىٰ بانكـوك في ١/ ٦/ ٢٠١٠م، وفي اليوم التالي قابلتُ اختصاصي العمـود الفقري الدكتور «**ثونج تشـاي**» الذي كان قد أجـرىٰ العملية لأختي، وبعد أخذ الأشعة المقطعية أخبرني أنه بسبب إجراء العملية الأولىٰ في مستشفىٰ خولة في ٢٠٠٨م في الفقرة الخامسة ووجود الغضروف الحالي في أسفل الظهر لا بُدَّ من ربـط الأربع فقرات الأخيرة بثلاث صفائح من البلاتين، وأن التكلفة التقديريـة هـي نحو ٧٥٠٠ ريال غير شـاملة لمـا قبل العملية مـن فحوصات وأشـعة ولا الأدويـة التي سـنأخذها معنا بعد الترخيص من المستشـفىٰ، ومع ذلك وافقتُ علىٰ إجرائها.



أنا وابني عمر في إحدىٰ ردهات المستشفىٰ

في صبـاح اليوم الثالـث أجريتُ فحوصـات ما قبل العمليـة من فحص دم وتخطيط قلب وتصوير الرئتين، وفي السابعة مساءً أخذوني إلىٰ غرفة العمليات، وبعـد العملية والإفاقة مـن التخدير في الثانية بعد منتصـف الليل أخذوني إلىٰ جنـاح العناية المُركزة، وجـاء عمر وأمه في الثالثة والنصـف للاطمئنان عليَّ، وفي الثانيـة بعد الظهـر من اليوم التالـي أُرجِعتُ إلىٰ غرفتي في المستشـفىٰ في الطابق الثامن.



في غرفة المستشفىٰ بعد العملية، وبجانبي ابني يوسف

بقيـتُ في غرفـة المستشـفىٰ خمسـة أيـام، ثـم أعـادوني إلـىٰ غرفتـي في فنـدق المستشـفىٰ، وقـد كلَّفـتِ العمليـة ٦٦٠٠ ريـال شـاملة الفحوصـات التـي قبـل العمليـة والأدويـة التـي صرفوهـا لـي بعـد الترخيـص، وهـذا

-بحمـد الله- دون المتوقَّع بكثير، وبعد ثلاثة أيام أزالوا خيوط العملية ثم قبل موعـد العودة إلىٰ عمان قابلـتُ الطبيب الذي أجراها وكتب لي أدوية إضافية، ونصحني بعدم المشي أو الجلوس مدة طويلة.

خـلال وقت بقائي أنا ووالدي في المستشـفىٰ كان ابنـي عمر يخرج مع أمه وأخيه يوسـف للتسـوُّق في المُجمَّعات والمراكز التجارية في بانكوك، وكذلك للنزهة في حديقة الحيوانات والحديقة البحرية وغيرها من الأماكن.



ابني يوسف في حديقة الحيوانات

كذلـك، كنا قد اصطحبنا ابني يوسـف معنا لمعاناته من ضعف في السـمع، وبعـد عمل الفحوصـات اللازمة له تبيَّن أن عنده انسـدادًا في الجيوب الأنفية، فضخّوا محلولًا من خلال إحدىٰ فتحات أنفه باستخدام حُقنة كبيرة فخرجت

الأوساخ من الفتحة الأخرىٰ، ولم تمضِ -بحمد الله- إلا أيام حتىٰ انفتحت الجيوب الأنفية وعاد السمع إلىٰ مستواه الطبيعي، فسبحان مَن علَّم الإنسان ما لم يعلم.

ب عملية الرُّكْبة لوالدي

بالنسبة إلىٰ والدي، في اليوم التالي من وصولنا قابلنا طبيب الرُّكَب، فأخبرنا بضرورة استبدال الرُّكْبة وإزالة كيس الدهون منها وزراعة عظم مكان كيس الدهون، وأخبرونا أن تكلفة ذلك نحو ٦٠٠٠ ريال، وهي أيضًا لا تشمل ما قبل العملية من فحوصات وأشعة والأدوية التي تُصرف له بعد الترخيص من المستشفىٰ، فوافق والدي علىٰ العملية فأجرَوْا له في صباح اليوم الثالث فحوصات ما قبل العملية، وفي السابعة مساءً من ذلك اليوم أخذوه إلىٰ غرفة العمليات، وبعد العملية أخذوه مباشرة إلىٰ غرفته في المستشفىٰ في الطابق العاشر.



في غرفة والدي في المستشفىٰ قبل إجراء العملية له

بقي والدي في غرفة المستشفىٰ أيضًا خمسة أيام كانوا خلالها يأخذونه إلىٰ قسم العلاج الطبيعي لعمل تمارين آلية ويدوية لرجله التي أُجريت فيها العملية، وواصلوا معه تلك التمارين حتىٰ بعد إعادته إلىٰ غرفته في فندق المستشفىٰ، وقد كلَّفتْ عمليته فعليًّا ٥٦٠٠ ريال شاملة جميع الفحوصات التي قبل العملية والأدوية التي صرفوها له بعد الترخيص، وقبل يوم المغادرة قابل الطبيب الذي أجرىٰ العملية فنصحه بمواصلة التمارين التي كانوا يعملونها له في المستشفىٰ، وأخبره بأن الوجع سيستمر لأكثر من شهر.

ج العودة إلى عمان

في ١٥/ ٦/ ٢٠١٠م، أي بعد ستة عشر يومًا قضيناها في تايلاند، قفلنا -بحمد الله وتيسيره- راجعين إلىٰ عمان، وقد كان إقلاعنا من تايلاند في ٦:٤٠ صباحًا ووصلنا إلىٰ مطار مسقط في ٩:٢٥ صباحًا بتوقيت السلطنة، وقد عانيتُ أنا والوالد كثيرًا من شدَّة الأوجاع بسبب طول الرحلة وصعوبة الجلوس علىٰ الكراسي، ووصلنا إلىٰ البيت -بحمد الله- في الثانية عشرة والنصف ظهرًا.

بعد عودتي من تايلاند أكملتُ إجازتي الصيفية في البيت، ثم تقدَّمتُ لرئاسة جامعة نزوىٰ بأخذ خمسة عشر يومًا إضافية من إجازة السنة التالية فوافقوا -جزاهم الله خيرًا- علىٰ ذلك، ثم تكرَّموا عليَّ بإعفائي من التدريس في فصل الخريف من ذلك العام، وبقيتُ أقوم بالأعمال الإدارية والأكاديمية الأخرىٰ للقسم، ومع ذلك تضاعفت عليَّ الأوجاع، وعرفتُ فيما بعد أنها كانت بسبب فترات الجلوس الطويلة التي كنتُ أقضيها في الجامعة، وأيضًا بسبب عدم قيامي بعلاج طبيعيٍّ مُكثَّف بعد العملية، وسأُبيِّن ذلك لاحقًا.

٤ رحلة مايو 2013م

في مارس ٢٠١٣م ذهبتُ إلىٰ ماليزيا في رحلة علاج دامت ثلاثة أشهر، وخلالها كنتُ أذهب إلىٰ مركز رياضي للعلاج الطبيعي وعمل التمارين الرياضية، ومع ذلك رأيتُ من الأنسب أن أُكمِل الرحلة بقضاء شهر من العلاج الطبيعي في تايلاند في المستشفىٰ الذي تعوَّدتُ الذهاب إليه وهو مستشفىٰ ويشتاني، وفعلًا في ٣٠/ ٥/ ٢٠١٣م تواصلتُ مع قسم العلاقات العربية بذلك المستشفىٰ وأخبرتهم بذهابي إليهم وطلبتُ منهم سيارة لتأخذني من المطار فأكَّدوا لي ذلك.

أ الوصول والاستقرار في مستشفى ويشتاني

أقلعتِ الطائرة من كوالالمبور في الثالثة والنصف ظهرًا بتوقيت ماليزيا، واستغرقت الرحلة قرابة ساعتين، ثم هبطنا في مطار «دون ميوينج» في بانكوك في الرابعة والنصف بتوقيت تايلاند، وهذا المطار صغير مقارنة بمطار بانكوك الدولي، وبعد أن أنهيتُ إجراءات الجوازات والتأشيرة تسلَّمتُ حقائبي، وكم عانيتُ وأنا أحاول رفع حقائبي علىٰ العربة، ولكن الله أعانني علىٰ ذلك.

بعد أن خرجتُ من المطار وجدتُ المستقبلين ينتظرون مَن يأتي وبعضهم يحمل لافتات كُتِب عليها أسماء أشخاص ينتظرونهم، فنظرتُ في تلك اللوحات فلم أرَ اسمي فقلتُ ربما تأخَّر الشخص فذهبتُ وحوَّلتُ بعض الرنجات المُتبقِّية عندي إلىٰ البات التايلاندي، وكان سعر الصرف عندهم نحو ٨٣ باتًا للريال العماني، وحاولتُ شراء بطاقة هاتف فقالوا إنها بمئتي بات وليس بها خدمة الإنترنت.

كنتُ أريد أن أتَّصل بقسم العلاقات العربية في المستشفىٰ ليتواصلوا مع الشخص الذي من المفترض أن يأتي ليأخذني من المطار، وكنتُ لا أريد استخدام بطاقة عمان لأنها تُكلِّف كثيرًا ونسيتُ أن أستخدم بطاقة ماليزيا التي كان بها نحو ٣٨ رنجت، فرجعتُ إلىٰ الأشخاص المنتظرين ونظرتُ مرة أخرىٰ في اللوحات علَّ أن يكون هناك مَن يحمل لوحة باسمي، ولكني لم أجد شخصًا ثم نظرتُ هنا وهناك ولم أجد أحدًا.

عندها، رأيتُ أنه ما من بُدٍّ من أخذ سيارة أجرة، فخرجتُ من المطار وسألتُ عن مكان سيارات الأجرة فأخبروني به، فإذا الناس هناك طوابير طويلة وهم ينتظرون دورهم، فوقفتُ في أحد الطوابير الأربعة، وبحمد الله لم يدُم الانتظار

طويـلًا لأن سـيارات الأجرة كانت تأتي بسـرعة، وبعد أن جـاء دوري أخبرتُ المُوظَّفة هناك بوجهتي وأعطيتها بطاقة المستشفىٰ، فعيَّنتْ لي إحدىٰ سيارات الأجرة، وأرشـدني سائقها إلىٰ مكان سـيارته فجررتُ العربة إلىٰ هناك، ثم قام هو بتحميلها في سيارته وكان يُظهِر لي مدىٰ ثقلها، ولكني لم أستطِع مساعدته في حملها.

كانـت السـاعة قد تجاوزت الخامسـة والنصـف، وكنتُ أشـعر بالقلق من فـوات وقـت صلاتَي الظهـر والعصر وخاصـة أن الطريـق كان مزدحمًا جدًّا، فأخذنـا ما يقارب سـاعة ونصف علىٰ الرغم من أنه في غيـر أوقات الذروة لن يأخذ أكثر من نصف سـاعة، وكان السـائق مشـغولًا طوال وقته بالحديث مع أصحابه عبر الإنتركم والهاتف، وكان يتكلَّم بصوتٍ عالٍ، وأحيانًا كان يصرخ وهـو ينـادي أصحابَه علَّهم يسـمعونه، وأما أنا فكنتُ أحـسُّ بالملل من طول الجلـوس، وأيضًا كنتُ ما أزال في حالة نفسـية يرثىٰ لها من غُصَّة المبلغ الذي دفعته للطيران الصيني في ماليزيا، كما سأروي قصة ذلك لاحقًا.

وصلنا إلىٰ المستشـفىٰ في السابعة ودفعتُ للسائق ٤٨٠ باتًا (أكثر من ٥,٥ ريالات)، ثم أخذني أحد عمال المستشفىٰ إلىٰ قسم العلاقات العربية الموجود في الطابق الأرضي، الذي بُني في الآونة الأخيرة مجاورًا لقسم العلاج الطبيعي، وهنـاك أخذوا مني بعض البيانات ثم حجزوا لي غرفة في الطابق ١٦ من فندق المستشـفىٰ، ودفعتُ لهم مُقدَّمًا ٥٠٠ بات، وكانوا قد طلبوا مني دفع ألفين ثم ألف بات، ولكن لم يكن عندي إلا ٨٠٠ بات.

أخذني العامل إلىٰ غرفتـي وأنزل حقائبي، فصلَّيتُ الظهر والعصر الفائتَيْن ثم المغرب والعشاء والوتر وبعدها نزلتُ لأشتري بطاقة هاتف، وقد أخذ مني ذلك وقتًا طويلًا لأني كنت أريد شراء بطاقة تصلُح لاستخدام الإنترنت، فدلَّني

أحد المُوظَّفين في قسم العلاقات العربية أن أشتري البطاقة من محل «سَفِن إلَفِن» القريب من المستشفىٰ، وأن أشتري معها رصيدًا وسيقوم هو بتفعيل الإنترنت فيها، فاشتريتُ البطاقة بقيمة ٦٩ باتًا، واشتريتُ رصيدًا بألف بات، ثم ذهبتُ إلىٰ مطعم الواحة السوري المجاور لهذا المحلِّ وتناولتُ عشائي.

في أثناء تناولي العشاء جاء ثلاثة إخوة عمانيين، وبعد تعارف بيني وبينهم تبيَّنتُ أن أحدهم من بهلا والثاني من الشرقية والثالث من الباطنة، وفيما بعد عرفتُ أن الشخص الذي من بهلا قد أحضر ولده الذي يأتيه الصرع، والذي من الشرقية أحضر ولده الذي عُمْره نحو ثمانية أشهر ووجدوا به ماءً في دماغه، وكان قد سبَّب له انتفاخًا في كامل جسده، وأخبرني أبوه أنهم اقترحوا أن يعملوا له فتحة في دماغه ثم يعملوا له أنبوبًا داخليًّا من الدماغ إلىٰ البطن ويبقىٰ معه طوال حياته، وأما الأخ الذي من الباطنة فهو من ولاية نخل، وأخبرني بأن أصهاره وأخواله هم من هطاطلة بلدة «الهجير».

بعد العشاء رجعتُ إلىٰ الشخص الذي في قسم العلاقات العربية وركَّب بطاقة الهاتف وحاول تفعيل الإنترنت، ثم أخبرني بأنه يأتي مع البطاقة رصيدٌ مجانيٌّ للإنترنت بـ ٩٠ ميجابايت، وعندما ينتهي يمكن تفعيل خدمة الإنترنت التي أرغب فيها، فعدتُ إلىٰ الغرفة وكنتُ في غاية الإنهاك، فأرسلتُ رسالة إلىٰ أهلي أخبرهم بوصولي إلىٰ تايلاند ثم بعدها نِمتُ مباشرة، وفي اليوم التالي اتَّصلتُ بشركة الاتصالات ففعّلوا الإنترنت وخصموا من بطاقة البنك ٤٢٠ باتًا لـ ١ جيجابايت من البيانات لمدة شهر.

ب بدء العلاج الطبيعي

بعد تناولي الغداء في اليوم التالي لوصولي إلىٰ تايلاند ذهبتُ في الثالثة إلىٰ موعد طبيب العلاج الطبيعي، فأخبرته بالألم المتواصل الذي أحسُّ به في الجزء السفلي من الظهر من جِهة اليمين، وبعد تفحُّص بعض حركات رجليَّ اقترح عليَّ أن أبدأ العلاج الطبيعي من ذاك اليوم، ثم أخبروني بأن دوري سيكون في الرابعة والنصف فذهبتُ إلىٰ غرفتي لصلاة العصر.

بعد الصلاة، عُدتُ إليهم فدلّكوا أولًا الموضع الذي يُؤلمني بالموجات الصوتية، ثم قمتُ ببعض التمارين في السرير ثم في غرفة التمارين، ثم أحضروا لي كمَّادة ساخنة للنوم عليها وفي الوقت نفسه أجْرَوا التنشيط الكهربائي للقدم اليمنىٰ وخرجت من عندهم في السادسة، وكانت تكلفة مقابلة الطبيب ١٢٠٠ بات والعلاج الطبيعي ١٨٠٠ بات (أي نحو ٥ , ٢١ ريالًا).

في اليوم التالي، وبعد أن أنهيتُ جلسة العلاج الطبيعي الثانية، التي كانت مثل سابقتها، أخبرتُهم بأني كنتُ في ماليزيا للعلاج الطبيعي لمدة ثلاثة أشهر وكان علاجًا مُكثَّفًا وشديدًا، وأن التمارين التي يُجرونها لي في مستشفىٰ ويشتاني بسيطة جدًّا وأنا عندي ضعف في معظم الحركات، فسألوني ما إذا كنتُ أستطيع القيام ببعض الحركات فشرحتُ لهم الحركات التي لا أستطيع القيام بها، فبدؤوا يُجرون لي تمارين جديدة في السرير ثم أخذوني إلىٰ صالة التمارين لعمل تمارين أخرىٰ، منها تمرين القيام والقعود الذي كان أصعب شيء علي، وهذه المرة أحسستُ بالتعب من تلك التمارين وفي الوقت نفسه أحسستُ بالرضا من أني قمتُ فعلًا بتمارين لا بأس بها، وبعد الانتهاء منها أعادوني إلىٰ السرير لوضع الكمَّادة الساخنة تحت الظهر

وتنشيط الكهرباء للرجل اليمنىٰ لمدة ١٥ دقيقة، وكانت تكلفة العلاج لذلك اليوم ٢٢٥٠ بات (أيْ نحو ٢٧ ريالًا).

لاحظتُ في اليوم الذي بعده أنهم أعطوني تمارين كثيرة ولكنها فقط للرجل اليمنىٰ فأخبرتهم بأن الرجل اليسرىٰ أيضًا ضعيفة فقالوا بأن الطبيب لم يذكر ذلك، فطلبتُ من المُوظَّفة المسؤولة أن تُخبره بأني أريد تمارين لكلتا الرجلين وأيضًا تمارين التوازن، وفي اليوم التالي أَجْرَوا التمارين نفسها بحُجَّة أن الطبيب لم يأتِ بعدُ ليُخبروه فطلبتُ مقابلة الطبيبة التي كنتُ قابلتها في الرحلة السابقة في ٢٠٠٩م.

أخبرتُ الطبيبة بأني أريد تمارين مُكثَّفة لجميع أجزاء جسمي من الخصر إلىٰ القدمين، إضافة إلىٰ تمارين التوازن والقيام والقعود، وأخبرتُها بأنه إن كانت جلسة واحدة لا تكفي لجميع التمارين فلا بأس بجلستين، وأخبرتها كذلك بأني لا أريد التدليك بالموجات الصوتية ولا الكمَّادة الساخنة وقصدتُ من ذلك تقليل التكلفة والوقت، وقد حاولَتْ أن تقنعني بأنّ كثرة التمارين ستجعلني أحسُّ بآلام في أماكن كثيرة وأنه من الأفضل التدرُّج، وأنا أحاول أن أقنعها بأني سأتحمَّل الآلام ولا مانع عندي من البقاء للتمارين من الصباح إلىٰ الليل.

وطبعًا، سببُ ذلك الإلحاح هو أني جئتُ إلىٰ تايلاند هذه المرة لمدة قصيرة وأريد أن أستفيد من بقائي هناك في تقوية العضلات وهم لديهم الإمكانات لفعل ذلك؛ سواءٌ أكان من خلال التمارين اليدوية أم الأجهزة، وما شجَّعني علىٰ طلب ذلك هو ما حصلتُ عليه -بحمد الله- في ماليزيا من تمارين مُكثَّفة في المركز الرياضي الذي كنتُ أذهب إليه.

وافقـتِ الطبيبة علـىٰ إجراء تمارين مُكثَّفة لي في جلسـتين متتاليتين، ولكن المُدرِّبة التي كانت حاضرة معنا قالت بأنهم سيجعلونها في جلسة واحدة طويلة إلىٰ أن يشـعروا بـأني غير قادر علـىٰ المواصلة، وأَمّا عـن التدليك بالموجات الصوتيـة فقد أخـذَتْ تتفحَّص المكان الذي يؤلمني، وقالت بأن سـبب الألم هو شدّ العضلات في الجهة اليمنىٰ من العجز، واقترحتْ أن يعطوني إبرة للألم فلم أوافق.

بعـد أن انتهينا من الاجتماع أدخلوني مباشـرة للتدريـب ودلّكوا أولًا مكان الألم فأحسسـتُ بأن العضلات مُتيبِّسـة وتؤلمنـي كثيرًا في أثنـاء التدليك، ثم أجْـرَوا تليين عضـلات الرجلين من خلال شـدِّهما، ثـم ركَّـزوا في التمارين علـىٰ الخَصْر والظهـر، وبعد أن انتهتْ من جميع التمارين جلسـتُ للتنشـيط بالكهرباء، واستمرَّت الجلسة نحو ساعة.

عندمـا ذهبتُ لأدفـع الفاتورة وجدتُ أنها ٣٨٠٠ بـات، إذ وجدتُ ١٠٠٠ بـات لمقابلة الطبيبة وهـذا مُتوقَّع، إضافة إلىٰ ٥٠ بـات و١٠٠ بات يضيفونها -حسـب ظني- عندمـا يحضر المقابلـةَ مترجمون، ولكن ما أدهشـني هو أن العـلاج الطبيعـي صـار ٢٦٠٠ بات (أكثر مـن ٣١ ريالًا)، فرجعتُ إلىٰ قسـم العلاج الطبيعي لأسألهم عن ذلك، فأخبرتني المُوظَّفة بأنهم أضافوا ٥٠٠ بات زيادة بالخطأ، ثمّ بعد ذلك قالت بأن مدة العلاج اليوم أطول من السابق، وأنهم دلّكوا الموضع الذي يؤلمني في أسفل الظهر، فقلتُ لها بأن الجلسة كانت فقط في حدود ساعة واحدة، وأما التدليك فلم أطلب منكم ذلك، فقالت بأن الطبيبة هـي التي كتبتْ ذلك، فقلتُ لها بأني رفضتُ التدليك بالموجات الصوتية لأني لا أريـد دفـع مبالغ كثيـرة وأنا لا أريد هـذا التدليك، فقالت بأن علـيَّ أن أُكلِّم الطبيبـة، فقلتُ لها بأني لن أُكلِّم أحدًا وإنما عليكم أن تُكلِّموها بأنفسـكم لأني

أعلم أنه لو قابلتُ الطبيبة فسيأخذون عليَّ رسومًا أخرىٰ لتلك المقابلة، فقالت بأنهم سيُكلِّمونها في الغد، وطلبتُ منها تفصيلًا لتكاليف ما يعطونني إياه من علاج، فقالت بأن جلسة العلاج تُكلِّف ١٣٥٠ بات، والتنشيط بالكهرباء ٣٥٠ بات، والتدليك بالموجات الصوتية ٣٥٠ بات، والكمَّادة الساخنة ١٠٠ بات، فقلتُ لها بأني أريد فقط جلسة العلاج والتنشيط بالكهرباء، وأن يخصموا المبلغ الإضافي الذي أخذوه اليوم من فاتورة علاج يوم غدٍ.

في اليوم التالي، جلس معي المُدرِّب وناقشني فيما أريده وما لا أريده، واتَّفقنا علىٰ أن يُجْروا لي فقط جلسة تمارين بقيمة ١٣٥٠ بات وتنشيطًا بالكهرباء بقيمة ٣٥٠ بات، وسألته عن الزيادة في فاتورة البارحة، فقال: هناك ٢٠٠ بات للتدليك و٧٠٠ بات لتمارين التليين التي يقومون بها قبل البدء بالتمارين الفعلية، فتعجَّبتُ من ذلك لأنها مُجرَّد تمارين يسيرة لنحو خمس دقائق ولكني لم أُرِدْ أن أدخل معهم في مجادلات.

وبعد أن انتهيتُ من التمارين وذهبتُ لأدفع الفاتورة فوجئتُ بأن قيمة العلاج هي ٢٧٥٠ بات، فرجعتُ إلىٰ مكتب قسم العلاج الطبيعي مرة أخرىٰ وأنا في غاية الاستياء من هذا الظلم، وأعطيتُ الفاتورة للمُوظَّفة وقلتُ لها بغضب: «ما هذا؟» فجاءني المُترجِم وتكلَّم معها ثم قال لي: «**لقد أخطؤوا!!**» فقلتُ له: «**إن هذا ظلمٌ بعينه؛ لأنهم فعلوا معي هذا أكثر من مرة، وإذا كنتُ أنا قد تنبَّهتُ لهذا فغيري قد لا ينتبه، وأيضًا فإنهم سيزيدون في فواتير المرضىٰ الذين جاؤوا علىٰ حساب حكوماتهم حسب هواهم دون رقيب ولا حسيب**»، فقالوا: «**ادفع هذه الفاتورة وستتدرَّب في الغد بالمجان**»، وهذا يعني أني سأوفر ٦٥٠ باتًا، فلم أجادل معهم وإنما أخذتُ الفاتورة ودفعتها، وفعلًا بعدما انتهيتُ من العلاج الطبيعي في اليوم التالي وَفَّوْا بوعدهم ولم يحسبوا جلسة ذلك اليوم.

ج العودة إلى عمان

عندما جئتُ من عمان كان وزن حقائبي يزيد على ٦٠ كيلوجرامًا، ولولا فضل الله ثم مساعدة واحد من أهلي عن طريق أحد أصدقائه لدفعتُ مئات الريالات، وعندما أردتُ العودة عانيتُ المشكلة نفسها، فطلبتُ من قريبي الذي ساعدني أن يسأل صاحبه إن كان بالإمكان وضع ملاحظة على حجزي ليقبلوا الحقائب بالوزن الزائد، ولما لم يردَّ عليه صاحبه، سألتُ زميلي الأخ سيف بن سالم المزاحمي الذي جاء إلى تايلاند مع عائلته للنزهة وزارني في المستشفى، سألته إن كان بالإمكان أن يأخذ معه إلى عمان إحدى حقائبي فرحَّب بذلك.

قبل يوم المغادرة ذهبتُ إلى قسم العلاقات العربية لأخبرهم بأني سأسافر في الغد وأريد دفع فاتورة غرفة الفندق، فأخبرني المُوظَّف بأنه يحقُّ لي خصم بـ ١٠٪ فطلبتُ منه أن يجعلها ٢٠٪ فقال بأنه لا يستطيع ذلك إلا إن أتيتُ برسالة من السفارة العمانية، فطلبتُ مسؤول القسم فلما خرج عرفني وسألني متى وصلتُ، فأخبرته بأنني هنا منذ قرابة شهر وأني سأغادر في الغد وأريد خصمًا بـ ٢٠٪ من فاتورة الفندق، فقال في البداية بأني أستحق فقط ١٠٪ دون رسالة من السفارة ولكنه بعد أن علم أني بقيتُ ٢٩ يومًا اتَّصل بأحد المسؤولين في المستشفى ثم ملأ استمارة وتم الأمر -بحمد الله وفضله-، وجزاه الله خيرًا على ذلك.

كانت تكلفة ٢٩ يومًا قبل الخصم ٣٧٧٠٠ بات (ما يعادل تقريبًا ٤٨٣ ريالًا)، وبعد الخصم صارت ٣٠١٦٠ بات (ما يعادل ٣٨٦ ريالًا)، ثم ذهبتُ إلى المحاسبين في المستشفى وطلبتُ منهم أن يعطوني فاتورة مُفصَّلة فقالوا

بأنها تستغرق وقتًا ومُوظَّفوهم مشغولون وطلبوا مني أن أُكلِّم قسم العلاقات العربية، فرجعتُ إلىٰ القسم وأخبرتهم بذلك فأخبروني بأنهم سيتابعون الأمر.

في صباح يوم العودة -وهو ٢٨/ ٦/ ٢٠١٣م- غادرنا الغرفة في السادسة وجاءت معي عائلة عمانية وصاحَبَنا إلىٰ المطار أحدُ المترجمين، وعندما وصلنا إلىٰ المطار وجدوا وزن الحقيبة المُتبقِّية عندي ٣٤ كيلوجرامًا فأخرجتُ بعض الأغراض منها ووضعتُها في حقيبة صغيرة كانت عندي، ووجدنا طوابير طويلة في مكاتب تخليص الجوازات؛ ما جعلنا نتأخر كثيرًا، ثم وجدنا أن الرحلة قد تأجَّلت لساعة فدخلنا الطائرة في التاسعة والنصف، ووصلنا إلىٰ مسقط في ١٢:٤٥ ظهرًا، وبحمد الله قضيتُ مدة الرحلة من تايلاند إلىٰ عمان التي استغرقت قرابة ست ساعات في قراءة أكثر من ٢٠٠ صفحة من رواية «عودة الفرسان» لفريد الأنصاري، وبعد خروجي من المطار وبسبب بعض الوقفات في الطريق وصلنا إلىٰ البيت في الخامسة والنصف عصرًا.

د مُشاهدات ومواقف

علىٰ الرغم من أن هذه الرحلة قصيرة مقارنة بالرحلتين الأولَيَيْنِ، فإنها كانت حافلة بالمواقف والمشاهدات المُثيرة والجديرة بالذكر، ومنها:

١ كان قسم العلاقات العربية في المستشفىٰ مُجرَّد مكتب ثم تحوّل إلىٰ مكان للاستجمام للمرضىٰ الأجانب ومرافقيهم، وجعلوا فيه مضيفات يُقدِّمْنَ ما يحتاج إليه نزلاء ذلك المكان من قهوة أو شاي، إضافة إلىٰ توفُّر أنواعٍ من الكرواسان والكعك والماء وبعض الفواكه، وكان كل

شـيء فيـه مجانًا، وقد علمتُ لاحقًـا أن معظم النـزلاء العرب صاروا يُفطرون في ذلك المكان بدلًا من الإفطار الذي يُقدَّم لهم في الفندق.

٢ في اليـوم التالـي لوصولـي إلـىٰ تايلانـد ذهبتُ إلـىٰ موعد مـع طبيب الأعصاب، فتكلَّمتُ معه بالإنجليزية وشـرحتُ لـه حالتي من بدايتها وأعطيته قرص الأشعة المقطعية، فطلب من المُمرِّضة أن تُحضِر ملفي الكامل ليـرىٰ ما فيه من تقارير الأطباء عن حالتي في هذا المستشـفىٰ، وأخذ يُجري بعض الفحوصات حول مسـتوىٰ الإحساس في الساقين، ثـم أخبرني بأن التنمُّل الموجود في السـاقين والقدمين -وخاصة القدم اليمنىٰ- قد يكون بسـبب انضغاطٍ علىٰ الأعصاب، وقد يكون بسـبب أن الأعصـاب صارت غير فعّالة كثيرًا، ولذلك لا مفرَّ من مواصلة أخذ دواء تهدئـة التنمُّل، وأعطاني كبسـولات أخرىٰ لأخْـذ واحدة منها كل يوم بعد الإفطار وقال بأنها ستساعد علىٰ تهدئة أعصاب الأطراف.

بعـد أن خرجتُ من عنده ذهبتُ مـع المُمرِّضة والمترجمة إلىٰ الطابق الثالث الذي يوجد به قسـم العلاقـات العربية، وطلبتْ مني المترجمة أن أتناول قهوة أو شـايًا وبعـض الكعك إلىٰ أن يجهّزوا وصفة الدواء، وبعـد قليل جاءتني مُمرِّضة بالدواء والفاتورة وكانت ٣٢٢٠ بات (أي نحـو ٣٩ ريالًا)؛ شـاملةً الـدواء وزيارة الطبيب وفتـح الملف وبعض رسـوم الخدمة -كما يُسـمُّونها-، فدفعـتُ المبلغ ببطاقة بنك مسـقط وتناولتُ إفطاري ثم عدتُ إلىٰ الغرفة.

فيما يبدو أن الكبسولات التي كتبها لي طبيب الأعصاب قد أثَّرت فيَّ فصرتُ أشعر بالدوار والتثاؤب باستمرار، والأسوأ هو أني عندما أتثاءب أحسُّ بأن فكيَّ ووجهي يتشنَّجان؛ ما جعلني في قلق من أن الكبسولة ربما أثَّرت في قلبي، وأن تلك التشنُّجات قد تكون بداية لجلطة والعياذ بالله، وعندما زادت تلك الأعراض زادت مخاوفي وفكَّرتُ في الذهاب إلىٰ الصيدلية لأخبرهم بما جرىٰ وأُرجع الدواء لهم، أو أن أذهب إلىٰ الطوارئ فربما يكتشفون مشكلة في القلب أو غير ذلك، ولكني -بالمقابل- تخوَّفتُ من كثرة المصاريف، فقرَّرتُ أخذ الدواء والفاتورة إلىٰ قسم العلاقات العربية وأخبرتُ المُوظَّف الموجود هناك بما جرىٰ وقلتُ له: «**هذا الدواء لا أريده ولا أريد بديلًا له، وتصرَّفوا به كيفما شئتم**».

عندما ذهبتُ إليهم في اليوم التالي وأخبرتهم عن ذلك الدواء وتأثيراته، أخبروني أن أذهب مع المترجمة إلىٰ العيادة ليعطوني استمارة لإرجاع قيمة الدواء إليّ، فتكلَّمتِ المترجمة مع المُمرِّضة فأخذتنا مُمرِّضة أخرىٰ إلىٰ الصيدلية، وهناك سألني المُوظَّف عن وقت أخذ الدواء وحصول الأعراض التي أخبرتهم عنها وإلىٰ متىٰ، وبعد أن انتهىٰ من ملء بعض الاستمارات بالبيانات المطلوبة خصموا أولًا قيمة الكبسولة التي أخذتها ثم أعطوني ٨٠٪ من الباقي، وعندما سألتهم عن سبب أخذ ٢٠٪ من قيمة الدواء قالوا بأن أيَّ دواء يسترجعونه يتخلصون منه ولا يعطونه لمريض آخر، فكانت قيمة الدواء الأصلية ١٩٢٠ بات (نحو ٢٣ ريالًا)، ثم خصموا ١٢٨ بات عن قيمة الكبسولة التي أخذتُها، ثم أرجعوا إليَّ ١٤٣٣ بات (نحو ١٧ ريالًا).

٣ منذ أن حدثتْ عندي مشكلة الظهر في مايو ٢٠٠٨م، أتناول باستمرار مُهدِّئات للأطراف لتخفيف ما بها من تنمُّل، وعندما ذهبتُ إلىٰ ماليزيا في هذه الرحلة اصطحبتُ معي كمية كافية من دواء الغُدَّة والتنمُّل، وبعد أسبوعين من قدومي إلىٰ تايلاند انتهتِ الكمية التي عندي من دواء التنمُّل فذهبتُ إلىٰ عيادة الأعصاب لأطلب منهم كمية إضافية، فطلبوا ملفي ثم أدخلوني علىٰ الطبيب فسألتُ المترجم عن ذلك، فقال بأنهم لا يصرفون الدواء إلا بعد مقابلة الطبيب.

سألني الطبيب عن مدىٰ استفادتي من تناول ذلك الدواء والكمية التي أحتاج إليها ثم كتب لي الوصفة، ثم أخذتني إحدىٰ المُمرِّضات إلىٰ الصيدلية لتسليمهم ورقة الوصفة، وكانت قيمة الدواء ٤٩٩٥ بات (أي نحو ٦٥ ريالًا) لـ٤٥ حبة فقط، فالحمد لله علىٰ النعمة التي نحن فيها والتي لا نُدرك قيمتها؛ فأنا أستهلك ٦٠ حبة في الشهر وهذا ما يُعادل -بسعر ذلك المستشفىٰ- نحو ٨٥ ريالًا؛ ما يعني أني استهلكتُ إلىٰ ذلك الوقت ما قيمته أكثر من ٥٢٢٧ ريالًا من هذا الدواء فقط (أو قرابة ١٤٨٠٠ ريالٍ بنهاية ٢٠٢٢م)، فما بالنا بالأدوية وأنواع العلاج الأخرىٰ التي نحصل عليها في بلادنا مجّانًا دون أن نشكر الله عليها؟!

٤ في اليوم الرابع من وصولي إلىٰ تايلاند قابلتُ طبيب العمود الفقري وشرحتُ له حالتي من بدايتها وما أعانيه، وأعطيته قرص أشعة الرنين المغناطيسي التي أجريتها في مستشفىٰ خولة، ولما شاهد القرص قال لي بأن العملية ناجحة ولا يوجد أيُّ انضغاط علىٰ النخاع ولا توجد

غضاريـف، وأخـبرني بأن مشـكلة التنمُّل قـد تكون بسـبب العمليات السابقة وأنها ربما ستبقىٰ معي مدىٰ الحياة، وأما عن الآلام فهي بسبب الضعف في العضلات وعندما تتقوَّىٰ ستزول الآلام.

٥ عندمـا قابلتُ طبيب العـلاج الطبيعي أول مرة اقـترح عليَّ لبس قطعة بلاسـتيكية تحـت القـدم اليمنىٰ لتسـنده في أثنـاء الحركة، وقـال بأنه سيطلب من شخص أن يأتي لأخذ مقاسات وأراني الأنواع التي عندهم، وكنتُ في الرحلة السابقة قد اشتريتُ قطعة جاهزة من مستشفىٰ بانكوك فأخبرتـه بأني أريد فقط تلك القطعـة لكونها خفيفة ولا تظهر في الرجل عند لبس الحذاء، فجاء شخصٌ لأخذ القياسات ويبدو أنه من مؤسسة خاصَّة تعاقد معها هذا الطبيب أو المستشـفىٰ، ولما أحضر لي القطعة الجاهزة في اليوم التالي لم يُعجبني شـكلها وكانت ثقيلة وسـعرها ٨٠ ريالًا، فرفضتُ شراءها فوعدني أن يعمل لي واحدة أخرىٰ.

عندها، ذهبتُ إلىٰ قسم العلاج الطبيعي في مستشفىٰ بانكوك وأخبرتهم بـأني أريد القطعة البلاسـتيكية للقدم اليمنىٰ فأحضروا لـي أولًا أنواعًا مثـل التي فصَّلوها لي في مستشـفىٰ ويشـتاني وفي مستشـفىٰ الجامعة، فأخبرتهم بأني أريد أخرىٰ كنتُ قد اشـتريتُها منهم فأحضروا لي واحدة وقالـوا بأنها القطعة الوحيدة معهم، فجرَّبتُ النوعين ورأيتُ أن القطعة التي كنتُ قد اشتريتُها منهم هي الأنسب، فاشتريتُها بقيمة ٥٧٢٠ بات (أي قرابة ٦٥ ريالًا).

٦ في أثناء بقائي في المستشفىٰ كنتُ تعوَّدتُ أن أمشي بعد صلاة العشاء في ممرِّ الفندق، وقد بدأتُ بالمشي عشر مرات ذهابًا وإيابًا عندما قدمتُ إلىٰ المستشفىٰ، وكنتُ أزيد في كل يوم مرة ذهابًا وإيابًا إلىٰ أن وصلتُ إلىٰ ٢٨ مرة، ثم بدأتُ أربط علىٰ كل رجل ثقلًا بوزن كيلوجرامٍ؛ واحدٌ لتثقيل الحركة ولجعل التمرين أقوىٰ وأنفع للعضلات، وكان لذلك -بحمد الله- أثرٌ ملحوظٌ في تخفيف الأوجاع وتقوية العضلات.

٧ كان نزلاء المستشفىٰ والفندق من المسلمين يجتمعون للذهاب لصلاة الجمعة في الثانية عشرة ظهرًا عند مدخل المستشفىٰ، ثم تنقلهم حافلة فارهة إلىٰ أحد الجامعَيْن القريبَيْن من المستشفىٰ، وكانت أرضية الجامع من السيراميك ولذلك كان معظمهم يُحضرون سجاداتهم، وكانت للتايلانديين طقوس يؤدونها قبل الصلاة وبعدها؛ فعندما يحين وقت الأذان يتقدَّم المُؤذِّن أمام الناس ويبدأ بالصلاة علىٰ الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- ثم يأتي ببعض الأدعية ثم يعتلي الإمام المنبر ويضع علىٰ ظهره ومنكبيه وشاحًا أخضرَ ويحمل عصًا كبيرة كتلك التي يحملها الأساقفة، وبعد أن يُسلِّم علىٰ الناس يرفع المُؤذِّن الأذان.

بعدها، يلقي الخطيب الخطبة الأولىٰ باللغة العربية، وهي قصيرة جدًّا ثم يجلس ثم يقوم للخطبة الثانية التي تكون بالتايلاندية وتكون طويلةً قرابة نصف ساعة، وبعد أن ينتهي ويُصلِّي بالناس يتوجَّه إلىٰ المصلين فيؤدّي المُؤذِّن الأذكار بصوتٍ مسموع والناس يُردِّدون وراءه، ثم يدعو المُؤذِّن أيضًا بصوتٍ مسموع والناس يُؤمِّنون وراءه.



أحد الجوامع التي كنا نذهب لأداء صلاة الجمعة فيها

وكانـت تصطَفُّ خارج المسـجد بائعاتٌ مسـلمات يعرِضْنَ أطباقهنَّ ومأكولاتهنَّ التايلاندية اللذيذة ذات الأسعار الرخيصة علىٰ المُصلِّين، وكنتُ أحيانًا أشـتري منهنَّ بعض مشـاكيك الدجـاج والنقانق، وكان أحـد الجوامـع يبعُد عـن المستشـفىٰ كيلومـترًا واحدًا تقريبًـا، فكنتُ أحيانًا أعود ماشـيًا وفي طريقي كنتُ أشتري بعض الفواكه من المَحالِّ الموجودة في الجهة الأخرىٰ من الشارع المجاور للمستشفىٰ.



بعض الفواكه التايلاندية مع التمر والسمن العماني والقهوة العمانية

وكان يوجد خارج المستشفىٰ متجر «سَـفِن إلَفِن» الذي ينتشـر في كل مـكان في ماليزيـا وتايلاند وهو في الأصل متجـرٌ أمريكي صغير تُباع فيه معظم الحوائج الأساسية والضرورية، وكنتُ أشتري منه عصائر وخبزًا ورصيدًا إضافيًّا للهاتف.

وكان يوجـد أيضًـا بجانب المستشـفىٰ مطعـم الواحة السـوري الذي افتُتِح في السنوات الأخيرة، إذ لم يكن موجودًا عندما ذهبنا إلىٰ تايلاند في ٢٠١٠م، وفيـه يُقدِّمون العديد من الأطباق العربية الشـهية بأسـعار معقولـة، وكانت عندهم أيضًـا خدمة التوصيل إلىٰ غرف المستشـفىٰ والفنـدق، ومـن كثرة ما أطلـب من أطباقهـم الشـهية ازداد وزني عدة

كيلوجرامات؛ ما حداني لاحقًا إلىٰ أن أتوقَّفَ عن أكل اللحوم والدجاج والأرز وأقتصِرَ فقط علىٰ الفواكه والخَضراوات.

وأما داخل المستشفىٰ فتوجد العديد من المحالِّ لبيع المواد الغذائية والكعكات والدونتس والملابس وغيرها من المستلزمات، وكنتُ أحيانًا أشتري منها بعض ما أحتاج إليه، وأحيانًا كانت تأتي بعض الشركات فتُقدِّم عروضًا خاصة لبيع بعض منتجاتها لنزلاء المستشفىٰ بأسعار مُخفَّضة.



بعض المحالِّ المنتشرة داخل المستشفىٰ في الطابقين الأرضي والأول

٨ لاحظتُ في هذه الرحلة وجود الخليجيين بكثرة، ولاحظتُ عند الذهاب إلىٰ المُصلَّىٰ القريب من غرفتي في الطابق الـ١٦ أنهم لا

يريدون أحدًا منا نحن الإباضية أن يتقدَّم للصلاة ولا حتىٰ الجلوس في السترة، ولذا فما إن يحين وقت الصلاة حتىٰ يتقدَّم أحدهم وهو يجرُّ ثوبه، ولم يكن لي من بُدٍّ إلا أن أُعيد كل صلاة أُصلِّيها خلفهم لأن جميعهم مُسْبلين، وكنتُ بعد الصلاة آتي بأذكار الصلاة ثم أعود إلىٰ الغرفة وأُعيد تلك الصلاة ثم أُصلِّي السُّنة، وفي بعض الأحيان يكون هناك بعض العمانيين الإباضية الذين يُصلُّون بنا.

وذات مرة ذهبتُ لصلاة المغرب فوجدتُ في المصلَّىٰ أحد كبار السِّن، وكان يلبس ثوبًا وغترة وعقالًا وجوارب ولكنه كان مُسْبلًا وحليقًا، وبعد قليل جاء أحد الأشخاص وأظنُّه من السعودية ويبدو عليه الاستقامة ويلبس بنطلونًا قصيرًا، وفجأة لاحظنا الرجل الكبير في السِّن يتقدَّم ليؤُمَّنا وأقام الصلاة بنفسه فلم نجد بُدًّا من أن نصطفَّ وراءه، وبعد أن بدأ القراءة اتَّضح أنه لا يُتقِن العربية وكان صوتُه خافتًا، فقرأ سورة التين وأخطأ فيها ثم قرأ الشرح في الثانية، وعندما جلس للتشهُّد الأول انتظرناه ليقوم فلم يقُم بل سلَّم، فسبَّحنا لينتبه، فلم يتوقَّف بل واصل التسليم، ربما لأنه لم يسمعنا، فقُمنا وأكملنا الثالثة وعندما انتهينا التفت إلينا وقال: «**هل أخطأتُ؟!**» فأخبرناه بأنه صلَّىٰ بنا ركعتين فقط فقام وأعاد صلاته، فتعجَّبتُ من أمثال هؤلاء الذين يتقدَّمون للصلاة وهم لا يُحسِنون أداءها ولا قراءة القرآن فيها!

وما قلتُه سابقًا لا يطَّرد علىٰ كل الخليجيين؛ فمرة ذهبتُ لصلاة الفجر ولم يحضر إلا شابٌّ إماراتي فصلَّىٰ هو بنا، وبعد أن انتهينا وأراد الانصراف صافحني ثم أراد تقبيل رأسي فحاولتُ إبعاد رأسي لأني لا أُحبُّ أن يوقِّرني أحدٌ أكثر مما أستحق، ولكنه قبَّلني ثم قام وهو يقول:

«هـل تأمرني بشـيء؟» فقلتُ له: «جـزاك الله خيرًا»، فقـال: «أنا بمنزلة ولـدك وإذا احتجتَ إلىٰ شـيءٍ فأخبِرني»، والعجيـب أن هذا الأخ جاء منـذ أيام لصلاة المغرب، وتقدَّم للإمامة في الصلاة دون أن ينتظر أحدًا ليُشير إليه فوجدتُ في نفسي شيئًا من ذلك، وبعد يومين جاء وصلَّىٰ بنا مـرة أخرىٰ، ولكنه بالأمس جاء وقدَّم أخًا عمانيًّا ليُصلِّي بنا، فسـبحان مُغيِّر النفوس والأحوال!

والعجيـب في المسـلمين الذين يأتـون إلىٰ هذا المستشـفىٰ وغيره من المستشـفيات -وخاصـة العرب منهـم- أنهم لا يحرصـون علىٰ أداء الصلوات في أوقاتها وفي الجماعة، ولا يحرصون كذلك علىٰ أداء صلاة الجمعـة؛ فعلىٰ الرغم من أن في فندق هذا المستشـفىٰ أربعة طوابق بها أكثـر من ٨٠ غرفة، غالبيتها مملوءة بنزلاء المستشـفىٰ الذين معظمهم من العرب، فإن قليلًا منهم مَن يأتي لصلاة الجماعة في المُصلَّىٰ، وربما يذهبون في أوقاتٍ أخرىٰ، ولكن الظاهر أن غالبيتهم يُصلُّون في غرفهم، ولذا كنتُ أحيانًا أنتظر في المُصلَّىٰ أكثر من نصف سـاعة ولا يأتي أحدٌ فأُصلِّي منفردًا.

وترىٰ العجب العجاب فيمَن يأتي إلىٰ المُصلَّىٰ؛ فهناك مَن يأتي ويُصلِّي مباشـرة ثم ينصرف مع أنه يعلم أن وقـت صلاة الجماعة قارب ويرىٰ أناسًـا ينتظرون إقامة الصلاة، وكثيرٌ ممَّن يُصلُّـون الجماعة ينصرفون مباشـرة بعد الفريضة دون أن يُصلُّوا السُّـنة، وكذلك فغالبية مَن يأتون -كما ذكرتُ- مُسْبلون، وهناك مَن يأتي للصلاة وهو يرتدي بنطلونًا لا يكاد يُغطِّي ركبتيه، وعندما يسـجد أو يجلس للتشهُّد تنكشف فخذاه، وقد صلَّىٰ بجانبي ذات مرة شـخصٌ علىٰ مثل هذه الحال، فاضطُررتُ إلىٰ أن أُغمِض عينيَّ من أجل ألّا تقعا علىٰ عورته فتبطل صلاتي.

٩ في مدة بقائي في المستشـفىٰ زارني جارنا الأخ خليفة بن حمود الذهلي وأخـوه ناصر واثنان مـن زملائه، وكانوا قد جاؤوا للنزهة والسـياحة، وتناولوا القهوة عندي ثم انصرفوا.



أنا وعن يميني الأخ خليفة وعن يساري أخوه ناصر، ومعنا أحد زميليهما

كذلـك، جـاء والـد زميلـي في الثانوية وأمريكا الأخ سـيف بن سـالم المزاحمي من ولاية ينقل، وجاء معه ولداه عبيد وسليمان، وكانت عند والديهما مشكلة في الأعصاب والركبة، وقد أحضروا لي معهم كرتون رطـب فجزاهم الله خيرًا، وقد نسَّـق الأخ سـيف معي مـن قبل لأخبر قسـم العلاقات العربية بمَقْدمِهم ليستقبلوهم في المطار ويحجزوا لهم غرفة في فندق المستشفىٰ، ثم بعد مدة من وصولهم جاء الأخ سيف مع كامل عائلته ووالدته وأخته لغرض السياحة، وزارني أيضًا في غرفتي.

والتقيـتُ أيضًـا بأحد الإخوة مـن ولاية قريات الـذي رافق هو وأخوه والدَهمـا الذي أصيب في عمان بصداع شـديد وفقـدان للذاكرة، ولمّا أجـرَوْا له أشـعة في هذا المستشـفىٰ وجـدوه مصابًا بورم سـرطاني في الدمـاغ وأجرَوْا له عملية فبدأ حاله -بحمد الله- يتحسَّـن، ثم بعد مدة وجـدوا ورمًا آخر في الجهـة الأخرىٰ من دماغه وبعـد فحصه تبيَّن أنه أيضًـا ورمٌ خبيـث، ونصحهـم الأطبـاء بالرجـوع به إلىٰ عمـان لتلقِّي العلاج الكيماوي.

١٠ ذهبـتُ ذات مرة إلـىٰ مركز «بانتِبْ بـلازا» (Pantip Plaza) المُتخصِّص في بيـع وإصلاح أجهزة الهاتف والحواسـيب، وهـو مركز ضخم جدًّا يتكـوَّن من خمسـة طوابق، وكنتُ قـد زرتُه من قبـل في ٢٠٠٩م، وقد ذهبـتُ هذه المرة لأشـتري قرصًا خارجيًّا إضافيًّـا، ووجدتُ أنّ أعلىٰ سـعة للأقراص التـي لا تحتاج إلـىٰ كهرباء هـي ٢ تيرا بايـت، وقيمة القـرص الواحد منها في حدود ٦٠ ريالًا، مع أن أعلىٰ سـعة لمثل هذه الأقـراص في ٢٠٠٩م كانـت ٥٠٠ جيجـا بايـت فقط، وسـعر الواحد آنذاك نحو ٥٤ ريالًا، فسبحان الله؛ كيف تضاعفت سعة تلك الأقراص وانخفضت قيمتها في غضون سنوات قليلة؟!

٥ رحلة يوليو 2017م

عندمـا كنتُ لا أزال أعمل في جامعة نـزوىٰ، رأيتُ أن أغتنم فرصة الإجازة السـنوية للذهـاب إلىٰ تايلاند لنحو شـهر للعـلاج الطبيعي، وذلـك لِما كنتُ أعانيه من أوجاع في ظهري ورجليَّ، وأيضًا لأسـتثمرَ وقت الإجازة في مراجعة

بعـض كتبي، فقرَّرتُ الذهاب بعد عيد الفطر المبارك إلىٰ مستشـفىٰ ويشـتاني الذي تعوَّدتُ الذهابَ إليه.

أ الوصول إلى تايلاند

كان عرس ابنتي إشراق بابن أخي أيوب في أيام عيد الفطر، وكانوا قد رتَّبوا للذهاب لقضاء شهر العسل في ماليزيا، فشاء الله أن تكون رحلتي في اليوم الذي يغـادرون فيه إلـىٰ ماليزيا، فأخَذَنا ابني إبراهيم معًا إلىٰ مطار مسـقط بسـيارتي البريفيـا، وفي الطريـق اتَّصلتُ بالطيران العماني لأشـتري حقيبـة إضافية بقيمة ٢٦,٢٠٠ ريـالٍ، إذ كان الطيـران آنـذاك لا يسـمح إلا بحقيبـة واحدة لا يزيد وزنها علىٰ ٣٠ كيلوجرامًا، والسـبب في زيادة الوزن هو أني أخذتُ خمسـة من كتبـي التي كنتُ أراجعها، إضافة إلىٰ العديد من البحوث والمقالات المُتعلِّقة بكتاب «**أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد**».

غادرنـا البيـت في الثالثة ظهـرًا ووصلنا إلـىٰ المطار في الخامسـة والنصف عصـرًا، وانتهينا من إجراءات التذاكر وشـحن الأمتعة في السادسـة والنصف، وانتظرنـا إلىٰ أن حـان وقت أذان المغرب ثم صلَّينا المغرب والعشـاء في أحد المُصلَّيـات الموجودة داخل المطار، ولكن بسـبب كثرة المُصلِّين لم نسـتطِع دخول المُصلَّىٰ فصلَّينا في الخارج، وكان بجانبه مقهًىٰ مليءٌ بالمسافرين وأكثر النسـاء فيه شـبه عاريات، وكان صـراخ الأطفال يجعلنا لا نسـتطيع التركيز في الصلاة، فكانت صلاة لا نُحسَد عليها.

بعـد الصلاة ودَّعتُ أيوب وإشـراق، إذ كانت رحلتهما في السـاعة ٨:٤٥م ورحلتـي في ٩:١٥م، وانتظـرتُ وقتًا عند الكراسـيّ خارج البوابـة، ثم فُتِحتِ البوابة في ٨:٣٠م ووصلنا إلىٰ الطائرة في ٨:٤٥م واستغرقت الرحلة قرابة ست

ساعات ونصف ووصلنا إلىٰ مطار بانكوك في السادسة والنصف صباحًا من اليوم التالي، وبعد ساعة أنهيتُ إجراءات الجوازات وتسلُّم الأمتعة.

ب بَدْء العلاج الطبيعي

بعدَ خروجي من المطار وجدتُ أحد الإخوة المترجمين قد جاء لأخذي إلىٰ المستشفىٰ، وعندما وصلنا أخذني إلىٰ قسم العلاقات العربية للتسجيل وحصلتُ علىٰ غرفة في الطابق الـ١٤ من فندق المستشفىٰ، وعندما أخبرتهم بأني سأبقىٰ أكثر من شهر خفَّضوا إيجار الغرفة من ١٨٠٠ بات إلىٰ ١٢٦٠ بات (أي ١٤,٥ ريالًا)، ثم حدّدوا لي موعدًا مع طبيب العلاج الطبيعي في الثانية ظهرًا.

بعدَ مقابلة الطبيب وسؤاله عن حالي عيَّن لي التمارين التي أحتاج إليها، وأخبرني بأن الجلسة الواحدة ستُكلِّفني ٣٠٥٠ بات (أي نحو ٣٥ ريالًا)، فأخبرتُه بأني لا أريد التنشيط بالكهرباء ولا الكمَّادات الساخنة للظهر وأني أريد تمارين لليدين، فتغيَّر السعرُ إلىٰ ٢٤٠٠ بات (أي نحو ٢٧ ريالًا)، فأخذوني مباشرة لعمل أول جلسة علاج، صارت تُجرىٰ الآن في الطابق الـ١٢ بعد أن كانت في الطابق الأول في المكان الذي قابلتُ فيه الطبيب، وبحمد الله كانت الجلسة ساعتين متواصلتَيْن بها أكثر من ٣٠ تمرينًا، وكنتُ أقوم بمعظمها بصعوبة علىٰ الرغم من أنها كانت بحركات يسيرة وأحيانًا ببعض الأوزان الخفيفة.

بعد نحو أسبوع من وصولي إليهم بدؤوا يُدرِّبونني علىٰ جهاز التوازن الذي أقف فيه علىٰ مِنصَّة مُتحرِّكة أمام شاشة كبيرة بها ألعاب إلكترونية من ضمنها لعبة لإسقاط كرة تظهر علىٰ الشاشة في حُفَرٍ أو سِلالٍ يكون التحكُّم فيها من خلال

تغيير ميلان المِنَصَّة باستخدام القدمين فقط، ولكني بعد مدة لم أرَ فائدة كبيرة من ذلك الجهاز وأيضًا رأيتُهم يختصرون التمارين الأخرىٰ التي هي أنفع لي ليتركوا وقتًا كافيًا لذلك الجهاز، فأخبرتُهم بأني لا أريد عمل تمارين عليه.

ورأيتُهم كذلك يعاملونني وكأن كل أجزاء جسمي ضعيفة؛ فكانوا يُجرون لي تمارين قليلة وخفيفة ومن دون أوزان، فأخبرتُ طبيب العلاج الطبيعي بأني جئتُ للحصول علىٰ علاج مُكثَّفٍ وأريدهم زيادة التمارين وجعْلها أصعب ولو طالت المدة لساعة ونصف أو ساعتين، فبدؤوا -بحمد الله- برنامجًا مُكثَّفًا يستمرُّ إلىٰ نحو ساعة ونصف، ومن شدَّة الإجهاد كنتُ أشعر بحرٍّ شديد فكانوا يُحضرون مروحة للتبريد، وأحيانًا كنتُ أعود إلىٰ الغرفة ولا أكاد أستطيع المشي من الإعياء، وبالمقابل فقد زاد السعر ١٠٠٠ بات إضافية، فصارت الجلسة بنحو ٣٢ ريالًا بعد أن كانت بنحو ٢٠ ريالًا فقط.

وفي الأيام الأولىٰ لبدء العلاج المُكثَّف عانيتُ أوجاعًا شديدةً في جميع جسدي من شدَّة التمارين، خاصة أنهم أضافوا إليّ تمرين التجديف بالدراجة الهوائية لمدة ١٥-٢٠ دقيقة في اليوم.

ج العودة إلى عمان

بقيتُ في تايلاند نحو ٣٦ يومًا لم أُغادِر خلالها المستشفىٰ إلا في أيام الجُمَع للذهاب إلىٰ أحد الجوامع القريبة لأداء صلاة الجمعة، وكذلك الخروج أحيانًا لشراء الفواكه من المَحالِّ القريبة والغداء من المطعم السوري المجاور للمستشفىٰ.



أمام المعهد الإسلامي المجاور لأحد الجوامع التي نذهب لصلاة الجمعة فيها

د مُشاهدات ومواقف

نظرًا إلىٰ انهماكي خلال هذه الرحلة في العلاج المُكثَّف ومُراجَعة كتبي؛ لم تكن هناك أحداثٌ مُثيرة تُذكَر، ولكني سأذكر بعض المواقف والمشاهدات البسيطة التي وقعت لي:

١ في هذه الرِّحلة أَخَذْتُ معي العديد مِنَ الكتب التي أريد مراجعتها أو قراءتها، وبحمد الله حاولتُ تنظيم وقتي وتحاشي الانشغال بسفاسِف الأمور، وأيضًا تحاشي الارتباط بأشخاص خاصة العمانيين لكي لا أُضيِّعَ أوقاتي في الزيارات والسوالف، وكان برنامجي اليومي يبدأ بتأدية صلاة الفجر في مُصلَّىٰ الفندق وقراءة ما تيسَّر من القرآن، ثم

عمـل إفطـاري وتناوله، ثم أنهمك إلىٰ الثانية عشـرة ظهـرًا في مراجعة كتاب «**أثر الاسـتقامة في انتعـاش الاقتصاد**»، وخـلال الصباح أتوقَّف للاستحمام وتناول الفواكه، ثم بعد صلاة الظهر أذهب لجلسة العلاج الطبيعـي التي عـادة ما تكون بيـن الواحدة والنصـف والثالثة ثم أعود إلـىٰ الغرفة وأطلب غدائي، ثـم أُصلِّي العصر وأنام إلـىٰ المغرب، ثم أقضي ما بين المغرب والعشـاء في مراجعة بعض السُّوَر، ثُم بعد صلاة العشـاء أقضي نحو ساعة إلىٰ ساعتين إمَّا في التصحيح وإمَّا في القراءة، واسـتطعتُ -بحمـد الله وتوفيقه- خلال مـدة الرحلـة مراجعة كتاب «**الاستقامة والاقتصاد**»، وكتاب «**مِداد اليراع**»، وكتاب «**الدعوة إلىٰ الله بين بناء الفرد وإصلاح المجتمع**».

٢ في هذه الرحلة أودعتُ المبالغ التي اصطحبتها معي إلىٰ تايلاند في حسابي في بنك نزوىٰ الإسلامي، وكنتُ في السابق أستخدم بطاقة السحب من بنك مسقط، وقد نبَّهني بعض الإخوة إلىٰ ضرورة الاتِّصال ببنك نزوىٰ قبل مغادرة عمان لجعلهم يفتحون بطاقة السحب لتمكين استخدامها خارج السـلطنة ففعلتُ، ولكنّي عِندما حاولتُ سحب بعض النقود في آلات السـحب المنتشرة في المستشـفىٰ رُفضَتِ المعاملة، فذهبتُ إلىٰ قِسْـمِ الماليّة في الطابق السّـابع وطَلَبْتُ منهم سحب المبلغ باستخدام أجهزة الخصم الفورية عندهم، ثم طلبتُ أن يُسلِّموهُ لي فرَفضوا.

بعـد قليـلٍ جاءني اتِّصـالٌ مِن بنك نـزوىٰ وقالوا بأن هنـاك محاولاتٍ لاسـتخدام البطاقة ولذلـك أقفلوها، فأخبرتهم بأنني مَـن كان يحاول اسـتخدامها وأني قد اتَّفقـتُ معهم في عمان أن يفتحوها لي لأسـتطيع

استخدامها دون قيود وبأيِّ وسيلة كانت، وطلبتُ منهم ألّا يغلقوها مرة أخرىٰ فأكَّدوا قيامهم بذلك، فذهبتُ مرة أخرىٰ إلىٰ آلة السحب فلم أستطِع استخدامها علىٰ الرغم من أني جرَّبتُ ذلك في آلات سحب بنوك مختلفة، فأرسلتُ إلىٰ ابني عبد الله لتحويل مبلغ من حسابي في بنك نزوىٰ إلىٰ حسابه ثم يسحبه ويُودِعه في حسابي في بنك مسقط، وفعلًا فعل بذلك وكانت الأمور علىٰ ما يُرام.

٣ التقَّيتُ مرة بشابٍّ فلسطيني اسمه يوسف أبو عميرة، وهو في الثلاثينيّات من عمره ومن دون أطراف، فالحمد لله علىٰ نعمة اليدين والرجلين وغيرها من النعم التي تُعدُّ فلا تُحصىٰ، وأخبرني والده أن ابنه وُلِد هكذا وليس بسبب حادث، وأنهم من غزة وجاؤوا علىٰ نفقة دولة الإمارات لتركيب أطراف صناعية له، وعندما تجهَّزتُ للذهاب لصلاة الجمعة في أول أسبوع لي هناك وجدتُ الشاب ووالده ينتظران للذهاب لصلاة الجمعة، فسبحان الله؛ كيف يُفرِّط المُعافوْن منا في صلاة الجمعة بحُجَج وأسباب واهية، وهذا الشاب من دون أطراف ولم يتَّخذْ ذلك عذرًا لتركها؟! وقد علمتُ لاحقًا أن هذا الشاب خريج جامعيّ وبطل في الكاراتيه، فسبحان مَن لا يظلم أحدًا!



الشاب الفلسطيني يوسف أبو عميرة في مستشفىٰ ويشتاني

٤ في هـذه الرحلـة التقيتُ بعـددٍ من العمانييـن الذين جـاؤوا للعلاج في المستشـفىٰ؛ ومنهم الأخ أحمد بن حارث بن عبد الله الناعبي من بلدة ذت خيـل بولاية الحمراء، الذي جاء مع أخيه يوسـف مرافِقَيْن أمهما، وبعد أسبوعين من وصولي هناك جاء ابن أختي خالد وزوجته وأولاده وذلـك لمراجعة لابنهـم المُلْهَم في المستشـفىٰ الأمريكي، فجاء خالد مرة إلىٰ مستشفىٰ ويشتاني مع نسيبه ماجد بن خميس بن شنين الهطالي الذي أحضر والدته لعمل منظار للبطن في المستشـفىٰ الأمريكي، وقد أحضر خالد لي بعض الأغراض التي طلبتُ من أهلي إرسالها معه.

٥ كنـتُ قد تعوَّدتُ الذهابَ إلىٰ المحاسـب يوميًّا بعد فراغي من جلسـة العلاج الطبيعي لأدفع أجرتها لذلك اليوم، وذات مرة عندما كنتُ هناك جاء شخص بزِيِّهِ العماني، وما إن وصل حتىٰ رأيتُ ملامح وجهه تشبه أحد زملائنا في الثانوية وهو الشيخ صقر بن سلطان الشكيلي من بسياء بولايـة بهلا، فخمَّنـتُ أنه هو، وبعد أن سـلَّمْنا علىٰ بعض سـألني من أيـن فأخبرته أني من الحمراء، فهنَّأني علىٰ الأمطار الغزيرة التي هطلتْ عليها، فسـألته من أين هو فقال بأنه من بسـياء، فصرتُ شـبه مُتيقّن من أنه الشـيخ صقر، فقلتُ له: «**هل أنت الشـيخ صقر الشـكيلي؟**» فقال: «**نعم هو**»، ثم قال لي مباشـرة: «**وهل أنت صالح الهطالي؟**» فقلتُ له: «**نعـم**»، فتعانقنا بحرارة، والعجيب في الأمر أني لم أرَ الشـيخ صقر منذ أن تخرجنا في الثانوية في عام ١٩٨٣م، أي منذ نحو ٣٤ سنة!

٦ نظرًا إلىٰ بقائي في تايلاند لأكثر من شـهر كان عليَّ تجديد تأشـيرتي من خلال مكتـب الجوازات في المستشـفىٰ، ودفعتُ لهم نحـو ٣٠ ريالًا للتجديـد وجـاءت مُوظَّفة مـن مصلحة الهجـرة لمقابلة مَن سـتنتهي تأشيراتهم قريبًا، فجلستُ معها للإجابة عن بعض الأسئلة، وأخذتْ لي صورة بالكاميرا التي أحضَرَتْها معها، ثم في المساء تسلّمتُ من مكتب الجـوازات في المستشـفىٰ جوازي بالتأشـيرة الجديـدة، وقد لاحظتُ تطـوُّرًا كبيـرًا في الإجراءات عما كانت عليه في الرحلات السـابقة التي كان لزامًا علينا فيها الذهاب إلىٰ مصلحة الهجرة بأنفسنا وقضاء معظم اليوم هناك من شدَّة الزِّحام عندهم وفي الشوارع.

رحلاتي إلى ماليزيا

بحمـد الله وفضله وفَّقني الله لزيارة ماليزيا مرتين؛ الأولىٰ كانت في ٢٠١٣م وكانت رحلة علاج استمرَّت ثلاثة أشهر، والثانية في ٢٠١٥م للنزهة والسياحة، وكانت رحلة عائلية ضمَّتْ ثلاثة عشـر شـخصًا زرنا فيهـا العديد من الأماكن السياحية في ماليزيا، وكانت من أجمل الرحلات والأيام التي قضيناها.

١ رحلة علاج في مارس 2013م

خلال السـنوات الأخيرة، وخاصة بعد عمليـة العمود الفقري التي أجريتُها في تايلاند في ٢٠١٠م، تضاعفتْ عندي أوجاع الظهر والرجلين، وقد مارسـتُ -بناءً علىٰ نصيحة أحد الأطباء في قطر- رياضة المشي يوميًّا لمسافات طويلة، وقد تحسَّـن الحال -بحمـد الله وفضله- عمَّا كان عليه مـن قبل، ولكن بقيتْ عندي مشـكلة ارتخـاء القدم اليمنىٰ، فهـي -كما أُخبرتُ في أكثـر من مكان- مشـكلة أعصاب، ولذلك بدأتُ البحث والسـؤال عن أماكن يُمكن أن تُعينني علىٰ حلِّها، فأخبرني أحد زملائي الذين كانوا معي في جامعة السـلطان قابوس بعيـادة صينية في كوالالمبـور تُسـمَّىٰ (The Tole Neuro Acupuncture and Herbal Medicine Treatment Centre) تُجري تنشيط الأعصاب بالإبر الصينية والكهرباء، وقال بأنه تعوَّد أخذ بعض أهله إليها، فبدأتُ أُجهِّز الأمر للذهاب هناك.

أ الوصول إلى كوالالمبور

كما هو الحال في رحلات العلاج السابقة، كان الهمُّ الأول تدبيرَ المال الذي سأحتاج إليه في الرحلة، وبعد تواصلي مع العيادة تبيَّن أني سأحتاج إلىٰ البقاء هناك أشهرًا عدةً؛ ما يعني أني سأحتاج إلىٰ أكثر من خمسة آلاف ريال، فذهبتُ إلىٰ بنك نزوىٰ الإسلامي لأعرف منهم إمكان تمويل الرحلة بكاملها من خلال خدمة تمويل رحلات العلاج، ولكنهم أخبروني أن الخدمة مُتاحة داخل عمان فقط، وسألتُ في بنك ميثاق الإسلامي، فقالوا بأنه لا يوجد عندهم تمويل للعلاج.

عندها، أرسلتُ إلىٰ مجموعة من أهلي وأصدقائي أسألهم قرضًا أُعيده إليهم بعد عام، فاعتذروا لعدم توفُّر نقود لديهم، واقترح بعضهم -جزاهم الله خيرًا- بيع سيارته وإعطائي المبلغ فلم أوافق علىٰ ذلك، وبعد مدة حصلتُ -بحمد الله وتوفيقه- علىٰ قرضٍ بستة آلاف من أحد الأهل، فجزاه الله عني خير الجزاء، ثم عندما قاربتُ السفر بدأ أهلي يتبرَّعون لي بعطاياهم السَّخِيَّة حتىٰ وصلت إلىٰ ١٧٧٠ ريالًا، فجزاهم ربي خيرًا.

وقد أثبت لي هذا التعاضُد الأُسَريّ أن الإنسان -كما يُقال- ضعيفٌ بنفسه قويٌّ بإخوانه، والرسول الحبيب -صلىٰ الله عليه وسلم- بيَّن ذلك في أبهىٰ تصوير عندما قال: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»[1]، وبحمد الله وفضله لا يُعدَم الخير في أيِّ بقعة يوجد فيها مسلم يُؤمن بالله ربًّا وبمحمد

(١) مسند أحمد بن حنبل (حديث رقم: ١٨٣٨٠، ج ٣٠، ص ٣٣٠) من حديث النعمان بن بشير- رضي الله عنه-.

-صلىٰ الله عليه وسلم- نبيًّا ورسولًا، وهذا من فضله -سبحانه- علىٰ هذه الأمة المباركة وأتباعها.

في صباح اليوم التالي لحصولي علىٰ القرض ذهبتُ إلىٰ دائرة الكاتب بالعدل لتوثيق الدَّيْن، وقد ذكرتُ ذلك لصاحبه فطلب مني أن أجعله لغير مدة مُحدَّدة، وأن أُرجِعه إليه متىٰ توفَّر عندي، فجزاه الله خيرًا علىٰ مساعدته لي وثقته بي، ثم حوَّلتُ مئتي ريال إلىٰ العملة الماليزية، وأودعتُ المبالغ المُتبقِّية في حسابي لكي لا أَحمل معي نقدًا.

في يوم الرحلة -وهو ١٠/ ٣/ ٢٠١٣م- رتَّبتُ أغراضي في حقيبتين كبيرتين، وكنتُ قلقًا من زيادة وزنهما علىٰ المسموح به، فعلمتُ من أحد الإخوة أن شخصًا من البلد سيسافر إلىٰ ماليزيا في الرحلة نفسها لقضاء شهر العسل -كما يُسمُّونه- هناك، فاتَّفقتُ معه لأُرسل واحدة من حقائبي معه ولكنه تأخَّر في الوصول إلىٰ المطار، فكلَّم أحدُ معارفي مُوظَّفًا في الطيران العماني يعرفه فقبلوا الحقائب دون أي معارضة أو دفع غرامة علىٰ الوزن الزائد، وأقلعنا من مطار مسقط في الثامنة والنصف مساءً، وكانت مدة الرحلة نحو سبع ساعات، نِمتُ خلالها أكثرَ من أربع ساعات واستيقظتُ وهم يُوزِّعون الإفطار، وكان قد بقيَ علىٰ وصولنا نحوُ ساعة ونصف فقط.



في مطار مسقط في ليلة المغادرة مع ابن أخي إسحاق وابن أختي ناصر وابنه البراء

عندما نِمتُ في الطائرة كنتُ قلقًا من ألّا أستيقظ لصلاة الفجر، ولكني عندما استيقظتُ رأيتُ السماء لا تزال مظلمة، فسألتُ أحد المُضيفين فأخبرني بأن طلوع الفجر سيكون عند وصولنا إلىٰ المطار، أيْ في ٦:٤٠ صباحًا، وبعد وصولنا وجدنا قطارًا يحمل الركاب إلىٰ داخل المطار فركبناه، وبعد أن أنهينا إجراءات الجوازات سألْنا عن مُصلًّىٰ فأرشدونا إليه، فصلَّيتُ جماعة مع أحد الإخوة الذين كانوا معنا في الطائرة، ثم ذهبنا لتسلُّم الحقائب.

ب البحث عن مكان للإقامة فيه

كنـتُ قد رتَّبتُ مع العيادة الصينية التي سـأُعالَج فيها أن يأتوا ليأخذوني من المطار فأخبروني بأنهم سيرسلون إليّ سيارة أجرة، فوجدتُ الشخص ينتظرني وهو يحمل لوحة باسـمي، وعندما سألني عن بلدي تبيَّن أنه يعرف الأخ الذي دلَّني علىٰ هذه العيادة، وأنه كان يأخذه وأسرته إلىٰ أيِّ مكان يُريدون في ماليزيا.

عندنا في عمان مثلٌ شـعبيٌّ يقول: «**الغريب أعمـىٰ ولو علىٰ مجرىٰ الماء**»، ويقصـدون بذلـك أن الغريب قد لا يهتدي إلىٰ مـكان الماء علىٰ الرغم من أن مجـراه قـد يكون قريبًا منه، وهو تصويرٌ يُبيِّن أن الشـخص الذي يزور بلدًا ولا يعـرف طبائع الناس وعاداتهم قد يقع في فـخٍّ أو حِيَلٍ ينصبُها له مَن يُظهرون له طيبتهم وحُسْـن معاملتهم، ولذا عليه أن ينتبـه ولا يُطاوِعهم فيما يقترحونه له، فهـم قد يُزيِّنـون الأمور علىٰ غيـر حقيقتها، ولا يعني ذلك سـوء الظنِّ بالناس ولكن لكي يكون المرء حذِرًا ومنتبهًا، وما سأسوقه بعد قليل فيه من محاولات الخـداع التي وقعـتُ فيها وقد يقع فيها غيري لو طاوع فيمـا يُعرَض عليه دون سؤال وتمحيص.

أخذني السائق -الذي تبيَّن لي فيما بعد أنه سائق العيادة- أولًا إلىٰ الفِلَل التي يسكن فيها الدكتور صاحب العيادة وتوجد بها أيضًا العيادة نفسها، وكانت فِللًا راقية وبجانبها بحيرة كبيرة يستطيع الشخص أن يقضي أوقاته جالسًا عندها أو مُتجوِّلًا حولها، وحاول السائق والمُوظَّف الموجود في العيادة أن يُقنعاني بأخذ غرفـة في إحدىٰ تلك الفِلَل الثلاث التي يملكها صاحب العيادة فرفضتُ لغلاء إيجارهـا، إذ أخبرني المُوظَّف أن أصغر غرفة في تلك الفِلَل تُؤجَّر بنحو ٥٠٠٠ دولارٍ في الأسـبوع شـاملةً العـلاج والأكل، وأخبرني أن الأكل الـذي يُقدِّمونه

عربيٌّ يطبخه شخص باكستاني، وأنهم يخلطون مع الأكل الأعشاب الطبية التي ينتقونها لعلاج الأمراض التي يأتي الشخص للعلاج منها.

أخبرني كذلك أن الدكتور يسكن في إحدىٰ الفِلَل، وأنه سيكون علىٰ تواصل مُستمرٍّ مع المرضىٰ الذين يسكنون في تلك الفِلَل، ولكنّي أصررتُ علىٰ رفضي البقاء هناك، فلما يئسوا من إقناعي بذلك أخبروني أن العيادة موجودة أيضًا داخل كوالالمبور مع أنهم لم يذكروا ذلك من قبل، وأنه يمكنني البقاء في شقة خاصة بهم هناك وهي رخيصة جدًّا، وهنا نرىٰ محاولاتهم المُتكرِّرة للتحايل عليَّ، فطلبتُ منهم الذهاب إلىٰ هناك، فأخذني السائق إلىٰ البناية التي بها العيادة، واتَّصل بالمُوظَّفة لتُحضِر له مفتاح الشقة، وبعد قليل جاءت المُوظَّفة وذهبنا معًا لنرىٰ الشقة التي كانت في بناية أخرىٰ تبعُد نحو عشر دقائق عن البناية التي فيها العيادة.

وجدتُ أن الشقة تتكوَّن من غرفٍ عدة وكل غرفة بها تلفاز وثلاجة ومطبخ، وسعر أصغرها نحو ٦٢ رنجتًا في اليوم، أي قرابة عشرة ريالات وهو مناسب جدًّا، ولكن المشكلة أن بقية الغرف قد يأتي شخص في أيِّ وقت ويستأجرها، فرفضتُ أن أسكن مع أناسٍ لا أعرفهم وقد لا أرتاح لهم، وحاولوا أن يقنعوني بمناسبتها لي وأنها قريبة من العيادة، وطلب السائق من المُوظَّفة أن تمشي إلىٰ العيادة وأمشي أنا معها لأرىٰ مدىٰ قرب الشقة من العيادة، فمشينا واستغرقتِ الطريق نحو ربع ساعة، وأحسستُ بإعياء شديد لعدم استواء الطريق.

كان السائق قد أخبرني من قبل بوجود فندق قريب من العيادة، فلما وصلنا إليها طلبتُ منه أن يأخذني إليه، فوجدناه صغيرًا جدًّا يتكوَّن من ثلاثة طوابق مقارنة بالبنايات العملاقة المحيطة به، ولكنه في الوقت نفسه مُلاصقٌ للبناية التي بها العيادة، واقترح السائق أن يذهب أولًا إليهم بنفسه فخفتُ أن يتفاوض

معهم علىٰ سعرٍ عالٍ من أجل أن يُجبروني علىٰ السكن في تلك الشقة، فطلبتُ منه أن يبقىٰ في سيارته وأذهب بنفسي.

أعطتني مُوظَّفة الفندق أسعارًا لأربعة أنواع من الغرف عندهم، وكان أقلُّها بنحو ١٢٦ رنجتًا شاملةً الإفطار لشخصين مع قنينتي ماء يوميًّا، وبعد أن عاينتُ الغرف المختلفة رأيتُ أنه لا فارق كبيرٌ بينها إلا عدم وجود التلفاز والثلاجة فآثرتُ استئجار أرخصها، وأخبرتني المُوظَّفة بأنه إن كنتُ سأبقىٰ عندهم شهرًا فستعطيني ١٥٪ تخفيضًا، وقالت بأنه بإمكانها مخاطبة مسؤولها ليعطيني تخفيضًا أكبر، فتحدَّثتْ معه فأعطاني ٢٠٪، فصارت بـ١٠٦ رنجات، أي نحو ١٧ ريالًا، وهي مناسبة جدًّا لي نظرًا إلىٰ قربها من العيادة، وأيضًا لأن الإفطار مجانيّ، ويوفّرون الماء والشامبو والصابون والمناشف، وينظّفون الغرفة يوميًّا، ولديهم شبكة واي فاي، وكل هذا كان غير متوافر في الشقة التابعة للعيادة، فحمدتُ الله أن وفَّقني للحصول علىٰ هذه الغرفة وسلَّمني من خداع ذلك السائق وتلك المُوظَّفة.

طلبتُ من العامل البنجالي في الفندق أن ينقل حقائبي إلىٰ الغرفة إلىٰ أن أنتهي من إجراءات التسجيل، ثم أعطيتُ السائق ٣٠ رنجتًا عن أتعابه والعامل ١٠ رنجات عن توصيله الحقائب، وكانت الساعة حينها قد تجاوزت الثانية بعد الظهر وكنتُ جائعًا ومُتعبًا جدًّا، فذهبتُ إلىٰ المطعم الخاص بالفندق فتناولتُ غدائي ولكن الأكل لم يعجبني كثيرًا، ثم عُدتُ إلىٰ الغرفة وصلَّيتُ الظهر والعصر ونِمتُ ولم أستيقظ إلا في الثامنة مساءً.

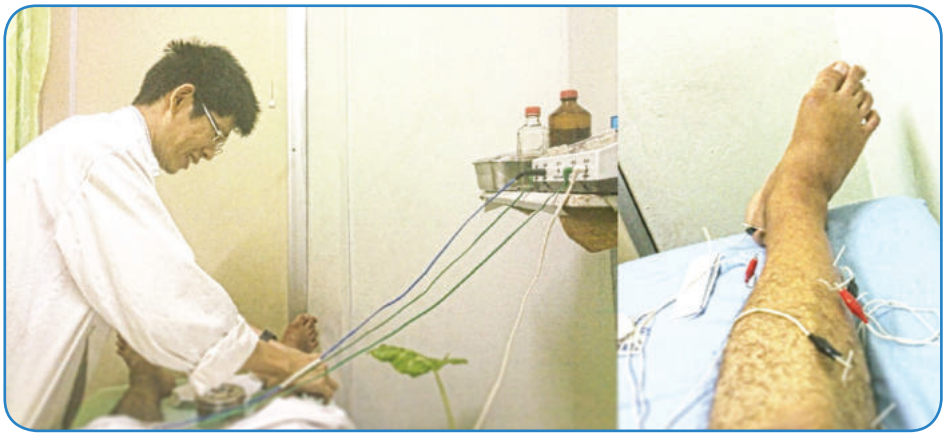
ج العلاج في العيادة الصينية

كانـوا قد أخـبروني بأن الدكتـور «ليونج» صاحـب العيادة يـأتي فقط يومَي الثلاثـاء والجمعة بين الثالثة والسـابعة، وقالوا بأن عليَّ الذهاب إلىٰ العيادة في الثالثـة ظهرًا، فبدأتُ الذهـاب إلىٰ العيادة في اليوم الثاني لوصولي، وشـرحتُ حالتي للطبيب وأعطيته التقارير والأقراص التي أحضرتها معي فسـألني بعض الأسـئلة ثم طلب مني أن أذهب إلىٰ غرفة وبدأ العلاج معي فورًا بنفسـه، وقد أخبرني أن العلاج سـيكون بالإبر الصينية مع تنشـيط بالكهرباء ثلاثَ مرات في اليوم، وطول كل مرة نصف سـاعة، وبينها وبين الأخرىٰ نصف سـاعة راحة، أي إنني سأقضي في العيادة علىٰ أقل تقدير ساعتين ونصف ساعة يوميًّا.

أخبرني كذلك أن العلاج يشـمل تناول الأعشـاب المغليـة مرتين في اليوم، وتناول مجموعة من الأعشـاب علىٰ شـكل حبات أو كبسـولات، وقال بأنهم يغْلونَ الأعشـاب في العيادة ولكنهم يأخذون ٨ رنجات عن كل غلية، فأخبرته في البداية بأني سأشتري غلاية وأغلي الأعشاب بنفسي في الغرفة، ولكني رأيتُ أن ذلك قد لا يكون مريحًا ومناسبًا، فطلبتُ منهم تجهيزها في العيادة.

بقيتُ في العيادة ذلك اليوم إلىٰ الثامنة ليلًا، وكانت تكلفة العلاج والأعشاب ٢٢٢ رنجتًـا (أي أكثر مـن ٣٠ ريالًا)، ثم عُدتُ إلـىٰ الغرفة وصلَّيتُ المغرب والعشـاء، ومن المؤسـف حقًّا أنه علىٰ الرغم من أن ماليزيا بلدٌ إسلاميٌّ شهير بتمسُّكه الدينيّ فلا توجد في العاصمة إلا مساجد قليلة ومتباعدة، وأُخبِرتُ بأنه توجـد مُصلَّيات في بعض المراكـز التجارية، ولاحظتُ أيضًـا هيمنة الصينيين علىٰ معظـم المؤسسـات والعيـادات والفنـادق والمراكز التجاريـة، وعندما تتجوَّل في الشوارع ترىٰ غالبية الناس منهم ونساؤهم شبه عاريات.

في اليـوم الرابع أخبروني أن العيادة ستُفتح في العاشـرة صباحًا وطلبوا مني الذهاب في ذلك الوقت، فبقيتُ هناك لجلسَتَيْ علاج، وكانت الأولىٰ للرِّجلين والثانيـة للظَّهْـر، وقام بهـا أحد معاوني الدكتـور «ليونج» وهو الدكتـور «بِنْ»، ثـم ذهبتُ لأتناول غدائي، ثم عـدتُ إلىٰ العيادة وأكملتُ الجلسـة الثالثة، ثم رجعـتُ إلىٰ الغرفة فصلَّيتُ الظهر ثم نِمتُ، ولكني اسـتيقظتُ علىٰ الصواعق التي كانت تهزُّ البنايات هزًّا علىٰ الرغم من أنه لم يتساقط مطرٌ كثير.



ماستر «بِن» يضع الإبر الصينية وأسلاك التنشيط بالكهرباء علىٰ رجلي اليمنىٰ

في معظم الأيام كنتُ أذهب إلىٰ العيادة في العاشـرة وأبقىٰ إلىٰ الثالثة ظهرًا، وكنـتُ بعد الجلسـتين الأُولَيَيْنِ أذهب لتنـاول الغداء ثم أعـود إليهم لإكمال الجلسـة الثالثـة، وفي اليـوم الذي يـأتي فيه الدكتـور ليونج، أو «الماسـتر» كما يُسـمُّونه، غالبًا ما أبقىٰ في العيادة إلىٰ الثامنة مسـاءً لكثـرة المرضىٰ، وفي اليوم الخامس طلب مني «الماسـتر» تحريك أصابع قدمي اليُمنىٰ إلىٰ أعلىٰ فلاحظ حركة بسيطة، فقال بالعربية وبصوتٍ رخيم: «الحمد لله»، فردَّدتُ معه: «الحمد لله رب العالمين».

وفي أيـام الأحد من كل أسـبوع (وهـي إجازة رسـمية في كوالالمبور) تُفتح العيادة في الثانية عشرة ظهرًا ثم تمتلئ بالمرضىٰ والمرافقين؛ حتىٰ إنهم يصفُّون الكراسـيَّ خارج العيادة تحسُّبًا لكثرة المراجعين الذين يأتونهم في ذلك اليوم، وقـد لاحظـتُ أن زوجة الماسـتر وابنته تعمـلان أيضًا في العيـادة، وذات مرة انتظرتُ أكثر من سـاعة ونصف إلىٰ أن نادوني للجلسـة الأولىٰ وتعلَّلوا بأنه لا توجد غرفة فارغة فأبديتُ امتعاضي لزوجة الماستر والمُمرِّضة عندما نادوني، ولما جاء الماسـتر أخبرته بما جرىٰ وأني أقضي أكثر من خمس سـاعات يوميًّا في العيادة، فسـمعته يُخبر المُمرِّضة بأن تُدخلني بسـرعة عندما آتي إلىٰ العيادة، وعندمـا انتهيتُ وأردتُ الخروج قال لي الماسـتر بصوتٍ مسـموع: «**من الغد عندما تأتي ادخل مباشرة إلىٰ الغرفة**»، فشكرتُه علىٰ تقديره إيّاي.

لاحقًـا، لاحظـتُ أن الماسـتر يُحضِـر في نهايـة الجلسـات شـيئًا مثل حبة السـجائر الكبيرة ويُشـعلها، وكانت تنبعث منها رائحة غير زكية ولكنها ليست خبيثـة، وكان يُمرِّرهـا علىٰ المواضع التي غرس فيها الإبر، فسـألته عن ذلك، فقـال بأنها لتحفيز الطاقة لتسـري إلىٰ القدمين، وقد سـألتُه مـرة عمَّا يُمكن أن يُسرِّع عملية التشافي للقدم، فطلب مني أن أشتري من عندهم تلك القطعة التي مثـل حبة السـجائر ولكنها ضخمة وطولها نحو سـت بوصـات، وأخبرني بأن أُشـعِلها ثم أضعهـا قريبًا من بعض المواضع التي أراني إياها، وكان سـعرها ٢ رنجت للواحدة.

ومرة عندما جاء الماستر طلب مني -كعادته- تحريك أصابع قدمي، فرآها تتحرَّك قليلًا فقال بالعربية: «**شْوَي شْوَي**»، فقلتُ له: «**ألا توجد طريقة لتسريع العـلاج؟**» فرأيتُه سـاكتًا فأتبعتُ: «**كأن تضعوا الإبر في الـرأس أو الظهر أو أيِّ مكان آخر**»، فقال: «**هناك**»، ثم غرز إبرتين في الرأس، وقال: «**أخبر ماستر «بِنْ»**

عندمـا يأتي غدًا بأني وضعتُ إبرتين في رأسـك»، وعندما جاء للجلسـة الثانية طلب مني تحريك أصابعي فلم يرَ تَحسُّنًا، فوضع إبرة في الرأس وأخذ يُحرِّكها وهـو يطلب منـي تحريك أصابعي، وعندما لـم يرَها تتحرَّك غـرزَ الإبرتين في المكان نفْسهِ الذي غرزهما فيه المرة السابقة.

بعد مرور نحو شـهر ونصف مـن وصولي إلىٰ ماليزيا، انتقلَـتِ العيادة إلىٰ مكانهـا الجديـد في الطابق الثاني من البناية نفسـها، وكان المـكانُ الأول ضيِّقًا جـدًّا؛ إذ كانت بـه صالة صغيرة وأربع غـرف ضيقة للعلاج، بـكل واحد منها سـرير، إضافةً إلىٰ سريرين في الممرّ، وأما المكان الجديد فهو عبارة عن جناح بأكملـه به ما يزيد علىٰ عَشـر غرف للعلاج، إضافةً إلىٰ مكاتب ومكان واسـع للصيدليـة ومـكان للاسـتقبال ومكتب الماسـتر وسـاحات واسـعة لجلوس المرضىٰ، وعلىٰ الرغم من أنهم قد جهَّزوا الجناح من السابق فقد استمرَّ العمل فيـه لإكمـال التجهيزات، وصِـرتُ -بحمـد الله- لا أتأخَّر كثيـرًا عندهم رغم زحمة المراجعين بسـببِ اتِّسـاع المكان وكثرة الغرف التي بها أَسِـرَّة للعلاج، وحضور ماستر ليونج وماستر بِنْ؛ ما يُوزِّع الجهد بينهما.

بقيـتُ أتردَّد إلىٰ العيادة يوميًّا وأُجري ثلاث جلسـات في اليوم، وفي الوقت نفسـه كنتُ أذهب في الصباح إلىٰ مستشـفىٰ برنس أو المركز الرياضي للعلاج الطبيعي، ولذا كنتُ في بعض الأيام أقضي الوقت من الثامنة صباحًا إلىٰ الثامنة مساءً وأنا أتردَّد بين العيادة والمراكز الأخرىٰ، وكان ذلك شاقًّا عليَّ من ناحية الحركة بسيارات الأجرة، وأيضًا في المبالغ الكثيرة التي أُنفقها في اليوم الواحد للعيادة والعلاج الطبيعي وسيارات الأجرة والوجبات وإيجار الغرفة، إلىٰ غير ذلك من التكاليف الكثيرة والمُتنوِّعة.

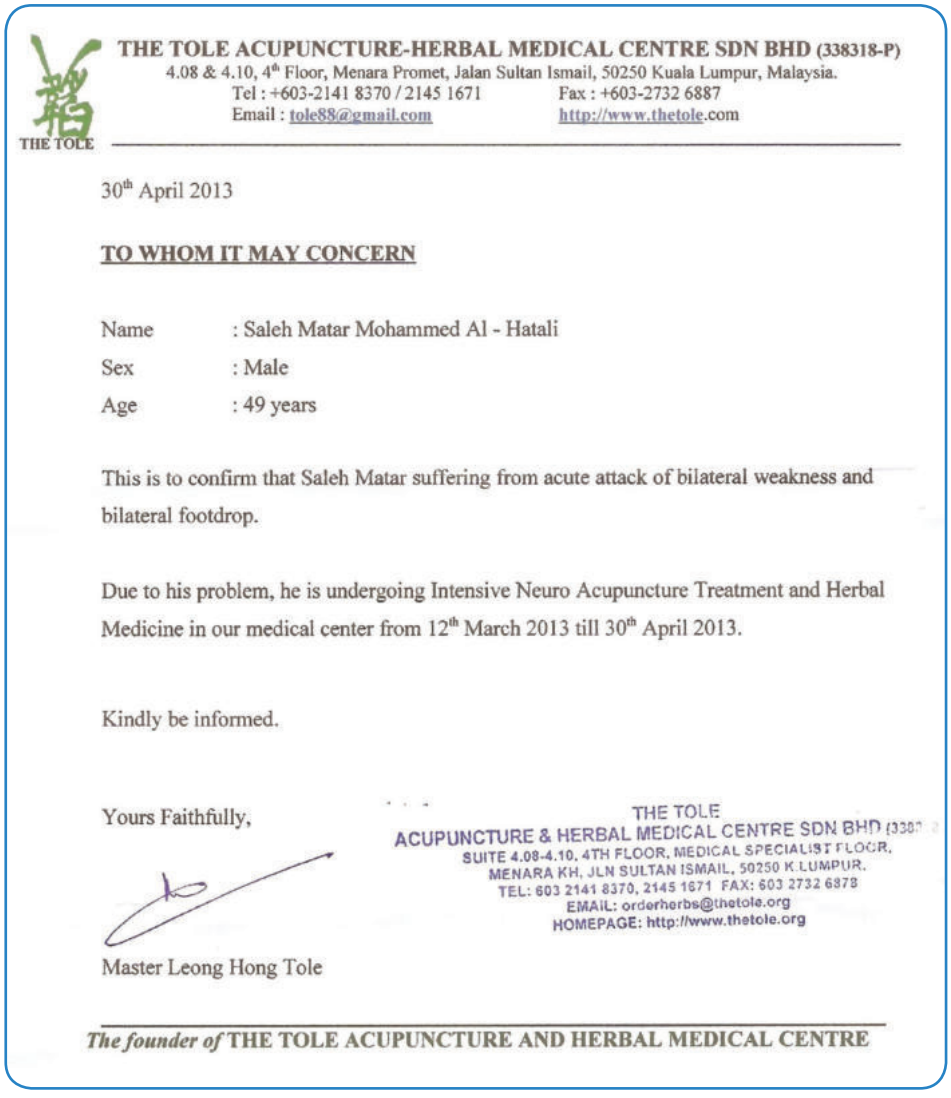
وكنتُ -أحيانًا- أقوم ببعض التمارين عندما أعود إلىٰ الغرفة وأُلاقي مشقة كبيرة في القيام بها وكانت تُسبِّب لي آلامًا مبرحة، ثم بدأتُ قراءة القرآن في غرفتي واقفًا بدلًا من تلاوته وأنا جالس علىٰ الكرسي، واستفدتُ -بحمد الله- من ذلك -رغم الأوجاع التي أحسُّ بها- في تمرين عضلات الرجلين والقدمين والظهر وأيضًا في حفظ التوازن.

في نهاية شهر أبريل بدأتُ أُلمِّح لماستر «بِنْ» أني سآتي إلىٰ العيادة ربما يومًا أو يومَيْن آخَرَيْن ثم أتوقَّف، فسألني إن كنتُ أنوي الرجوع إلىٰ عمان، فأخبرتُه بأني أحسُّ أني لم أستفد من علاجهم شيئًا يُذكَر، وأن العلاج مُكلِّفٌ جدًّا، وقلتُ له بأني سأواصل العلاج الطبيعي، فلم يقل شيئًا.

استخرتُ الله في ذلك فرأيتُ قلبي يميل إلىٰ ترك العيادة، ولمّا جاء ماستر «ليونج» أخبرتُه أن ذلك اليوم سيكون آخِر يوم لي في العيادة فحاول أن يقنعني بالمواصلة، وأمسك برجليَّ من موضع العضلة التي تُحرِّك القدم إلىٰ أعلىٰ وطلب مني تحريكها وقال: «إن العضلة (ويقصد عضلة الرجل اليمنىٰ) تتحرَّك»، ففرحتُ بذلك لأنه يدلُّ علىٰ أن الأعصاب قد بدأت فعلًا في الاستجابة ولم يبقَ إلا تقويتها بالتمارين.

أظهرتُ له عدم رغبتي في المواصلة، فقلتُ له: «إنها مُجرَّد حركة بسيطة»، فقال: «ولكنها ستزداد»، فقلتُ له: «قضيتُ عندكم أكثر من ٤٥ يومًا ولم يحدث إلا هذا التحسُّن البسيط»، فلما رأىٰ جِدِّيتي في عدم المواصلة قال: «خذ معك الأعشاب»، فقلتُ له: «لا أريد»، ولما رآني غير راغب في أيِّ شيء منهم قال يائسًا: «عليك بمواصلة التمارين».

كنتُ قد أخبرتُ المنسّـقة أن ذلك اليوم هو آخر يوم لي في العيادة وأني أريد تقريرًا مُفصَّلًا ومُعتمَدًا عن المصاريف التي صرفتُها، فأحضرته لي عندما كنتُ في الجلسـة الأولىٰ وكان تقريرًا مُرتَّبًا أُعجبتُ به، وعندما دخلتُ إلىٰ الجلسـة الثانية بقيتُ في السرير قرابة نصف ساعة دون أن يأتي الماستر، فقلتُ في نفسي بأنه قد يكون غاضبًا عندما لم أطاوعه في المواصلة ولا حتىٰ في أخذ الأعشاب وعزمـتُ علىٰ ألّا أُكمِل الجلسـة الثالثـة، ولكن بعد أن انتهتِ الجلسـة الثانية رأيتُ أن أُنْهي ذلك اليوم معهم بسلام.



THE TOLE ACUPUNCTURE-HERBAL MEDICAL CENTRE SDN BHD (338318-P)
4.08 & 4.10, 4th Floor, Menara Promet, Jalan Sultan Ismail, 50250 Kuala Lumpur, Malaysia.
Tel : +603-2141 8370 / 2145 1671 Fax : +603-2732 6887
Email : tole88@gmail.com http://www.thetole.com

THE TOLE

30th April 2013

TO WHOM IT MAY CONCERN

Name : Saleh Matar Mohammed Al - Hatali
Sex : Male
Age : 49 years

This is to confirm that Saleh Matar suffering from acute attack of bilateral weakness and bilateral footdrop.

Due to his problem, he is undergoing Intensive Neuro Acupuncture Treatment and Herbal Medicine in our medical center from 12th March 2013 till 30th April 2013.

Kindly be informed.

Yours Faithfully,

THE TOLE
ACUPUNCTURE & HERBAL MEDICAL CENTRE SDN BHD (338
SUITE 4.08-4.10, 4TH FLOOR, MEDICAL SPECIALIST FLOOR,
MENARA KH, JLN SULTAN ISMAIL, 50250 K.LUMPUR.
TEL: 603 2141 8370, 2145 1671 FAX: 603 2732 6878
EMAIL: orderherbs@thetole.org
HOMEPAGE: http://www.thetole.org

Master Leong Hong Tole

The founder of **THE TOLE ACUPUNCTURE AND HERBAL MEDICAL CENTRE**

تقرير العيادة الصينية عن مدة العلاج التي قضيتُها عندهم

د البحث عن مكان مُتخصِّص في العلاج الطبيعي

بعد مرور أيام علىٰ بدء العلاج في العيادة الصينية لاحظتُ أن العلاج بالإبر الصينية يستغرق وقتًا طويلًا، فأردتُ أن أستغلَّ المدة التي أقضيها في ماليزيا

في العلاج الطبيعي، فأخذتُ سيارة أجرة إلىٰ مستشفىٰ (**Prince Court Medical Center**) لأرىٰ ما عندهم من إمكانات تتعلَّق بالعلاج الطبيعي، وقد نصحني بهذا المستشفىٰ الطبيبُ الصيني في العيادة وقال بأنه يُعدّ من أرقىٰ المستشفيات في كوالالمبور وأكَّد صاحبُ سيارة الأجرة ذلك، وفعلًا وجدته مستشفًىٰ ضخمًا يتكـوَّن من طوابق عدَّة، وأخبروني بأنه لا بُدَّ من مقابلة طبيب عظام ليصف لي التمارين التي سـأحتاج إليها، وأنـه لا بُدَّ من موعدٍ لمقابلته وسـتُكلِّفني ٢٠٠ رنجت علىٰ الأقل (قرابة ٣٠ ريالًا)، فلم أجد بُدًّا من حجز موعد.



عندما قابلتُ الطبيب سـألني عن حالتي ثم أخبرني بأنه سـيُحوِّلني إلىٰ أحد زملائـه المُتخصِّصيـن في العمود الفقري، فقلتُ لـه: «**لا داعي لذلك، وكل ما أريده هو تحويلي إلىٰ قسـم العلاج الطبيعي**»، فأعطاني رسـالة التحويل، ولما ذهبتُ إليهم قالوا بأنه ليس لديهم فرصة في ذلك اليوم وأعطوني موعدًا للغد.

عندما ذهبتُ في الغد للجلسة الأولىٰ جاءني المعالج الذي بدا من شكله وكلامه أنه هنديّ، فأخذ يسألني عن حالتي ثم ذهب وأحضر دفترًا ليُدوِّن ما سمعه مني، وبعد قليل أحضر مُعالِجةً هندية ذات خبرة وشرح لها حالتي وخاصة عدم الحركة في القدم اليمنىٰ، فبدأتْ تسألني أسئلة وتتفحَّص قدميَّ ورجليَّ، ثم أخذَتْ تُدلِّك عضلات بطني فأحسستُ بآلام، فقالت بأن تشنُّج تلك العضلات قد يُسبِّب تزايد التنمُّل بسبب مرور الأعصاب في تلك العضلات، وطلبتْ إلىٰ المُعالِج الآخر أن يدلِّك عضلات البطن لتقلَّ الأوجاع، وأن يُجريَ أيضًا بعض التمارين لرجليَّ لتقلَّ الأوجاع التي أشعر بها عند المفاصل العليا ثم يُجري تنشيطًا كهربائيًّا للقدم اليمنىٰ، ففعل المعالج ذلك، وبعد أن انتهىٰ التنشيط الكهربائي ذهبتُ لأدفع فاتورة العلاج وكانت ١٢٠ رنجتًا، أي أكثر من ١٧ ريالًا.

عندما جاء المعالج الهندي في اليوم التالي سألني إن كانت عندي أوجاع، فأخبرته بالوجع الذي لا يكاد يفارقني وهو ألمٌ حادٌّ في الظهر عند موضع الحزام من الجهة اليمنىٰ، فطلب مني أن أنام علىٰ بطني وأخذ يُدلِّك ذلك الموضع ثم جاءني بكمَّادة ساخنة وتركها عليَّ نحو عشر دقائق، ثم أجرىٰ تنشيطًا كهربائيًّا للقدم مرتين، ولكن في المرة الأخرىٰ كان لأسفل القدم، وأراني بعض التمارين التي يمكن أن أقوم بها في الغرفة، ثم أخذني إلىٰ جهاز في صالة التمارين وقمتُ بتمرين عليه.

كان يريدني أن أقوم بتمرين آخر غير أن المُدرِّبة الهندية التي أتتني في السابق سألتني عن التنمُّل فأخبرتها بأنه لا يزال كما هو، فطلبت مني أنا أنام علىٰ بطني في سرير هناك في الصالة، وأخذتْ تُدلِّك كلتا الرجلين من أعلاها إلىٰ أسفلها ثم طلبتْ من المُدرِّب الهندي أن يفعل ذلك، فبقي يفعل ذلك مدةً قصيرة لأنه

كان لديه مريضٌ آخر، ثم وضع كمَّادة ساخنة للركبتين من الخلف عَشر دقائق، وبقيتُ عندهم ما يقارب الساعتين والنصف، ودفعتُ لهم ١٢٠ رنجتًا.

رأيتُ أن العلاج عندهم غير فعّال؛ فكل ما يفعلونه أن يُجروا في البداية تنشيطًا كهربائيًّا للقدم، ثم يطلبوا مني القيام ببعض التمارين علىٰ جهازٍ هناك، ثم المشي علىٰ أطراف أصابعي وعراقيب القدمين، ولذا كنتُ مُتردِّدًا في مواصلة العلاج معهم واستخرتُ الله في ذلك، وقد شاء الله أن يجعل الزيارة الأخيرة لهم أسوأ زيارة؛ فقد أخذني المُدرِّب الهندي ساسي إلىٰ سرير في صالة التمارين وقضىٰ قرابة ساعة وهو يُجري التنشيط الكهربائي للقدم وكنتُ في غاية الملل، ثم أَجرَىٰ لي بعض التمارين البسيطة ثم قال: «**سنذهب إلىٰ إحدىٰ الغرف**»، فظننتُ أنه سيُجري لي تمارين هناك، ولما وصلتُ طلب مني أن أنام علىٰ بطني، ثم أحضرَ كمَّادة ساخنة لرجلي ولم أكن أشكو بها شيئًا، وانتظرتُ طويلًا إلىٰ أن جاءت مُدرِّبة أخرىٰ وأزالتها من رجلي، وخرجتُ من عندهم وقد أضمرتُ عدم العودة إليهم، وشككتُ أن يكون ذلك المستشفىٰ للهنود، إذ إنَّ معظم مَن رأيتُهم فيهِ كانوا هنودًا.

هـ التدريب في المركز الرياضي

كنتُ قد وجدتُ عن طريق الإنترنت مركزًا مُتخصِّصًا في العلاج الطبيعي وإعادة التأهيل اسمه (**Kuala Lampur Sports Medical Center**)، وكان بعيدًا نسبيًّا من العيادة الصينية، فأخذنا نحو ربع ساعة بسيارة الأجرة للوصول إليه ووجدتُه ضخمًا جدًّا يتكوَّن من عشرة طوابق، وأخبروني في الاستقبال أن المُتخصِّصين في العمود الفقري في الطابق السابع، فلما ذهبتُ إليهم قالوا بأني أحتاج إلىٰ

موعـد لمقابلة الطبيب فحجـزتُ موعدًا لذلك، ثم ذهبتُ إلىٰ الطابق التاسـع الخاص بالعلاج الطبيعي وطلبتُ من إحدىٰ الفنِّيات أن تريني المكان لأعرف مـا لديهم من إمكانات وأجهزة فوجدتها فوق التصـوُّر، إذ كان عبارة عن قاعة ضخمة علىٰ شكل قوس مصفوفة بها أَسِرَّة التمارين، ويليها من الجانب الآخر صالة كبيرة مليئة بشتىٰ أنواع الأجهزة.



بعد أن قابلتُ الطبيب في الطابق الثامن سـألني عن حالتي فشـرحتُ له كل التفاصيـل، ثم طلب من أحد المُدرِّبين أن يأخذني إلىٰ الطابق التاسـع الخاص بالعمـود الفقـري، وكنتُ قد شـاهدتُ في الطابق الثامن صالـة ضخمة مماثلة لتلك التي في الطابق التاسـع وأيضًا مليئة بالأَسِـرَّة، وربما تكون أيضًا بها صالة خاصة بالأجهزة الرياضية.

في الطابـق التاسـع أخذني المُـدرِّب الماليزي «فردوس» إلـىٰ إحدىٰ غرف التدريـب، وطلب مني أن أشـرح له ما جـرىٰ لي فأخبرته بـكل التفاصيل، ثم بدأ يتعرَّف علىٰ مدىٰ حساسـية القدمين والرجلين للَّمس، وبعدها جاء بجهاز تنشـيط كهربائـي وأوصلـه برجلي اليمنىٰ وبقـي يعمل نحو نصف سـاعة، ثم طلـب مني القيام ببعـض التمارين وطلب من مُدرِّبة هندية أن تُشـرف عليَّ في حين أنه ينتقل من مريضٍ إلىٰ آخر، وفيما يبدو أنه كبير المُدرِّبين أو علىٰ الأقل من الماهرين، وكأنه ماليزي ولو أن شكله يبدو لي وكأنه هندي.

بعـد أن أكملتُ التمارين التي طلب مني القيام بها، جاء المُدرِّب «فردوس» واعتذر لعدم بقائه معي نظرًا للزحمة الموجودة في أيام عطلة الأسبوع، ووعدني بأن يضع في جدوله وقتًا خاصًّا ليُدرِّبني فيه، وكان مُجمَل ما دفعته لهم هو ٢٧٠ رنجتًـا (أي نحو ٣٢ ريالًا) فقط، شـاملةً فتح الملف ومقابلة الطبيب وجلسـة التمارين التي فيما أظن يحسـبونها بـ ١٨٠ رنجتًا، وفي مسـاء ذلك اليوم بدأتُ أشـعر بالأوجاع في جسـدي علـىٰ الرغم من أني لـم أقُم إلا ببعـض التمارين، واستيقظتُ في اليوم التالي وكل جسمي آلام.

عندما ذهبتُ للجلسـة الثانية أجرىٰ المُـدرِّب «فردوس» تمارين عدة مهمة لتقويـة الرجلين والقدمين، ولكنها كانت مُتعِبة جدًّا؛ فكان العرق يتصبَّب مني بغـزارة، وقد وجـدتُ أن الرجل اليمنىٰ صارت أقوىٰ من اليسـرىٰ، والسـبب -كمـا أخبرني المُدرِّب- هـو أني أعرج عندما أمشـي، وفي عرجتي أتكئ علىٰ اليمنـىٰ ثـم أنقل اليسـرىٰ بـدون جهد، ولـذا وجدتُ عنـاءً كبيـرًا عندما أقوم بتمارين لليسـرىٰ ويحدث تشـنُّج عضلي فيها في معظـم المواضع وأما اليمنىٰ فالتشـنُّج فيها قليل، واسـتمرَّتِ التمارين نحو سـاعة وربع، وأعطاني المُدرِّب

ورقة رسـم فيها التمارين التي قمتُ بها وطلب مني القيام بها بنفسي في الغرفة، وكانت تكلفة العلاج ٦٠ رنجتًا فقط، أي نحو ٨ ريالات.

وبعد مرور نحو أسـبوعين عندهم، لاحظ المُدرِّب «فردوس» حركة القدم اليمنىٰ إلىٰ أعلىٰ، وإن كانت ما زالت بسـيطة؛ مـا دعاه لأن ينادي زميله -وقد يكون المسـؤول هناك- وحاولوا جسَّ نبـض العضلة وأنا أُحرِّك القدم لأعلىٰ ولكنهم لم يفلحوا، ثم بعد أيام بدؤوا يُشاهدون ذلك عند تحريك القدم.

واصلتُ الذهاب إلىٰ المركز مواصلة شـبه يوميّة، وكان المُدرِّب في البداية يُركِّـز علـىٰ تمارين التوازن وتقويـة العضـلات، وكانت لديهم مـن الأجهزة والأدوات المتاحـة لذلـك ما لا يَخطُر ببـال، وكان المُـدرِّب «فردوس» علىٰ درجة عالية جدًّا من المهارة والإتقان وحُسْـن التعامل مع المرضىٰ، ومن كثرة التماريـن وشِـدَّتها كنتُ -أحيانًـا- أُحِسُّ بالإنهاك طَوالَ تلـك التمارين وأجد صعوبـة في المشـي وحفظ التوازن بعـد الانتهاء منها، لذا فـإني في بعض الأيام لا أسـتطيع القيـام بالتماريـن في غرفتي لكثرة ما أُحسُّ به مـن أوجاع في رجليَّ وظهري، وكانت تلك التمارين وحدها تستغرق مني نحو ساعة ونصف، وعلىٰ الرغم من أن كل جلسـة كانت تزيد علىٰ ساعة وأحيانًا تصل إلىٰ ساعتين، فإنّ التكاليف بقيت نحو ٦٠ رنجتًا لكل مرة.

مـن ضمـن التمارين التـي كانوا يطلبـون مني القيـام بها الضغـط علىٰ كرة كبيـرة بالرجليـن لتقوية عضلاتهما، وأيضًا تمارين حمل الكـرة باليدين لتقوية عضـلات التوازن، وأحيانًا يلفُّون ثقلًا علـىٰ كل يد ويضعون فوطة علىٰ الكرة لجعل التمرين أقوىٰ؛ ما يجعلني أشـعر بتعبٍ شـديد وصعوبة إكمال العدِّ إلىٰ عشرين.

كذلـك، هناك تمارين رفع الرجلين التي كانت لـي بمنزلة الكابوس وكأني أدخل معركة، وما إن أنتهي منها حتىٰ تنفرج أساريري لأنّ ما يتبعها من تمارين يكـون أرحم منها، ولا يزيد معاناتي من تلـك التمارين إلا الأوجاع التي تكون في فخذيَّ من جرَّاء التمارين التي أقوم بها في المركز وفي غرفتي، ولذلك أحيانًا صرتُ لا أذهب إلىٰ المركز ولا أقوم بأي تمارين في الغرفة، وكل ذلك من أجل تخفيف الأوجاع التي أُحسُّ بها في كل أجزاء جسـمي، وأيضًا -كما أخبروني- لإتاحة الفرصة للعضلات لتتمدَّد وتكبُر.

بعد مدة بدؤوا يأخذونني إلىٰ الصالة الرياضية الكبيرة، ويطلبون مني القيام بالعديـد من التمارين التي كانت مُتعِبةً جدًّا لي، ولكنها في الوقت نفسـه مفيدة جـدًّا، وقد بـدأتِ التمارين تتزايد في الصعوبة؛ فكانـوا يزيدون الأوزان وطول مدة التمرين، وبدأتُ -بحمد الله- أشـعر بتحسُّـنٍ ملحوظ؛ فصرتُ أسـتطيع الوقوف علىٰ الرجل اليسـرىٰ بسـهولة، وأما اليُمنىٰ فلا تزال ضعيفة، وفي أحد التماريـن -وهو التجديف في الهواء كما يُسـمُّونه- كان من المفترض أن أبقىٰ علىٰ الجهاز عَشر دقائق، ولكني لم أستطِع إنهاء إلا نحو ثلاث دقائق فقط.



في جهاز التجديف في الهواء

وذات مرةً سألتُ المُدرِّبة الهندية لترشدني إلىٰ تمارين تُعينني علىٰ الوقوف من الجلوس وشرحتُ لها ما أقصد؛ فجلستُ علىٰ قدميَّ ثم حاولتُ النهوض، وأثناء جلوسي سمعتْ صوت احتكاك يصدر من ركبتيَّ، فقالت: «**لا أنصحك بالقيام بمثل تلك الحركة لأنها ستُؤثِّر علىٰ ركبتيك، وعلىٰ مرور الزمن قد تحدث لك آلامًا في الركبتين من جرَّاء ذلك الاحتكاك**»، وأرشدتني إلىٰ بعض التمارين البديلة التي لا تتعرَّض فيها الساقان للثني الكامل.

كانت تأتيني -أحيانًا- مُدرِّبة هندية أخرىٰ يبدو عليها عدم الرغبة في العمل، أو علىٰ الأقل عدم رغبتها في تدريبي أنا، فكانت تتركني أقوم بالتمارين

التي علَّمني إياها «فردوس» بينما هي تشـاهد قنـاة ديزني، ثم تأتي وتطلب مني الانتقـال من تمرين لآخر قبل أنتهي من الأول، وهكـذا كانت تحاول الانتهاء من تدريبي في أسـرع ما يمكن، ورغم ذلك كنتُ لا أُطاوعها فيما تريدني القيام بـه من التمارين الخفيفة، وإنمـا أُركِّز علىٰ التمارين الجيـدة التي علَّمني إياها المُدرِّب فردوس.

و عيادة أخرى للإبر الصينية

ركبتُ ذات مرة مع سائق أجرة من جماعة التبليغ اسمه عبد الحكيم، وكان قد حضر للتَّوِّ من الخروج إلىٰ بنجلاديش لمدة ٤٠ يومًا، وبعد حديث دار بيني وبينه أخبرته بأني أذهب إلىٰ عيادة للإبر الصينية، فأخبرني بأن أحد أصحابه من جماعة التبليغ لديه عيادة للإبر الصينية، فاتَّفقنا أن يحجز لي موعدًا معه.

كانـت العيادة في منطقـة «كاتانج» التي تبُعد نحـو ٢٤ كيلومترًا عن المكان الذي أُقيم فيه في كوالالمبور، ووجدتُ العيادة صغيرة جدًّا، وصاحبها الدكتور «محمـد سـحير» مُتديِّـنٌ ومتواضـعٌ جـدًّا، وبعد أن شـخَّص حالتـي قال بأني سأحتاج إلىٰ ثلاث جلسات فقط وبين كل واحدة والأخرىٰ يومان، ثم أدخلني إلـىٰ غرفة العلاج وخلعتُ ملابسـي ولبسـتُ إزارًا كان قد أعطـاني إياه، وبعد ذلـك دخل وبدأ أولًا بقـراءة بعض الأذكار والأدعية، وطلب مني الاسـتغفار إلىٰ الله، ثم طلب مني قراءة الفاتحة، وكان خلال قراءته الأدعية يُمرِّر يده علىٰ جسدي بدءًا من الرأس ومرورًا باليد اليمنىٰ ثم الفخذ اليمنىٰ ثم الساق اليمنىٰ ثم القدم اليمنىٰ ثم القدم اليُسـرىٰ ثم الساق اليسرىٰ ثم الفخذ اليسرىٰ ثم اليد اليسرىٰ ثم عودةً إلىٰ الرأس.

بعد ذلك بدأ يغرزُ الإبر الصينية في جسمي؛ فغرز واحدة في الرأس واثنتين لكل يد ثم البقية في الفخذين والساقين وكان أكثرها في القدمين؛ إذ غرز في كل أصبع إبرة وفي أخمص كل قدم إبرة، وفي البداية كنتُ خائفًا، ولمَّحتُ له باستخدام المُخدِّر، فقال بأنه يستخدم ذلك، وكنتُ أحيانًا أُحسُّ بوجع وأحيانًا لا أحسُّ، وأخبرني بأن المَواضع التي أحسُّ فيها بوجع تعني أنها مريضة، وتلك التي لا أحسُّ فيها بوجع تعني أنها سليمة.

والعجيب أنه كان يعمل ببطء، فكان يتحدَّث معي ويُذكِّرني دائمًا بأن الشفاء لا يملكه هو، وإنما علينا التضرُّع إلىٰ الله، وكان -أحيانًا- يردُّ علىٰ المكالمات التي تصل إليه، وبعد أن أكمل غرز ٤٢ إبرة علىٰ شكل دائرة -حسب مجرىٰ الطاقة كما يعرفونه هم- تركني أكثر من نصف ساعة، وكنتُ خلالها أحسُّ وكأن شيئًا يسري في جسمي وخاصة في رجلي اليمنىٰ، وبقيتُ أدعو الله أن يكون قد أرسل الشفاء علىٰ يد هذا الطبيب.

بعدها، دخل وأزال الإبر وطلب مني تحريك أصابع قدمي اليمنىٰ، فتحرَّكتْ -بحمد الله- الأصبع الكبرىٰ والتي تليها حركة واضحة وقوية، وفرحتُ بذلك أشدَّ الفرح، وقال: «**هذا بحمد الله بعد الجلسة الأولىٰ، وسيأتي الباقي بإذن الله بعد الجلسات التالية**»، ثم دلّكَ الرجل اليمنىٰ ثم اليسرىٰ بزيت خاص يحتوي -حسب قوله- علىٰ مئة عشبة طبية، وطلب مني أن أشتري علبة من هذا الزيت وأدهن بها رجليَّ قبل النوم.

بعدها، لبستُ ملابسي وخرجتُ من الغرفة فوجدته قد وضع لي علىٰ الطاولة كوب قهوة نسكافيه قال عنها بأنها تحتوي علىٰ سبعة أعشاب طبية، وكذلك أعطاني نوعين من الحبوب المصنوعة من الأعشاب، وطلب مني

تناولهـا خمس مرات في اليوم، وكانت تكلفة الجلسـة ٧٠ رنجتًا فقط والزيت ١٥ رنجتًـا والأعشـاب ٧٥ رنجتًـا و١٥ رنجتًـا للفحص الذي قـام به في أول اللقـاء، وكان المجمـوع ١٧٥ رنجتًـا (أي نحو ٢٥ ريالًا)، وكان السـائق عبد الحكيم ينتظرني في العيادة إلىٰ أن انتهيتُ، فلما خرجنا أخذني إلىٰ مطعم عربي وتناولنـا الغداء فيـه، ثم دفعتُ له ١٥٠ رنجتًا حسـب قراءة العـدَّاد الذي كان يحسب المسافة والوقت منذ أن خرجنا من الفندق إلىٰ أن عُدنا إليه.

وفي إحـدىٰ الزيـارات أدخلني الدكتور محمد سـحير إلـىٰ غرفة الفحص، وطلـب مني أن أُمسِـك بذراع معدنيـة مثل القلم مُوصَّلة بجهـاز صغير، وذاك الجهاز مُوصَّل بجهاز حاسـوب، ثم شـغّل الدكتور البرنامج علىٰ الحاسوب، وأخبرني بأن الجهاز يفحص جميع جسـدي، ولشدة دهشتي أنه بعد أن توقَّف الجهاز بعد عدة دقائق ظهرت نتائج عن جميع أجزاء جسدي من قلب ورئتين وكليتين وكبد وبنكرياس ودماغ وأشياء كثيرة غيرها.

ومما شـدَّ انتباه الدكتور وجود علامات حمراء علىٰ نتائج السـكر في الدم، وسـألني إن كان عندي سُكَّري، فقلتُ له: «**حسب علمي لا**»، فقال: «**يجب أن تقوم بفحصٍ شـامل لهذا**»، وكذلك ظهرت علامات حمراء علىٰ نتائج فحص القلـب، وقـال بأن تلك النتائج تُشـير إلىٰ مشـكلة عندي في القلـب، وأن عليَّ أن أُبـادر بالتعرُّف عليهـا وحلِّها، ثم مرَّ علىٰ بقية الفحوصات، وسـبحان الله؛ تبيَّن لي بعد سنوات أن هاتين المشكلتين فعلًا موجودتان عندي، وقد أجريتُ قسطرة للقلب في مارس ٢٠٢٢م لوجود انسدادٍ في اثنين من الشرايين.

كان مـن المفـترض أن يغرز الإبـر الصينيـة في الظهر، ولكن لظهـور نتائج القلب أخبرني بأنه سيغرزها وأنا راقد علىٰ ظهري، ليضع إبرًا إضافية لمحاولة

علاج مشكلة القلب، وغرز إبرًا عديدة في أصابع القدم اليسرىٰ والصدر وعند المَنكِبَيْن وفي راحة اليد اليسرىٰ وخمس إبر في الرأس، وكانت كلها -حسب قوله- لتنشيط مجاري الطاقة في الجسم، وقد استخدم لعضلات الفخذ إبرًا يصل طول بعضها إلىٰ قرابة شبر، وكان يُحرِّكها بين أصبعيه، وما هي إلا لحظات حتىٰ تدخل بأكملها دون أن أشعر بألم.

أحسستُ في هذه المرة بنفس ما أحسستُ به في المرة السابقة من حركة داخلية تسري في رجلي اليسرىٰ بأكملها، وبعد أن أزال الإبر طلب مني تحريك قدمي اليمنىٰ ولكن لم يتحرَّك شيءٌ من الأصابع كما حدث في المرة السابقة، فقام بتدليكٍ مُوجِعٍ للقدمين والساقين، وبسبب ذلك زالت الأوجاع التي كنتُ أحسُّ بها بسبب التمارين الرياضية، وكانت التكلفة ٧٠ رنجتًا للإبر و٥٠ رنجتًا للتدليك.



الدكتور محمد سحير وهو يقوم بتدليك رجليَّ بعد أن نزع الإبر التي وضعها علىٰ كامل جسدي

وإذا قارنّا تكلفة العلاج في عيادة د. محمد سحير وهي ٧٠ رنجتًا للجلسة الواحدة بتكاليف العلاج في العيادة الصينية التي في كوالالمبور لرأينا فارقًا كبيرًا، ففي المرة الأولىٰ استخدم د. محمد سحير ٤٢ إبرة، ولو كانت كل إبرة تُكلِّف ٢ رنجت كما يحسبونها في العيادة الصينية لكانت تكلفة الإبر وحدها ٨٤ رنجتًا، وهذا من دون حساب قيمة الجلسة نفسها التي يأخذون عليها في العيادة الصينية ٣٥ رنجتًا.

من الأشياء التي أخبرني بها الدكتور محمد سحير أن هناك نوعًا من العَلَقات المائية (leeches) التي تشبه الفقمة ولكن طولها نحو ٣سم فقط، وهي معروفة بامتصاص الدم، وأنها إنْ وُضِعتْ علىٰ جلد الإنسان -والأفضل علىٰ لسانه- فإنها تمصُّ الدم الفاسد من الجسم وأيضًا -وهذا المهم- تضخ مادة «الهيرودين» (Hirudin) في الدم التي تساعد علىٰ تذويب الترسُّبات الموجودة في الشرايين؛ ما يفيد الذين يعانون اسنداداتٍ في القلب ولا يريدون إجراء عمليات جراحية.



العَلَقات الطبية المُستخدَمة لعلاج بعض أمراض الوجه والجلد والقلب وغيرها

وطريقة العلاج بهذه العَلَقات -كما أخبرني بها الدكتور محمد سحير- أن تُلصَق ثلاث منها بلسان الشخص وتبقىٰ مُتعلِّقة باللسان إلىٰ أن تكتفي من مصِّ الدم وتسقط بنفسها، وتستغرق العملية نحو نصف ساعة وتُكلِّف ١٠٠ رنجت فقط، وإن أعادها الشخص أكثر من مرة فإنها تُخفِّف أمراض القلب

تخفيفًا ملحوظًا، ورغم تشـجيع الدكتور سحير لي للقيام بهذا فقد تخوَّفتُ من تلك العَلَقات ولم أطاوعه فيما يُريد.

وفي إحـدىٰ الجلسـات طلبتُ من الدكتـور عمل حجامة لكامل جسـدي؛ فاسـتخدم ثمانية أكـواب: واحدًا في الـرأس واثنين عند المنكبيـن وواحدًا في أسـفل الرقبة واثنيـن في أعلىٰ الخصر واثنين في مُؤخَّرة السـاقين، وكانت تلك أول مـرة في حيـاتي أُجري فيها حجامة، ولذا كنـتُ خائفًا لأني ظننتُ أنها تؤلم، وخاصـة عندما يجرح الانتفاخ بالموسـىٰ أو المشـرط، ولكنـي -بحمد الله- لم أشـعر بألـم، إلا في موضِعَيْ السـاقين، إذ إنـه لم يخرج دم عندما اسـتخدم المشـرط، فاستخدم آلةً خاصةً تخرم بالإبر، فأحسستُ بألم بسيط، وقد كانت تكلفة الحجامة ١٠٠ رنجت فقط.



ز رحلة إلى قرية عبد الحكيم

عندما ذهبتُ إلىٰ عيادة الدكتور محمد سحير سألتُ سائق سيارة الأجرة عبد الحكيم إن كان يعرف أحدًا يمكن أن يُقدِّم لي علاجًا مختلفًا عن الإبر، وضربتُ له مثالًا بالتدليك، فأخبرني بأنه يوجد في قريتهم بولاية «باهانج» مُدلِّك صيني مسلم، وهو مشهور جدًّا، حتىٰ إنّ الناس يجتمعون أمام بيته في طوابير بعد الفجر مباشرة، واقترح عليَّ أن نذهب هناك في المساء ونبيت في بيتهم (بيت عبد الحكيم)، وبعد الفجر نذهب إلىٰ بيت ذلك الشخص، فاتَّفقنا أن نذهب هناك يوم السبت بعد صلاة المغرب ونبيتَ في قريتهم ثم نذهب إلىٰ المُدلِّك بعد فجر الأحد، وقال بأنه سيُكلِّم أخاه لأنه صديقٌ لذلك الرجل، وسيطلب منه أن يحجز لي موعدًا عنده بعد فجر الأحد.

بعد صلاة المغرب مرَّ عليَّ عبد الحكيم في الفندق الذي انتقلتُ إليه في أمبانج- كما سأروي ذلك لاحقًا-، فأخذتُ بعض ملابسي وأدواتي الخاصة، ومررنا علىٰ مطعم «ريدان» اليمنيّ القريب، وأخذنا منه سندويشَتَي شاورما وكوكتيلًا لي وشايًا لعبد الحكيم، وغادرنا أمبانج في الثامنة، وفي الطريق توقَّفنا لملء السيارة بالغاز والبنزين، ثم توقَّفنا في التاسعة لصلاة العشاء في إحدىٰ المحطات.

كان الشارع السريع غير مزدحم، وقبل ساعة من وصولنا أخذنا شارعًا فرعيًّا يمرُّ علىٰ القرىٰ ولم يكن به ازدحام أيضًا، وكانت خطة عبد الحكيم -حسب ما أخبره أخوه- أن نذهب إلىٰ بيت الرجل مباشرة ونحدّد موعدًا معه للصباح فوصلنا عنده في العاشرة والنصف، وانتظرنا رجوعه من بيت أحد الأشخاص في القرية، وبعد عودته كلَّمه عبد الحكيم فطلب منا أن ندخل إلىٰ غرفة التدليك مباشرة.



بجانب الرجل الصيني في ولاية باهانج

طلـب منـي أن أنام في مَرتبة مفروشـة علىٰ الأرض، فوجـدتُ أن الرجل لا يُدلّك، بل يضغط فقط علىٰ المفاصل لجعل الأعضاء مسـتقيمة، وقد بقي مدةً يضغط بقوة علىٰ ركبة رجلي اليمنىٰ ثم اليسرىٰ، وبعد كل مرة كان يطلب مني أن أمدَّ رجليَّ، ويقول لي: «**انظر، لقد أصبحَتِ الآن أحسن من قبل**»، وأنا لم أرَ أيَّ فارق، وكنتُ أُخبره أني جئتُ لتعديل قدمي اليمنىٰ وظهري؛ فأنا لا أستطيع النهوض باستقامة.

واصـل الضغـط علىٰ مواضـع في قدمـي وأيضًـا في ظهري ثـم يطلب مني المشـي، ويقول لي: «**انظـر، لقد أصبح الآن أفضل ولم تكن تسـتطيع هذا من قبـل، أليس كذلك؟**» وأردُّ عليه: «**ربمـا**»، إذ إني لم أرَ أيَّ تغيير، وبعد أكثر من سـاعة ونصف قضيناها عنده وهو يؤكِّد لي أن وضعي صار أحسـن، وأنا أقول في نفسي: «**هذا الرجل لا يعرف شيئًا، ولا أدري لماذا يتقاطر الناس علىٰ بابه!**».

كان عبـد الحكيم قد أخبرني أن الرجل لا يشـترط مبلغًـا لعلاجه، وإنما كلٌّ يعطيه بما تجود به يمينه، ولذلك فمن باب الاحترام له أعطيته مئة رنجت (أي نحو ١٢ ريالًا)، ثم شـربنا شـاي الحليـب الذي صبَّه لنا مـن إبريق موجود في الغرفة، ثم خرجنا من عنده في الثانية عشـرة وذهبنا إلىٰ بيت عبد الحكيم الذي وصلنا إليه بعد نحو عشرين دقيقة وكان واسعًا جدًّا وبه فناء كبير، وأخبرني عبد الحكيـم أنه بيت والده الذي كان شـيخًا للقرية، ولكن بعد وفاة والده ووالدته تفرَّق إخوته وأخواته العشـرة وصاروا لا يأتون إلىٰ القرية إلا نادرًا، ويريد هو إصلاحـه ولكن ليس لديه نقـود، وكان عبد الحكيم قد أحضـر مراتب ولُحُفًا معه في السـيارة فنِمنا مباشـرة، وفي الليل أغلق هاتفي بسـبب نفاد البطارية فلم نستيقظ إلا في السادسة والنصف، وبسرعة قُمنا وصلَّينا الفجر جماعة.

لـم ننم بعـد الصلاة وإنما تجوَّلتُ قليلًا في البيت، ثم أخذني عبد الحكيم في جولة بالسـيارة في قريته، ثم عُدنا إلىٰ العاصمة وسـلكنا الطريق الذي سـلكناه عنـد قدومنـا إلىٰ القريـة، وفي هذه المرة التقطـتُ العديد من الصـور ومقاطع الفيديو للمناظر الخلَّابة التي كنا نمرُّ عليها، وتوقَّفنا عند سوقٍ شعبيّةٍ واشترينا كثيـرًا من المأكـولات الماليزية وغالبيتهـا حلويات وموز وشـراب النارجيل وعصيـر قصـب السـكر، وكان جميعها بنحـو ١٦ رنجتًا فقط، وأكلنـا منها أنا وعبد الحكيم ثم ما تبقَّىٰ منها أكلتُه للغداء والعشاء.

كان في ماليزيا ذلك اليوم انتخابات الرئاسة والبرلمان، فرأينا على امتداد الطريق من القرية إلى أمبانج طوابير السيارات تقف عند أماكن الاقتراع التي غالبًا ما تكون مدارس، وعندما اقتربنا من أمبانج بدأ الازدحام يتزايد بسبب حركة الناس للإدلاء بأصواتهم، ووصلنا إلى الفندق الذي أُقيم فيه في أمبانج في العاشرة والنصف صباحًا، فسألتُ عبد الحكيم عن أجرته فلم يرضَ أن يُحدِّد مبلغًا، فأعطيته ٣٠٠ رنجت أرجع منها خمسين فصارت الرحلة بـ٢٥٠ رنجتًا (أي نحو ٣٣ ريالًا).

ح الانتقال إلى منطقة أمبانج

بعد أن قضيتُ قرابة الشهرين في الفندق القريب من العيادة الصينية في منطقة «بوكِتْ بنتانج»، وبسبب تردُّدي كثيرًا إلى مطعم «ناسي عرب» في منطقة أمبانج بدأتُ أتعرَّف على تلك المنطقة ويميل قلبي إلى السُّكنى فيها، خاصة لوجود الكثير من المطاعم والبقالات العربية والهندية فيها، فسألتُ ذات مرة الأخ اليمنيّ الذي يعمل في مطعم «ناسي عرب» إن كان يوجد بالمنطقة فندق رخيص فأخبرني بواحد على بعد نحو مئة متر فقط من ذلك المطعم.

طلبتُ من صاحب الأجرة أن يُوصِلني إلى ذلك الفندق، وعندما سألتهم عن الأسعار قالوا بأن أرخص الغرف بقيمة ٨٩ رنجتًا لليلة، ولو حصلتُ على عضوية للفندق صالحة مدة سنة، وهي بقيمة ٢٠ رنجتًا، فذلك سيُخوِّلني للحصول على تخفيض بـ٢٠٪ وتصير الليلة الواحدة بقيمة ٧١ رنجتًا، فسألتُ المُوظَّفة الماليزية المُتحجِّبة إن كان بالإمكان الحصول على تخفيض أكبر إن بقيتُ عندهم مدة أطول، فأخبرتني بأن لديهم نظام الإيجار الشهري، وهو

أن أستأجر الغرفة شهرًا على الأقل وتصبح قيمتها ٥٥ رنجتًا، فسررتُ بذلك السعر وطلبتُ منها مشاهدة الغرفة، فوجدتها غرفة ضيقة جدًّا ولكن بها دورة مياه وتلفاز، ولما سألتهم عن الإفطار قالوا بأنهم لا يُقدِّمون إفطارًا، ولكن يمكنهم إعارتي غلاية ماء.

بعد أن توقَّفتُ عن الذهاب إلى العيادة الصينية، لم تبقَ لي حاجة للبقاء في الفندق الباهظ الثمن الذي كنتُ أُقيم فيه، ورأيتُ أن أنتقل إلى الفندق في أمبانج على الرغم من أن الغرفة ضيقة وليس بها طاولة ولا يُقدِّمون إفطارًا، فذهبتُ إلى مُوظَّفة الاستقبال في الفندق السابق وأخبرتها برغبتي في المغادرة فلم تُعارِض، بل أرجعتْ لي الـ٩٥٤ رنجتًا المُتبقِّية لي من إيجار الشهر الثاني، وأرجعتْ لي كذلك ١٠٠ رنجت كنتُ دفعتها ضمانًا لمفتاح الغرفة، فعدتُ إلى الغرفة ورتَّبتُ أغراضي، ثم طلبتُ من المُوظَّفة أن تطلب إلى العامل البنجالي أن يُنزل حقائبي، وذهبتُ إلى الشارع المجاور وأوقفتُ سيارة أجرة وحملنا الحقائب إلى الفندق في أمبانج.

عندما وصلتُ الفندق في أمبانج سألتُ المُوظَّفة إن كان بمقدورها أن تُخفِّض السعر أكثر، واقترحتُ أن تكون الليلة بخمسين رنجتًا فوافقت ودفعتُ لها ١٥٠٠ رنجت لشهر، وبعد أن أدخلَ العامل الحقائب في الغرفة بَدَتْ ضيِّقة جدًّا مقارنة بالغرفة في الفندق السابق، حتى إنني لم أستطِع فتح الحقائب، وكانت من دون نافذة، ورائحة السجائر تفوح من أرجائها، ولكنها كانت مُؤقَّتة لليلة واحدة؛ وذلك لأن الغرفة الأخرى التي رأيتُها من قبل كانت مُؤجَّرة، وقد وعدتني المُوظَّفة بأن تَنقُلني إليها في الغد.

استرحتُ قليلًا ثم نزلتُ لأتناول غدائي من مطعم «جنة سبأ» المقابل للفندق، ثم مررتُ أستكشف المنطقة؛ فوجدتُ بقالة عربية كبيرة مجاورة

للمطعـم، بهـا معظم ما يُباع في عمـان من مواد غذائية وأسـعارهم لا بأس بها، ووجـدتُ في تلك البناية من الجانب الآخـر مَطعمينِ هنديَّيْن ومطعم «**ريدان**» اليمني.



البناية المقابلة للفندق التي تكثر بها المطاعم والبقالات العربية والهندية

واصلتُ المَسـير فوجدتُ في البناية التالية بقالة عربية أخرىٰ ومطعمًا لبيتزا هت ومغسـلة ملابـس، ولاحظتُ عن يميني جامع «**المسـتقيم**» الذي كنا قد صلَّينـا فيـه عندمـا عُدنا ذات مـرة من عيـادة الدكتور محمد سـحير، فدخلتُ وصلَّيـتُ الظهر والعصر، وفي طريق عودتي إلىٰ الغرفة مررتُ بِمَحالَّ ومطاعمَ عربيـةٍ أخرىٰ، فالحمد لله أن سـاق لي تلك المنطقة لأرتـاح فيها من الإزعاج والغلاء.

عندمـا حان وقت صـلاة المغرب ذهبتُ لأُصلِّي في جامع المسـتقيم الذي يبعُـد نحو ٢٠٠ متر عن الغرفـة، وكانت أول صلاة جماعـة أُصلِّيها في ماليزيا باسـتثناء صلوات الجمعة وصلاتَيْ المغرب والعشـاء اللَّتَيْـن صلَّيتهما عندما زرتُ الأخ محمـد بن يحيىٰ العبري في شـقته، وبقيتُ في المسـجد أقرأ القرآن إلىٰ أن أُقيمتْ صلاة العشاء، فصلَّيتُ العشاء ثم عُدتُ إلىٰ الفندق.



جامع المستقيم الذي تعوَّدتُ الصلاة فيه في أمبانج

كان يقـام في المسـجد بعـد صلاة المغـرب درسٌ يوميٌّ يحضـره عدد كبير من الرجال والنسـاء التي كانت تشـارك الرجال في الصلـوات وتبقىٰ في خلف المسـجد، ولكن من دون سـتار، وبعدَ أنْ أُذِّن لصلاة العشـاء قمتُ -كما قام غيري- لصلاة ركعتَيْ نافلة، وبعد أن فرغتُ وجدتُ الشخص الذي كان يُصلِّي

بجانبي يمدُّ يده ليُسـلِّم عليَّ، فإذا هو سائق الأجرة عبد الحكيم، فسبحان الله؛ وكأن الله ساقه ليطمئن عليَّ!

عرض عليَّ أن يُرجعني إلىٰ الفندق، فقلتُ له: «**أريد أن أمشي**»، فظنَّ أني لا أريد الذهاب معه خشـية دفع أجرة لتوصيلي، فقال لي: «**لن آخذ عليك شيئًا**»، فقلتُ له: «**ليس ذاك، وإنما أريد أن أمشي رياضةً**»، وفي طريق عودتي مررتُ علىٰ البقالة العربية القريبة من الفندق، واشتريتُ عدة الإفطار ثم عدتُ إلىٰ الغرفة.

أمضيتُ تلك الليلة في الغرفة بمشقَّة من روائح السجائر التي تُعطِّر الفراش، وكنـتُ مُتضايقًا جدًّا من ذلك الفندق لأني لم أسـتطِع حتىٰ فتح حقائبي، فلم يكن هناك مُتَّسـعٌ لذلك، ولـذا قرَّرتُ البحث عن فندق آخـر، فاتَّصلتُ بالأخ عبد الحكيم فأخذني إلىٰ منطقة لا تبعد كثيرًا عن تلك المنطقة وبها فنادق عدة؛ منها التي كانت الغرفة بمئتي رنجت وآخر بـ١٠٦ رنجات وثالث بـ٩٨ رنجتًا، وتحيَّـرتُ كثيـرًا وكنـتُ علىٰ وشـك الانتقال إلـىٰ الفندق الثـاني، لأنه نظيف وغرفته واسعة وبها طاولة، وكرسيّ، وغسيل الملابس مجاني.

طلبـتُ من عبد الحكيـم أن يُرجعني إلىٰ الفندق السـابق علىٰ أمل الانتقال إلـىٰ الفنـدق الجديد، وفي الطريق كنتُ أسـتخير الله أن يرشـدني لما يمكن أن أفعلـه، وعندمـا وصلنا إلىٰ الفندق طلبتُ من عبـد الحكيم أن ينتظرني لأُخرج حقائبي، وذهبتُ عند الاسـتقبال ووجدتُ شـابًّا إضافة إلـىٰ البنت التي كانت موجـودة هناك، وأخبرتهم بأني أريد الانتقال فقالوا: «**لماذا؟**» فقلتُ لهم: «**لأن الغرفة ضيِّقة جدًّا ولا تتَّسـع حتىٰ لفتح حقائبـي، إضافة إلىٰ أنها عاطنة بروائح السـجائر**»، فقال الشاب: «**عندي غرفة أوسـع منها وفي الجهة الأمامية للفندق وهي في الطابق نفسـه وبها نافذة، وسـعرها أعلىٰ بـ٢٠ رنجتًا عن سـعر الغرفة الأخرىٰ**».

ذهبنا لمعاينة الغرفة فوجدتُها أوسع قليلًا ولكنها لم تُعجبني، وعندها قال الشاب: «عندنا غرفة في الطابق الأرضي بها سرير كبير وآخر صغير ويمكن أن نخرج الصغير منها ويكون بها مُتَّسع، ولكنها من دون نافذة»، فقلتُ له: «**لا بأس، ولكن أريد أن أراها**»، فوجدتُ الغرفة مناسبة بعد أن يُخرجوا منها السرير الصغير، فقال بأنه سيعطيني كُرسيًّا، فقلتُ له: «**وطاولة**»، فقال: «لا توجد عندنا، ولكن يمكننا أن ننزل التلفاز وتستخدم طاولته»، فقلتُ له: «**مناسب، ولا أريد التلفاز**».

أخرجوا السرير الصغير والتلفاز، وعدَّلوا وضعية السرير الكبير، فصار بالغرفة مُتَّسعٌ كبير وأصبح بإمكاني أن أستخدم طاولة التلفاز للحاسوب، ووجدتُ دورة المياه أوسع من السابق، وشبكة الواي فاي أقوىٰ، وتَرتَّبتِ الأمور بحمد الله وفضله، فخرجتُ وأخبرتُ عبد الحكيم بما جرىٰ وأعطيتُه أُجرته، وكان الشابُّ قد أخبرني بأنهم سيحسبون تلك الغرفة بالسعر الذي أعطوني إياه، وقال بأنهم فعلوا كل ذلك لأني دفعتُ إيجار الشهر ببطاقة الفيزا، وسيكون من الصعب عليهم إرجاع المبلغ، خاصة أن البطاقة صادرة في دولة أخرىٰ، ورُبَّ ضارة نافعة.

كان يوجد في الجهة الأخرىٰ من جامع المستقيم مَحالُّ لا تحصىٰ وأغلبها مطاعم، فمشيتُ مرة بعد صلاة العشاء علىٰ امتداد الشارع القريب من المسجد إلىٰ أن انقطعت تلك المحالُّ والمطاعم، وأحسستُ أن عضلات جسمي تحرَّكتْ بسبب المسافة الطويلة التي قطعتها، فجعلتُ ذلك المشي برنامجًا يوميًّا لي بعد صلاة العشاء.

ط العمانيون الذين التقيتُ بهم

ذهبـتُ في الجمعـة الأولىٰ لوصولي إلىٰ ماليزيا إلـىٰ جامع الإمام البخاري القريـب من المكان الذي كنتُ أقيم فيه «**بوكِـتْ بِنْتانْج**»، وعندما دخلتُ كان في الجامـع عـدد قليل من المُصلِّيـن، وبينما أنا أُصلِّي تحية المسـجد إذ دخل شخصٌ وصفَّ بجانبي ثم انتقل إلىٰ الصف الذي أمامي وبدأ يُصلِّي.

عندمـا فرغـتُ من الصلاة تمعَّنتُ فيـه فرأيتُه ذا لحية كثَّة ودشداشـة بيضاء قصيـرة وطاقية حج وجوارب، ورأيته لا يرفـع ولا يضمُّ يديه في الصلاة فقلتُ في نفسـي: «**لا بُدَّ أنه أحد إخواننا الليبيين أو الجزائريين، وقد عرفني أني عماني بدشداشـتي وطاقيتي العمانية**»، وضمرتُ في نفسـي أن أذهب إليه بعد الصلاة لأتعـرَّف إليـه، فأخذتُ مصحفًا واتَّكأتُ علىٰ سـارية، ورأيتُـه بعد أن فرغ من صلاته ينظر إليَّ، ثم مشىٰ نحوي.

قمتُ لأُسلِّم عليه، وسألته «**من أين أنت؟**»، فأخبرني بأنه من عمان، ثم عرَّفني باسمه أنه سعيد بن أحمد الهطالي، فقلتُ له مبتسِمًا: «**ما شاء الله، وأنا صالح بن مطـر الهطالي**»، ثم جلسـنا نتحدَّث، فأخـبرني بأنه يسـكن في الموالح، وعندما أخبرته بأني من الحمراء قال: «**كان هناك شخص من الحمراء في جامعة السلطان قابوس اسـمه صالح الهطالي**»، فقلـتُ له: «**أنا هو**»، فقال: «**كنتُ أسـمع عنك كثيـرًا**»، وأخبرني بأن بينه وبين الدكتور أحمد بن مسـعود الكنـدي -الذي كان مديرنـا في مركز الكمبيوتر في الجامعة- مصاهرةً، وأنه يعرف العديد من الإخوة في الجامعة سمَّاهم لي، وأخبرني بأنه جاء هو وزوجته إلىٰ ماليزيا للنزهة.

وبينما نحن كذلك إذ جاء شخص من المنطقة الصينية التي يقطنها مسلمون وتضطهدهـم الحكومة الصينية، وأخبرنا أنه جاء مهاجـرًا ولكنه لا يريد البقاء

في ماليزيا وإنما الذهاب إلىٰ تركيا أو اليمن، وقال بأنه لا يستطيع الذهاب إلىٰ تركيا مباشرة وإلا فستعتقله الحكومة الصينية، وأما لو ذهب إلىٰ السعودية وعرفت الحكومة بذلك فإنها ستقتله.

بقينا نتحدَّث طويلًا حتىٰ صار الجامع يغصُّ بالمُصلِّين، وقبل الأذان بقليل لاحظتُ دخول شابَّين بزيِّهما العماني وجلسا أمامنا بصفَّيْن، وبدأت الخطبة الأولىٰ في ١:٤٠م، وبدأ الخطيب خطبته باللغة العربية نحو دقيقتين ثم تحوَّل إلىٰ لغة الملايو، ولم تدُم الخطبة الأولىٰ إلا نحو عشر دقائق، وعندما قام للخطبة الثانية بدأ مباشرة بالصلاة علىٰ النبي محمد -صلىٰ الله عليه وسلم- ثم الدعاء ثم قُمنا للصلاة، وبعد فراغه من الصلاة بدأ يدعو دعاءً طويلًا، وكان الأخ الصيني الذي كنتُ أتكلَّم معه قبل الصلاة يُؤمِّن ثم بدأ صوته يعلو بالنحيب، فتأثَّرتُ كثيرًا بحاله.

وبعد أن فرغ الإمام من الصلاة قُمتُ أنا والأخ سعيد الهطالي فصلَّينا العصر جماعة، وأما الشابَّان فبقيا في مكانهما، وبعد أن انتهينا وبدأ الناس في الانصراف نهض أحدهما وجاء نحونا فقُمنا وسلَّمنا عليه، ثم جلس الشابُّ بجانبي وقال: «**ألا تعرفني؟**»، فقلتُ: «**لا**»، فقال: «**أنا محمد بن يحيىٰ، أخو إبراهيم بن يحيىٰ**»، ويقصد به الدكتور إبراهيم بن يحيىٰ بن حمدان العبري من الحمراء، فسررتُ كثيرًا للقياه، وأخبرني بأنه بدأ يدرس الماجستير في ماليزيا منذ أشهر، وأنه قد زارني مع إخوته في البيت عندما وقعتْ لي مشكلة الظهر منذ سنوات.

بعد قليل جاء الشاب الآخر فسلَّمنا عليه، وعرَّفنا بنفسه علىٰ أنه صالح بن حمود السناوي من ولاية إبراء ويدرس الدكتوراة في ماليزيا، وأخبرنا محمد وصالح أنهما يسكنان قريبًا من الجامع، وكذلك الأخ سعيد يسكن في تلك

المنطقة، والمنطقة التي أسكن أنا فيها لا تبعُد إلا قليلًا، وبعد أن التقطنا صورة جماعية لنا في الجامع خرجنا وركبنا القطار، ونزل الثلاثة في المحطة التالية، في حين واصلتُ أنا إلىٰ المحطة التي بعدها.



أنا علىٰ اليسار، وعن يساري الأخ سعيد بن أحمد الهطالي، ثم الأخ محمد بن يحيىٰ العبري، ثم الأخ صالح بن حمود السناوي

بعد أيام اتَّصل بي الأخ محمد وطلب مني زيارته، فأخذتُ القطار وهبطتُ في أول محطـة وكان بجانبها مطعم «**القلعة**»، ووجدتُ عنده زميله الأخ صالح السناوي والأخ السوداني الذي يستأجران منه الشقة، وكانت البناية بها إجراءات أمنية مُشدَّدة؛ فعند المصعد كان يوجد شخص من الأمن، ولا يتحرَّك المصعد إلا عندما يفتحه ذلك الشخص، وأخبرني محمد أن المصعد لا ينزل من الطابق

الذي يسكن فيه الشخص إلىٰ طابق آخر، بل يُنزله مباشرة إلىٰ الطابق الأرضي، وكان يوجد سياجٌ حديديٌّ خارج كل باب شقة وبه قُفل كبير، ولا يستطيع أحد أن يصل إلىٰ باب الشقة إلا بفتح الباب الحديديِّ أولًا.

تناولتُ عندهم الفواكه والتمر، وبقينا وقتًا نتحدَّث إلىٰ أن سمعنا أذان المغرب فصلَّينا في الشقة جماعة، وبعد الصلاة بقيتُ هناك هنيهةً ثم ودَّعتُهم وعدتُ إلىٰ الفندق باستخدام القطار أيضًا، وزرتُهم مرة أخرىٰ قبل مغادرتي ماليزيا بأيام، والتقيتُ في تلك المرة بالمُقدّم عبد الله الدغيشي الذي جاء لدراسة الماجستير في أتمتة نظام التموين في الخدمات العسكرية، فتناولنا القهوة معًا.

وذات مرة ذهبتُ لصلاة الجمعة في مسجد نيجارا، فرأيتُ شابَّيْن مُلتَحِيَيْن، فخمَّنْتُ من شكلهما أنهما عمانيَّان، وكان أحدهما يرتدي دشداشة ومَصَرًّا أبيضَ، فسلَّمتُ عليهما وسألتهما عن اسمهما، فأخبراني بأنهما طالبَان من ولاية لِوا ويدرسان في جامعة ماليزيا وأنه مضىٰ عليهما فيها نحو شهر فقط.

وذات مرة جاء إلىٰ ماليزيا الأخ بدر بن أحمد بن سليمان اليحيائي من القلعة، وكان قد تواصل معي قبل مغادرته عمان فطلبتُ من أهلي أن يُرسلوا إليّ معه بعض الأغراض، فجاءني عندما كنتُ في العيادة الصينية وترك لي الأغراض في الاستقبال في الفندق الذي أسكُن فيه، وعندما عُدتُ وجدتُها قد أُوصِلَت إلىٰ غرفتي، ثم بعد أيام زارني -جزاه الله خيرًا- مع صديق له يعمل في مركز تقنيات التعليم في جامعة السلطان قابوس.

وجاء جارُنا الأخ خليفة بن حمود الذهلي في دورة مدة أسبوع، فزارني في السادسة والنصف مساءً في الفندق الذي أُقيم فيه في «أمبانج»، وبقينا في

الغرفة مدة ثم ذهبنا إلىٰ جامع المستقيم وصلَّينا المغرب والعِشاء جماعةً، ثم توجَّهنا إلىٰ مطعم «جنة سبأ» اليمنيّ القريب من الفندق، وطلبنا صحنَيْ مشاوٍ وعصير ليمون بالنعناع، وبعد العَشاء غادر خليفة مباشرة لرغبته في شراء بعض الأغراض للبلدِ.



أنا والأخ خليفة في مطعم «جنة سبأ»

ي رحلة إلى جبال الكاميرون

رأيتُ أن أستفيد من المدة الطويلة التي قضيتُها في ماليزيا بقضاء بعض الأيام في الاستجمام، فذهبتُ ذات مرة إلىٰ الكاميرون هايلاند مع اثنين من الإخوة العمانيين الذين التقيتُ بهم من قبل؛ وهما محمد بن يحيىٰ العبري وصالح بن حمود السناوي، وجاء معهما طالب آخر من بسياء اسمه عبد الرحمن العوفي

الذي يدرس في ولاية أخرىٰ، واشترىٰ الإخوة تذاكر الحافلة التي ستُقِلُّنا إلىٰ هناك، وكانت قيمة التذكرة ٣٥ رنجتًا.

وصلنا إلىٰ محطة الحافلات قبيل موعد الإقلاع الذي كان في العاشرة والنصف صباحًا، ووجدناها أضخم من مطار مسقط بمرات، وأخبرني الإخوة أنها ليست المحطة الرئيسة، ومع ذلك مشينا في ممرات فخمة تُحيط بها المَحالُّ التِّجارية والمكاتب من كل مكان، ثم توجَّهنا إلىٰ بوابة المغادرة ووجدنا هناك ما لا يُحصَىٰ من الممرات المتقاربة التي تقف حافلتان في كل ممرٍّ منها.



الإخوة العمانيون الذين صحبتهم في رحلة الكاميرون وهم في أحد ممرات المحطة للوصول إلىٰ بوابة المغادرة

عندما أردنا الركوب طلب سائق الحافلة ورقة التصريح بالركوب ولم يكن الإخوة قد حصلوا عليها، لأنهم اشترَوْا التذاكر من سمسار لإحدىٰ الشركات

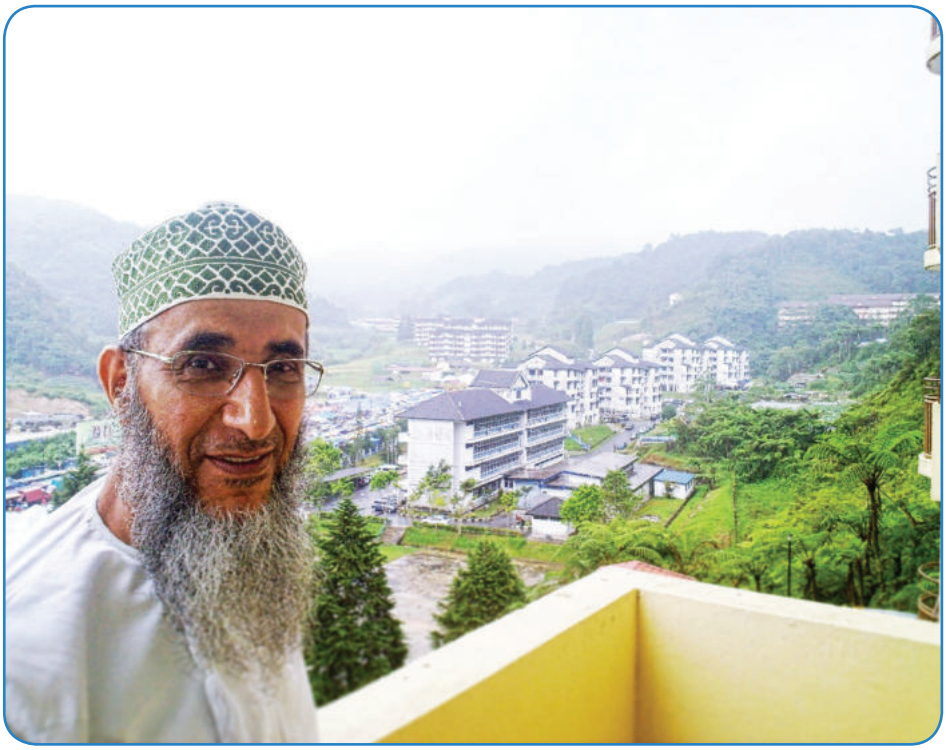
ولـم يُكلِّـف نفسـه اسـتخراج التصريح لهـم، فذهـب محمد وعبـد الرحمن للحصول علىٰ التصريح وانتظرتُ أنا وصالح طويلًا، ولما حان موعد الإقلاع غـادرَتِ الحافلة عنـا ولم يكن من بُدٍّ إلا الانتظار إلىٰ الرحلة التالية التي كانت بعد ساعتين.

غادرنـا المحطـة في ١٢:٤٥ ظهـرًا وقضيـتُ الوقت في قـراءة رواية «**عودة الفرسـان**» لفريـد الأنصـاري، ثم توقَّفنا بعد نحو سـاعتين لمـن يريد الذهاب إلىٰ دوْرات المياه، ثم تركنا الشـارع السـريع وسـلكَتِ الحافلة شـارعًا فرعيًّا ثم بعد نحو سـاعة ونصف توقفتْ للتزوُّد بالوقود ثـم بدأنا الصعود إلىٰ جبال الكاميرون، وكان الشـارع كثير الالتواء وكنا نمرُّ علـىٰ بعض البيوت المتناثرة علىٰ سـفحه وأحيانًا نجد باعة العسـل والفواكه علىٰ جوانب الشارع، وكانت فرصـة عظيمة لي لمشـاهدة بديع صنـع الله في تلك المناظـر الخلَّابة والتقاط الصور ومقاطع الفيديو لها.



وصلنـا إلىٰ محطة الحافـلات في المدينة في الرابعـة والنصف عصرًا، ومن هناك ركبنا سيارة أجرة إلىٰ الفندق الذي كان قد حجزه لنا الأخ محمد، ولكن صاحـب الأجرة الهنـدي أخبرنا أن الفندق يقع في منطقة بعيدة عن المدينة ولا توجد هناك مطاعم، ولذلك اقترح علينا أن نستأجر شقة في بناية راقية ورخيصة -حسـب قوله- تقع في وسـط المدينة؛ وإذ إننا لم نكن قد دفعنا أيَّ مبالغ عند الحجز طاوعنا السائق فأخذ يُجري اتِّصالاته لحجز الشقة لنا، وأَخَذَنا إلىٰ بناية شاهقة تقع في تلَّة وتُطِلُّ علىٰ المدينة بأكملها.

وصلنا إلىٰ الشقة في الخامسة والنصف وكانت لامرأة صينية، إذ إن الشقق في تلك البناية ملك لأشـخاص، وجاءت المرأة ودفعنا لها أجرة ليلة واحدة وهي ٣٥٠ رنجتًا (أي نحو ٤٦ ريالًا)، وكانت بها ثلاث غرف ووجدناها نظيفة جدًّا وجميلـة، خاصة أنها تُطلُّ علىٰ المدينة والمرتفعات التي حولها، وكان المنظر الخارجي جميلًا جدًّا بسـبب تلبُّد السـماء بالغيوم وجمال المطر وهو يتساقط برِفق، واتَّفقنا مع السائق أن يأتينا في الغد لنذهب في جولة في المزارع المختلفة.



من شرفة الشقة التي استأجرناها

كانـت العادة عندهم في كل سـبت أن يُقام ما يعرف بالسـوق الليلية (Night Market)، وفيها يصطفُّ الباعة علىٰ جانبَي الشارع إلىٰ أكثر من كيلومتر، وكانوا يبيعـون كل ما يخطر بالبال مـن أطعمة وعصائر وعسـل وفواكه وخَضراوات وملابس وألعاب وغير ذلك، فذهبنا هناك وتجوَّلنا في السـوق واشـترينا بعض الأشياء الخفيفة، وفي الختام اشـترينا العشاء والذُّرة المشوية وبعض القطائف ثم عُدنا إلىٰ الشقة في التاسعة والنصف، وكان البرد شديدًا في الليل.



في السوق الليلية

في صباح اليوم التالي اتَّصلْنا بصاحبة الشقة لنُسلِّمها لها وخرجنا منها في التاسعة والنصف، ووجدنا صاحب الأجرة ينتظرنا في أسفل البناية فأخَذَنا إلىٰ مطعم هندي لنفطر فيه، وبعد الإفطار أخبرنا أنه لشدة ازدحام الشوارع سيأخذنا إلىٰ مزرعة للفراولة قريبة من المكان الذي كنا فيه، وفي الطريق مررنا علىٰ مكتب لإحدىٰ شركات الحافلات واشترينا تذاكر العودة إلىٰ كوالالمبور، ثم تجوَّلنا في مزرعة الفراولة التي كانت عبارة عن مساحات شاسعة مُغطَّاة بالبيوت الزجاجية المفتوحة الجوانب، وكانت هناك بيوت للفراولة والخس والقرنبيط والطماطم والتين الشوكي والزهور، ولكن غالبيتها كانت للفراولة.

كان في المزرعـة مطعم يُقدِّم وجبات وعصائـر ومُثلَّجات وجميعها تدخل فيها الفراولة، وأيضًا بإمكان الزائر أن يأخذ سلَّة بلاستيكية بها مِقَصَّان ويذهب بنفسـه لقطف الفراولة، وسعر السلَّة المليئة ٥٠ رنجتًا وسعر التي إلىٰ النصف ٢٥ رنجتًا، وكانوا يسمحون بشـخصين فقط لكل سلَّة فأخذنا سلَّتين، وكانت البيـوت الزجاجية التي بها فراولـة مُثمِرة موجودة علىٰ منحـدر جبلي ولذلك كان علينا تسـلُّق ما يزيد علىٰ ٢٠ سُـلَّمًا ترابيًّا بها دعائم خشـبية، فوجدتُ من ذلـك مشـقة كبيـرة، وكان الإخوة وسـائق الأجـرة الهندي يسـاعدونني علىٰ الصعود والهبوط، وبعد أن قطفنا الفراولة إلىٰ نصف السِّـلال والتقطنا الصور نزلنا، وأحسسـتُ عند النزول أن رجليَّ لا تحملاني من شدة الإعياء، ثم أخذنا من المطعم فراولة شـيك وكان لذيذًا جدًّا، ثم تجوَّلنا في بقية المزرعة التي بها بيوت للملفوف والكرنب والطماطم والزهور والتين الشوكي.



داخل أحد البيوت الزجاجية الخاصة بالفراولة

بعـد أن خرجنا مـن مزرعة الفراولة اتَّجهنـا إلىٰ مزرعة العسـل التي يُربُّون فيها الكثير من خلايا العسـل علىٰ سـفح جبل، وبها أيضًا مصنع لاسـتخلاص العسـل، فدخلنا متجرًا يبيع العسـل واشـتريتُ قنينتين كبيرتين تزن كل واحدة كيلوجرامًا وسـعرها ٤٥ رنجتًا، واشـتريتُ أيضًا عسـلًا بـ«التونكا علي»، وهو عسـل مُقَوٍّ وسـعره ٣٨ رنجتًا، وأخذتُ أيضًا عبوة صغيرة من غذاء الملكات بقيمة ١٠٥ رنجات.

بعـد ذلـك توجَّهنا إلىٰ مزارع الشـاي، وكانت عبارة عـن حقول ممتدة عبر منحـدرات الجبـال، وكان هنـاك طريق مرصوف بالإسـمنت يمتـد من أعلىٰ

الجبـل إلىٰ نهـر صغير يجري بيـن الحقول، فمشـيتُ أنا والأخ عبـد الرحمن العوفي إلىٰ أن وصلنا إلىٰ النهر ولم أشعر بمشقة كبيرة في ذلك.



التلال المغطاة بالشاي

عندمـا رجعنا إلىٰ الأعلىٰ جلسـنا لتذوُّق الشـاي، فأخذنا شـايًا بالزنجبيل والعسـل مع كرواسـان، ثم دخلنا محلَّ بيع الشاي وكانت فيه أنواعٌ عديدة من الشاي الطبيعي وشاي النكهات، إضافةً إلىٰ أدوات الشاي من أباريق وأكواب وغيرها، فاشترىٰ بعض الإخوة نماذج منها، ولم أشترِ شيئًا مخافة أن يزيد وزن حقائبي أكثر مما هو عليه الآن.

كان موعـد مغادرتنا إلـىٰ كوالالمبور في الثانية والنصف ظهـرًا، ولذا بقيتْ لدينا فقط نحو نصف ساعة للرجوع إلىٰ المدينة والمغادرة، وكان المطر ينهمر بغـزارة، وعندمـا وصلنا إلىٰ مكتب شـركة الحافلات دفعنـا لصاحب الأجرة ١٥٠ رنجتًا بواقع ٣٠ رنجتًا للسـاعة، وفي الطريـق توقَّفَتِ الحافلة عند بعض المطاعم فنزلنا لنُصلِّي الظهر والعصر، ووصلنا إلىٰ محطة القطارات الرئيسـة في كوالالمبور في السادسـة والنصف فقرَّرنا الهبوط فيها، وركبتُ سـيارة أجرة لتُوصِلني إلىٰ غرفتي في أمبانج التي وصلتُ إليها في السابعة، وركب بقية الإخوة قطارًا يُنزِلهم قرب مكان سُكناهم، وكانت التكلفة الإجمالية للرحلة للشخص الواحد ٢٩١ رنجتًا (أقل من ٤٠ ريالًا)، شاملة أجرة السيارة والحافلة والشقة وما أكلناه في الطريق أو في المدينة، وبقيتُ أيامًا أعاني آلامًا شديدة في رجليَّ من جَرَّاء هبوط المُنحَدَر وصعوده في مزارع الفراولة والشاي.

ك زيارة أماكن سياحية أخرى

قبـل مغـادرتي ماليزيـا بأيام قـرَّرتُ عـدم الذهاب إلـىٰ المركـز الرياضي، والاكتفـاء بالتجوُّل وزيارة بعض الأماكن الشـهيرة والقريبة، فسـألتُ الإخوة العمانيين إن كانوا سـيُرافقونني فأخبروني بأنهم في تلك المدة لديهم ارتباطات بمُشـرفيهم في الجامعـة، فسـألتُ صديقي سـائق الأجرة عبـد الحكيم إن كان بالإمكان أن يأخذني إلىٰ تلك الأماكن فرحَّب بذلك.

توجَّهنـا أولًا إلـىٰ حديقـة الحيوانـات التـي لا تبعُـد إلا نحـو ربع سـاعة، ولـم يكن هنـاك ازدحام في الشـوارع علىٰ الرغم مـن أنه كان يـوم جمعة لأنه -حسـبما أخـبرني عبد الحكيـم- كان إجازة لأحـد أعياد البوذييـن، وهذا من

الأمور المؤسفة في ذلك البلد المسلم، إذ صارت الديانات الأخرىٰ كالبوذية والهندوسية رسميةً ولها دور عبادة مُعترَف بها وإجازات رسمية، وهذا شيءٌ متوقَّع عندما تتخلخل التركيبة السكانية، وهو ما يُحاول الاستعمار تحقيقه في كل بلد؛ فلكثرة الصينيين والهنود في ماليزيا صارت لهم أحزاب سياسية قوية كادت تصل إلىٰ سُدَّة الحكم، والله المستعان.

وصلنا إلىٰ حديقة الحيوانات في الثالثة ودفعتُ لعبد الحكيم أجرته لكي أستطيع الرجوع في سيارة أخرىٰ إن وجدتُه غير قادر علىٰ أن يأتيني، ثم اشتريتُ تذكرة الدخول وكانت بخمسين رنجتًا للوافدين وثلاثين للماليزيين، واشتريتُ خريطة الحديقة برنجت واحدة، فبدأتُ أتجوَّل فيها وكانت كبيرة جدًّا وفي غاية الجمال، وفي الثالثة والنصف بدأ المطر ينهمر بغزارة؛ وكأن السماء تصبُّ قِرَبًا من الماء، وانزويتُ مع بقية الزائرين تحت إحدىٰ المظلات إلىٰ أن توقَّف المطر بعد نحو أربعين دقيقة، ثم واصلتُ تَجوالي فيها إلىٰ قرابة السادسة، وبعد خروجي اتَّصلْتُ بعبد الحكيم فلم يردَّ عليَّ، فركبتُ سيارة أخرىٰ.



أمام مدخل حديقة الحيوانات بعد خروجي منها

في اليـوم التالـي مرَّ عليَّ عبد الحكيم للذهاب إلـىٰ «جَنْتِنْج هايلاند»، وهي منطقـة تبعُد نحو سـاعة عن كوالالمبور ولكنها مرتفعـة وباردة جدًّا، وبها أكبر مدينـة ألعـاب في ماليزيا وثـاني أطول تلفريـك في العالم، وأُخبِـرتُ بأن أطول تلفريـك يوجـد في جزيـرة لينـكاوي الماليزية، وسـألني عبد الحكيـم إن كان بإمكانه أن يصطحب ابن صديقه الذي قَدِم من بريطانيا مع والده قريبًا، إذ إنهم يعيشـون هنـاك، وإن الولد يتكلَّم الإنجليزية بطلاقة ولكنـه لا يُجيد إلا القليل من الملايو، وهو يريد أن يتجوَّل في ماليزيا، فرحَّبتُ بذلك.

مررنا علىٰ الصبيِّ -واسـمه نعيم- وغادرنا كوالالمبور في ١٠:٤٥ صباحًا، ووصلنا إلـىٰ جَنْتِنْج في ١٢:٢٠ ظهرًا، وكانت بحقٍّ منطقة جميلة جدًّا وباردة، وبهـا مدينة ألعاب ضخمة والعديد من الفنـادق الراقية، وقد مررنا علىٰ الكثير من المناظر الخلَّابة التي كنا نقف عندها ونلتقط الصور.



أنا والصبيُّ نعيم وخلفنا الفنادق الشاهقة في جَنْتِنْج

عندما وصلنا قلتُ لنفسي: «**علىٰ الرغم من أني لا أحبُّ ركوب الألعاب، فإنه من غير المنطقي أن نرجع إلىٰ كوالالمبور مباشرة**»، ولذا رأيتُ أن أشتري لعبد الحكيم ونعيم تذاكر ليستمتعا، فسألتهما إن كانا يريدان الدخول والاستمتاع بالألعاب فوافقا، وسألنا المُوظَّفة التي تبيع التذاكر إن كان بالإمكان أن أدخل

فقط لأرىٰ دون أن أشـتري تذكرة فقالت بأنه لا بُدَّ من شـراء تذكرة، فاشتريتُ ثلاث تذاكر بقيمة ١٦٢ رنجتًا (أي ٥٤ رنجتًا للتذكرة الواحدة).

طلبـتُ إلـىٰ عبـد الحكيم والصبـيَّ أن يسـتمتعا بالألعـاب وألّا يتعجَّلا في الذهـاب لأنّ التذكرة ليوم كامـل، وأخبرتهما بأني عندما أنتهي سـأتَّصل بهما، وكنـتُ أظـنُّ أن مدينـة الألعاب صغيرة ولكنـي تجوَّلتُ فيهـا أكثر من خمس سـاعات علىٰ الرغم من أني لم أدخل إلا مكانيـن للألعاب: أحدهما كان بيت الأشـباح، والآخر ركوب قارب الماء، ووجدتُ الحديقة فعلًا في غاية الجمال والاتِّساع، ومَن يُرِدْ أن يُجرب جميع الألعاب فسيحتاج إلىٰ أكثر من يوم.



جانب من الحديقة الخارجية مع الفنادق الضخمة الموجودة حولها

كذلـك، وجدتُ هناك مدينة أخرىٰ متكاملة للألعاب الداخلية، وهي داخل مُجمَّع ضخم وتحتاج إلىٰ تذكرة منفصلة، ولم أشـترِ تذكرة لها ولكني قضيتُ فيها ما يقارب الساعتين، وفي النهاية مررتُ علىٰ مكان ركوب القوارب فقلتُ أُجـرِّب هـذا، وكان من حظِّي دخول عائلـة يمنية من شـابَّيْن وفتاتَيْن، فركبَتِ الفتاتـان في قارب وركبتُ أنا والأخوان اليمنيَّان في قـارب، وقد كانت مفاجأة لـي، إذ إن القـوارب كانت تصعـد إلىٰ أعلىٰ أكثرَ من خمسـين مـترًا ثم تهوي إلـىٰ الماء، وقد تبلَّلتْ ثيابنا بالماء، وبعد أن انتهيتُ في الخامسـة اتَّصلتُ بعبد الحكيم، فقال بأنهم ينتظرون الدخول إلىٰ إحدىٰ الألعاب فانتظرتهم، وخرجنا من الحديقة في السادسة.



في القارب مع الشابَّيْن اليمنِيَّيْنِ

في اليـوم الثالـث زرتُ الحدائـق الموجـودة في العاصمـة، وفي هـذه المرة رافقنـي الأخ محمـد بن يحيـىٰ العبري واثنان مـن زملائه، فتوجَّهنـا أولًا إلىٰ

حديقـة الطيور التي تُعَـدُّ أكبر حديقة طيور في العالـم، وتذكرة دخولها ثلاثون رنجتًـا، وبقينا نتجوَّل فيها نحوَ أربع سـاعات، وقد وجدناها ضخمة جدًّا وآيةً في الجمال والتنسيق.



مع الإخوة العمانيين داخل حديقة الطيور

بعد ذلك، توجَّهنا إلىٰ حديقة الزهور المقابلة لحديقة الطيور وكان الدخول مجانًـا، ووجدناهـا صغيـرة وبها إصلاحـات كثيرة ولـذا لم نبقَ فيهـا إلا نحو نصف سـاعة، ثم أخذنا سـيارة أجرة إلىٰ حديقة الفراشات التي كانت مجاورة لحديقة الطيور من الجهـة الأخرىٰ، وعندما وصلنا صلَّينا أولًا الظهر والعصر في مُصلًّـىٰ عنـد مدخل الحديقة ثم اشـترينا التذاكر، وكانت الواحدة بعشـرين رنجتًا وللطلاب بعَشـر، وقد وجدناها من أجمل الحدائق التي زرناها لما فيها

من أشـجار وزهور وشـلَّالات، وبقينا فيها نحو ساعة ونصف، ثم أعادني عبد الحكيم إلىٰ أمبانج.



داخل حديقة الزهور

في اليوم الرابع أخذني عبد الحكيم لزيارة العاصمة الإدارية المسـماة «**بوترا جايا**» (**Putrajaya**) التي تبعُد عن العاصمة نحو ٤٥ كيلومترًا، وقد بناها الرئيس مهاتيـر محمد في عام ١٩٨١م لتكـون العاصمة الإدارية لماليزيـا، ولذا تُوجَد بها جميع الوزارات والمؤسسات الحكومية، وبها مساكن للمُوظَّفين العاملين في تلـك الوزارات والمؤسسـات وكل ما يحتاجون إليه مـن جوامع ومدارس ومستشـفيات ومراكز تجارية وأماكـن ترفيهية، وعندما وصلنـا هناك وجدتُها

في غايـة الروعـة والتقطتُ فيها العديد مـن الصور، وتجوَّلنـا في اثنين من أكبر جوامعها، وصلَّينا الظهر في الجامع القريب من قصر رئاسة الوزراء.



أمام مبنىٰ رئاسة الوزراء في بوترا جايا

ل مغادرة ماليزيا

كنـتُ قبـل مجيئي إلـىٰ ماليزيا أُخطِّط للذهـاب إلىٰ تايلاند نحو شـهر قبل عودتي إلىٰ عمان للعلاج الطبيعي في مستشـفىٰ ويشتاني الذي تعوَّدتُ الذهاب إليـه، ونظرًا إلىٰ أن المسـافة بالطائرة بيـن ماليزيا وتايلاند نحو سـاعة واحدة فقـط، نصحني أحـد أهلي بالذهاب عـبر الطيران الصيني (Air Asia) لأسـعار تذاكـره المُخفَّضة، فذلك يكـون أوفر لي من الطيران العمـاني، ولذا قبل نحو

ثلاثة أسـابيع من مغادرة ماليزيا حجزتُ رحلة إلىٰ تايلاند لتكون بنهاية شـهر مايو، وكانت بقيمة ٢٢٩ رنجتًا (أي قرابة ٣٠ ريالًا).

كانـت تذكرة الطيـران العماني التي جئـتُ بها من عمان لثلاثة أشـهر فقط، فاتَّصلـتُ بمكتبهم في كوالالمبور لتأخير حجزي لشـهر إضافي، فأخبروني بأن عليَّ دفع ٦٧٠ رنجتًا (نحو ٨٧ ريالًا) إن كنتُ سـأغادر إلىٰ مسـقط عن طريق بانكـوك أو ٤٤٠ رنجتًـا (نحـو ٥٧ ريالًا) إن كنتُ سـأغادر مـن كوالالمبور، وأخبروني بأن عليَّ تغيير التذكرة قبل موعد السفر الحالي.

عندمـا ذهبـتُ إلىٰ مكتبهم وأخـبرتُ إحـدىٰ المُوظَّفات بـأني أُريد تأجيل سفري إلىٰ عمان وأن يكون إقلاعي إلىٰ مسقط من بانكوك بدلًا من كوالالمبور قالـت بأن ذلك سـيُكلِّفني نحو ١٦٨ ريالًا، فأخبرتها بـأني اتَّصلتُ بهم من قبل وأخـبروني بأن التكلفة هي ٨٧ ريـالًا فقط، وبعد محـاولات اقتنعتْ بتغييرها بهذه القيمة، فدفعتُ لها المبلغ وسلَّمتْني تفاصيل الرحلة.

قبـل أيـام من مغـادرتي ماليزيا اتَّصلتُ بقسـم العلاقات العربية بمستشـفىٰ ويشـتاني وأخبرتهم بيوم وصولي عندهم وأعطيتهـم تفاصيل رحلتي، وطلبتُ منهم أن يحجزوا لي موعدًا مع اختصاصي العمود الفقري وطبيب الأعصاب، وأن يحجـزوا لـي غرفة في الطابق الـ١٦ من فندق المستشـفىٰ، وفي صباح يوم المغـادرة اتَّصلتُ بهم مرة أخـرىٰ لتأكيد ذهابي إليهم، وطلبـتُ منهم أن يأتوا لأخذي من المطار.

في قرابة الحادية عشرة من يوم المغادرة ٣٠/ ٥/ ٢٠١٣م جاء سائق الأجرة عبد الحكيم وحمَّلنا الحقائـب، وكان المطار بعيدًا جدًّا عن العاصمة فوصلنا هنـاك في ١٢:٣٠م، وهذا المطار يسـمىٰ (Terminal LLC) وهو خاصٌّ بالطيران

الصينـي (Air Asia) فقـط ولكنه أصغـر من مطار KLIA الرئيـس، وبعد أن أنزلنا الحقائب وأعطيتُ عبد الحكيم أُجرته وكانت ١٣٠ رنجتًا أخذتُ أجرَّ حقائبي إلىٰ مكان تسليم الحقائب في المطار، وهناك حدث لي موقفٌ مُثيرٌ سأرويه بعد قليل في فصل «مُشاهدات ومواقف».

وبعـد أن سـلَّمتُ حقائبي ذهبـتُ إلىٰ بوابـة المغادرة، وصَعِـدتُ أولًا إلىٰ الطابـق الثاني لوضع الحقائـب في جهاز فحص الأمتعة، ثـم نزلتُ إلىٰ الطابق الأرضـي الذي به بوابة المغـادرة، وكنتُ لم أُصلِّ الظهـر والعصر بعد وأيضًا كنتُ أشـعر بالجوع ولكني لم أُرِد أن أشـترِ شـيئًا من المطار لغلاء كل شـيء فيـه، ثم مررتُ علىٰ كشـكٍ صغير لهنود يعملون براتـا وخبزًا به دجاج ولحوم ومُكسَّـرات وغيـر ذلك، فطلبتُ خبزة بها زبدة الفول السـوداني والمُكسَّـرات وعبوة ماء، وكان جميعُها بعَشر رنجات.

جلسـتُ أمام البوابة مع المنتظرين وأكلتُ غدائي، وفي الثالثة فتحوا البوابة للدخـول، وأقلعَـتِ الطائـرة في موعدها في الثالثـة والنصف بتوقيـت ماليزيا، واسـتغرقت الرحلة قرابة سـاعتين، وهبطنا في مطـار «دون ميوينج» في بانكوك في الرابعة والنصف بتوقيت تايلاند.

م مُشاهدات ومواقف

في هذه الرحلة الطويلة اكتسـبتُ الكثير من المعـارف والخبرات، والتقيتُ بوجوهٍ وأصنافٍ شتَّىٰ من الناس، وتعرَّفتُ علىٰ الكثير من عاداتهم وطبائعهم، وتجوَّلتُ في أماكن ما كنتُ أسمع بها أو أحلُم أن أراها، وباختصار بدأتُ أُحبُّ

ماليزيـا وكأنها بلـدي الثاني بعد عمـان، ناهيك بكونهـا بلدًا مسـلمًا مُتحضِّرًا، وأهلها علىٰ درجة عالية من الرُّقيِّ في المعاملة والأخلاق، وما سأذكره هنا من مُشـاهدات ومواقف ما هو إلا غيضٌ من فيضٍ مما عايشـتُه فعلًا في تلك البلاد الجميلة:

١ كانت العيادة الصينية تقع في قلب العاصمة كوالالمبور في شارع السلطان إسماعيل القريب من الشارع المعروف باسم شارع العرب الذي تكثر به المطاعم العربية الراقية، وشارع العرب قريبٌ جدًّا من المنطقة المركزية والبُرجَيْن التوأم المعروفَيْن بـ «توين تاوَرز» (Towers Twin)، وكذلك من منارة كوالالمبور (Tower KL)، والعادة عندهم أن يقف شخصٌ خارج المطعم وهو يحمل قائمة الطعام ويدعو المارة إلىٰ الدخول، وقد حدثتْ لي العديد من المواقف والمشاهدات في أثناء تردُّدي إلىٰ بعض تلك المطاعم، منها:

أ مررتُ ذات مرة علىٰ مطعم يمني، فسألتُ الشخص الذي يجلس أمامه عن جودة الطعام والطاقم الذي يطبخه، فأخذ يُقسِم لي بأن طاقم الطباخين يمنيٌّ بالكامل ولكن الحكومة تشترط توظيف آخرين للعمل في المطعم، وأخذ يمدح لي الوجبات، وعندما صعدتُ السُّلَّم العالي للوصول إلىٰ المطعم في الطابق الثاني، وجدتُ الكهرباء مُطفأة، وشممتُ رائحة الشيشة ورأيتُ أشخاصًا يُدخِّنونها، ورأيتُ نادلين هنودًا ويمنيين وصينيات أو ماليزيات مُتبرِّجات.

طلبتُ «عُقْدة» لحم -وكانت تأتي مع الخبز- وكوكتيلًا، وبعد قليل جاءني النادل فقال بأنه لا توجد لديهم فواكه، وكل ما لديهم هو المشروبات الغازية فطلبتُ بيبسي، فأحضرتْ لي النادلة كوبًا به ثلج وعلبة بيبسي، وبعد انتظار قليل أتوني بصحن عُقْدة اللحم وخبز عربي من الحجم الكبير، وكل خبزة في كيس، فسألتُ الشخص إن كان لديهم خبز تنور فقال بأنه ليس لديهم، فأكلتُ العُقْدة بذلك الخبز، وكانت مُشْبِعة ولكنها لم تكن لذيذة.

كان سعر العُقْدة في القائمة ٢٩ رنجتًا (أكثر من أربعة ريالات)، وعندما ذهبتُ لأحاسب أعطاني الشخص فاتورة قيمتها قرابة ٤٠ رنجتًا، ولما نظرتُ إليها وجدتُ أنهم حسبوا علبة البيبسي بخمس رنجات (أي ما يقارب ٨٠٠ بيسة) ورأيتهم أخذوا ١٦٪ ضريبة بلدية، فكان من أسوأ المطاعم العربية التي دخلتها، ولم أَعُد إليه مرة أخرىٰ.

ب بعد أن خرجتُ من المطعم اليمني ذهبتُ لأبحث عن مغسلة ملابس تقع خلف تلك المنطقة، حسبما وصفها لي صاحب المطعم، فوجدتُ شارعًا مليئًا بالمطاعم والمحالِّ والمكاتب وغالبيتها إمّا عربية وإمّا باكستانية وإمّا هندية، وبعد أن مشيتُ مسافة طويلة انحنىٰ الشارع فإذا بي أجد منطقة كلُّها مطاعم ومحالُّ وغالبيتها عربية، فسلكتُ ذلك الشارع علَّه يُوصِلني إلىٰ الفندق الذي أُقيم فيه فوجدتُ علىٰ امتداده مطاعمَ وبارات ونوادِيَ ليلية مرصوصة ببعضها، وغالبية مرتاديها من الأوروبيين، وكانت المطاعم من جميع الجنسيات حتىٰ المكسيكية والإيطالية وغيرها.

وما تعجَّبتُ منه هو أن بعض المطاعم تزدحم بالأوروبيين؛ حتىٰ إنك لا تكاد ترىٰ كُرسيًّا فارغًا، ورأيتُ أمامهم كؤوس الخمور، ولا أدري إن كانت المطاعم تُقدِّم الخمور بالمجان أم بسعرٍ مُخفَّض، والحقيقة أني ذهلتُ لما رأيتُ؛ فما كنتُ أعرفه هو أن هذا البلد المسلم الذي -كما قيل لي- كل اللحوم والدواجن التي تباع فيه حلال وبرقابة حكومية، ما كدتُ أظنُّ أنه تتوفَّر فيه أيضًا الخمور جهارًا في المطاعم والمحالِّ، ولا أنسىٰ أن أقول أن التَّعرِّي -سواءٌ في النساء التي تسير في الطرقات أم في الصور المُعلَّقة- لا يوحي بأن هذا بلدٌ مسلم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد أُخبِرتُ فيما بعد أن هذا الوضع أكثره في العاصمة؛ نظرًا لكثرة وجود الصينيين والأوروبيين، وأما في الولايات الأخرىٰ فهي محافِظة ولا تظهر فيها تلك المُنكرات، وسمعتُ أنه في بعض ولايات ماليزيا يأخذون الجمعة والسبت إجازة رسمية، وأخبرني الأخ محمد بن يحيىٰ العبري أن إحدىٰ الجامعات الماليزية تُسجِّل لطلبتها الحضور والغياب لصلاة الفجر.

ج كانت أكلات المطاعم العربية لذيذة بحقٍّ ولكنها -في الوقت نفسه- باهظة الثمن؛ فمثلًا دخلتُ ذات مرة مطعمًا عراقيًّا طلبتُ منه شوربة عدس وبامية باللحم وعصير ليمون بالنعناع، وكان الأكل لذيذًا جدًّا ولكنه بسعر ٤٢ رنجتًا (أي ما يزيد علىٰ ستة ريالات)، وذات مرة دخلتُ مطعمًا عراقيًّا آخَر وطلبتُ شوربة فطر ودجاجًا مشويًّا وأرز برياني وعصير برتقال، وكان جميعها بقيمة ٥٤ رنجتًا، أي ما يزيد علىٰ ثمانية ريالات، فذُهِلتُ من غلاء المعيشة في تلك البلاد.

د مما يُميِّز ماليزيا من غيرها من البلدان الإسلامية أنها تُصدرُ شهادة «**حلال**» للمطاعم التي يكون ما تُقدِّمه من طعام والمواد المضافة إليه وحتىٰ طريقة الإعداد له موافقة للشريعة الإسلامية، ولذا فإن الشخص يطمئنُّ للأكل من معظم مطاعمها المحلية والأجنبية التي حصلتْ علىٰ تلك الشهادة، وذات مرة دخلتُ محلَّ ماكدونالدز الأمريكي فشاهدتُ ورقة بها علامة «**حلال**» باللغة الإنجليزية، فذهبتُ نحو إحدىٰ المُوظَّفات وسألتها باللغة الإنجليزية: «**ما الإثبات أن ما لديكم من طعام حلال؟**» فقالت: «نحن كلنا هنا مسلمون»، فقلتُ لها: «**ولكني أريد دليلًا علىٰ أن ما تُقدِّمونه هو فعلًا حلال**»، فأشارت إلىٰ شهادة رسمية صادرة من الحكومة الماليزية وفيها علامة «حلال»، فسألتُها إن كان ذلك ينطبق علىٰ اللحوم والدواجن، فقالت: «كل شيء»، فقلتُ لها: «والأجبان؟» فقالت: «والأجبان، فكلها من بلدان إسلامية»، وعندها اطمأنَّتْ نفسي وطلبتُ ٢ تشيز برجر وتشيبس وكوكا كولا وكان الجميع بـ١٤ رنجتًا فقط، مقارنة بأكثر من ٥٤ رنجتًا لغداء المطعم العراقي.

هـ كنتُ أحيانًا أذهب إلىٰ مطعم هندي قريب من العيادة، وقد رأيتُ شيئًا شدَّ انتباهي وهو أن النادل أحضر لي كوبًا من المعدن به ماء ومصَّاصة، وتلمَّستُ الكوب فإذا به ساخن جدًّا، فتعجَّبتُ؛ كيف يشربون الماء الساخن علىٰ الغداء في حين أننا لا يحلو لنا إلا إن كان باردًا كالثلج! وذات مرة رأيتُ مجموعة من الشُّبَّان الصِّغار يأكلون من ذلك المطعم وقُدِّمتْ لهم أكواب الماء الساخن، فرأيتُهم يشربونها بأريحيَّة وكأنهم تربَّوا عليها، وأما أنا فكنتُ لا أستسيغ أن أشرب علىٰ الوجبة إلا الماء البارد أو المشروبات الغازية.

و ذات مرة قلت: «**سأتناول وجبتي المفضلة؛ وهي صحن حمص وصحن فلافل**»، فدخلتُ مطعم «خيمة الصحراء» العراقي، وطلبتُ منهم ذلك، فجاؤوني بحمص علب جاهز وخمس حبات فلافل صغيرة، وكان صحن الحمص بعشر رنجات والفلافل بـ١٢ رنجتًا، وكان المجموع مع علبة ميرندا ٥ , ٢٧ رنجتًا، أي قرابة أربعة ريالات، مع أنها في عمان لن تصل إلىٰ ريالٍ واحدٍ.

ز ذات مرة بعد أن خرجنا من عيادة الدكتور محمد سحير سألتُ صاحب سيارة الأجرة عبد الحكيم إن كان يعرف مطاعم عربية أو هندية أو باكستانية أسعارها رخيصة، فقال بأن كل المطاعم التي يعرفها غالية الثمن، ولكنه يعرف مطعمًا ماليزيًّا اسمه «**ناسي عرب**» في منطقة «أمبانج» يطبخ أكلات عربية ومنها المندي اليمني، فطلبتُ منه أن يأخذني إلىٰ هناك، فوجدنا المطعم يقع في منطقة كلها مطاعم ماليزية، عدا هذا المطعم الذي يطبخ الوجبات العربية ومطعم آخر يقابله يطبخ الوجبات الهندية.

اخترتُ أنا أرزًا منديًّا مع صالونة لحم غنم، وألححتُ علىٰ عبد الحكيم أن يتناول غداءه معي، فاختار أرزًا منديًّا مع دجاج مشوي، وكانت تكلفة جميعها مع العصائر ٢٥ رنجتًا فقط (أي نحو ثلاثة ريالات)، وكان الطعام في قمة اللذة، وفي مرة أخرىٰ طلبتُ مندي لحم بقر لاثنين وكان بقيمة ٢٠ رنجتًا فقط.

وذات مرة أعلنوا عرضًا لدجاج مندي مع الأرز وعلبة بيبسي بـ٨ رنجات بشرط أن يكون بين الثانية عشْرة والثانية ظهرًا فطلبتُ واحدًا، وأخذتُ أيضًا صحن لحم برياني خوفًا من أن يكون طعامهم قليلًا فلا يكفيني، لأني ما كنتُ أتوقَّع أن تكون هناك وجبة عربية في ماليزيا بـ٨ رنجات فقط، وعندما عدتُ إلىٰ غرفتي وجدتُ الطبخ لذيذًا جدًّا وكافيًا، ولذلك أكلتُ قليلًا من البرياني وأبقيتُ الباقي للعشاء.

ح وبعد أن انتقلتُ إلىٰ منطقة أمبانج كان هناك مطعم «جنة سبأ» الذي لا يفصله عن الفندق الذي أقمتُ فيه إلا مطعم واحد، ولاحظتُ أن أسعاره أعلىٰ قليلًا عن مطعم «ريدان» اليمني القريب منه، فطلبتُ مرة شوربة عدس وعُقْدة لحم وقنينة ماء صغيرة، وكان جميعها بـ٢١ رنجتًا وكان الأكل لذيذًا بحقٍّ، وطلبتُ منهم مرة صحن كباب وصحن حمص وبيبسي، وكان جميعها بـ١٧ رنجتًا فقط.

وذات مرة زارني الأخ محمد بن يحيىٰ العبري وزميله صالح البرواني وتناولنا عشاءنا في هذا المطعم، وطلب محمد حنيذَ لحمٍ وطلبتُ أنا وصالح مشاوي مُشكَّلة، وطلبنا مع ذلك صحنَ مُتبَّل وعصير ليمون طازج بالنعناع، وكان الطعام لذيذًا جدًّا وجميعُه بنحو ٦٢ رنجتًا فقط (أيْ ٩ ريالات).

ط كانت في منطقة أمبانج العديد من المطاعم الهندية وأسعارها رخيصة جدًّا، فأفطرتُ مرة في أحدها، وأخذتُ لحم صالونة وثلاث حبات براتا وكوبَ شاي حليب كبيرًا، وكان جميعُها بعَشر رنجات فقط، ومرة طلبتُ عدسًا وبراتا وشاي حليب، وكان جميعُها بخمس رنجات فقط.

٢ كان يجاور الفندق الذي أقمتُ فيه في «بُوكِتْ بِنْتانْج» شارع داخلي صغير تجده طَوالَ أيام العمل مملوءًا بالدراجات النارية التي تقف علىٰ جانبيه، وفي أيام السبت والأحد -وهي العطلة الأسبوعية الرسمية في كوالالمبور- يكون فارغًا، وأما في أيام الجمعة فتجده مُكتظًّا بالباعة المسلمين الذين يَنصِبُون مظلاتهم ويعرضون سلعهم، ورأيتُ تلك الظاهرة تتكرَّر عند الكثير من الجوامع التي ذهبتُ لصلاة الجمعة فيها، وكانت غالبيتها تبيع أطعمة للغداء وبعضها تبيع الملابس والبضائع الأخرىٰ.

أ كنتُ أحيانًا أتجوَّل في هذا الشارع، وكان غالبية الباعة -وأكثرهم من النساء- يبيعون الملابس والكماليات، وهناك مَن يبيع الفواكه -سواءٌ المُقطَّعة في أكواب أم بالوزن-، وهناك مَن يبيع العصائر والمُعجَّنات ووجبات الغداء وغيرها، وهناك نساء يَصنعْنَ قطائفَ بالمُكسَّرات، فاشتريتُ ذات مرة أربع قطائف سميكة واثنتين رفيعتين بقيمة ٧ رنجات فقط (أي أقل من ريال)، وأحيانًا كنتُ أشتري من هناك عصير النارجيل به شعرية خضراء ذات طعم حلو، وأحيانًا كوب أناناس أو كوب بابايا (أو «فيفاي» بالعماني) مُقطَّعة، وقيمة كلِّ كوب ٢ رنجت.

ب عندما كنتُ أذهب مع سائق الأجرة عبد الحكيم كان يشرح لي أسماء الأكلات التي أَشتريها ومكوناتها وطريقة إعدادها، وكان أحيانًا يشتري لي -علىٰ حسابه- من مظلات البيع في يوم الجمعة أنواعًا أخرىٰ من الأكلات الماليزية، وكانت لذيذة جدًّا، فذات مرة اشترىٰ كوبَين من شراب الصويا وعلبتين صغيرتين من معجون الصويا المخلوط بالسكر الأحمر، وكانت الأكلتان لذيذتَيْن، وتكلفة كل واحدة منهما رنجت واحدة فقط (أي أقل من ١٥٠ بيسة).



بعض الأكلات الماليزية التي تُباع في مظلات البيع في بعض الشوارع وخارج الجوامع

ج كان هناك شارعٌ آخر يكتظُّ بأمثال هؤلاء الباعة بجوار المركز الرياضي الذي كنتُ أذهب إليه، وأحيانًا بعد أن أخرج من المركز كنتُ أمرُّ هناك وأشتري منهم بعض الفواكه وشراب الصويا ومشاكيك السمك والنقانق والدجاج، وكانت أسعارهم رخيصة جدًّا، فيمكن للشخص أن يجمع أكياسًا عِدة مليئة بالمأكولات بأقل من ريال واحد.

٣ منذ أن وصلتُ إلىٰ ماليزيا حرصتُ -بحمد الله- علىٰ أن أذهب كل أسبوع لأداء صلاة الجمعة في أحد الجوامع، وأحيانًا أذهب إلىٰ بعض المساجد الصغيرة لأداء الصلوات الخَمس، وقد حدثَتْ لي في تلك المساجد والجوامع العديد من المُشاهدات والوقائع التي أذكر منها:

أ في أول جمعة ذهبتُ إلىٰ شارع العرب ودخلتُ بقالة عربية صاحبها يمني، فسألته إن كان يوجد جامع قريب فأرشدني إلىٰ جامع الإمام البخاري، وأخبرني أنه بإمكاني أن أستقلَّ قطار (MonoRail)، وأرشدني إلىٰ المحطة التي عليَّ النزول فيها، وأخبرني كذلك بوجود جامع آخر عند البنايتين الشهيرتين في كوالالمبور بـ«توين تاوَرز»، وقال بأنه توجد حافلة وردية تُوصِل إلىٰ هناك مجانًا وتُرجِع مجانًا.

فضَّلـتُ أن أبـدأ بالجامع القريـب، فذهبتُ إلىٰ محطة القطار واشـتريتُ «التوكِـن» (Token) الخاصة بدخول البوابة وكان سـعرها ٢,١ رنجت، ثم ركبتُ القطار ونزلتُ بعد محطتين حسـبما أخـبرني الأخ اليمني، وفعلًا كان الجامع بجانب المحطة، ووجدتُ هناك أحد الإخوة الشاميّين فأرشدني إلىٰ الطريـق المُوصِلة إلـىٰ الجامع، وعلىٰ الرغم من أن السـاعة حينها كانت قد جاوزت الثانية عشرة والنصف فإنه لا توجد حركة مُصلِّين، ولكني لاحظتُ تكدُّسَ مظلات البيع خارج الجامع التي غالبيتها تبيع أطعمة للغداء وبعضها تبيع الملابس والبضائع الأخرىٰ.

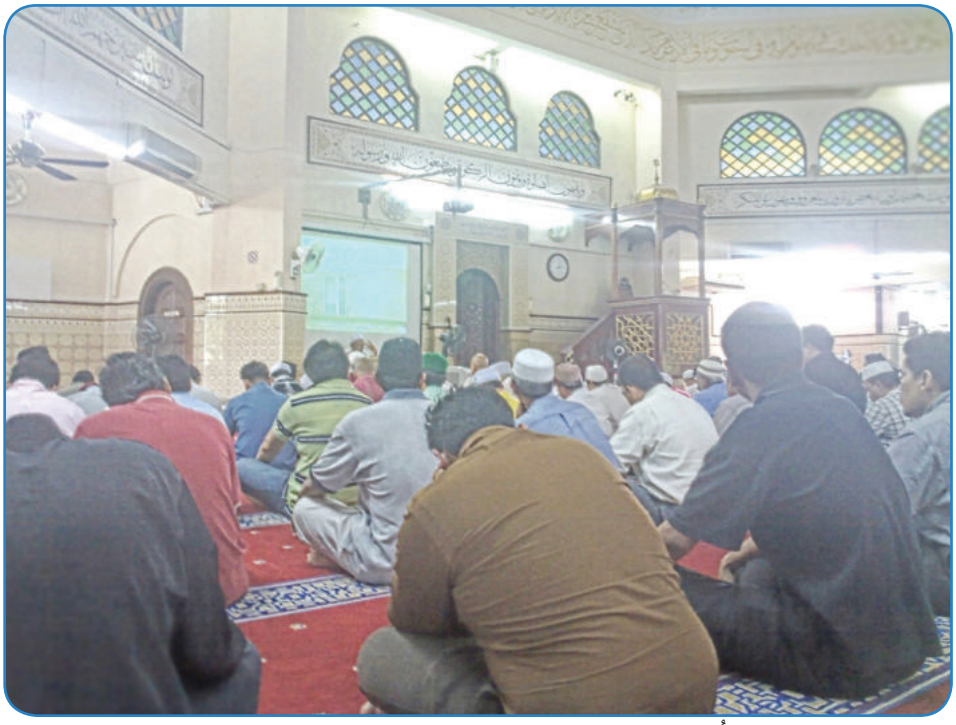


جامع الإمام البخاري في كوالالمبور

دخلتُ الجامع فوجدتُه في الداخل صغيرًا علىٰ الرغم من أنه يبدو من الخارج ضخمًا جدًّا، والسبب هو طريقة تصميم المساجد في ماليزيا، إذ توجد بها تقسيمات كثيرة تأخذ حيِّزًا كبيرًا من مساحة المسجد، ولا يبقىٰ لمكان الصلاة إلا مساحة صغيرة، وفي ذلك الأسبوع والجامع التقيتُ بالإخوة العمانيين الذين ذكرتُهم من قبل.

ب وذات مرة ذهبتُ بسيارة أجرة إلىٰ جامع الشاكرين القريب من البرجين الشهيرين (**توين تاوَر**)، وعندما وصلتُ رأيتُ مساحة كبيرة مُظلَّلة وأرضيتها بها سيراميك، وكانت حشود المُصلين تتقاطر من كل مكان علىٰ الرغم من أنه ما زال علىٰ الأذان أكثر من نصف ساعة، ولما دخلتُ الجامع وجدتُه مليئًا بالناس الذين كانوا يستمعون إلىٰ محاضرة لأحد المشايخ، وكانت تُبَثُّ عبر شاشة كبيرة مُتدلِّية في وسط الجهة الأمامية للمُصلَّىٰ، وكانت علىٰ الجهة اليمنىٰ شاشة عرض أخرىٰ.

لقد رأيتُ الناس يُنصِتون إلىٰ المحاضر بكل حواسهم، وربما تكون المحاضرة ساعة أو أكثر، فأين نحن من صنيع أولئك؟! فعندنا تأتي إلىٰ الجامع قبل الأذان بنصف ساعة ولا تكاد ترىٰ أحدًا بداخله، ولو ألقىٰ أحدٌ كلمة قبل الأذان أو بعد الصلاة ولو دقائق معدودة لامتَعَضَ الناسُ منه، ولو تكرَّر ذلك منه أو من غيره لربما اشتكَوْا منه أو قاموا احتجاجًا علىٰ صنيعه.



المُصلُّون في جامع الشاكرين يستمعون إلىٰ محاضرة قبل أذان صلاة الجمعة

بقي المحاضر يتكلَّم لأكثر من نصف ساعة إلىٰ أن حان وقت الأذان، وكنتُ أحاول أن أرىٰ مكان المؤذن ولكني فوجئتُ عندما حان وقتُ خطبة الجمعة أنه تُعرَض في الشاشة الكبيرة جموع المصلين والمنبر العالي والخطيب الذي صعد إليه وكأنهم في مسجد آخَر غير المسجد الذي أنا فيه، فقلتُ في نفسي: «ربما يكون المكان الذي أجلس فيه مُجرَّد مُلحَق، وأما المسجد فقد يكون في الجهة الأمامية من الجامع».

بعد الصلاة سألتُ أحد الجالسين عن المسجد الذي شاهدناه في الشاشة فقال بأنه في الأعلىٰ، فخرجتُ من هناك ووجدتُ سُلَّمًا عريضًا في وسط المسجد مُغطًّىٰ بالسجاد ويصعد إلىٰ الطابق الثاني، وعندما وصلتُ هناك ذُهِلتُ من ارتفاع المسجد واتِّساعه، وذُهِلتُ أكثر لأني رأيتُ طابقًا ثالثًا، وهناك سُلَّمٌ من كل جانب يأخذ المُصلِّين إلىٰ ذلك الطابق فصعدتُ إليه، وبقيتُ أستكشفُ جوانب ذلك الجامع، ثم هبطتُ إلىٰ الطابق الأول فرأيتُ النساء يخرجن من المسجد فخمَّنتُ أن الطابق الأرضي مُخصَّصٌ لهنَّ، وهذا يعني أن الجامع يتكوَّن من أربعة طوابق، وكل واحدٍ منها في غاية الاتِّساع والروعة في التصميم.

وكان قد توفي في صباح ذلك اليوم الدكتور سعيد رمضان البوطي، العالم السوري المعروف، وسمعتُ المحاضر يذكره مرات عدة، وبعد صلاة الجمعة صلُّوا عليه صلاة الغائب.

ج ذهبتُ مرة لأُصلي في جامع سيدنا عمر بن الخطاب فوجدتُ محاضرًا يتكلَّم ومعظم ساحة المُصلَّىٰ الرئيس ممتلئة بالناس، وبقي علىٰ تلك الحال إلىٰ ١:٢٠م وهو موعد الأذان، وعندما كان الإمام يخطب كانوا يعرضون علىٰ شاشة كبيرة مُلخَّصًا بالباوربوينت لما يقوله الخطيب.

د وذات مرة وَصفتُ للمُدرِّب «فردوس» أحد الجوامع التي نمرُّ عليها في طريقنا إلىٰ المركز الرياضي، فأخبرني بأنه «مسجد نيجارا»، فعندما عُدتُ من المركز الرياضي -وكان يوم جمعة- طلبتُ من صاحب الأجرة أن يوقفني عند المبنىٰ ذي المنارات المُذهَّبة الذي كنتُ أحسبه جامعًا، فأخبرني أنه ليس جامعًا بل مبانٍ ضخمة علىٰ التراث التقليدي كانت مَقرَّات لبعض الوزارات ثم حُوِّلتْ إلىٰ متاحف.

واصلنا السير نحو كيلومترين من ذلك المكان إلىٰ أن وصلنا إلىٰ مسجد نيجارا، وقد بدا ضخمًا جدًّا، ويقع بجانب مبنًىٰ ضخمٍ وكأنه قلعة من القلاع، وعندما سألتُ عنه أخبروني بأنه محطة للقطار، وعندما وصلتُ إلىٰ المواضئ وجدتُها ضخمة جدًّا وكأنها واحدة من مواضئ المسجد النبوي، والمُصلَّىٰ الرئيس يقع في الطابق الأول، وأما الأرضي فقد أخبرني عنه أحد المصلين أنه يُستَخدم للمحاضرات والفعاليات المختلفة وأيضًا يُصلَّىٰ فيه يوم الجمعة، وأما النساء فتُصلِّي في الطابق الثاني، وقد وجدتُ المُصلَّىٰ الرئيس عبارة عن قبة دائرية ضخمة جدًّا ربما تتَّسع لعدة آلاف من المُصلِّين، ويحيط بها من جوانبها ساحات مُمتدة تتَّسع لآلاف أخرىٰ، وتوجد بِرك مائية جميلة تُزيِّنها نوافير تقع في الطابق الأول وعند مدخل الجامع.

وقد قرأتُ عن هذا الجامع الكبير فوجدتُ أنه يُعَدُّ المسجدَ الوطني في كوالالمبور، وأنه يتَّسعُ لأكثر من خمسة عشر ألف مُصلٍّ، ويُعَدُّ واحدًا من أكبر مساجد جنوب شرق آسيا، وقد بُني في عام ١٩٦٥م، وجُدِّدَ في عام ١٩٨٧م.



صورة عُلوية لمسجد نيجارا الوطني في كوالالمبور

٤ ذهبتُ ذات مرة أبحث عن مطعم في الجهة الأخرىٰ من الشارع المجاور لمكان العيادة الصينية فوجدتُ مكانًا جميلًا فأردتُ التصوير فيه، فمرَّ شيخٌ باكستاني فسألني عن مكتب للسفريات فأخبرتُه بأني لا أعرفه، وطلبتُ منه أن يُصوِّرني فلم يرضَ وانصرف، ثم جاء أحد عُمَّال النظافة، وكان أيضًا شيخًا كبيرًا، فسألته أن يُصوِّرني فرضي ولكن لم يعرف كيف يُصوِّر، بل ربما لم يلمس في حياته كاميرا، حتىٰ إنه عندما

كان يريد تصويري كان يوجه العدسة إليه، وكنتُ أُصحِّح له مرات عدة إلـىٰ أن صوَّرني، ثـم جاء زميلٌ له أصغر منه سـنًّا فسـألتُه أن يلتقط لي صورة أخرىٰ فرفض في البداية ثم شجَّعتُه فرضي، ولكن أيضًا بعد عناء لتفهيمه.



الصورة التي التقطها لي العامل البورمي أمام بعض البنايات العملاقة في كوالالمبور

ولمـا فرغنا من التصوير سـألاني عن بلدي، وكنتُ أسـير وأجيءُ في ماليزيا بالزِّيِّ العماني، فأخبرتُهما بأني من عمان، ثم سألتهما من أين هما، فقالا بأنهما من بورما التي تقع فيها مذابح للمسلمين دائمًا، فسألتُهما عن عدد المهاجرين إلىٰ ماليزيا فأخبرني أحدهما بأنهم مليون، ولا أدري صحة ذلك.

٥ لاحظـتُ وجود أربعة أنواع من المترو في العاصمة كوالالمبور؛ الأول يُسـمىٰ (MonoRail)، وهو مـترو كهربائي مُعلَّق يبدأ مـن البناية التي بها العيـادة الصينيـة، ويصل إلىٰ نحو اثني عشـر كيلومـترًا، وهو كهربائي ولا يعمـل به مُوظَّفـون، وإنما يشـتري الراكب قطعة معدنيـة (توكِن) يضعها علىٰ جهاز ليدخل من البوابة، ثم يضعها مرة أخرىٰ في المحطة التي ينـزل فيها ليخرج من البوابة، ويسـتطيع الشـخص أن يذهب من أيِّ محطـة إلـىٰ أيِّ محطة أخرىٰ يصل إليهـا بتعرفة واحدة وهي ١,٢ رنجت.



إحدىٰ محطات قطار MonoRail لحظة خروجه منها

عـادة ما يكون هذا القطـار مُزدحمًا جدًّا في وقت ذهاب المُوظَّفين إلىٰ أعمالهـم وفي وقـت خروجهـم وفي الإجـازات الأسـبوعية، وفي تلك الفـترات يأتي القطـار ممتلئًا، ومـع ذلك يركب أعـدادٌ كبيرة أخرىٰ في المحطـات التاليـة، علىٰ الرغم من أنه لا تمـرُّ إلا نحو دقيقتين بين كل قطـار وآخر، وأمـا في الأوقات الأخـرىٰ فعادة ما يكون عـدد الركاب قليلًا، والمدة بين القطار والآخر طويلة.

وهنـاك قطـار كهربائي آخـر يُسـمىٰ **LRT**، وينتقل بين منطقـة وأخرىٰ داخل العاصمة، وهو كهربائي مُعلَّق، ويوجد قطار **KTM** الخاص أيضًا بنقـل الـركاب ولكنه كهربائي أرضـي، ويوجد قطـار **MRT** الذي ينقل المسافرين بين الولايات المختلفة في ماليزيا.

٦ كانت الأجواء التي ذهبتُ خلالها إلىٰ ماليزيا غزيرة بالأمطار، ووقعت لي بسـببها بعض الأحـداث والذكريات التي لا تُنسـىٰ، ومن ذلك أني عندمـا ذهبتُ إلـىٰ المركـز الرياضي أولَ مـرة كنتُ أهـمُّ بالعودة إلىٰ الفندق الذي أُقيم فيه، ولكن الأمطار بدأت فبقيتُ محبوسًـا في المبنىٰ ما يقارب سـاعة، ثم مشيتُ إلىٰ الشـارع الملاصق لبناية ذلك المركز، وكان المطر لا يزال يهطل ولكن بدرجة أقل، وحاولتُ أن أُوقف سيارة أجـرة ولكن لم يقف لي أحد، فمشـيتُ إلىٰ مُقدِّمة الشـارع لعلِّي أجد هناك سـيارات أجرة، وبدأ المطر يتزايد مرة أخرىٰ، فلم أسـتطِع البقاء في الشـارع، فذهبتُ إلىٰ البناية المقابلة لأحتميَ منه، وبقيتُ هناك مدةً علَّ سـيارة أجرة تمرُّ ولكن دون جدوىٰ نظرًا إلىٰ أن الوقت كان وقت

خروج المُوظَّفين من أعمالهم، والشـوارع ممتلئة بالسـيارات والناس الذين ينتظرون الحافلات وسيارات الأجرة.

وذات مـرة خرجتُ من العيادة الصينية في الخامسـة والنصف، وكانت الأمطـار قد بدأت في الهطول منذ أكثر من نصف سـاعة، فلما خرجتُ من البناية رأيتُ الدنيا مظلمة والشوارع منارة، وكأننا في منتصف الليل علىٰ الرغم من أنه بقي نحو ساعتين إلىٰ حين غروب الشمس، وكانت الأمطار تنهمر بغزارة والشـوارع شبه مُتوقِّفة، والصواعق ترجُّ الأرض رجًّا، وعندما وصلتُ إلـىٰ الفندق صلَّيتُ الظهر والعصر ثم نِمتُ إلىٰ السابعة والنصف.

وبعـد أن اسـتيقظتُ كانت لا تـزال هناك أمطار خفيفـة، فخرجتُ من الفندق ورأيتُ الشـوارع لا تزال شبه مُتوقِّفة، وكانت علىٰ تلك الحال منـذ أن خرجتُ من العيـادة، وبقيتْ كذلك إلىٰ أن رجعتُ إلىٰ الفندق في التاسـعة والربـع، وقـد أخبرتنـي زوجة الماسـتر «**ليونـج**» أن تلك الأمطـار أحدثت فيضانـات في مناطق عدة في كوالالمبـور، وأنها -أيْ زوجة الماسـتر- اسـتغرقت أكثر من نصف سـاعة من أجل أن تدخل الشارع المجاور لمواقف العيادة.

٧ حدث لي العديد من المواقف مع أصحاب سيارات الأجرة، سأروي منها ما يلي:

أ أوقفتُ ذات مرة سيارة أجرة بعد خروجي من المركز الرياضي وأعطيتُ السائق بطاقة الفندق الذي أُقيم فيه، فبدا وكأنه لا يعرف المكان فأخبرته بأنه قريب من فندق «إستانا» المشهور فعرفه، واستخدمتُ أيضًا نظام **GPS** في هاتفي لأتابع مكان الشارع، وكانت الزحمة في أَوْجِها فكنا نتحرَّك بضعة أمتار فقط ونقف دقائق، وبعد أن وصلتُ قريبًا من الفندق قلتُ للسائق إنه من الأفضل أن أمشي فلم يعارض، وأعطيتُه ١٨ رنجتًا حسب قراءة العدَّاد، ولولا التأخُّر في الوقت لما كلَّفني إلا بضع رنجات.

ب **وذات مرة ذهبتُ لأُصلي الجمعة في جامع الشاكرين الذي لا يبعُد كثيرًا من مكان إقامتي، ولما خرجتُ حاولتُ أن أوقِف سيارة أجرة، وكان المطر قد بدأ في التساقط، فوقفتْ لي واحدة، وعندما أخبرتُ صاحبها بوجهتي قال لي التعرفة ٢٠ رنجتًا، فقلتُ له: «ولماذا لا تستخدم العدَّاد؟» فقال: «الوقتُ الآن زحمة والمطر ينزل، ولو ذهبتَ إلىٰ مكان البرجين لكلَّفك أكثر من هذا».**

عندما حاولتُ التفاوض معه قال: «سآخذك إلىٰ مكان البرجين، وخذ سيارة أجرة من هناك»، وفعلًا أخذني إلىٰ ذلك المكان وكنتُ أحاول أن أتفاوض معه ليوصِلني بأُجرة أقل، وخاصة أن المطر صار ينهمر بغزارة، فأوقفني علىٰ جانب الشارع القريب من البرجين، وأشار لي إلىٰ مكان سيارات الأجرة وكان يبعُد من الشارع قليلًا، ولا أريد أن أمشي في المطر فحاولتُ أن أُقنعه ليأخذني إلىٰ ذلك المكان فرفض، ولما شدَدْتُ عليه في الكلام غضب وقال: «**أنا أحضرتُك إلىٰ هنا دون مقابل**».

رأيتُ بعض سيارات الأجرة تقف أمامنا، فذهبتُ بسرعة إلىٰ إحداها وأخبرتُ صاحبها بوجهتي فقال بأنه سيُوصلني بـ١٥ رنجتًا فلم أتردَّد بل جلستُ بجانبه مباشرة، وفعلًا كانت الشوارع شبه مُغلقة من شدَّة الزحمة وخاصة مع انهمار المطر.

ج وموقفٌ آخر حدث لي في يوم أَحَد، وهو -كما قلتُ إجازة رسمية في كوالالمبور-، وذلك أني بعد خروجي من المركز الرياضي الذي يبعُد نحو عشرين دقيقة من مكان إقامتي، أوقفتُ سيارة أجرة في الشارع العام الذي يبعد من المركز نحو ٢٠٠ مترًا، وأخبرتُ السائق بأني ذاهب إلىٰ فندق «إستانا» القريب من الفندق الذي أُقيم فيه، وهو فندق مشهور في كل أنحاء كوالالمبور، ولو أخبرتهم بالفندق الذي أسكن فيه فلن يعرفوه، ولاحظتُ أن السائق -الذي يبدو من لهجته أنه هندي- قد سلك طريقًا بعيدًا عن الطريق الذي عادة ما يسلكه الآخرون، وكنتُ في حذر من حِيَل هؤلاء السائقين الذي يُحاولون إطالة المسافة والمدة من أجل أن تكون قراءة العدَّاد أعلىٰ، فيحصلون علىٰ أجرة أكبر.

سألته: «إلىٰ أين ستأخذني؟» فقال: «إلىٰ فندق إستانا»، فقلتُ له: «إن فندق إستانا هناك»، وأشرتُ له بالجهة، وكان يبدو من البنايات العملاقة الظاهرة المجاورة له أنه بعيد جدًّا، فقال: «هذا الطريق سيأخذنا إليه»، فقلتُ له: «ولكن الآخرين يسلكون طريقًا آخر»، وقد شككتُ أن الرجل رآني عربيًّا فأراد أن يستغلَّني، ونظرتُ إلىٰ العدَّاد فرأيته قد جاوز ١١ رنجتًا، فقلتُ له: «كنتُ أدفع أقل من ١١ رنجتًا، والعدَّاد الآن قد جاوز ذلك»، فقال: «أنا لا أستغلُّ الناس وربما لأن اليوم زحمة»، وكان الشارع لا توجد به زحمة تُذكَر كباقي أيام الأسبوع، فقلتُ له: «ولكنك سلكتَ طريقًا بعيدًا»، فقال: «بضع رنجات لا تفرق شيئًا»، فسكتُّ عنه، وعندما وصلنا إلىٰ مكان الفندق كان العدَّاد قد قارب ١٥ رنجتًا فأعطيتُه إياها وتركتُه.

د وحدث الشيء نفسه مرة أخرىٰ مع سائق آخر، إذ إنه أخذني إلىٰ طريق بعيدة، ولما قلتُ له ذلك قال بأن الطريق الأخرىٰ مزدحمة في ذلك الوقت، وعندما وصلنا إلىٰ الفندق كان العدَّاد يُشير إلىٰ نحو ١٧ رنجتًا، مع أني في الغالب أدفع أقل من ١١ رنجتًا، ولذلك أعطيته ١١ رنجتًا فقط، ولما أراد أن يعترض قلتُ له بأني تعوَّدتُ أن أجيءَ من ذلك المركز بأقل من ١١ رنجتًا.

٨ منذ أن وصلتُ إلىٰ ماليزيا كنتُ في قلق بشأن غسيل ملابسي؛ فالفندق الذي أُقيم فيه لا يُقدِّم تلك الخدمة، ولا يوجد مكان في الغرفة لتجفيفها، إضافة إلىٰ أنه ليس عندي وقت لغسل كل ملابسي وأشعر بالإرهاق عندما أفعل بذلك.

أ حاولتُ الحصول علىٰ مغسلة للملابس خارج الفندق، وسألتُ كثيرًا من الناس وكلهم يدلُّونني علىٰ مغسلة تبعُد عن الفندق نحو كيلومتر، وأخبرني شخص بوجود مغسلة قريبة من فندق "إستانا" ولكن أسعارهم عالية جدًّا مقارنة بتلك المغسلة، ومشكلتي ليست في البُعْد فقط وإنما في صعوبة حمل الملابس وإرجاعها؛ فأنا أحاذر من أن تتعثَّر قدمي، وأشعر بالتعب عندما أمشي علىٰ الرغم من أني لا أحمل في يدي شيئًا ثقيلًا، فكيف لو حملتُ كيسًا كبيرًا من الملابس؟!

ب كذلك، بحثتُ في الإنترنت فوجدتُ مغسلتين تُوفِّران خدمة الأخذ من البيوت والتوصيل إليها، واتَّصلتُ بإحداها فقالوا بأنهم لا يعملون في المنطقة التي أسكن فيها.

ج حاولتُ إقناع العامل البنجالي في الفندق ليأخذها إلىٰ المغسلة مقابل مبلغ أُعطيه إياه فوعدني بذلك مرات، ثم قال لي ذات مرة بأنه سيذهب إليها بعد خروجه من العمل في الثامنة مساءً، ولكنه وجد المغسلة مُغلَقة لكونها كانت يوم أحد.

في اليوم التالي جاءني في الصباح، وسلَّمته كيسًا كبيرًا مليئًا بالملابس، وبعد قليل عاد ومعه قائمة بأسعار المغسلة شبه الوحيدة في المنطقة، التي أُخبِرتُ أن أسعارها رخيصة، ووجدتُ أنهم يأخذون علىٰ الدشداشة ٢٤ رنجتًا (أي أكثر من ثلاثة ريالات) إذا كان التسلُّم في خلال يوم و١٦ رنجتًا (أي أكثر من ريالين) إذا كان التسلُّم في خلال يومين، وأما الإزار فيأخذون عليه ٩ رنجات ليوم و٥,٦ ليومين.

طلبتُ من العامل أن يترك الملابس يومين، إذ لا أجد حلًّا آخر لغسل ملابسي غير ذلك، فأخبرني بأنهم يريدون مُقدَّمًا، فأعطيتُه ٥٠ رنجتًا، وقلتُ في نفسي: «من الآن فصاعدًا لن أُغيِّر الدشداشة إلا مرة كل أسبوع، وكنتُ أُغيِّرها كل ثلاثة أيام، وأما الإزار فأُغيِّره كل أربعة أيام بعد أن كنتُ أُغيِّره كل يومين، والفانيلة كل يومين بعد أن كنتُ أغيرها كل يوم»، ولا حول ولا قوة إلا بالله من غلاء تلك البلاد.

بعد يومين، أعطيتُ العامل البنجالي الفاتورة و١٥٠ رنجتًا لتكملة قيمة الغسيل، ولما أحضرها أراد أن يُعطيني المبلغ المتبقي وهو نحو ٢٥ رنجتًا، فأخبرتُه بأنها له فَسُرَّ بذلك، وقال بأنه في المرة القادمة سيغسلها بنفسه، ثم يحضر لي مكواة من مكتب الفندق لأكويها بنفسي.

وفعلًا، بعد أسبوعين أحضر لي كيسًا لأضع فيه الملابس، ثم أحضرها لي في اليوم التالي مع طاولة ومكواة من المكتب، حسب قوله، وعندما سألته عن التكلفة تبيَّن أنه غسلها بنفسه، ولم يرضَ أن يُخبرني بمبلغ مُعيَّن بل ترك الأمر لي، فخفتُ أن أعطيه مبلغًا زهيدًا وأكون قد بخسته حقَّه، وأيضًا خفتُ إن لم أُوفِّه حقَّه ألّا يساعدني علىٰ غسل ملابسي في المرات القادمة، ولذلك أعطيته ٥٠ رنجتًا، أي ما يزيد علىٰ أربعة ريالات، وكان مجموع القطع ١٨ قطعة، وفي ذلك توفير كبيرٌ عن قيمة غسلها في المغسلة.

د وعندما تعرَّفتُ علىٰ سائق سيارة الأجرة عبد الحكيم، اتَّفقتُ معه أن يأخذ ملابسي إلىٰ مغسلة قريبة من المسجد الذي يُصلِّي فيه، ويحضرها لي بعد الانتهاء منها، وكانت قيمة الغسيل ٢٧ رنجتًا فقط، إضافةً إلىٰ ١٨ رنجتًا تكلفة سيارة الأجرة، فأعطيته ٥٠ رنجتًا، وقد أحضر لي الدشاديش مَكْوِيَّة وأما بقية الملابس فلم تُكوَ لأنها -حسب قوله- ملابس داخلية لا تحتاج إلىٰ كيٍّ.

هـ وعندما انتقلتُ إلىٰ منطقة أمبانج، وجدتُ مغسلة ملابس رخيصة، إذ إنهم يَحسُبُون التكلفة بالكيلوجرام فسعر الكيلو ٢,٥ رنجت فقط، وأما الكيّ فيحسبون ١,٥ رنجت عن كل قطعة.

٩ كان يأتي إلىٰ العيادة الصينية أناس لديهم شتىٰ أنواع الإصابات مثل التوحُّد وعدم النطق؛ وكان مرضىٰ التوحُّد -وغالبيتهم أطفال- يأتي بهم أهلهم وكأنهم شياطين، ثم لا يلبثون في العيادة إلا أيامًا حتىٰ يتغيَّر حالهم ويُصبحوا هادئين.

أ ذات مرة جاءت عائلة بنجالية من أب وأم ومعهما ابنهما الذي أنهىٰ السادسة من عُمُره وهو لا يتكلَّم، وفي الوقت نفسه فيه طاقة زائدة تجعله يتصرَّف وكأنه مجنون، وكان أبوه يُمسِك به بكلتا يديه أو يحمله علىٰ صدره، وأما الأم فكانت لا تكفُّ عن تقبيله وعناقه، وكان الأب يُصارعه من أجل أن يضعوا الإبر الصينية علىٰ رأسه، ولم يلبث إلا نحو أسبوع حتىٰ صار الطفل يُطأطِئُ رأسه للطبيب ليضع عليهِ الإبر.

ب وأخبرني الماستر "ليونج" أن بعض هؤلاء -وعددٌ منهم من بنجلاديش- يقضون في العيادة قرابة عام، ويعود أولادهم وقد شفاهم الله مما يعانون، والأطفال الذين لديهم مشكلة في النطق كانوا يبدؤون ترديد بعض الكلمات من الأيام الأولىٰ لبدء العلاج، وأخبرني أخٌ كويتي التقيتُ به هناك أنه تعوَّد إحضار ابنه المصاب بالارتخاء التام لكامل جسده، وأنه يُحضره في العام أكثر من مرة وفي كل مرة كان يبقىٰ أشهُرًا.

ج وذات مرة دخلَتْ علينا امرأة، ولما نظرتُ إلىٰ وجهها رأيتُه مخيفًا جدًّا؛ فقد كان أسود وكلُّ شيءٍ فيه منتفخًا ومُتدلّيًا بدرجة كبيرة جدًّا، حتىٰ إنّ مَن ينظر إليه يحسبه وجه قرد، وكنتُ أحسبها تلبس قناعًا، ولكن الأخ الكويتي أخبرني بأنها مصابة بمرضٍ نادر، وسألتُ الطبيب عن ذلك فقال بأن أوردة وجهها منتفخة، فحمدتُ الله الذي عافانا مما ابتلىٰ به كثيرًا من خلقه.

وعندما دخلتُ إلىٰ إحدىٰ الجلسات شاهدتُ المرأة مُستلقية علىٰ السرير في الغرفة المجاورة، وقد ظننتُها نائمة ولكنها كانت تجرُّ أنفاسها بصعوبة وتحاول أن تخبر المُمرِّضة بشيء، وقد سمعتُها تتكلَّم بصعوبة ولا يكاد يُسمَع صوتها وكأنها غارقة في بئر، ورأيتها ذات مرة وهي تُمسِك بهاتفها وتتصفَّحه، ويبدو أنها لا تزال بنتًا شابّة، فسبحان الله العليم بأحوال خلقه.

١٠ شاهدتُ العديد من النماذج للشباب والفتيات الذين غرَّتهم الحياة الدنيا وانساقوا وراء الحياة الغربية، خاصة فيما يتعلَّق بالتعرِّي واقتراف المنكرات، وأذكر من ذلك ما يلي:

أ ذات مرة جاء إلىٰ الفندق الذي أُقيم فيه في "بوكِتْ بنتانج" مجموعة من نحو عشرة أولاد وبنات، وأظنُّهم طلاب ثانوية، ولا أدري إن كانوا قد جاؤوا في رحلة أم لغرض آخر، ومن أشكالهم يبدون وكأنهم صينيون، وقد أقاموا في الغرف المجاورة لغرفتي، وكنتُ أسمعهم يأتون نحو العاشرة ليلًا ويبدؤون الصريخ والضجيج ويسهرون إلىٰ وقت مُتأخِّرٍ ثم يستيقظون في الصباح الباكر، ويذهبون إلىٰ مطعم الفندق ليفطروا، ثم ينصرفون طَوالَ النهار، وكنتُ أسمعهم في الليل يتعاركون بنينَ وبناتٍ بصراخ وضحك عالٍ، ولا أدري إن كانوا ينامون مختلطين أم ينام البنونَ وحدَهم والبناتُ وحدَهنَّ، ولم أرَ أحدًا من الكبار معهم، ولا أدري كيف يُؤتَمَن شباب وفتيات في مثل تلك السِّن ليبقوا وحدهم، وربما ينامون مختلطين في غرفة واحدة! فالحمد لله علىٰ نعمة الإسلام.

ب وذات مرة كنتُ في العيادة الصينية، وشدَّ انتباهي دخول فتاة ماليزية مسلمة ربما تكون قد قاربت عقدها الثالث، وتبدو مُترجِّلة ومُتبرِّجة بصورة فاضحة؛ فكانت تلبس الجينز المُثقَّب كما عند الغربيين وعليها فانيلة خفيفة تُظهِر معظم مفاتن صدرها، وتقوم بحركات وتتكلَّم وكأنها غربية، والعجيب في الأمر أن أباها وأمها المُتحجِّبة كانا معها، والأب والأم في غاية الهدوء ويريانها تقوم بحركاتها التغنُّجية وجلساتها الفاضحة ولا يرفعان لها حاجبًا، فنعوذ بالله من أن نرىٰ في أهلنا مثل تلك النماذج.

ج وذات مرة ذهبتُ إلىٰ المطعم الهندي القريب من مكان إقامتي لأتناول الغداء، ومما لاحظتُه أنه في يومَيْ الإجازة الأسبوعية يكثر مجيء الأولاد الهنود إلىٰ ذلك المطعم، ويُحضرون معهم بنات هنديات، ويُكوِّنون مجموعات (أو بتعبير العمانيين "شِلَل")، وقد شاهدتُ ذات مرة اثنين منهم جالسين ومعهما فتاة، وكان الشابَّان يُدخِّنان علىٰ الرغم من أن عمرهما قد لا يزيد علىٰ ١٥ أو ١٦ عامًا.

د وذهبتُ مرة أخرىٰ إلىٰ ذلك المطعم، وبينما كنتُ أتناول غدائي إذ جاء ما يقارب ٣٠ من طلاب المدارس، وأظنُّهم من صفٍّ واحد، ويبدو من أعمارهم أنهم طلاب ثانوية، وكانوا خليطًا من الهنود والماليزيين والصينيين، وقد رأيتُهم علىٰ درجة من الانحلال وذلك من خلال ملابسهم ومعانقاتهم والقُبُلات التي يتبادلها الأولاد والبنات، وكان كثيرٌ منهم يُدخِّنون، فحمدتُ الله أنه لا يوجد كثيرٌ من أمثال أولئك الأوباش في بلادنا عمان، ونسأل الله أن يحفظها وجميع بلاد المسلمين من أن تصل إلىٰ تلك الدرجة.

١١ عندما كنتُ في المركز الرياضي كان المُدرِّب «فردوس» يطلب مني أن أَعُدَّ من واحد إلىٰ عشرة وأن أُبقي الرجل مرفوعة، ثم أخبرني بأن أحد كبار السِّـن الماليزيين الذين كان يعالجهم في وقت سـابق قد رآه يُتمتم بشيء عندما يطلب منه العدَّ، فأنصتَ إليه فوجده يقرأ القرآن فسأله عن ذلك فقال له: «أقرأُ سـورة الإخلاص، وقراءتها تسـتغرق تقريبًا المدة

نفسها عندما أعُدُّ من واحد إلىٰ عشرة، ولذلك فالأفضل أن أُكرِّر قراءة سورة الإخلاص لأكسب أجرًا بذلك».

وجـزىٰ الله خيـرًا ذلك المُدرِّب، فقد علَّمني شـيئًا عظيمًـا، إذ أخذتُ أقرأ سورة الإخلاص ثلاثين مرة لكل تمرين، إذ كان يطلب مني تكرار الحركة ثلاثين مرة، وإذ إن هناك أربعة تمارين لكل قدم وأربعة لتمرين الرجليـن فيكـون مجمـوع التماريـن ١٢، وبذا أكـون -بحمد الله- قد كرَّرتُ سورة الإخلاص ١٢×٣٠ = ٣٦٠ مرة، فكم من الأجر العظيم الذي يحصل عليه المرء من جَرَّاء ذلك! فجزاه الله عني خيرًا.

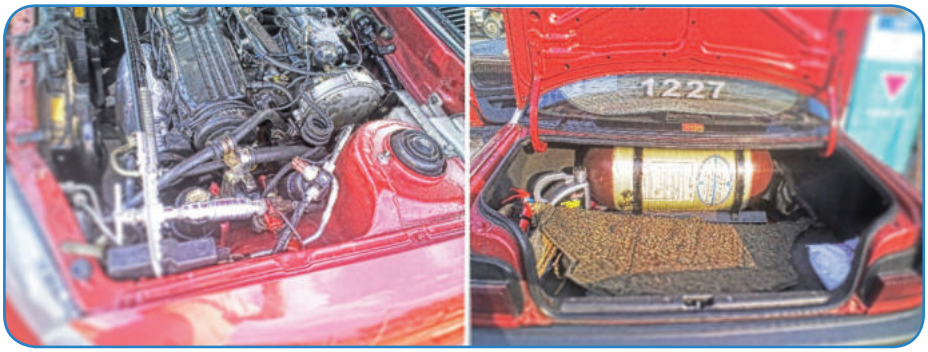
١٢ ذات مرة أحضر لي الأخ الكويتي الذي يُحضر ابنه إلىٰ العيادة الصينية كيسًـا كبيرًا به خبز الرقاق العماني، وأخـبرني بأنه في فصل الصيف جاء إلـىٰ العيادة إخـوة عمانيون وغادروا في أكتوبر، وتركوا له أشـياء كثيرة ومنها كرتون كبير بـه الخبز العماني، وعندما فتحتُ الكيس وجدتُ به أكياسًا مُغلَّفة من أحد المخابز في عمان، وبكل كيس نحو عشر خبزات، فكان ذلك مدَدًا لي من ذخيرة الطعام العماني الذي أحضرته معي.

١٣ لمحاولـة التقليـل من تكاليـف المكالمـات إلىٰ عمـان، تواعدتُ مع ابنتـي لأتواصـل معهـم باسـتخدام برنامـج التانجو، فحملـتُ جهاز اللابتوب إلىٰ الاسـتراحة الصغيرة في الفندق التي بها واي فاي، وقُمنا بمحاولات عديدة اسـتطعنا أن يرىٰ بعضُنا بعضًا وتكلَّمنا قليلًا، ولكن الاتِّصال كان ينقطع في كل مرة، ثم حاولنا تحميل الياهو مسنجر ولكن

ابنتي قالت بأنه تعذَّر عليها تسجيل الدخول فيه بسبب بطء الشبكة، ثم وجدتُ برنامجًا اسمه NIMBUZZ وطلبتُ من ابنتي أن تُحمّله في هاتفها ففعلَتْ، وحاولنا التواصل فاستطعنا بالرسائل ولم نتمكَّن من التحدُّث، وقد وجدتُ في ذلك البرنامج خاصية إجراء المكالمات عبر الإنترنت (Voice Over IP) وبتكلفة ٢٧ سنتًا للدقيقة (نحو ١٠٠ بيسة)، فاشتريتُ رصيدًا بعشرة دولارات واتَّصلتُ بالأهل، ولكن الصوت كان يبدأ واضحًا ثم يأخذ في التقطُّع، وحاولتُ مراتٍ عِدةً ولكن تحدث المشكلة نفسها.

١٤ من الأمور التي عرفتُها من سائق الأجرة عبد الحكيم أن سيارته تسير بالغاز، إذ تُركّبُ الحكومة جهازًا خاصًّا في السيارة ليجعل المُحرِّك يعمل بالغاز (إضافة إلىٰ البنزين)، وهذا الجهاز يُكلِّف ٣٠٠٠ رنجت (أي نحو ٤٠٠ ريالٍ)، وتكلفة الغاز هي تقريبًا ٨٠ سنتًا للّتر (كل رنجت تُعادل ١٠٠ سنت)، في حين أنّ تكلفة البنزين ١٧٥ سنتًا، وأخبرني بأنه يمكن تركيب هذا الجهاز في أيِّ سيارة، وتصبح للسيارة القابلية للعمل بالبنزين أو الغاز، وميزة الغاز -إضافة إلىٰ انخفاض تكلفته- أنه لا يُصدِر عوادمَ سامة.

وأخبرني عبد الحكيم بأنه يملأ سيارته بالبنزين عندما يذهب إلىٰ قريته، لأنه لا توجد محطات علىٰ الطريق لتعبئة الغاز، وقال بأن السيارات التي تسير بالغاز يكون عزمها ضعيفًا فلا تستطيع صعود مرتفعات جبلية، كما أنّ أقصىٰ سرعة لها نحو ١١٠ كم/ ساعة فقط.



الإضافات في مُحرِّك السيارة لكي تعمل بالغاز، وعُبوة الغاز تكون في صندوق السيارة

١٥ وأخبرني عبد الحكيم أيضًا أنه توجد في ماليزيا شركتان تُصنِّعان السيارات، وقيمة سيارته الماليزية ٢٤٠٠٠ رنجت (أي نحو ٣٠٠٠ ريال)، ولكن عليه أن يشتريها من إحدىٰ شركات سيارات الأجرة التي تُقسّطها لهم مدة خمس سنوات، وتصبح قيمتها الإجمالية بعد التقسيط ٤٠ ألف رنجت، وقال بأن الشركة تُلزمهم أن يدفعوا لها أقساطًا يومية قدرها ٤٥ رنجتًا، وإذا لم يدفع الشخص القسط اليومي ثلاثة أيام متوالية، فإن الشركة تسحب السيارة منه.

١٦ وأخبرني أيضًا بأن أحدًا ممَّن ذهبوا معه للخروج إلىٰ بنجلاديش عرض عليه أن يُزوِّجه ابنته، وأخبره أن مهرها ١٠٠٠ رنجت فقط (أي ما يعادل نحو ١٢٠ ريالًا)، وفي إحدىٰ إجازات الأسبوع ذهب عبد الحكيم مع اثنين من أصدقائه إلىٰ البلد الذي يسكن فيهِ أبو البنت، وكان الاثنان الآخران قد ذهبا أيضًا ليرىٰ كل واحد منهما بنتًا وُعِد بالزواج بها.

عندمـا وصلوا إلىٰ بيت الشـخص، دخل عبد الحكيـم ليرىٰ البنت في حضور أمها، في حين بقي زميلاه في الخارج، وقد وجد البنت مُحتشمة جدًّا وخجولة جدًّا، وهي تعمل مديرة صيدلية في إحدىٰ المستشـفيات المعروفة، وأخبرته أمها بأن البنت تشترط عليه شرطين هما: أن يكون لديهِ وظيفة، فأخبرها بأنه يعمل سـائق أجرة وهي تُعَدُّ في ماليزيا وظيفة محترمة، والشـرط الثاني أن يكون غير مُدخِّـن، وعبد الحكيم طبعًا لا يُدخِّـن، وسـألتُه إن كانت البنت قد اشـترطتْ شـيئًا يتعلَّق بالدراسـة، فقال: لم تشترط، مع أنها خريجة صيدلة وهو أنهىٰ الثانوية فقط.

أما هو فكان لديه شرطان: الأول أن تسلك نفس طريقه في جماعة التبليغ والخروج في سـبيل الله، كما يُسـمُّونها، والثاني: أن يكون له القوامة في البيت، وأن تشـاركه في قراءة القرآن وصـلاة الليل والصيام وغير ذلك مـن النوافل، وبالطبع وافقت البنت علىٰ الشـرطين، وسـبحان الله؛ ما أنبل وأعظم اشـتراطات الصالحين! فهذا الأخ لم يشـترط عليها إلا ما يستوجبه منه دينه في بذل ماله وجسده في سبيل الله، ونلاحظ أيضًا كيف أن البنت التي ربَّاها أبوها علىٰ حُبِّ الدين لم تعارض شـيئًا من ذلك، بل وافقت عليه مباشرة، وأكثر من ذلك أنها رفضت أن يشتري لها ذهبًا أو ثيابًا، بل اكتفت بملابسها العادية فقط، مع أنه كان ينوي أن يُقدِّم لها خاتمًا مهرًا لها.

ومـا أضحكني منه أنه طلب منها قبل أن يُنهي اللقاء أن يسـمع صوتها، ومن شدَّة حيائها نظرَتْ إلىٰ أمها وكأنها تستنجد بها لكي لا تفعل ذلك، فسـهَّل عليها الأمر وقال لها: قولي فقط «**ما شـاء الله**»، فسمعها تقولها

بصوت خافت، ولم ترفع رأسها منذ أن دخلتْ، وكذلك طلب أن يرىٰ يديهـا، ومرة أخرىٰ استنجدتْ بأمهـا، ولما أخبرتها أمُّهـا بأنه لا بأس بذلـك، حرَّكتْ كفَّيْها قليلًا حتىٰ رأىٰ ظاهرهما وباطنهما ثم دسَّتْهما مرة أخرىٰ في جلبابها.

وكان الطلـب الثالـث أكبر تحـدٍّ للبنت، إذ طلب منها أن تمشـي بضع خطوات، فقامت علىٰ استحياء فمشتْ مسـافة قصيرة جيئة وذهابًا ثم عادت فجلستْ، وبالطبع لم يكن مقصد هذا الأخ التقيِّ التمتُّع بمفاتن تلـك البنت، وإنما أراد أن يعرف إن كان في لسـانها مشـكلة في النطق، أو إن كانـت لديهـا عيـوب خِلْقية في يديهـا أو رجليها، فسـبحان الله؛ كيف يختار المُتَّقون شـريكات حياتهـم! وكيف هو حياء البنت التَّقية! وأخـبرني بأنه بعد كل هذا أخـبر البنت بأنه سيسـتخيرُ الله وطلب منها أيضًا أن تستخير الله.

بعد ذلك، ذهبـوا إلىٰ بيوت البنات اللاتي جاء أصدقاؤه لرؤيتهن، وقد كان حـظُّ الأخ الثاني أوفر بكثير من حظِّه هو، إذ حَظِيَ ببنت ذات علم وتُقًىٰ وورع أكثر من البنت التي رآها هو، وحصل صديقه الثالث أيضًا علـىٰ بنت، ولكنه جاء ليرىٰ ابنتين وليسـت واحدة، وعندما ذهبوا إلىٰ بيـت إحداهنَّ فوجئوا أولًا بأن والدها يدعوهم جميعًا ليدخلوا البيت، ولمـا دخلـوا وجـدوا ثلاث بنـات وأمهـنَّ وإخوتهـنَّ مجتمعين، ولا يظهـر علىٰ البنات صلاحٌ ولا تقىٰ، فالأسـرة -فيما يبدو- من الأُسَـر المُتحضِّـرة كما يسـمُّونها، وعرض الأب بناته الثـلاث للزواج بهؤلاء الثلاثة، فرفضوا جميعًا لما شـاهدوه مع إلحاح الأب وتحايله عليهم،

وسبحان الله؛ ما أعجبني في هذا الأب كيف أنه يبحث لبناته عمَّن يسترهنَّ، وكيف أن حالة الاستقامة والصلاح عند البنت لها دور كبير فيمَن يتقدَّم للزواج بها!

وقد أخبرني عبد الحكيم أن الدكتور محمد سحير -صاحب العيادة التي ذهبتُ للعلاج فيها- عنده بنت تعمل معه في العيادة، وأنه لمَّح له مرات عدة لتزويجه إياها، ولكن يبدو أن عبد الحكيم لا يريدها، فهي وإن كانت مُتحجِّبة ولكنه -كما يقول- حجاب مُلوَّن، وأيضًا طبيعة عملها تستوجِب منها أن تُحادث مَن يأتون إلىٰ العيادة، وهي أيضًا -حسب ميزان عبد الحكيم- ليست من جماعة التبليغ كما هو حال أبيها، وأن أمها تكره أصحاب جماعة التبليغ.

١٧ ذات مرة بعد صلاة الجمعة في أحد الجوامع جاءني شخصٌ كبيرٌ في السِّن وأخبرني بلهجة عربية مُكسَّرة أن اسمه سعيد وأنه من اليمن، ورأيتُه وكأنه يتسوَّل فأعطيتُه عشرَ رنجات، ثم خرجتُ إلىٰ الشارع المجاور المُكتظِّ بالسيارات التي لا تكاد تتحرَّك من شدَّة الزحمة، فأردتُ أن أُوقِف سيارة أجرة فمرَّ عليَّ ذلك الشخص وأخذ يناديني لأجلس، وقال بأنه سيُوقِف هو سيارة أجرة لي، ثم قال بأنه سيتَّصل بصديقه ليأتي.

الحقيقة أني كنتُ في داخلي أنظر إلىٰ ذلك الشخص علىٰ أنه خفيف عقل، فلم أكترث له وإنما كنتُ أردُّ عليه بأني سأتولىٰ إيقاف سيارة

الأجرة بنفسي، ولقد ذُهِلتُ عندما رأيتُ سيارة صغيرة تقف بجانبي وتفتح النافذة، فإذا فيها ذلك الشخص وهو يناديني لأركب، فقلتُ في نفسي: «**سأركب وأجعلها مغامرة فلعلِّي أستفيد منه شيئًا**».

ركبتُ بجواره فأخبرني بأن له صديقًا مُقيمًا في ذلك الجامع لأنه في خروج (أي من جماعة التبليغ)، وقد اتَّصل به وطلب منه سيارته ليُوصِلني بها فرحَّب صديقه بذلك، فأحسستُ حينها بأني قد ظلمتُه عندما حسبته مهبولًا، ولكني كنتُ ما زلتُ مُتوجِّسًا منه، وفي الطريق حدَّثني عن نفسه وأسرته، فقال بأن اسمه سعيد هارون الجنيد، وأن جدَّه كان من حضرموت وهاجر إلىٰ ماليزيا، وقال بأن له وَلَدَيْن وستَّ بنات ولكنهم تفرَّقوا عنه، وزوجته قد أصيبت بالشَّلل.

بقينا نتحدَّث طَوالَ الطريق، ولما وصلنا قريبًا من الفندق طلبتُ منه أن يوقفني علىٰ الشارع العام، فأبىٰ إلا أن يُوصلني إلىٰ مدخل الفندق، ولما حاولتُ أن أعطيه بعض النقود رفض بحُجَّة أني قد أعطيته من قبل في المسجد، وقد تعلَّمتُ درسًا من ذلك الرجل وهو ألّا نظنَّ بالناس السُّوء من مُجرَّد أشكالهم، فقد تكون لهم قلوبٌ تُشِعُّ خيرًا.

١٨ ذهبتُ مرة إلىٰ محلٍّ عربي للحلاقة فوجدتُ يعمل فيه أحد الإخوة العراقيين، وأخبرته بأني أحلق ماكينة فحلق لي شعري خفيفًا مثلما تعوَّدتُ أن أحلقه في عمان، وكنا في أثناء الحلاقة نتحدَّث في أمور كثيرة؛ فقد أخبرني أن أكبر الجاليات العربية في ماليزيا هي الجالية السعودية وغالبيتهم من الطلاب، ثم تليهم الجالية اليمنية الذين يأتون

إلـىٰ ماليزيا ويُقيمون فيها تجارتهم الخاصة، ويكونون في خلال أشـهر قد تعلَّموا الماليزية وتزوجوا بماليزيات.

كذلـك، فقد تحدَّثنا عن أوضاع العراق، وأخبرني بأنه من أهل السـنة، وكان يتهجَّم كثيرًا علىٰ الشـيعة ويصفهم بأنهم غير مسـلمين، ويتهجَّم أيضًا علىٰ ما يُسمِّيهم بالمُتطرِّفين من السُّنة الذين كانوا -حسب قوله- يقتلون أيَّ أحد سـواءٌ أكان من الشـيعة أم السُّنة، وفي الوقت نفسه كان يترحَّم علىٰ صدام حسـين، ويقول بأنه لو كان حيًّا لما اسـتطاع أولئك أن يقوموا بما يقومون به.

أستأنسـتُ كثيرًا بطيبته وحديثه، ولكني صُدِمتُ عندما سألته عن قيمة الحلاقـة، فأخبرني بأنها ٥٠ رنجتًا (أي نحو ٦,٥ ريالًا)، وكنتُ أحلق في عمان بـ٤٠٠ بيسـة فقـط، وكان قد عرض عليَّ بعـد انتهاء الحلاقة أن يُصفِّي بشَـرة وجهي من الدهون والبُقَع الداكنة، وأنها ستبقىٰ بيضاء ثلاثة أشـهر، فقلتُ له: «**لا أريد؛ فأنا لا أسـتخدم طرق التجميل هذه**»، وجميـلٌ أني لم أوافق وإلا فما أدري كم سيحسـب عليَّ، وقد أخبرتُ الأخ الكويتي الذي يأتي بابنه للعيادة الصينية، فتعجَّب من تلك القيمة، وأخـبرني بأنـه تعوَّد أن يحلق بنحـو ١٥ رنجتًا فقط، ولكـن الظاهر أن هؤلاء العرب يعرفون كيف يستغلون السُّيَّاح السُّذج مثلي.

١٩ من المراكز التجارية الضخمة التي زُرتُها مركز يسمىٰ «**لويات**» (**Plaza Low Yat**) وهـو مُتخصِّـص فقط في الأجهزة الإلكترونية والحواسـيب ويتكـوَّن من ثمانيـة طوابق، وقد ذهبـتُ لأبحث عن وصلـة بلوتوث لحاسوبي المحمول، فاشتريتُها بـ٣٥ رنجتًا.



مركز «لويات» المُتخصِّص في الأجهزة الإلكترونية والحواسيب

٢٠ التقيتُ ذات مرة بشابٍّ تركي اسمه مصطفىٰ يدرس الدكتوراة في الجامعة الإسلامية في ماليزيا في تخصُّص الصيرفة الإسلامية، وقد أعجبتُ به كثيرًا لسَعة اطِّلاعه علىٰ ما يتعلَّق بالصيرفة الإسلامية؛ سواءٌ في دقائقها التفصيلية أم في انتشارها في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، أم في الأحكام الشرعية المُتعلِّقة بها.

وما إن عرف أني من عمان حتىٰ أخبرني عن بنك نزوىٰ الإسلامي الذي لم يمضِ علىٰ افتتاحه آنذاك إلا أشهر معدودة، وأن عمان لم تفتح مجال الصيرفة الإسلامية إلا قريبًا علىٰ الرغم من أن جميع دول الخليج قد سبقتها في هذا المجال بسنوات عديدة، وقد أخبرني بأنه

زار عمان مرتين، وزار نزوىٰ والحمراء وجبل شمس وكهف الهوتة، وأنه زارها أولًا في عام ٢٠٠٧م وأُعجِب بها كثيرًا؛ ما جعله يأخذ والده معه في الزيارة الثانية التي كانت في ٢٠١٠م، وكان يُخبرني عن معرفته وتواصُله في عمان بمديري بنوك ومشايخ علم لهم باعٌ في مجال الصيرفة الإسلامية.

٢١ من المواقف المثيرة التي شاهدتُها وأثَّرت في نفسي كثيرًا؛ أني شاهدتُ امرأة عجوزًا يبدو عليها سيماء الشيخوخة والفقر، فهي هزيلة جدًّا وشعرها منتفش، وكانت تقود دراجة هوائية مُحمَّلة بالكراتين والعُلَب الفارغة، فأوقفتْ دراجتها عند أحد مرادم النفايات، فذهبتُ إليها ومددتُ يدي لأُعطيها بعض الرنجات، فردَّتْ عليَّ: «No. No»، فحاولتُ أن أترك الرنجات بين الكراتين فأبَتْ وهي تُكرِّر كلمتها بالرفض، ثم أشارت إلىٰ مردم النفاية وكأنها تقول لي بأنها ستجد كنزًا كبيرًا فيه، فعجبتُ من عزة نفس تلك المرأة وعدم تذلُّلها للسؤال أو قبولها العطايا رغم فقرها، ولا أدري إن كانت مسلمة أم لا، ولكن يبدو من شكلها أنها صينية.

٢٢ في رحلة ماليزيا استطعتُ بحمد الله وتوفيقه قراءة سبع روايات وهي: «العاطل» لناصر عراق (٣٢٨ صفحة)، «سلك شائك» لهداء الجالي (١١٦ صفحة)، «الحياة لحظة» لسلام إبراهيم (٥٠٧ صفحات)، «ما وراء الأبواب» لهشام الخشن (١٨٢ صفحة)، «أيام المستعصم الأخيرة» لعبد الجبار ناصر (٣٢٦ صفحة)، «آخر الفرسان» لفريد

الأنصـاري (٢٥٢ صفحة)، «**عودة الفرسـان**» لفريد الأنصاري (٣٣٥ صفحـة)، وقد وجـدتُ أن بعض تلـك الروايات -مثل رواية «**سـلك شائك**»- سخيفة جدًّا، وهي مُجرَّد قصٍّ ولصقٍ لمقتطفات من كتب أو روايات أخرىٰ، ووجدتُ بعضهـا تَذكر الجنس ذكرًا فاضحًا جدًّا مثل روايـة «**العاطل**» لناصر عراق، وبعد عودتي إلىٰ عمان أحرقت خَمسًـا من تلك الروايات خشيةَ أن تقع في يد أحد أولادي أو الآخرين.

٢ رحلة سياحية في يناير 2015م

بعـد مـا شـاهدته في ماليزيا من جوٍّ سـياحيٍّ رائـع ومناظر خلَّابـة ومعاملة حسـنة وأخـلاق رائعة، أخـبرتُ أهلي بأني سـآخذهم في رحلة سـياحية إليها، فجـاءت الترتيبـات للذهاب في إجازة مـا بين الفصلين في ينايـر ٢٠١٥م علىٰ أن نبقىٰ هناك ١٢ ليلة، وضمَّت ثلاثة عشـر شخصًا من الكبار والأطفال، وقد رتَّبنـا لرحلتنا عبر سـفريات بهوان في روي، فأجْرَوْا جميـع حجوزات الطيران والفنادق والحافلات التي سـتأخذنا إلىٰ الأماكن السـياحية في ماليزيا، وكانت بتكلفة قدرها ٧١٤٠ ريالًا شاملة كل ذلك.

أ الوصول إلى ماليزيا

في يـوم المغـادرة وصلنـا إلىٰ مطـار مسـقط في الحادية عشـرة ليـلًا، ولما تفحَّصـتْ مُوظَّفـة الطيـران العمـاني الهندية جوازاتنـا، أخبرتنا بـأن جوازات أولادي إشـراق وإبراهيم وأسامة ستنتهي بعد أربعة أشهر، وأن قانون الطيران لا يسـمح بسفر الشخص إن كان جوازه سـينتهي في أقل من ستة أشهر، وكنتُ

أعلـم بذلك القانون من قبل وكنتُ أُحذِّر غيري من الوقوع فيه ولكن شـاء الله أن تمـرَّ الترتيبات دون أن أنتبه إلىٰ المشـكلة، وكذلك لم يُنبِّهني إليها مندوب سفريات بهوان علىٰ الرغم من أن الجوازات بقيتْ عنده أكثر من شهرين.

حاولتُ مع المسؤول المناوب في الطيران العماني ليساعدنا فاتَّصل بمكتب الطيران في ماليزيا، وتكلَّموا مع مسـؤولي الجوازات هناك فرفضوا اسـتثناءنا، وعندها لم نجد بُدًّا من تأخُّر الثلاثة إلىٰ حين تجديد جوازاتهم وسفرنا دونهم، ولمـا ذهبنـا لتغيير حجوزاتهم أخبرونا بأنه لا يوجـد للطيران العماني إلا رحلة واحدة في اليوم؛ ما يعني أنهم سيغادرون في اليوم التالي في الوقت نفسه.

رأيـتُ أنه مـن الضروري الاتِّصال بمندوب سـفريات بهـوان، فعاتبته علىٰ عدم تنبيهنا إلىٰ انتهاء الجوازات، وسـألته ماذا يقترح، فاقترح أن نسـافر نحن، ويُجدِّد الثلاثة جوازاتهم في صباح الغد، ثم يتواصل أحدهم معه لتغيير الحجز، وأخبرني بأنه سيُرتِّب لهم بحيث عندما يصلون إلىٰ مطار كوالالمبور يتوجَّهون إلىٰ لينكاوي مباشـرة لكي نلتقي معًا في الرحلـة المُتَّجهة إلىٰ هناك، وأما نحن فكان من ضمن برنامجنا أن نبيت الليلة الأولىٰ في كوالالمبور ثم نغادر في اليوم التالي إلىٰ لينكاوي.

أخبرنا مُوظَّف الطيران العماني أن غرامة تغيير الحجز لكل واحد من الثلاثة ١٣١ ريـالًا فأخبرتُ الأولاد بأن يطلبـوا من مندوب بهوان دفعها لأن ما جرىٰ هو بسببهم، وبعد أن أكملنا إجراءات شحن الحقائب والحصول علىٰ بطاقات دخـول الطائـرة، ودَّعْنا الأولاد الثلاثـة ثم توجَّهنا إلىٰ البوابـة، ووجدناهم قد بدؤوا دخول الطائرة.

كنـا مُتعَبيـن جدًّا فنِمنا مباشـرة إلا يوسـف ومصعب فقد بقيـا يلعبان علىٰ شاشـاتهم، وبعد نحو نصف ساعة أحضروا ساندويشات ولكني فضَّلتُ النوم علىٰ الأكل، وكنتُ أستيقظ بين فينة وأخرىٰ خشـية طلوع الفجر، وعندما بزغ توضـأتُ وأيقظـتُ زوجتـي والأولاد وصلَّينا جلوسًـا في مقاعدنـا ثم واصلنا النوم، وقبل نحو ساعتين من وصولنا أحضروا الإفطار.

اسـتغرقت الرحلة قرابة سـبع سـاعات، ووصلنا إلىٰ مطـار كوالالمبور في ١٢:٤٠ ظهـرًا بتوقيـت ماليزيـا، وبعـد خروجنا مـن المطار وجدْنـا مندوبي المكتب السـياحي ينتظروننا، فأخذونا إلىٰ فندق «بيراميد» في سـيلانجور ذي أربعة النجوم، وكان بجانبه مركز تِجاريٌّ ضخم، ومدينة ألعاب ضخمة تسمىٰ «صنـوىٰ لاجـون»، فأعطونا أربع غـرف، وقالوا بأنه لم يصل إليهم شـيء من عمان بخصوص إلغاء إحدىٰ الغرف.

صلَّينـا الظهـر والعصر ثم طلبـتُ من مصعب ويوسـف أن يذهبا ليسـحبا ١٠٠٠ رنجت بالبطاقة ثم يشـتريا غداء، فتناولنا الغداء وكانت السـاعة حينها تشارف الخامسة، وكنا في غاية الإرهاق فنِمنا إلىٰ التاسعة.

أمـا عـن الأولاد الثلاثة ففور وصولنـا إلىٰ الفندق أُوصلتُ بشـبكة الفندق وتواصلـتُ معهـم بواتسـاب فأخـبروني بأنهـم في الصبـاح ذهبـوا لتجديـد الجوازات، فأخبروهم بأن إبراهيم وأسـامة لا بُدَّ أن يُصوَّروا بدشداشـةٍ بيضاءَ ومَصَرٍّ، فعادوا إلىٰ شـقتهم وغيَّروا ملابسـهم ثم عادوا إلـىٰ الجوازات، ولما جاء دور أسـامة أخبروه أنه لا بُدَّ أن يحصل أولًا علىٰ البطاقة الشـخصية وذاك يحتاج إلىٰ صور من جوازي وجواز أمه وأيضًا شـهادة ميلاده، فأرسلتُ إليهم صورًا من جوازي وجواز أمهم.

وأما بالنسبة إلىٰ شهادة الميلاد فكانت في بيتنا في الحمراء، وكان باب البيت مُغلقًا، فأرسلتْ ابنتي لابنة عمها تطلب منها أن تتسلَّق من نافذة غرفتنا وتُصوِّر لها الشـهادة بهاتفها، ثم طبعوا الصُّور وأخذوها إلىٰ الجوازات، وتمَّتِ الأمور -بحمد الله- بسـلام، وانتهوا من كل ذلك في الخامسة عصرًا، وأما بالنسبة إلىٰ تذاكرهـم فقـد غيّر مندوب سـفريات بهوان الحجوزات، وأخبرني بأن رسـوم التغيير سـتكون ٤٨٦ ريالًا للطيران العماني والماليزي، فحاولتُ تحميله قيمة التغيير لأنهم كانوا السـبب فيما حـدث، ولكنه لم يرضَ بل وعدني أن يتواصل مـع الطيـران لتخفيض القيمـة، وبعد صلاة المغرب سـلَّم المنـدوبُ التذاكرَ لإبراهيم، وفي الثانية عشرة ليلًا وصلوا إلىٰ مطار مسقط ثم غادروا إلىٰ ماليزيا.

ب زيارة جزيرة لينكاوي

في اليوم الثاني وبعد الاستيقاظ في السابعة ذهبنا لنفطر في مطعم الفندق وكان هناك بوفيه مفتوح به العديد من أنواع الطعام، ثم عُدنا إلىٰ غرفنا لنتجهَّز للذهاب إلىٰ المطار، واتَّصل بنا مندوب مكتب السـفريات في العاشرة والنصف، وكان من المفـترض أن نلتقي بالأولاد الثلاثة الذين تأخروا عنا في المطار ثم نذهب في رحلـة لينـكاوي معًا ولكن تعذَّر التواصل معهـم، وأخبرونا فيما بعد عندما التقينـا بهـم في لينكاوي أن رحلتهـم من مطـار كوالالمبور كانـت بعدنا بنحو أربع سـاعات فوصلوا إلىٰ لينكاوي في السـابعة، وقالوا بأنهـم لم يناموا يومين متواصليـن إلا فترات قصيرة، وأنهم منـذ إفطارهم في رحلة الطيران العماني لم يأكلوا إلا بعض الدونتس من مطار كوالالمبور.



ولداي أسامة وإبراهيم في مطار كوالالمبور بعد وصولهما من عمان

ركبنـا الطائـرة الماليزية في الواحدة ظهرًا ووصلنا إلـىٰ جزيرة لينكاوي بعد ساعة، فاسـتقبلَنا مندوب المكتب السياحي هناك وأَخَذَنا إلىٰ فندق «**لينكاوي لاجون**» الذي وصلنا إليه في الثانية والنصف ظهرًا، فطلبوا منا الانتظار إلىٰ حين تجهيز الغرف، وأعطونا كوبونات مجانية لشرب العصائر إلىٰ حين الانتهاء من ذلك، وفي وقت الانتظار طلبتُ من مصعب ويوسف أن يذهبا ليشتريا لنا غَداءً من مطعم الصخرة اليمنيِّ القريب من الفندق.

في صباح اليوم الثالث صلَّينا الفجر جماعة في غرفة الأولاد ثم انتظرنا قليلًا وبعدها نزلنا للإفطار في مطعم الفندق، وكان هناك بوفيه مفتوح به ما لذَّ وطاب، وفي التاسعة هبطنا من غرفنا ووجدنا سائقي حافلات المكتب ينتظروننا فذهبنا أولًا لركـوب الدراجات ذات أربـع العجلات، وأخبرونا بـأن تكلفة الدراجة

٢٥٠ رنجتًا لشـخصين والجولة تستمر نحوَ ساعة فاسـتأجرنا أربع دراجات، وأخبرونا كذلك أن لديهم مُصوِّرين يمكن أن يأتوا معنا ويُصوِّرونا فطلبنا ذلك لكي نحصل علىٰ صور وفيديو في قرصٍ، وقيمة كل ذلك ١٠٠ رنجت.

سـار معنا شـخصان في دراجتيهما، أحدهما في الأمـام والآخر في الخلف، فأخذونا إلىٰ أماكن عدة، منها غابات المطاط ومزارع الأرز وشـلالات داخل غابـة جميلة جـدًّا، فهبطنا عند الشـلالات وصوَّرنـا ثم عُدنا، وكنـا قد أخبرنا الشَّابَّيْن اللذين رافقانا بأننا نريد شرب المِشْلي (أي عصير النارجيل) فأوقفونا عنـد بيـت علـىٰ الطريق، وذهـب أحدهم إلـىٰ البيـت وبعد قليل عـاد بثلاث مِشـلِيَّات وفتحها لنا، وتبيَّن لاحقًا أن الشَّـابَّيْن أخـوان وأنهما من ذلك البيت، وجاءت أمهما وإخوتهما فرحَّبوا بنا، ولما سألناهم عن قيمة المِشْلي لم يرضَوْا أن يأخذوا نقودًا عليه.



أنا وابني أسامة عند مزارع الأرز ومعنا أحد الشَّابَّيْن اللذين رافقانا في جولة ركوب الدراجات

في أثنـاء هـذه الجولة وقع لنا حادثٌ بسـيط؛ وهو أن يوسـف كان يسـير في المُقدِّمة ولا يسـمح لأحد أن يتجاوزه، وكذلك كان يحاول أسامة مع إبراهيم ولكني كنتُ أخبره بألّا يفعل ذلك مخافة أن يتسبَّب في حوادث، وعندما كنا في منتصف الجولة عند مزارع الأرز كان مصعب يسـير في آخرنا وكنا نحن أمامه، فأراد تجاوزنا فحرف أسـامة دراجتـه جهة اليمين ليمنـع مُصعَبًا من التجاوز، فحـرف مصعـب دراجته خـارج الشـارع ليتفادىٰ الاصطـدام بنـا فتدهورتْ دراجتهمـا ولكنها -بحمد الله- لم تسـقط بالكامل، إذ أوقفهـا عمود كهرباء، وسـقطت ابنتـي في أخدود بين الشـارع وجدارٍ كان علىٰ يمينـه، فتوقَّفنا وهرع الجميـع للإنقـاذ، ولكن -بحمد الله- لم تحدث إصابـات غير بعض الجروح في رجـل البنـت، ولو كان الحادث في الغابة لهوتِ الدراجة بمَن فيها عشـرات الأمتار في الأسفل.

بعد ذلك، ذهبنا إلىٰ ما يُعرف بالمانجروف وهي جولة داخل النهر، واخترنا رحلـة سـاعتين بقيمـة ٣٥٠ رنجتًـا، وركبنا في قـارب واحد، وخـلال الجولة رأينـا بديع صنع الله في الجزر الخضراء التي كنا نمرُّ عليها، وشـاهدنا النسـور والقـرود، ثم توقَّفنا عند مزرعة لتربية الأسـماك، ووضّح لنـا مُوظَّفو المزرعة الأسـماكَ الموجـودة في الأحـواض، وطبعًـا كان الغرض من ذلـك أن نختار بعض الأسـماك فيَشْـوُوها لنا ولكننا وجدناها غالية جدًّا؛ فكل ١٠٠ جم بـ١٢ رنجتًـا، ثـم واصلنا جولتنا إلىٰ كهف الخفافيش ولكـن حدث عطل في مُحرِّك القارب، واسـتطاع السـائق أن يوصلنا إلىٰ الكهف فنزلنا وتجوَّلنا ثم عُدنا إلىٰ القـارب، فطلب صاحب القارب من قارب آخر أن يسـحبنا إلىٰ محطة قريبة، ولما وصلنا وجدنا سائقي حافلات المكتب ينتظروننا، وكان صاحب القارب قد اتَّصل بهم ليأتوا إلىٰ تلك المحطة، وكانت جولتنا من خلال المكتب نصف

يوم فقط، فطلبنا منهم أن يُنزِلونا عند مطعم ماكدونالدز، فتناولنا غداءنا فيه ثم ركبنا سيارة أجرة إلىٰ الفندق.



عند أحد الكهوف المنتشرة علىٰ امتداد النهر مع ولديَّ أسامة ويوسف

في صباح اليوم الرابع جاءنا الأخ عبد الله الماليزي صاحب سيارة الأجرة الذي أعادنا في اليوم السابق إلىٰ الفندق، فذهبنا معه إلىٰ حديقة الفواكه ودفعنا ٢١٠ رنجات لتذاكر الكبار ثم أخذونا في شاحنة (نكَّال) بها كراسيّ وأرَوْنا الحديقة المُمتدَّة والجميلة، ثم نزلنا وأكلنا الفواكه مجانًا ثم واصلنا الجولة، وبعد أن أعادونا إلىٰ نقطة البداية تجوَّلنا فيها بأنفسنا مشيًا نحو نصف ساعة ثم عُدنا إلىٰ الفندق، وفي الطريق طلبنا من السائق أن يوقفنا لشرب المِشْلي فأوقَفَنا عند أحد المطاعم فأحضروا لنا المِشْلي وأيضًا عسلًا مُستخلصًا من شجرة جوز الهند وجيلاتين (جَلي) مصنوع من ماء وثمرة النارجيل، ثم عُدنا إلىٰ الفندق ودفعنا ١٨٠ رنجتًا للسائق.



ولداي أسامة ويوسف وبينهما إحدىٰ ثمار شجرة الجاكفروت

ج التوجُّه إلى جزيرة بينانج

عندما وصلنا إلىٰ الفندق رتّبنا الحقائب، وحضر مندوب المكتب في الثانية عشرة والنصف، فأنزلنا الحقائب وسلَّمنا الغرف ثم غادرنا الفندق في الواحدة ظهرًا، وأَخَذَنا المندوب إلىٰ مرسىٰ السفن الذي وصلنا إليه في الثانية، فأعطانا تذاكر السفينة ثم ودَّعَنا، فأخذ أحد العمال حقائبنا إلىٰ داخل المحطة، وطلب منا مكتب خدمات الشحن أن ندفع ٢٠ رنجتًا عن كل حقيبة، فحاولتُ أن أُفهِمه أننا أتينا في رحلة تشمل كل التكاليف ولكنه لم يتفهَّم ذلك، فاتَّصلتُ بشخص من المكتب السياحي وشرحتُ له ما جرىٰ فقال بأن تلك المبالغ هي لحمل الحقائب من السفينة وإليها، ويمكنكم أن تفعلوا ذلك بأنفسكم وأما المكتب السياحي فلا يتحمَّل تلك المبالغ.

أردنـا في البداية أخذ حقائبنا بأنفسـنا ولكني رأيتُ أنه قد تواجهنا صعوبات عند تحميلها في السـفينة أو إنزالها منهـا، فقرَّرنا أن ندفع لهم ما يطلبونَ ونريح أنفسـنا، فحسَـبوها لنـا كاملة بـــ١٥٠ رنجتًا، ثـم توجَّهنا إلىٰ صالـة المغادرة وصففنـا في طابور طويـل، ولما أعلنوا فتـح البوابة تحرَّك الطابور وأجلسـونا في الكراسـيّ الوسـطىٰ في السـفينة، وفي الثانية والنصف تحرَّكتِ السفينة وهي شـبه ممتلئة ووصلنا إلىٰ جزيرة بينانج في الخامسـة والنصف، وقضينا المسافة جلوسًـا في كراسـيِّنا إلا لحظات خرجنـا فيها لنلتقط بعـض الصور من خلف السفينة، وكذلك نِمنا مدة قصيرة.



في السفينة مع ابنتي تقوىٰ

عندمـا وصلنـا وأنزلوا حقائبنـا تلقَّاها بعـض العمال وطلبـوا أن ندفع لهم ٦٠ رنجتًـا لأخذها إلىٰ السـيارة، فأخبرناهم بأننا دفعنا لهـا في لينكاوي فقالوا بـأن ذلك للينـكاوي فقـط فدفعنا لهـم مـا أرادوا، وهناك وجدنا شـخصًا من المكتـب السـياحي ينتظرنـا وقد أحضر حافلة سـعتها ٥٠ راكبًـا فأوصلنا إلىٰ

فندق «فلامِنجو» ذي أربعة النجوم الذي يقع علىٰ شاطئ البحر، ولكنَّ مُعامَلة مُوظَّفيه كانت سيئة جدًّا.

كان من المفترض أن نحصل علىٰ غرفتين بسرير واحد كبير وغرفتين بثلاثة أَسِرَّة ولكن المُوظَّف الصيني أخبرنا أولًا بأن الغرف بالأَسِرَّة الكبيرة توجد في طابق آخر، ولما ألححتُ عليه بأننا نريدها في الطابق نفسه قال: «سأعطيكم غرفتين بسريرين مرصوصين ببعض كسرير كبير»، فقلتُ له: «ولكن هذا ليس ما حُجز لنا»، فقال بأن الحجز قد ذكر غرفتين بسريرين (Double Bed) لا بسريرٍ كبيرٍ (King Size Bed)، فأخبرته بأنه مُتعارَفٌ عليه دوليًّا أن هذين المصطلحين يعنيان الشيء نفسه، فأصرَّ علىٰ رأيه.

أردتُ اختصار الوقت، فقلتُ له: «سنأخذ الغرفتين بسرير واحد كبير ولو كانا في طابقين مختلفين»، فقال: «لا توجد إلا غرفة واحدة» ثم رفض أن يعطينا إياها، ولما رفضتُ أخذ الغرف بسريرين مرصوصين بحُجَّة أنه مخالف لحجزنا ردَّ عليَّ بأنهم غير مُلزَمين أن يُعطونا إلا ما هو متوافر لديهم، وعندها حوَّل موضوعنا إلىٰ مُوظَّف هندي.

رأيتُ أن كلام الهندي لا يختلف عن كلام الصيني وكنا قد تأخرنا في الجدال معهم كثيرًا، والشمس قد قاربت المَغيب ولم نُصلِّ الظهر والعصر بعد، فوافقتُ علىٰ أخذ أربع غرف في الطابق نفْسه، بحيث تكون اثنتان بسريرين فقط واثنتان بثلاثة أَسِرَّة، وطلبتُ منه أن يضيف سريرًا ثالثًا لواحدة من الغرفتين الأولَيَيْن فرفض إلا أن يكون بسعر إضافي وهو ٨٠ رنجتًا لليلة الواحدة، فطلبتُ منه أن يبقيها كما هي.

وعندما سلَّمَنا بطاقات الغرف حَسَب الإفطار لعشرة أشخاص فقط، ولما أخبرتُه بأننا أحد عشر شخصًا قال بأن علينا دفع ٢٥ رنجتًا إضافية عن كل يوم، ثم طلب منا ٤٠٠ رنجت تأمينًا فأعطيناه، وبعد أن تسلّم المبلغ قال بأنهم سيخصمون ٢٤ رنجتًا ضرائب للمدينة، فحاولتُ أن أقنعه أن الحجز الذي أجْراه لنا المكتب يشمل كل المصاريف، وطلبتُ منه أن يتَّصل بمندوب المكتب فاتَّصل به ولكنه لم يردَّ فوافقتُ علىٰ كل ما طلبوه.

طلبتُ من الجميع أن يُعجِّلوا بالوضوء لنتمكَّن من صلاة الظهر والعصر قبل غروب الشمس، وعندما وصلنا إلىٰ الغرف وتوضأنا كانت الساعة ٧:٢٠م وأذان المغرب في ٧:٢٥م، فصلَّينا الظهر والعصر ولكن عقدنا العزم علىٰ إعادتها لاحقًا، وبعد الصلاة اتَّصلنا بمطعم بيتزا هت وطلبنا عشاءنا وذهب إبراهيم وأسامة ليُحضرا عصائر من الخارج، وبعد العَشاء صلَّينا المغرب والعشاء ثم نِمنا مباشرة، في حين أخذ مصعب ملابسنا المستعملة إلىٰ محلٍّ للغسيل بجانب الفندق، وكان يغسل الكيلوجرام بثماني رنجات.



منظر عُلْوي من غرفة الفندق الذي أقمنا فيه

في صبـاح اليـوم الخامس نزلنا في السـابعة إلىٰ المطعـم في الطابق الأرضي وأفطرنـا، وكان هنـاك بوفيه مفتـوح للإفطار ولكن لم يكن بـذاك التنوُّع الذي في لينـكاوي، وفي التاسـعة جاءتنا حافلتان من مكتب السـياحة، وتوجَّهنا أولًا إلىٰ شـاطئ «**باتو فرنجي**» وحديقة البهارات في أقصىٰ الشمال في جزيرة بينانج والتقطنـا بعض الصور، ثم نزلنـا في المُتنزَّه الوطني وذهـب الأولاد يتجوَّلون داخـل الغابـة الموجودة فيـه في حين بقينا نحـن ننتظر، ثم أخذونـا إلىٰ مصنع الملابس وكانت عندهم في ذلك اليوم إجازة فلم نجد في المصنع إلا شخصين أرَيَانـا كيف يُلوَّن القماش، ووجدنا محلَّ الأقمشـة التابع للمصنع مليئًا بأنواع مختلفة من الأقمشة واللوحات المعمولة في المصنع، ولكنها كانت غالية جدًّا لأنها صناعة يدوية وأيضًا لكونها أقمشة ماليزية.

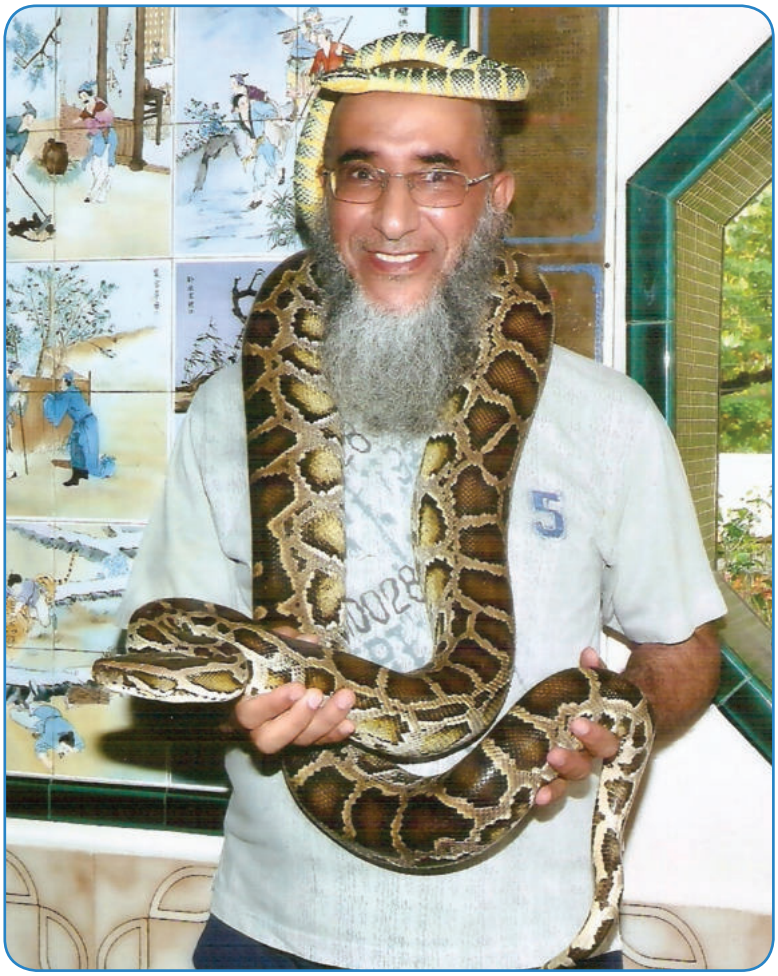


الأولاد وهم يتجوَّلون داخل غابة المُتنزَّه الوطني

بعد مغادرتنا أوقفونا علىٰ الشارع عند الشلَّالات، فصَعِدنا نحو مئتي متر في غابة كثيفة بالأشـجار العملاقة، ويأتي من قمة الجبل نهرٌ صغير يصنع شلَّالات جميلة، فالتقطنا الصور وشـربنا المِشْلي واشترينا بعض الفواكه من المظلَّات الموجـودة علىٰ جانبَيْ الشـارع، وكان هناك قردان صغيران في قفص اسـتمتع الجميع بملاعبتهما مدة طويلة.

بعدهـا، ذهبنـا إلىٰ معبد الأفاعـي في أقصىٰ الجنوب في الجزيـرة، ورأينا في المعبد أفاعي مُتعلِّقة بأفرع أشـجار صناعية ومن دون أقفاص، ثم دخلنا مكانًا بـه مُصـوِّرون يلفُّون أفعىٰ ضخمة حول رأس الشـخص وصدره ويطلبون منه

أن يمسـكها بيده ثم يضعون علىٰ رأسه أفعىٰ صغيرة ثم يلتقطون لكل شخص صورتين بقيمة ٣٠ رنجتًا، فوضعوها أولًا علىٰ أسامة وصوَّروه، ثم جاؤوا إليَّ ووضعوها عليَّ وصوَّروني ثـم وضعوها علىٰ مصعب وصوَّروه، وأما الباقون فرفضوا الاقتراب.



كانـوا قد طلبوا ٩٠ رنجتًا لنا الثلاثـة فأخبرتهم بأننا نريد فقط صورة واحدة لكل شـخص، وبعد نقـاش وافقوا ودفعنا لهم ٤٥ رنجتًا، ثـم دفعنا ٤١ رنجتًا

لدخـول متحف الأفاعي ورأينـا فيه أنواعًا عديدة منهـا، وأدخلني المُدرِّب في أحد الأقفاص وأجلسـني بجانب أفعىٰ ضخمة طولها ٨ أمتار ووزنها أكثر من ١٠٠ كجم وتستطيع ابتلاع إنسان كما أخبرني، وصُوّرتُ بجانبها ثم أخذني إلىٰ أفعىٰ صفراء ضخمة ولكنها غير سـامة، وتلمَّسـتُ أنا والبنات جسـمها فكأنه مطَّـاط، وبعدها دخـل المُدرِّب في القفـص الذي به أفاعـي الكوبرا وهاجمها بمكنسة ليرينا كيف تهاجم، وبعد أن خرجنا من المتحف تجوَّلنا في محالَّ لبيع الهدايا ملاصقة للمعبد.

بعدهـا، طلبنـا من سـائق المكتب أن يأخذنـا إلىٰ مطعم عربـيٍّ فأخذنا إلىٰ مطعم سـوريٍّ، وطلبنا منه أن ينتظرنا علىٰ أن ندفع له أجرة لأن وقته قد انتهىٰ، وبعد خروجنا من المطعم أوصَلَنا وطلب ٧٠ رنجتًا علىٰ عدِّ أنه انتظرنا ساعة، وبعد جدال أعطيته ٥٠ رنجتًا.

د نزهة في الكاميرون

في اليـوم السـادس بعد أن أفطرنـا جهّزنا حقائبنـا ثم هبطنا إلىٰ الاسـتقبال ووجدنا سـائق المكتب ينتظرنا وقد أحضر حافلة ٥٠ راكبًا وأخبرنا أن الرحلة ستسـتغرق نحو أربع سـاعات ونصف، فغادرنا في التاسعة والنصف ثم توقَّفنا في الحادية عشـرة عند إحدىٰ الاسـتراحات واشـترينا فواكه وذرة ووصلنا إلىٰ الفنـدق في الكاميـرون في الثانية ظهرًا ووجدنا جميع العامليـن فيه من الهنود، وبعـد أن تسـلّمنا غرفنا صلَّينـا الظهر والعصر ثـم تناولنا غداءنا، ولم نسـتطِع الخروج للنزهة بسبب تساقط الأمطار بغزارة.

في السابعة والنصف من اليوم السابع نزلنا للإفطار في الطابق الأرضي وكان هناك بوفيه مفتوح ولكن الخيارات فيه قليلة، وفي التاسعة نزلنا للذهاب في جولة في الكاميـرون ولكننا لم نجد أحدًا من المكتب السـياحي ينتظرنا، فطلبتُ من مدير الفندق الاتِّصال بهم فأخبروه بأن برنامجنا لا يشـمل جولة في الكاميرون فاضطررنا لاستئجار حافلة بقيمة ٢٥٠ رنجتًا مدة أربع ساعات.

أَخَذَنـا السـائق أولًا إلـىٰ أضخـم مزرعـة للشـاي في الكاميرون مسـاحتها ٦٣٥ فدانًا وصاحبها أسـكتلندي اسمه «**جون رَسـيل**» جاء إلىٰ ماليزيا في سنة ١٩٣٥م، ويمتدُّ الحقل عبر جبال عدة، فنزلنا أولًا في اسـتراحة واشـترينا شايًا وفطائـر والتقطنـا العديـد من الصـور، ثم هبطتُ أنا ويوسـف إلـىٰ قريب من الحقـول والتقطنا بعـض الصور ثم صعدنا، ثم دخلنا متجر الشـاي واشـترينا أنواعًا من الشاي هدايا.



أنا وابني إبراهيم وخلفنا الجبال المُمتدَّة لحقل الشاي

بقينا في مزرعة الشاي نحو ساعة ونصف ثم ذهبنا إلىٰ حديقة الزهور ودفعنا ٣٢ رنجتًـا لتذاكـر الدخول، ووجدناها في منتهىٰ الجمـال وممتدَّة كثيرًا؛ حتىٰ إننا بقينا فيها نحو ساعة ولم نستطِع إكمالها.



ابني أسامة في جانب من حديقة الزهور

بعدهـا، توجَّهنا إلـىٰ مزرعة تربية النحل، ولما وصلنـا أخبرونا أن المزرعة مُغلَقـة للإصلاحـات فتجوَّلنا في المحـالِّ الموجودة داخلها، واشـترينا فواكه وعسـلًا وهدايـا أخـرىٰ لعمان، ثـم ذهبنا إلـىٰ مزرعـة الفراولة، ولم نسـتطِع التجـوُّل فيها لأنهم قالوا بأن الدخول مسـموح فقط لمـن يريد قطف الفراولة، وذلك يُكلِّف ٣٠ رنجتًا للسلَّة الواحدة ولشخصين فقط، فاكتفينا بشراء فراولة ومُثلَّجـات فراولـة من المحلِّ الموجـود داخلها، وخرجنا من هنـاك في الثانية والنصف بعد الظهر.

هـ التوجُّه إلى كوالالمبور

في الثانيـة عشـرة والنصف مـن اليوم الثامن جـاءت حافلتان مـن المكتب السـياحي لتأخذنا إلىٰ كوالالمبور وأخذنا أكثر من سـاعة لنزول الجبل، وفيها أحسسـنا جميعًا بغثيان شـديد من حركة الحافلات وهي تلفُّ حول الجبل في شكل التوائي وبسـرعة كبيرة، حتىٰ إن بعض البنات تقيَّأنَ، وفي ٣:٤٥م توقَّف السـائقان عند اسـتراحة، ووصلنا إلىٰ فندق «مِيليا» المقابل للتايم سـكوير في الرابعة والنصف فتسلّمنا الغرف وصلَّينا الظهر والعصر.

أردنـا تنـاول الغداء في مطعم «جنة سـبأ» اليمني في منطقـة أمبانج التي تبعُد نحو عشر دقائق، وكنتُ قد سكنتُ فيها نحو شهر عندما ذهبتُ إلىٰ ماليزيا قبل سنتين تقريبًا، فأوقفنا سيارتَيْ أجرة وأخذنا معنا ملابسنا المستعملة لنتركها في محلٍّ للغسيل هناك، ثم دخلنا المطعم لتناول الغداء.



أنا والأولاد في مطعم جنة سبأ اليمني

في اليوم التاسع نزلنا للإفطار في السابعة وكان هناك بوفيه مفتوح ومُتنوِّع جدًّا، ثم جاءت حافلتان من المكتب السياحي وأخذونا أولًا إلىٰ مصنع لتصميم وتلوين الملابس، وقام شخصان يشرحان لنا كيفية عمل الزخارف علىٰ الثياب، ثم تجوَّلنا في المحلِّ التابع للمصنع، ثم ذهبنا إلىٰ البرجين التوأمَيْن (Twin Towers) والتقطنا بعض الصور، ثم إلىٰ برج كوالالمبور (KL Tower) والتقطنا صورًا عنده، وتجوَّلنا في الغابة القريبة منه.



ابني مصعب وخلفه البرجان التوأمَان



ابني إبراهيم وخلفه برج كوالالمبور

بعد ذلك، طلبنا من السائق أن يأخذنا إلىٰ حديقة الحيوانات (Negara Zoo)، فوصلنا إليها في الحادية عشرة وخرجنا منها في الثالثة بعد الظهر، وكان سائقا حافلتَيْ المكتب السياحي قد اقترحا علينا أن ينتظرانا لإرجاعنا إلىٰ الفندق مقابل أن ندفع لهما ٨٠ رنجتًا لكل حافلة، فأخبرتُهما بأني سآخذ رقم أحدهما وعندما نخرج سنتَّصل بهما، فرفض السائق الهندي ذلك وطلب أن نتَّفق معه قبل الدخول إلىٰ الحديقة، فقلتُ لهما بأننا سنتصرَّف بعد خروجنا.

عندمـا خرجنا وجدنا معظم سـيارات الأجرة قد أحضـرت زوارًا للحديقة وهـم ينتظرون خروجهـم، فسـألني أحدُهم إن كنتُ أريد سـيارة فسـألته عن الأجرة فقال ٤٥ رنجتًا، ثم جاء شـخصٌ آخر وسـألني عن عددنا فلما أخبرته قال: «**ستحتاجون إلىٰ سيارة كبيرة وأخرىٰ صغيرة**»، وقال بأن الكبيرة بسبعين والصغيرة بخمسـين، فتركتهم وذهبتُ إلىٰ سـيارات الأجـرة التي تقف خارج الحديقـة، فاتَّفقتُ مع سـائق هندي بأربعين، ونادىٰ شـخصًا آخر هنديًّا واتَّفق معه أيضًا بأربعين.



ابني يوسف بجانب إحدىٰ البحيرات في حديقة الحيوانات

طلبنـا من الأولاد أن يذهبوا في حافلة ويشـتروا الغداء في حين نذهب نحن إلـىٰ الفندق، ولما وصلنا عند التايم سـكوير بدأ السـائق يتحايل لإنزالنا هناك بحيث نأخذ الجسـر في محطة القطار ونقطع الشـارع إلىٰ الجهة الثانية التي بها الفندق وذلك لزحمة الشارع في ذلك الوقت، فلم أرَ بأسًا في ذلك فنزلنا ودفعنا له ٤٠ رنجتًا، فصعدنا أولًا علىٰ سُلَّم كهربائي ثم نزلنا علىٰ سُلَّم آخر ثم قطعنا الممرَّ إلىٰ الجهة الثانية ثم صعدنا سُلَّمًا ثالثًا ثم نزلنا علىٰ سُلَّمٍ ممتد لأكثر من طابقين.

في اليوم العاشر كان من ضمن برنامجنا أن تأخذنا حافلة المكتب إلىٰ مدينة الألعاب في جنتينج، ولكن نصحنا أكثر من شخص أن نذهب إلىٰ مدينة ألعاب قريبة تسـمىٰ «صنـوىٰ لاجون»، وعندمـا بحثتُ في الإنترنت عـن هذا المكان وجـدتُ أنه لا بُدَّ من دفع تذاكر دخول حتىٰ لو كان الشـخص لا يريد اللعب، وقيمة التذكرة ١٢٠ رنجتًا للكبار و٩٠ رنجتًا لمن هم دون سِـنِّ الثانية عشرة، فلـم نذهب أنا وزوجتي وحفيدتي الصغيرة رنيم، وأخبَرَنا أحد عمال الحقائب في الفندق بأنه يستطيع شراء التذاكر بقيمة ١١٠ للكبار و٨٥ للصغار.

تسـلّمتُ التذاكر من العامل ولما بحثتُ عـن الأولاد لم أجدهم، فاتَّصلتُ بهم واحدًا واحدًا فتعذَّر التواصل معهم، فأرسـلتُ إليهم رسائل نصية أسألهم أيـن هـم وأخبرتهم بـأن التذاكر عنـدي، فردَّتْ ابنتـي بأنهم ذهبـوا إلىٰ مكتب الشـركة السـياحية فعجبتُ من ذلك، ولما جاؤوا أخـبروني بأنه جاءتهم حافلة كبيـرة للمكتـب السـياحي فركبوا فيها، ولما أخبروا السـائق بأنهـم لا يريدون الذهـاب إلـىٰ جنتينج بل إلـىٰ «صنوىٰ لاجون» رفـض السـائق إيصالهم إلىٰ هناك، وطلب منهم الذهاب إلـىٰ المكتب ليتفاهموا مع المديرة، ولما وصلوا أخـذتِ المديرة تصيح فيهم لعـدم علمهم بذلك التغيير، وأنهم اشـترَوْا تذاكر

الجنتينـج وسيخسـرونها، فطلبوا منها أن تخبر السـائق ليوصِلهم إلىٰ «صنوىٰ لاجـون» فرفضتْ حتىٰ توصيلهـم إلىٰ الفندق، فركبوا سـيارة أجرة بقيمة ٥٠ رنجتًا.



ابني مصعب وخلفه جانب من مدينة الألعاب «صنوىٰ لاجون»

بعد عودة الأولاد في السادسـة ذهبنا للتسـوُّق، فمشـينا إلىٰ مركز البافيليون التجـاري عند محطة «بوكيت بنتانج»، فدخل البعض هناك وذهبتُ أنا وبعض الأولاد إلـىٰ مركـز «لو يات» لبيع أجهزة الحواسـيب والهواتف وبقينا فيه إلىٰ الثامنـة والنصف ثم رجعنا إلىٰ البافيليون، فأردتهـم أن يُجرِّبوا القطار فصعدنا إلىٰ المحطة بالسـلالم الكهربائية، ثم اشـترينا التوكنز لدخـول البوابات وكان سـعرها ٢ , ١ رنجت للشخص، ثم انتظرنا مدةً وجاء القطار ممتلئًا ولم يركب فيه إلا مصعب وأسـامة، فقرَّرنا العودة إلىٰ الفندق فتحوَّلنا إلىٰ الجانب الآخر

وانتظرنـا قليلًا، ولما وصل القطار ضغطنا أنفسـنا داخل تلك الحشـود، ولما وصلنا إلىٰ المحطة التالية التي بجانب الفندق أردنا الخروج منه فصرنا نتصارع مع الداخلين إليه حتىٰ خفنا أن يتحرَّك قبل أن نستطيع الخروج.

في اليوم الحادي عشـر توجَّهنا في العاشرة إلىٰ حديقة الطيور فاشترينا تذاكر بقيمة ٤٨٨ رنجتًا وبقينا فيها إلىٰ الواحدة ظهرًا، وكنا ننوي الذهاب إلىٰ حديقة الفراشـات ولكن الأولاد كانوا مُتعَبين فقرَّرنا العودة إلىٰ الفندق، ولما سـألنا عـن سـيارات الأجرة الموجودة عنـد الحديقة قالـوا بأنه لا بُدَّ مـن طلبها عن طريـق مكتـب موجود هناك، ولما سـألنا المُوظَّفة الهندية قالت بأن التسـعيرة إلـىٰ فندق «ميليا» ٢٠ رنجتًا لأربعة أشـخاص مع أننا كنـا دفعنا ٨ و٩ رنجات لسـيارتَيْ الأجـرة اللتين أحضرتانـا، ولكننا لاحظنا أنه في أيِّ مـكان يكون فيه هنود فإنهم يحاولون استغلال وابتزاز السُّيَّاح ابتزازًا عجيبًا، فاتَّصلتُ بصاحب الأجرة الذي جئنا معه فقال بأنه سيأتي بعد عشر دقائق فانتظرنا مدة طويلة ولم يأتِ، فاضطُررنا إلىٰ أخذ سيارتين عن طريق ذلك المكتب بأربعين رنجتًا.



مع ولديّ أسامة ويوسف وحفيدتي اليقين داخل حديقة الطيور

و العودة إلى عمان

في صباح اليوم الثاني عشـر –وهو يوم المغادرة– انشغلنا بتجهيز الحقائب، ثـم في العاشـرة زارني الأخ محمد بن يحيىٰ بن حمدان العـبري الذي يدرس الماجسـتير هناك، وكنتُ قد التقيتُ به في رحلتي السـابقة إلىٰ ماليزيا مع زميله الأخ صالـح بن حمود السـناوي من إبراء الذي يـدرس الدكتوراة، وكان الأخ محمـد يريد زيارتي مع الأخ صالح منذ وصولنا إلىٰ كوالالمبور ولكن بسـبب انشـغالاتنا لم يتسـنَّ ذلـك، وبقينا نتكلَّم مـدةً ثم انصرف وعـدتُ إلىٰ الغرفة لإتمام تجهيز الحقائب.

سلَّمنا بطاقات الغرف واسترجعنا التأمين الذي دفعناه لهم، وجاءنا سائقان من المكتب السياحي بحافلتين صغيرتين فحمَّلنا حقائبنا، ثم غادرنا الفندق في

الواحـدة ظهرًا ووصلنا إلىٰ المطار في الثانية وأنهينا إجراءات الشـحن -بحمد الله- بسـرعة ومـن دون عوائـق، ثم توضأنـا وصلَّينـا الظهر والعصـر جماعة في مُصلَّـىٰ المطـار، ثـم أنهينا إجـراءات الجـوازات وركبنا القطـار إلىٰ مكان البوابـات، وأقلعت الطائرة قبيل الرابعة عصرًا ووصلنا -بحمد الله وتيسـيره- إلىٰ مطار مسـقط في السـابعة، وفي طريقنا إلىٰ البيت توقَّفنا في محطة الوقود في بدبد للصلاة ووصلنا إلىٰ البيت في العاشرة والنصف.

ز مُشاهدات ومواقف

كانـت هذه الرحلة مليئة بالإثارة والمُشـاهدات ولكنـي ذكرتُ معظمها في ثنايا الحديث، وبقيتْ بعضُها أذكرها فيما يلي:

١ كان الدكتـور صالح بن سـعيد بن حمد العبري من الحمراء قد أرسـل معنـا بعض الهدايا لعجـوز ماليزية تعمل في مكتبة جامعـة ماليزيا التي كان يدرس فيها، وكانت تسـاعده كثيرًا في البحث عن مَراجع لرسالته، فاتَّصلـتُ بزوجها محمـد بعد عودتنا مـن الكاميرون في اليـوم الثامن واتَّفقنا أن يأتي إلىٰ الفندق الذي نُقيم فيه فجاء في اليوم التالي وسـلَّمته الهدايـا، وأخـبرني بـأن أحد أحفـاده مُنـوَّم في المستشـفىٰ وأن زوجته موجـودة معـه، وفي صباح يوم المغادرة زارني مـع زوجته مدام زهراني وبقينـا في صالة الاسـتقبال في الفندق نتحدَّث قرابة سـاعة، وأخبرتني زوجتـه بأنها تعرف الكثير من الطلاب مـن عمان وأنها قد زارت ولاية الحمراء وولايات أخرىٰ.

٢ ذات مرة ذهب الأولاد ليُحضروا لنا الغداء فألحَّ عليهم سائق الأجرة أن يأخذهم إلىٰ محلٍّ لبيع الشوكولاتة، وأخبرهم بأنهم سيأكلون شوكولاتة مجانية، ولما ذهبوا أعطوهم قطعًا صغيرة بحجم الظفر ليتذوَّقوها، وألحُّوا عليهم شراء شيء من الشوكولاتة، فاشترَوْا كيسين صغيرين بكلٍّ منهما بضع حبات فقط وقيمتها قرابة خمسة ريالات، ولما تذوَّقناها كان طعمها رديئًا، ومثل هذه الحِيَل يقوم بها أصحاب الحافلات وسيارات الأجرة؛ سواءٌ أكان لمحالِّ الشوكولاتة أم محالِّ بيع الملابس أم غيرها، ومَن يُطاوعهم غالبًا ما يقع في فخٍّ ينصبونه له.

رحلاتي إلى إيران

ذهبتُ إلىٰ إيران مرتين؛ الأولىٰ كانت رحلة سياحية مع الأهل في يونيو ٢٠١٨م لزيارة مناطق الشمال الإيراني، كلارَدِشت وبعض المناطق المحيطة بها، والثانية كانت رحلة علاج إلىٰ شيراز في جنوب إيران في نوفمبر ٢٠٢٠م.

١ رحلة سياحية إلى كلارَدِشت في يونيو 2018م

كان قد وصل إليّ إعلان علىٰ واتساب عن رحلة سياحية متكاملة إلىٰ مدينة كلارَدِشت في شمال إيران مدة عشرة أيام، فتناقشتُ مع الأهل والأولاد فوافق البعض ولم تسمح ظروف الآخرين، واتَّفقتُ مع مكتب سياحي في الموالح لترتيب الرحلة لنا علىٰ أن تكون بعد عيد الفطر المبارك مباشرة، وأخذتُ أسبوعين من إجازتي السنوية إضافة إلىٰ إجازة العيد، وجاء معي في الرحلة زوجتي وستة من أولادي وبناتي وأحفادي.

أ الوصول إلى كلارَدِشت

طلبتُ من ابني إبراهيم أن يأخذ جوازاتنا إلىٰ المكتب السياحي في الموالح الذي سنذهب عن طريقه وذلك للحصول علىٰ تأشيرات لإيران، وأجريتُ صرافة ٥٠٠ ريال إلىٰ الدولار فحصلتُ مقابلها علىٰ ١٣٠٠ دولار، وصرفتُ كذلك ٥٠ ريالًا إلىٰ العملة الإيرانية (التومان)، فحصلتُ علىٰ ٦٢٥٠٠٠٠ ريال إيرانيٍّ (أي ٦٢٥ تومانًا، والتومان يعادل ١٠٠٠٠ ريال إيرانيٍّ، أو بالعماني

نحو ٥٥ بيسة)، وعندما وصلنا إلىٰ إيران أخبرني السائق بأن الدولار في تلك الأيام يُصرَف في المصارف الحكومية بـ٥, ٤ تومانات، وأما عند الناس فيُصرَف بـ٧ تومانات؛ ما يعني أن ١٣٠٠ دولار تعادل ٩١ مليون ريال إيرانيٍّ، أي إننا خسرنا ٣٧٥٠٠٠٠ ريال إيرانيٍّ.

في الحادية عشرة مساءً وصلنا إلىٰ مطار مسقط الجديد، وكانت تلك أول مرة ندخله بعد افتتاحه في مارس ٢٠١٨م، وقد احتجنا إلىٰ وقتٍ طويل إلىٰ أن انتهينا من إجراءات الجوازات والشحن ووصلنا إلىٰ البوابة في ١٢:٥٠ بعد منتصف الليل، فانتظرنا قليلًا ثم دخلنا البوابة في ١:١٥ ص، وكان من المفترض أن تُقلع الطائرة في ١:٤٠ ص، ولكنها تأخرت إلىٰ ٢:١٠ص بسبب أحد الركاب.

استغرقت الرحلة ساعتين ونصفَ ساعة، قدَّموا لنا خلالها وجبة عشاء ونِمتُ نحو نصف ساعة ووصلنا إلىٰ مطار طهران في الخامسة صباحًا، وكان الفجر قد طلع منذ مدة فتوضَّأنا وصلَّينا ثم أنهينا إجراءات الجوازات وتسلّمنا حقائبنا، وعندما خرجنا وجدنا السائق محمدًا من المكتب السياحي ينتظرنا فحمّل هو والأولاد الحقائب، وأخَذَنا بحافلة المكتب مباشرة إلىٰ كلارَدِشت التي تبعُد نحو أربع ساعات عن طهران.

كان الجوُّ جميلًا في طهران مع قليلٍ من البرودة، وأخبرنا السائق أن درجة الحرارة في طهران في تلك الأيام بين ١٢ و٣٥ وأما في الشمال فتصل إلىٰ أقل من ١٥ درجة، وفي الطريق مررنا علىٰ مدينة «كَرَج» ثم بدأ الطريق إلىٰ «جالوس» وبدأتْ تظهر حوله الغابات الكثيفة والأنهار والجبال الشاهقة، ثم مررنا علىٰ سدِّ كَرَج الذي تكوَّنت خلفه بحيرة عميقة تمتد أكثر من ٢٠ كيلومترًا ويُغذِّيها

نهـر كَـرَج أحد أكبر أنهار إيـران، وفي الطريق مررنا علىٰ أنفـاق عديدة، منها ما طوله أمتارٌ معدودة فقط ومنها ما يمتدُّ أكثر من ٥ , ٢ كيلومتر.



بحيرة سدِّ كَرَج التي يُغذِّيها نهر كَرَج

توقَّفنا بعـد جالوس عند بائع للفواكه واشـترينا كيلوجرامًا من الكرز بـ١٨ تومانًـا (نحو ريال عماني) وكيلوجرامًا من المشـمش بـ١٥ تومانًا (نحو ٩٠٠ بيسـة) وكانت كبيـرة الحجم ولذيذة جدًّا، وفي التاسـعة توقَّفنا عند مطعم راقٍ لنفطر، ووصلنا إلىٰ كلارَدِشـت في الحادية عشـرة وأَخَذَنا السـائق مباشرة إلىٰ مـكان إقامتنا وهو عبارة عن بناية من شـقتين، ووجدنـا المترجم محمدًا هناك فأخبَرَنـا أن الشـقة في الطابق العلوي أنسـب إلينا لأن بها ثـلاثَ غرف وثلاث دورات مياه وصالة كبيرة، وأما الشـقة السـفلية ففيها غرفتان فقط ويسكن فيها

شابَّان من عمان جاءا قبل ستة أيام، فأنزلنا الحقائب وانتظرنا إلىٰ أن حان أذان الظهـر بعد الواحدة بقليل فصلَّيْنا الظهر والعصر جماعة ثم نِمنا إلىٰ الخامسـة والنصف.

بعد أن اسـتيقظنا أحضر لنا المترجم أربع شـرائح هاتف؛ ثلاثٌ بها ٤ جيجا بايت بيانات وواحدة لي بها ٨ جيجا (سـعر كل جيجا بايت عندهم نحو ٤٠٠ بيسـة، في حين ندفع لها في عمان خمسـة ريالات)، ثم أخبرنا أنه سـيأخذنا في جولة إلىٰ السـوق القريبة من السـكن مشـيًا علـىٰ الأقدام، وبينما كنا نسـير في السـوق إذ جاءنا السـائق وأخذنا بسـيارته ليُرينا المدينة وبقينا نتجوَّل فيها إلىٰ الثامنـة والنصف، ثـم أَخَذَنا إلىٰ مطعـم راقٍ للعشـاء وكان الأكل لذيذًا جدًّا، وبعد العشاء مررنا علىٰ بقالة واشترينا الماء ولوازم الإفطار.

ب جولة في مدينة «نَمَكْ أَبْرود» الترفيهية

في اليـوم الثاني خرجنا من الشـقة في العاشـرة صباحًا، وكنـتُ قد طلبتُ من المترجم أن يصرف لنا ٢٠٠ دولار، فمررنا علىٰ البنك وسحب لنا مليون ريال إيـراني، ثم توجَّهنا إلىٰ مدينة «نَمَكْ أَبْرود» الترفيهية، وكان الطريق يمرُّ في غابة كثيفة بالأشجار وينحدر بنا أكثر من ساعة فتوقَّفنا في البداية عند شلَّال للتصوير ثـم توقَّفنا بعد قليل عند محلٍّ لبيع المُثلَّجـات المَغْلية في الزيت وكانت لذيذة جـدًّا، والعجيب أن القشـرة الخارجية هـي التي كانت تُطبخ وأمـا ما بداخلها فكان جامدًا مثل المُثلَّج الطبيعي.



ولداي أسامة ويوسف يتناولان المُثَلَّج المَغْلي

مررنا علىٰ مدينة «**عباس أباد**» وفيها اشترينا خوخًا ومشمشًا وكرزًا بقيمة ٥٠ تومانًا (نحو ريالين)، ثم بدأتْ مدينة «**نَمَكْ أَبْرود**» الترفيهية وهي عبارة عن منتجع ترفيهي به العديد من الفنادق وبه مُجمَّع ألعاب للأطفال وتلفريك يأخذ الزوار إلىٰ غابة في أعلىٰ الجبل، وهناك أيضًا عربات وسِكَّة قطار تأخذ الراكب إلىٰ أعلىٰ الجبل.

تجوَّلنا أولًا في الأسفل عند الشلَّال وأخذنا بعض الصور ثم ركبنا التلفريك بقيمة ١٥٠ تومانًا لستة أشخاص، ولما وصلنا إلىٰ الأعلىٰ وجدنا هناك غابة جميلة ممتدة وبها مظلَّات وأماكن للجلوس ومطاعم فتناولنا غداءنا وبقينا هناك نحو ساعتين ثم نزلنا، وبعدها خرجنا من المدينة وذهبنا

إلىٰ مركز تِجاريّ وبقينا فيه إلىٰ ٤:٤٥م، وكنا ننوي الذهاب إلىٰ البحر ولكن بسبب حرارة الشمس آثرنا العودة إلىٰ الشقة.



صورة من التلفريك لمدينة «نَمَك أَبْرود» والغابة التي يمرُّ عليها

وصلنا إلىٰ الشقة في السادسة فتوضَّأنا وصلَّينا الظهر والعصر ثم نِمنا إلىٰ التاسعة والنصف، وعندما استيقظنا جاء المترجم فأعطاني تكملة قيمة ٣٠٠ دولار بالتومان، إذ صرف لنا الدولار بسبعة تومانات في حين أنه في عمان كان الدولار يعادل أقل من خمسة تومانات، وبهذا حصلنا علىٰ ٢١ مليون ريال إيراني لـ٣٠٠ دولار، فأخبرتُ المترجم بأننا نريد الذهاب لشراء بيتزا للعشاء فقال بأنه سيشتريها لنا، وبعد مدة أحضر لنا أربعًا من الحجم المتوسط.

ج جولة في «سَيهْ هَزار» و«دُو هَزار»

في اليـوم الثالث ذهبنا إلىٰ جبال «سَـيه هَزار» (أي ثلاثـة آلاف) التي ترتفع ثلاثة آلاف متر عن مسـتوىٰ سـطح البحر، وجبال «دُو هَزار» (أي ألفين) التي ترتفع ألفَيْ متر عن مسـتوىٰ سـطح البحر، وسـلكنا الطريق نفسه المُؤدِّي إلىٰ مدينـة عباس أباد الذي سـلكناه أمـس، وفي الطريق مررنا علىٰ مـزارع الفواكه ومزارع تربية الأسماك إلىٰ أن وصلنا إلىٰ نهاية الطريق المُؤدِّي إلىٰ «سَيه هَزار» فتوقَّفنا عند النهر لأكل الفواكه.



ابني أسامة بجانب النهر

بعـد ذلـك ذهبنـا إلـىٰ «دُو هَـزار» وتوقَّفنـا عنـد مطعـم بجانبـه مزرعـة لتربيـة الأسـماك فاشـترينا أربـع سـمكات سـالمون بقيمـة ٧٦ تومانًـا وسـلَّمناها

لشخص لتنظيفها، ثم صعدنا إلىٰ الطابق العلوي في المطعم وشَووها لنا فتناولنا غداءنا فيه وكان بقيمة ١٣٥ تومانًا.

د في مدينة «رامسَر»

في اليوم الرابع خرجنا من البيت في العاشرة والربع وتوجَّهنا صوب رامسَر، وتوقَّفنا أولًا عند قصر رضا شاه بهلوي ملك إيران في الأربعينيات من القرن الماضي، وهو والد محمد رضا شاه الذي كان يحكم إيران قبل مجيء الخميني وقيام الثورة الإسلامية، وكانت تذاكر الدخول بقيمة ١٨٠ تومانًا لنا نحن الستة، فتجوَّلنا في القصر وحدائقه الجميلة.



أنا وحفيدتي جود أمام قصر رضا شاه بهلوي

بعد ذلك، ذهبنا إلىٰ متحف العاج القريب من القصر، الذي يُعَدُّ أول متحف للعاج في غرب آسيا، وبعد أن انتهينا ذهبنا إلىٰ مسبح المياه الكبريتية القريب من المتحف، وهو عبـارة عن أحواض فردية وجماعية تصبُّ فيها المياه الكبريتية شـديدة الحرارة ويبقىٰ فيها الشـخص نصف سـاعة أو أكثر بحسـب اختياره، فاخترنا للنسـاء مسبحًا مشتركًا مدة ساعة، وبالنسـبة إليّ وأسامة ويوسف فقد اخترنا حمَّامات منفردة نحو ٤٠ دقيقة، وكان جميعها بقيمة ١٣٥ تومانًا.

كان الماء شديد الحرارة فاحتجتُ أولًا إلىٰ أن أخلطه بالماء البارد لأستطيع النزول فيه وبعد أن تأقلم الجسـم عليه أغلقتُ الماء البارد وبقي الحار يصبُّ، وكانت مدة جميلة إلا أن حرارة المكان وروائح الكبريت وتناقص الأكسجين جعلني أشـعر بالاختناق، وبالنسبة إلىٰ يوسـف فقد فعل مثلي وأما أسامة فلم يخلطه بماء بارد وإنما كان يغوص فيه برأسه رغم حرارة الماء.

خرجنـا من هناك في الثالثـة والنصف وقفلنا إلىٰ كلارَدِشـت، وفي منتصف الطريـق وتحـت أشـجار الغابة الشـاهقة والكثيفـة توقَّفنا عند أحـد المطاعم الكثيرة المنتشـرة علىٰ طول الطريق وتناولنا غداءنا فيه، ووصلنا إلىٰ الشـقة في السابعة فصلَّينا الظهر والعصر.

هـ إلى جبال رودباراك

في اليـوم الخامـس كانـت وجهتنـا إلىٰ رودبـاراك وهـي الجبال الشـاهقة في كلارَدِشـت التـي لا تـزال تغطيهـا الثلوج، فخرجنا من الشـقة في العاشـرة والنصـف، واقترح السـائق أن نشـوي الدجـاج في الجبل ولذلـك توقَّف بعد مغادرتنـا بقليل عند أحد المحالِّ واشـترينا دجاجًا طازجًـا جاهزًا بخلطته من

الملح والبهارات والزبادي، واشترينا أيضًا فحمًا ومُشعِّلًا للفحم وخبزًا، وبعد قليل توقَّف السائق عند إحدىٰ المتنزَّهات الجميلة واقترح أن ننزل فنشوي الدجاج لنأخذه معنا، فأخبرناه بأنه من الأفضل أن نشويه بعد عودتنا من الجبل فوافقَنا علىٰ ذلك.

اتَّصل بصاحب سيارة الدفع الرباعي التي ستُقلُّنا إلىٰ الجبل بقيمة ٤٠٠ تومان، وإلىٰ أن تأتي السيارة أخَذَنا إلىٰ نهرٍ قريبٍ لا تزال تجري فيه مياه الثلج الذائبة والتقطنا بعض الصور، وفي أثناء ذلك اتَّصل المترجم محمد بالسائق ثم طلب أن يتحدَّث معي فأخبرني بأنه ذهب إلىٰ الجبل قبل يومين ولم تكن هناك ثلوج، وقال بأنه خسارة أن ندفع ٤٠٠ تومان ثم نعود من هناك خائبين.

بعد تشاور مع الأهل والسائق قرَّرنا عدم الذهاب واتَّفقنا أن نشوي الدجاج ثم نذهب إلىٰ البحر، وأما رغبة الأهل فكانت عدم الجلوس في المتنزَّه لكثرة الناس فيه وإنما النزول في الغابة للشيّ، فأخَذَنا السائق في الطريق المارِّ وسط الغابة الذي كنا نمرُّ فيه في الأيام السابقة، وبعد أن قطعنا عدة كيلومترات دخل بنا إلىٰ طريق يتوغَّل داخل الغابة بعد أن دفعنا خمسة تومانات للحارس، وحقيقة رأينا في تلك الغابة جنة الله في أرضه من المناظر الخلابة التي شاهدناها، وقليلٌ من الناس مَن يعرف ذلك الطريق والمكان.

بعد أن توغَّلنا داخل الغابة عدة كيلومترات توقَّف بنا السائق عند مكان جميل به شلَّال ومناظر خلَّابة، وجهّز هو والأولاد مكان الشيّ والنار في حين جهّزت النساء المشاكيك، وبعد قليل بدأت السيارات تأتي وكانت تقف قريبًا منا عندما يشاهدون الشلَّال والمناظر الجميلة ولكنهم يغادرون بعد مدة لعدم وجود مكان للجلوس يتَّسع لهم بالقرب منا.



الأولاد والسائق وهم يُرتِّبون مكان الشيّ

بعد أن تم الشـواء تناولنا غداءنا ثم غادرنا المكان في الثانية والنصف ظهرًا، وبعـد عدة كيلومترات توقَّف السـائق عنـد أحد المطاعـم والمقاهي المتناثرة علىٰ امتداد الشـارع لشرب الشاي، وخلال ذلك جاء هنديٌّ مسلم يبيع أساوِر ومنحوتات خشـبية فاشترَتِ النساء منه بعض الأساوِر، وبعد أن تحرَّكنا بقليل توقَّفنـا عند مسـجد لصلاة الظهر والعصـر وغادرناه في الرابعـة، ثم بعد المدة أدخَلَنا السـائق إلىٰ شـارع ترابي ينزل بنا إلىٰ النهر ومحاط ببديع صنع الله من أنواع الأشجار والمناظر الجميلة، ووجدنا عند النهر أمة من الناس يستمتعون بالطبيعة الجميلة والمناظر الخلَّابة.

حقيقة، عندما يرىٰ المسلم تلك المناظر الطبيعية الخلَّابة يزداد إيمانًا ويقينًا بالله -سبحانه وتعالىٰ- الذي أبدع فأحكم وصنع فأعجز، والمرء عندما يألَف النِّعَم الباهرات لا يشعر بعظمتها وجمالها وبديع صنعها، وأما مَن يراها أول مرة فلا يتمالك إلا أن يقول: «سبحان الله!».

بقينا هناك نحو ساعة ثم غادرنا، وبعد أن وصلنا إلىٰ مدينة عباس آباد في أسفل الجبل دخلنا سوق الخميس الشعبية واشترينا منها الكثير من الأغراض والهدايا وكانت أرخص من عمان بأضعاف، وخرجنا من هناك في السادسة والربع فتوجَّهنا إلىٰ البحر واستأجرنا جلسة بـ١٠ تومانات، وركب يوسف دراجة ذات أربعة إطارات بأربعين تومانًا ربع ساعة في حين فضَّل أسامة المشي علىٰ الشاطئ، وبقينا هناك إلىٰ السابعة والنصف ثم عُدنا إلىٰ الشقة ووصلنا إليها عند التاسعة.

و في «جَوَاهِرْدَة»

في صباح اليوم السادس ذهبنا إلىٰ «جَوَاهِرْدَة» المعروفة بالجنة المفقودة، وهي بحقٍّ إحدىٰ جنان الله في أرضه، وسلكنا الطريق نفسه الذي تعوَّدنا أن نسلكه وسط الغابة ووصلنا إلىٰ عباس آباد ثم اتجَّهنا غربًا إلىٰ رامسَر ووصلنا إلىٰ جَوَاهِرْدَة في الثانية والربع، ورأينا السائق ينزل بنا إلىٰ طريق ترابي ضيِّق فظننا أن ذلك المكان لا يعرفه أحد ولذلك لا يأتي الناس إليه، ولكن ما إن وصلنا في الأسفل عند النهر وهو المكان الذي يطلق عليه الإيرانيون «نهر السعادة» رأيناه بحقٍّ أشبه بالجنة، فلم نرَ شبيهًا له من قبل، ووجدنا هناك مئات السيارات ومئات الناس قد نصبوا خيامهم وفرشوا بسطهم ويطبخون

غداءهم، ويبدو أن بعضهم يقضون أيامًا في ذلك المكان، وتمنَّيتُ لو أستطيع أن أُحضِر كل مَن أَعرفُ من أهلي ليرَوْا تلك الجنة ونبيتَ فيها لياليَ عِدةً.



مئات السيارة المُتكدِّسة عند النهر في جَوَاهِرْدَة



جانب من النهر والعائلات المُتكدِّسة علىٰ ضفافه

بقينـا في المـكان أكثر من سـاعة، وكنا نرغـب في البقاء مدة طويلـة غير أننا في ذلـك اليـوم لم نُحضِر معنا شـيئًا مـن الفواكـه أو الطعام، وبعـد أن صَعِدنا إلىٰ الشـارع في الأعلىٰ أخَذَنا السـائق إلىٰ شـلَّال ماء قريبٍ من الشـارع فنزل بعضنا لالتقاط الصور، ثم عُدنا باتِّجاه رامسَـر وتوقَّفنا عند محالَّ علىٰ الشارع فاشـترينا بعض جاكيتـات الصوف واشـترينا كذلك ثمانيـة كيلوجرامات من العسـل الجبلي بقيمـة ٦٤٥ تومانًا ثـم انتقلنا إلىٰ محلٍّ آخـر لإحدىٰ العجائز واشـترينا منها ثلاثـة جاكيتات للصغار بقيمة ١٢٠ تومانًا وكيلوجرامَيْ عسـل جبلي بمئة تومانٍ.

العجيـب أن كل هـؤلاء الباعة كانـوا يُؤكِّدون -وأحيانًا يُقسـمون بالله- أنه عسلٌ طبيعيٌّ نقيٌّ غير مغشوش ولذلك اطمأنَّتْ نفوسنا إليه، ولكن بعد عودتنا

إلىٰ عمان وجدنا العسـل وكأنه خليط من الماء والسُّـكَّر، وربما لأنهم يُغذُّون النَّحل بالسُّكَّر أو يخلطونه مع الماء الذي يتناوله النَّحل، فلا حول ولا قوة إلا بالله من ضياع الأمانة بين الناس.



جرار العسل الجبلي

تحرَّكنـا إلىٰ رامسَـر في الثالثة ظهرًا وتوقَّفنا عند مُجمَّـع تجاري فيها، وبعد أن خرجنـا صلَّينـا الظهر والعصر في مُصلًّىٰ في أسـفل المُجمَّع ثـم دخلنا أحد المطاعـم الموجودة عند المدخل وتناولنا غداءنا ثم خرجنا منه عند السادسـة ووصلنا إلىٰ الشقة في السابعة والنصف.

ز إلى «جالوس» و«نُوشَهْر»

خرجنا في صباح اليوم السابع في العاشرة والنصف وتوجَّهنا إلىٰ نهر جالوس شرقي كلارَدِشت، وتوقَّفنا في الطريق عند بائع فاكهة فاشترينا أربعة أنواع بـ٣٥ تومانًا، ثم نزلنا عند نهر جالوس التي تأتي مياهه من سدٍّ في أعلىٰ الجبل وتصل إلىٰ البحر بعد ثلاثين كيلومترًا، وفي أعلىٰ الجبل تتجمَّع المياه الذائبة من الثلج في السَّدِّ ثم ما يفيض منها تسيل في النهر، وتوجد حول النهر محطَّات لتصفية مياهه لاستخدامات المنازل.

بعدها، ذهبنا إلىٰ مدينة «نُوشَهْر»، وفي الطريق مررنا علىٰ غابة «سي سينكال» القريبة من البحر والموجودة في مدينة نور ولكننا لم ندخلها لارتفاع الحرارة والرطوبة فيها، وأَخَذَنا السائق إلىٰ غابة «رويان» في أعلىٰ الجبل وفي أقصاها شلَّال يسمىٰ ملك الماء ولكنه لم يكن به إلا ماء قليل ولذلك لم نبقَ هناك طويلًا، وعند عودتنا دخل بنا السائق إلىٰ غابة «سي سِنكال» وتجوَّلنا فيها بالسيارة ولكننا لم نقف لصعوبة الجلوس بسبب الرطوبة وحرارة الجو، وقد رأينا داخلها حشدًا من السيارات والناس.

وبعد مدة من خروجنا من الغابة انعطف بنا السائق نحو بحيرة «أَفِيدير» فتجوَّلنا فيها ثم دخلنا إلىٰ مطعم مُعلَّق في طرفها وطلبنا غداءنا وخرجنا من هناك في الرابعة والنصف فاتَّجهنا مباشرة إلىٰ الشقة ووصلنا إليها في السادسة.



ابني يوسف بجانب بحيرة أَفِيدير

ح العودة إلى طهران

في اليوم الثامن بدأنا التجهيز للعودة إلىٰ طهران ومنها إلىٰ عمان، فخرجنا في العاشـرة والنصف صباحًا مع السائق إلىٰ سوق التركمان في خارج كلارَدِشت واشـترينا بعـض الملابـس والهدايـا، ثـم مررنـا علـىٰ محـلٍّ لبيـع الزعفران والمُكسَّـرات واشـترينا بعـض الأنواع، وكنتُ قد أرسـلتُ إلـىٰ بعض الأهل والأصدقاء أسـألهم عمَّن يرغب في أن أشـتري له زعفرانًـا لأنه أرخص بكثير مما في عمان وأحسـن جودة، فأرسـل العديد منهم رغباتهم فسـلَّمتها لصاحبة المحل لتجهيزها وأخبرناها بأننا سنعود إليها بعد العصر.



صاحبة المحلِّ وهي تُجهِّز لنا طلبيات الزعفران

كانت السـاعة حينها قد تجاوزت الثانية ظهرًا فمررنا علىٰ مطعم وطلبنا منه غداءنا ثم أوصَلَنا السـائق إلىٰ الشـقة، وفي السادسـة عصرًا ذهبتُ أنا وأسـامة ويوسـف واشـترينا حقيبة من المحلِّ المجاور لمحلِّ بيع الزعفران ثم تسلّمنا طلباتِنـا من مَحلِّ الزعفـران ووضعنا كل طلب في كيس باسـم صاحبه وقيمته بالتومـان، وانتهينـا قـرب المغرب فعُدنـا إلىٰ الشـقة وقضينا الوقـت في حزم الأمتعة وتجهيز الحقائب.

في اليوم التاسع وبعد أن صلَّينا الفجر جماعة أخرجنا الحقائب ونظّفنا الشقة، وجـاء السـائق فحمَّلْنا الحقائـب وتحرَّكنا إلـىٰ طهران في السادسـة والنصف وتوقَّفنا في الثامنة والنصف للإفطار وطلبنا أكلات شـعبية إيرانية ولكن مذاقها

لـم يعجبنا، وفي الطريـق مررنا علىٰ العديد من الأنفاق الطويلة التي -حسـبما أخبرنا السـائق- قد بُنِيت والشـارع المُتَّجه إلىٰ كلارَدِشـت في السبعينيّات من القرن الميلادي الماضي في أيام الرئيس محمد شاه بهلوي، ووصلنا إلىٰ مدينة كَرَج في العاشرة والنصف وطهران في الثانية عشرة.



شارع كلارَدِشتْ-طهران الجبلي المليء بالأنفاق

أخبَرَنا السـائق بأن الشـقة التي سـنَبيت فيها تلك الليلة لن تجهز قبل الثانية والنصـف ظهـرًا ولذلك ذهبنا إلىٰ أحـد المراكز التجارية واشـترينا منه بعض الأغـراض البسـيطة ثـم تناولنا فيه وجبـة الغداء وخرجنـا منـه في الثانية ظهرًا

وتوجَّهنا إلىٰ الشقة ووجدنا صاحبها ينتظرنا، وكانت شقة من غرفتين صغيرتين وصالة كبيرة ولا يوجد بها مكيفات إلا في الصالة وواحدة من الغرف ولا يوجد بها إلا دورة مياه واحدة.

قضينا اليوم العاشر في طهران وكان يومًا مليئًا بالمواقف المثيرة، إذ كان الاتِّفاق مع السائق محمد أن نذهب إلىٰ حديقة الحيوانات وكان قد أخبرنا بأن حافلته التي يأخذنا عليها تحتاج إلىٰ صيانة وأنه سيطلب من صديقه أن يأخذنا إلىٰ الحديقة، فجاءنا ذلك السائق في العاشرة والنصف فتحرَّكنا في شوارع طهران المزدحمة والكثيرة والتي بها مخارج ومداخل لو أخطأ الواحد في شيءٍ منها لصعب عليه الرجوع إلىٰ المكان الذي تركه إلا بعد مدة، وقد لاحظنا أن السائق المُسِنَّ يسوق ببطءٍ وحذرٍ شديد، وخمَّنّا أنه لا يدري أين موقع الحديقة، ولذلك توقَّف ليسأل أحد المارة فأرشده، ولكنه كان لا يزال لا يدري أين الشارع المُوصِل إليها.

طلبتُ من أولادي أسامة ويوسف أن يبحثا عن موقعها من جوجل، وفعلًا أخذنا نُوجِّه السائق يَمنة ويَسرة وعندما كنا علىٰ مقربة من الحديقة أخطأ في المخرج فذهبنا نجوب الشوارع من أجل العودة مرة أخرىٰ إلىٰ الشارع الذي جئنا منه، وبعد أن وصلنا إلىٰ ذلك الشارع أخطأ مرة أخرىٰ في مخرج الحديقة، فطلبتُ من السائق أن يُوقِف أحد أصحاب سيارات الأجرة ليمشي أمامنا ليوصلنا إليها بدلًا من الدوران في الشوارع ولكن سائقنا رفض بحُجَّة أنه يعرف المكان ولكنه جاءه منذ مدة وقد تغيَّرت الشوارع الآن، وبعد إصرارٍ مني توقَّف ليسأل صاحب سيارة أجرة فأرشده إلىٰ الطريق فطلبتُ من ذلك الشخص أن يمشي أمامنا فرفض سائقنا فألححتُ عليه فمشىٰ سائق الأجرة

أمامنا وما هي إلا نحو عشـر دقائق حتىٰ أوصلنـا إلىٰ مدخل الحديقة وأعطيتُه ١٥ تومانًا، وقد استغرقنا قرابة ثلاث ساعات ونحن نَتيه في الشوارع.

دفعنا ٤٨ تومانًا لدخول الحديقة لسـتة أشـخاص، ولم تكـن حديقة كبيرة مقارنـة بحدائـق العيـن وماليزيـا ولذلك لم نبقَ فيهـا إلا نحو سـاعتين، وبعد خروجنا منها في ٣:١٥م أخبرتُ السائق بأننا نريد الذهاب إلىٰ أحد المُجمَّعات التجاريـة الكبيرة فأخذ يُخبرنا ببعضها ويبـدو عليه أنه لا يدري ما هي ولا أين تقع، ولذلك سـألتُ بعض سـائقي سـيارات الأجرة فأخبروني بـأن أكبرها هو مجمـع «كُـورَش» وأخـبروا السـائق بمكانه فطلبـتُ منهم أن يمشـي أحدهم أمامنـا، فرفض السـائق بحُجَّة أنه يدري المكان فألححـتُ عليه بذلك فوافق، فدفعتُ ١٨ تومانًا إلىٰ مكتب سـيارات الأجرة ومشـىٰ أحدهم أمامنا بسـيارته وما هي إلا نحو عشر دقائق حتىٰ أوصلنا إلىٰ المركز.

وجدنا المركز يتكوَّن من عشـرة طوابق محالّ وسبعة طوابق مواقف، وبعد أن أوقفنا السيارة في الطابق الثالث بدأنا بالطابق الثاني تحت الأرضي ثم أخذنا نتجوَّل من طابق إلىٰ آخَر، ولم نشترِ أشياء كثيرة، وكان المُجمَّع مليئًا بالمطاعم والمقاهـي فأردنا أن نُغيِّر روتين الغَداء فسـألنا عن مطعـم إيطالي فدلُّونا علىٰ مطعم اسمه «جانورا» في الطابق الخامس فطلبنا منه مأكولات إيطالية وعصائر طازجة، وكان الأكل لذيذًا جدًّا وترتيب المائدة والتقديم في غاية الإتقان.



جانب من مركز كُورَش التجاري

ذهبنا إلىٰ المُصلَّىٰ في الطابق الذي كان فيه المطعم، وفي أثناء الوضوء انطفأت الكهرباء في كل المُجمَّع وتوقَّفت السلالم والمصاعد وخرج الناس من المحالِّ، وكانت الكهرباء قد توقَّفت من قبل أكثر من مرة ولكن فترات قصيرة، وأما هذه المرة فطالت المدة فاستخدمنا مصباح الهاتف لندخل المُصلَّىٰ وصلَّينا الظهر والعصر، وبعد أن انتهينا عادت الكهرباء، ولكن بقيَتِ المصاعد لا تعمل فاضطُررنا إلىٰ الهبوط بالسلالم الكهربائية المُتوقِّفة لأحد عشر طابقًا إلىٰ أن وصلنا إلىٰ مكان الحافلة في الطابق الثالث للمواقف، وعندما اتَّصلنا بالسائق أخبرنا بأنه ذهب يبحث عنا، فانتظرناه في المواقف في الحرِّ الشديد أكثر من عشر دقائق وكُنا حينها في غاية الإعياء بسبب الهبوط عن طريق السلالم.

خرجنا من المُجمَّع في الثامنة وكانت الشـوارع شـبه مُتوقِّفة من الازدحام، ودخلنا في نفق طويل وتوقَّفت السـيارات وأحسسـنا بحرٍّ شـديد واختناق من عوادم السـيارات، فطلبتُ من السائق أن يفتح لنا المُكيِّف فتعلَّل في البداية بأنه عاطل وبعد قليل فتحه، وكنا نريد شـراء حقيبة إضافية فطلبتُ منه البحث عن محـلٍّ لبيع الحقائـب فلاحظتُ أنه لا يعرف الشـوارع والأسـواق فأخبرتُه أن يواصل سيره إلىٰ الشقة ووصلنا إليها في التاسعة والربع.

وكنـتُ عندما دفعتُ للمطعم الإيطالي قيمـة الغداء لم يتبقَّ عندي إلا بعض التومانات، فحاولنا تحويل مبالغ عند الصرّافين في المركز فمنهم مَن قال بأنه لا يقبل الريال العماني ومنهم مَن كان يقبله ولكن ليس لديه تومانات كافية ولذلك بقينـا في حَيرة من أمرنا، فاتَّصلتُ بالمترجم محمد في كلارَدِشـت وأخبرته بأني أريـد تحويـل ٧٠ ريالًا عمانيًّا إلىٰ التومان فحاول اسـتغلال حاجتنا إلىٰ النقود فقال بأنه سـيعطيني مقابلهـا ١٠٥٠ تومانًا مع أنها كانت تعـادل ١٢٦٩ تومانًا، فحاولتُ التفاوض معه إلىٰ أن أوصلها إلىٰ ١٢٠٠ تومانٍ فقبلتُ ذلك، وأخبرني بأنه سيُحوِّل المبلغ إلىٰ السائق محمد الذي أحضرنا من كلارَدِشت وأن السائق سيتَّصل بصاحب الحافلة التي كنا فيها ليُحوِّل إليه المبلغ ويُسلِّمني إياه.

وفعلًا، عندما أنزلنا الأهل عند الشقة طلب مني السائق الذهاب للبحث عن محلٍّ يسـتطيع سحب المبلغ له، وقال بأنه سيُوقِف الحافلة ونذهب مشيًا علىٰ الأقـدام وكنتُ في غايـة الإعياء، فذهبنا من محلٍّ إلىٰ آخـر وكان أغلبها لعرب عراقيين وسـوريين وكانوا يعتذرون بأنه لا يوجد لديهم نقد، فأخبرتُ السـائق أن يسـحب لي ببطاقته ٢٠٠ تومانٍ وأن يُحضر لي الباقي غدًا فرضيَ، وعُدتُ إلىٰ الشـقة مشـيًا علىٰ الأقدام ووصلتُ في العاشـرة فصلَّينا المغرب والعشـاء جماعة ثم نِمنا مباشرة.

ط المغادرة إلى عمان

في اليوم الحادي عشـر –وهو موعد مغادرتنا إلىٰ عمان– خرجتُ أنا وابني أسامة في العاشرة والنصف لشراء حقيبة فوجدنا السائق العجوز قد أتىٰ ليُحضر لـي بقيـة المبلغ الذي حوّلتُه إلـىٰ التومان، وعندما أخبرته بأننا ذاهبون لشـراء حقيبة أراد أن يأخذنا بنفسـه فرفضتُ ذلك، ووقف لنا شخص بسيارته العادية فترجمتُ له عن طريق جوجل أننا نريد الذهاب لشراء حقيبة فأخذنا إلىٰ منطقة قريبة يكثر بها العرب، فدلُّونا علىٰ بعض المحالِّ واشترينا الحقيبة ثم عُدنا إلىٰ الشقة.

وعندمـا أُذِّن لصلاة الظهر في الواحدة صلَّينا الظهر والعصر ثم أنزل أسـامة ويوسف الحقائب وحمّلاها في الحافلة ووصلنا إلىٰ المطار في الثانية والنصف وانتهينـا من جميع إجراءات الشـحن والجوازات في الرابعـة إلا الربع، وبقينا ننتظـر إلـىٰ أن اقترب فتح البوابـة فتوجَّهنا إليها، وكان من المفـترض أن تُقلِع الطائـرة في ٥:٥٠م ولكنهـا تأخـرت وأقلعت في ٦:٤٠م، وبعد أن اسـتوتْ في السماء أحضروا لنا الغداء ووصلنا إلىٰ مطار مسقط في ٨:١٠م، وانتظرنا تسلُّم الحقائب مدةً ووجدنا ابني إبراهيم ينتظرنا بسيارتي، وبسبب إرهاق السفر رأينا الأنسب أن نبيت في مسقط في بيت ابني عمر.

٢ رحلة علاج إلى شيراز في نوفمبر 2020م

عندما ذهبتُ إلىٰ تايلاند في ٢٠١٣م كنتُ قد أجريتُ فحصًا لنظري فأخبروني بوجـود الماء الأبيض في كلتا العينين ولكنه لا يزال في بداياته، ولاحظتُ أنه في عـام ٢٠٢٠م قد بـدأتِ الرؤية عنـدي تضعف، حتىٰ إني صـرتُ أطبع ما أريد

مراجعته من مُؤلَّفاتي بخطٍّ كبير، وكبَّرتُ حجم الخطِّ في الهاتف والحاسوب، وبعد إصابتي بفيروس كورونا في سبتمبر ٢٠٢٠م لاحظتُ -كما لاحظ كثيرٌ غيري- أنه أثَّر في النظر تأثيرًا ملحوظًا؛ حتىٰ صرتُ لا أستطيع قيادة سيارتي في النهار إلا بصعوبة، فكنتُ أرىٰ السيارات والبيوت وغيرها مُجرَّد بُقَع تتحرَّك أمامي ولا أرىٰ تفاصيلها.

أ أخذ رأي الاختصاصيّين في عمان

رأيتُ أن أُجري فحوصات في مركز مسقط للعيون في الحيل الشمالية الذي يُعَدُّ أشهر مركز للعيون في السلطنة فأخذني ابني عبد الله إلىٰ هناك، ومن شدَّة ضعف النظر وتعتيمه أن ابني عبد الله كان يقودني لعدم وضوح الرؤية أمامي، ولما وصلتُ عندهم أجرَتْ لي إحدىٰ المُمرِّضات شتىٰ أنواع الفحوصات للعينين ثم أدخلوني علىٰ طبيب فلبينيّ، وبعد أخذ المزيد من الفحوصات أخبرني بأن المشكلة ليست في الماء الأبيض فهو لا يزال في بداياته وإنما المشكلة هي أن القرنية في العينين تالفة جدًّا؛ حتىٰ إنه ليصعب رؤية الماء الأبيض من خلالهما، وقال بأن ما يستطيعون القيام به هو إزالة الماء الأبيض فلعلَّ النظر يتحسَّن قليلًا، ولكنه أخبرني بأنه رغم كونه جرّاحًا يُجري مثل تلك العمليات فإنه بسبب تلف القرنيتين يصعب عليه إجراء العملية، وسيُجريها بروفيسور ياباني ينتظرون قدومه في شهر ديسمبر.

سألتُ الدكتور عن إمكان زراعة القرنية فقال بأنه لا ينصح بها لأن فيها مخاطرة بالنظر؛ فإذا لم تتقبَّل العين القرنية أصيب الشخص بالعمىٰ، وكذلك فإن إجراءات المتابعة والعناية بالعين بعد العملية يمتدُّ إلىٰ بقية حياة الإنسان،

ومع ذلك قال بأنه لو قرَّرتُ إجراء زراعة القرنية فعليَّ إجراؤها خارج السلطنة لاحتياجي إلىٰ عمليتين في آنٍ واحدٍ، وهما زراعة القرنية وتغيير العدسات، ومثل تلك العمليات لا يُجرونها في مركز مسقط للعيون.

بعد أن خرجتُ من عنده نادتني مُوظَّفة عمانية وشرحت لي تفاصيل المشكلة التي عندي، ثم أخبرتني بتكاليف عمليات إزالة الماء الأبيض وهي ١٥٠٠ ريال للعين الواحدة أو ٢٧٥٠ ريالًا للعينين، فأخبرتها بأني سأُفكِّر في الأمر، وفي اليوم التالي تواصلتُ مع أحد الإخوة من الولاية الذي يعمل في قسم العيون في أحد المستشفيات الحكومية وأخبرته بما أخبروني به في مركز مسقط للعيون فدلَّني علىٰ طبيبٍ مُتخصِّصٍ في القرنيات في مركز نزوىٰ التخصُّصي للعيون في بلدة «فرق».

عندما قابلتُ ذلك الطبيب وأجرىٰ الفحوصات علىٰ العينين أخبرني أن القرنيات بها «غُبرة» ولكنها من السابق بسبب التراخوما، وأن سبب ضعف النظر عندي هو بسبب الماء الأبيض واقترح إجراء عملية لإزالته، فطلبتُ من الأخ الذي يعمل في المستشفىٰ الحكومي أن يساعدني بحجز موعدٍ لي في مستشفىٰ نزوىٰ، فحجز لي أولًا موعدًا بعد أربعة أشهر في مُجمَّع بهلا الصحي وإن رأىٰ الطبيب الحاجة إلىٰ عملية فسيحجزون لي موعدًا في مستشفىٰ نزوىٰ، ونظرًا إلىٰ تقليص العمليات غير المستعجلة في تلك الآونة بسبب كورونا رأيتُ أني لن أتمكَّن من إجرائها -هذا إن وافقوا علىٰ إجرائها- إلا بعد عام، وعندها نصحني بعض الإخوة بالذهاب إلىٰ شيراز في جنوب إيران لإجرائها فهي سريعة وأقل تكلفة، فبدأتُ أُعِدُّ العُدَّة لذلك.

ب الوصول إلى شيراز

تواصلتُ مع ثلاثة من المترجمين في شيراز فأخبروني بأن أسعار عمليات إزالة الماء الأبيض للعينين في أحسن مستشفيات شيراز تتراوح بين ١٨٠ ريالًا و٦٠٠ ريالٍ، ويبدو أن السعر يتلاعب به المترجمون وإلا فهو ثابت ويُجري العمليةَ الطبيبُ نفسُه، وربما يكون الفارق بسبب اختلاف المستشفىٰ الذي تُجرىٰ فيه.

عقدتُ العزم علىٰ الذهاب إلىٰ شيراز علىٰ أن يرافقني ابني عبد الله، وتواصلتُ مع الأخ صاحب مكتب السفريات في الحيل الذي رتَّب لنا رحلة إيران في ٢٠١٨م، فأخبرني بعرض لأحد الخطوط الإيرانية بقيمة ٣٩ ريالًا ذهابًا وإيابًا، وكانت أختي تريد الذهاب أيضًا لعمل فحوصات لأذنيها ورجلها فتشجَّعتْ للمجيء معنا، فذهبنا حسب اشتراطات السفر في عمان قبل يومين من المغادرة إلىٰ مركز النيل الطبي في نزوىٰ لعمل فحص كورونا الخاص بالسفر (PCR)، وكانت قيمته ٥٠ ريالًا للشخص، وحصلنا علىٰ النتيجة في مساء اليوم التالي.

في يوم المغادرة خرجنا من البيت في السابعة صباحًا ووصلنا إلىٰ المطار في ٩:٤٠ص، وأنهينا إجراءات السفر ثم انتظرنا الإقلاع الذي كان مُتوقَّعًا في الثانية عشرة ولكن الطائرة تأخَّرت وأقلعنا في ١٢:٤٥م، وبعد مدة أعطونا وجبة خفيفة ووصلنا إلىٰ مطار شيراز في ٢:١٠م بتوقيت عمان أو ١:٤٠م بتوقيت إيران، وبعد إنهاء إجراءات الخروج وتسلُّم الحقائب التقينا بالمترجم أمين التميمي الذي هو في الأصل من العراق ولكن أسرته -حسبما أخبرني- هاجرت إلىٰ إيران أيام حرب الخليج الثانية.

أَخَذَنـا المترجم مباشـرة إلىٰ شـقتنا في الفندق الذي حجزه لنـا ووصلنا في الثالثة والربع، فسـلَّمني أنا وعبد الله شرائح لهواتفنا وأعطونا من الفندق أرقام شـبكة الواي فـاي، فتواصلنا مع الأهـل وأخبرناهم بوصولنا ثـم صلَّينا الظهر والعصـر وبعدها ذهب عبـد الله ليُحضر لنا الغداء، ثم بقينـا ننتظر إلىٰ أن حان وقت صلاة المغرب في ٥:١٣م فصلَّينا المغرب والعشـاء وكنا نشـعر بإرهاق فنِمنا مباشرة.



ابني عبد الله في مكتب الاستقبال في الفندق

في اليـوم الثاني نزلنا في السـابعة لتناول الفطـور في مطعم الفندق وكان هناك بوفيـه مفتـوح، وفي التاسـعة والنصف جاء ابـن عم المترجم أميـن ليأخذنا في جولـة حول شـيراز، إذ كان ذلك اليـوم عندهم إجازة المولـد النبوي وجميع

المستشـفيات والمتنزَّهـات مُغلقة، فتجوَّلنا في المدينة ما يقارب السـاعة، وفي طريق عودتنا نزلنا لشراء فواكه وعُدنا إلىٰ الشقة قبيل الثانية عشرة بقليل، فذهب عبد الله لإحضار الغداء وكان مكبوسَ دجاجٍ لشـخصين بقيمة ٨٠ تومانًا (أي نحـو ١,٢ ريـال فقط)، وبعد العصـر نزلنا نتجوَّل في الشـوارع وكنا نقف عند محالِّ بيع الزعفران والمُكسَّرات، وعُدنا إلىٰ الشقة في السادسة والنصف.



أمام أحد الفنادق الضخمة في شيراز

ج إجراء العمليات

كان اليـوم الثالث موعد عمليات العيون لي فجاءنا المترجم أمين في الثامنة والنصـف صباحًـا، وكانوا قـد طلبوا مني أنـا وأختي الصيام من الليل تحسُّـبًا لإجـراء عمليات لنا، فأخَذَنا المترجم إلىٰ مستشـفىٰ «**مير حُسـيني**» الذي يُعدُّ

-حسب كلامه- ثاني أشهر مستشفىٰ في شيراز بعد مستشفىٰ «خُدا دُوست»، وكان هناك قسمٌ خاصٌّ لإجراء فحوصات النظر خارج المستشفىٰ ولكنه قريبٌ منه فأجرَوْا لي ولأختي مختلف أنواع الفحوصات.

بعد أن انتهينا أَخَذَنا المترجم إلىٰ غرفة الطبيب في المستشفىٰ فوجدنا خارجها العديد من العمانيين والإيرانيين، علىٰ الرغم من أن الحكومة -حسبما أخبرنا المترجم- قد منعتْ في تلك الآونة إجراء عمليات للإيرانيين إلا الضروري منها وذلك بسبب تفشِّي فيروس كورونا عندهم، وبعد انتظارٍ مدةً يسيرة أدخلوني علىٰ الطبيب في مكتب صغير لا يوجد به إلا دولاب واحدٌ صغير وليست فيه أجهزة غير الجهاز الذي يفحص به عيون المرضىٰ، وهو في مستشفياتنا لا يُقارَن في مساحته وتجهيزاته حتىٰ بغرفة عامل النظافة، ولكن البهرجة الزائفة وكثرة التجهيزات لا تعمل شيئًا إن لم تواكبها المهارة والخبرة والإتقان.

تعجَّبتُ من سرعة فحص الطبيب ومهارته؛ فإنه نظر نظرة خاطفة ثوانيَ معدودة في عينيَّ بجهاز فحص النظر، وفورًا كلَّم المترجم بأنه يوجد ماء أبيض في العينين وأيضًا لَحمِية (أو ما نسميه نحن بـ«عُرْق الظفرىٰ») في العين اليسرىٰ، والحقيقة أني تعجَّبتُ من مهارة ذلك الطبيب، إذْ إنهُ في مركز مسقط للعيون وفي المركز التخصُّصي للعيون في نزوىٰ لم يأتِ أحدٌ من الأطباء بذكر موضوع اللَّحْمية علىٰ الرغم من أن الذين فحصوا عينيَّ أيضًا جرَّاحون، وكان الواحد منهم يستغرق قرابة نصف ساعة وهو ينظر في الجهاز ويضع القطرات، ولكن الطبيب الإيراني نظر في العينين ثوانيَ معدودة فقط وأخبرني المترجم بأن القرنيات بهنَّ «غُبرة» ولكنها ليست بحاجة إلىٰ عمليات.

سـألني المترجـم -ونحن لا نـزال في غرفـة الطبيب- عن قـراري فأخبرتُه فورًا بأني سـأُجري العمليات، ثم سـألته عن التكلفة فسأل الطبيب فأخبره بأنها ٣٨٠ ريالًا للعينين ثم أنقصوها إلىٰ ٣٥٠ ريالًا، وبعد مفاوضات معهم وافقوا لتكـون جميعها بـ٣٣٠ ريالًا، وهي تعادل نحـو ثُمن القيمة التي أخبرونا بها في عمان علىٰ الرغم من أن معها عملية اللَّحْمِية.

ولنا أن نتسـاءل عن الفارق الكبير في تكاليـف العمليات لديهم وعندنا الذي يزيـد علىٰ ثمانية أضعاف، رغم ما لديهم من مهارة وإتقان وسـرعة في المواعيد وإتمام الفحوصات والعمليات، وما يُقابله عندنا من مماطلة في المواعيد وضعف في الإنجاز وتخبُّط في النتائج، فهل إمكاناتنا أقلُّ أو مرضانا أكثر مما عندهم؟

بعد أن خرجنا من غرفة الطبيب ذهب عبد الله والمترجم ليدفعا قيمة العمليات ويُنهيا الإجراءات المطلوبة، وأما أنا فقد أخذوني مباشرة لتغيير ملابسي بلباس العملية ثم أخـذوني إلىٰ غرفة لننتظر موعد إجراء العملية، وصاروا يضعون في العينين قطرات بتواصل كل عشر دقائق، وكان من المفترض أن تكون العملية قبل الثانية عشرة ظهرًا ولكن بسبب زحمة العمليات تأخَّروا قليلًا.



بلباس العملية قبل إجرائها

أدخلوني إلىٰ الجناح الذي به غُرَف العمليات بأنفسهم ولم يسمحوا لأحدٍ بالدخول معي، وكانت هناك العديد من غرف العمليات المُتعلِّقة بالعيون فأدخلوني في البداية إلىٰ غرفة للعمليات مليئة بالأجهزة وبدؤوا يضعون في صدري ورجليَّ ويديَّ وجبهتي أسلاك قياس النبض والضغط ثم بعد قليل رأيتهم يُزيلونها وأخذوني إلىٰ غرفة مجاورة لها، وربما كانت الأولىٰ مُخصَّصة لعمليات عيون غير التي أحتاج إليها أنا، وبدؤوا مرة أخرىٰ في وضع أسلاك قياس النبض والضغط، وكنتُ خائفًا من أن يكون التخدير موضعيًّا فأشعر بآلام ولكنهم حقنوني بإبرة في اليد وبعد قليل وضعوا علىٰ فمي وأنفي كمامة الأكسجين فعرفتُ أنه سيكون تخديرًا كاملًا ففرحتُ بذلك كثيرًا، وما هي إلا لحظات حتىٰ فقدتُ الوعي.

عندما أفقتُ سمعتهم يتحدَّثون مع امرأة عجوز عمانية بجانبي، فقلتُ في نفسي: «**كيف جاءت هذه المرأة بجانبي والسرير لا يتَّسع إلا لشخصٍ واحدٍ؟!**» وكنتُ أظنُّ نفسي ما زلتُ في غرفة العمليات، ولكن ذاكرتي عادتْ إليّ فعرفتُ أني في غرفة الإنعاش بعد العملية، وطبعًا كانت كلتا عينيَّ مُغطَّاتين ولا أرىٰ شيئًا، وبعد زوال التخدير بالكامل أزالوا الأجهزة والأسلاك وكانت الساعة حينها الواحدة والنصف ظهرًا، أي إنّ أخذ جميع الفحوصات ومقابلة الطبيب والعملية ثم الإفاقة من التخدير لم يستغرق أكثر من أربع ساعات، وعندنا في عمان يقضي الواحد منا تلك المدة فقط لانتظار دوره للدخول إلىٰ الطبيب.

كان عبد الله وأختي هناك فهنَّآني علىٰ السلامة وأعطياني عصيرًا، ثم أعادنا عبد الله إلىٰ الشقة وذهب هو ليُحضر الغداء، وكانت الساعة حينها في حدود الرابعة فصلَّينا الظهر والعصر، وحسب نصيحة الطبيب صلَّيتُ بالإيماء علىٰ كُرسيٍّ، وبسبب تغطية العينين لم تكن حركتي في الشقة في البداية سهلة عليَّ

لخوفي من الاصطدام بشيء، ولذا كان عبد الله يسحبني سحبًا ليُحرِّكني من مكان إلىٰ آخر، ولكني بعد مدة تعوَّدتُ ذلك وصرتُ أتحرَّك في الشقة بنفسي، وبحمد الله لم أشعر بأوجاع إلا قليلًا في العين اليسرىٰ بسبب إزالة اللَّحْمِية حسبما أخبروني.

وأما أختي فقالوا بأنه لا توجد عندها مشكلة في العينين، وإنما هناك جفافٌ فيهما، ولذا بعد أن صلَّينا المغرب والعشاء جاء المترجم فأخذ عبد الله وأختي لعمل فحوصات لأذنها، ثم قابلوا اختصاصي الأذن فأخبرهم بأنه لا توجد عندها مشكلة بل هو ضعف السمع بسبب ضعف الأعصاب المُوصِلة إلىٰ الدماغ.

في اليوم الرابع جاءنا المترجم في الثامنة والنصف وأَخَذَنا إلىٰ المستشفىٰ لإزالة الغطاء الذي علىٰ العينين، فلم نجد الطبيب هناك فأزالت المُمرِّضة الغطاء وأعطاني المترجم نظارته السوداء لألبسها إلىٰ حين شراء نظارة خاصة بي، وبعد قليل جاء الطبيب وفحَص العينين وأخبرنا بأن العمليات -بحمد الله وفضله- ناجحة، وبعد أن نظّف العينين رأيتُ كل شيء بوضوح تامٍّ أفضل حتىٰ ممَّا كنتُ عليه في أيام شبابي، فلله الحمد والمنة علىٰ النعمة العظيمة بردِّ بصري إليّ.

المشكلة الوحيدة التي عانيتُها هي حساسية العينين من الضوء وأخبروني أن تلك مشكلة مُؤقَّتة وستختفي تدريجيًّا، وبعد أن اشترىٰ المترجم وعبد الله الأدوية لي ولأختي أخذوا أختي لعمل أشعة لأصبع قدمها وأخبرنا المترجم بأنه سيتواصل مع الطبيب لمعرفة المشكلة في تلك الأصبع، ولما خرجنا من المستشفىٰ مررنا علىٰ محلٍّ لبيع النظارات واشترىٰ المترجم نظارة سوداء أصلية لي بسبعة ريالات فقط وبعد ذلك عُدنا إلىٰ الشقة.

اتَّصل المترجم بعبد الله وأخبره بأن الطبيب وجد في الأشعة الخاصة بأختي عظمًا زائدًا في الأصبع وهو الذي يُسبِّب لها الاحتكاكات والآلام وأنها بحاجة إلىٰ عملية لإزالته، وأن تكلفة العملية ٢٥٠ ريالًا وإن وافقتْ فسيُجرونها لها في المسـاء، فأخبره بأنها قد تناولت الغداء فأُجِّلَتْ إلىٰ صباح الغد ولكنهم ذهبوا في المساء لإجراء فحوصات وترتيبات ما قبل العملية.

في التاسعة صباحًا من اليوم الخامس جاء خال المترجم أمين وأخذ عبد الله وأختي إلىٰ المستشـفىٰ ليُجروا لها العملية وبقيتُ أنا في الشـقة، ولم يُدخلوها مباشـرة إلىٰ غرفة العمليات بسبب وقوع حادث سَـيْر لشابٍّ وانشغال الأطباء بإجراء عمليات له، وأدخلوها في الثانية عشرة والنصف وأخرجوها في ١:٤٠م وأحضروهـا إلىٰ الشـقة في الرابعة، وكانـت حالتها -بحمد الله- مسـتقرَّة ولا تعاني آلامًا، ولكنهم وضعوا لها جبيرة لرجلها اليمنىٰ من القدم إلىٰ الركبة.

د العودة إلى عمان

كان المترجم قد أخبرنا عند وصولنا إلىٰ شـيراز أنه من المحتمل أن يطلبوا منا في المطار عمل فحص كورونا في إيران قبل المغادرة، وأخبرنا بأنه سيتحقّق من العمانيين الذين غادروا إيران خلال تلك الأيام إن كان قد طُلِب منهم ذلك أم لا، وأخبرنـا بأن قيمة الفحص عندهم خمسـة ريالات فقـط، وأنه -مراعاة لظروف أختي من عدم القدرة علىٰ الحركة- سيُحضر المُمرِّض الذي سيأخذ الفحص إلىٰ الشقة.

وقبل يومين من المغادرة أخبرنا المترجم بأننا لن نحتاج إلىٰ فحص كورونا وإنما سـيُزوِّدنا بورقة من وزارة الصحة الإيرانية بعدم الممانعة من السفر، وفي

اليوم التالي تواصل مع الطيران فأخبروه بأن الفحص غير مطلوب، ولكنه قبل يوم المغادرة قال بأنه وصل إليه خبر من المطار بضرورة إجراء الفحص، وأنه سيُحضر أحدًا من العيادة التي تُجري الفحص إلىٰ شقتنا، فجاءنا المترجم ومعه شخصٌ آخرُ في الثانية ظهرًا، وأخذ لكل واحدٍ منا مسحة من الحلق وأخبرنا بأن النتيجة ستظهر في الليل، وأما قيمة الفحص فكانت ٥,٧٠٠ ريالٍ بسبب ارتفاع سعر التومان، ولكنه لا يزال أقلَّ من سعر الفحص الذي أجريناه في عمان بقيمة ٥٠ ريالًا للفرد.

كان الريال العماني عندما وصلنا إلىٰ شيراز يعادل ٧٠ تومانًا وفي اليوم التالي وصل إلىٰ ٧١ ثم إلىٰ ٧٢ تومانًا، ولكن بسبب هزيمة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وفوز منافسه جو بايدن ارتفعتِ العملة الإيرانية وبدورها انخفضتْ قيمة الريال العماني وصار يعادل فقط ٦٥ تومانًا ثم انخفض إلىٰ ٥٥ تومانًا، ولذلك كان سعر الشقة لأسبوع -حسبما أخبرنا به المترجم قبل مجيئنا إلىٰ إيران- ٥٠ ريالًا عمانيًّا، وبسبب ارتفاع قيمة التومان دفعنا لها ٦٣ ريالًا.

في يوم المغادرة أفطرنا ثم أنهىٰ عبد الله تجهيز الحقائب والأمتعة الأخرىٰ، وفي ٦:٤٠ صباحًا جاء المترجم أمين ليأخذنا إلىٰ المطار، وخرجنا من الفندق في السابعة ووصلنا إلىٰ المطار في ٧:١٠ص، وهناك فتَّشوا جميع أمتعتنا مع أن المعتاد أن يكون التفتيش في المطار الذي ننزل فيه، وأقلعتِ الطائرة في التاسعة صباحًا بتوقيت إيران (أي التاسعة والنصف بتوقيت عمان)، وبعد إقلاعها أحضروا لنا وجبة خفيفة وما لبثنا طويلًا حتىٰ نزلنا في مطار مسقط في الحادية عشرة والنصف.



استخدام رافعة خاصة لإدخال أختي بالكُرسيِّ المُتحرِّك إلىٰ الطائرة

عندمـا وصلنا إلىٰ مطار مسـقط طلبوا منا أن نصطـفَّ في طوابير لدفع قيمة فحـص كورونا الذي سـيُجرُونه لنا مـرة أخرىٰ في المطار رغـم أننا أجريناه في إيران قبل المغادرة، وكانت قيمة الفحص عشرين ريالًا وخمسة ريالات لسوار التعقُّـب الذي يضعونه في اليد خلال مد الحجر المنزلي مدة أسـبوعين، فدفع عبـد الله لهم المبلغ ثم مررنـا علىٰ مكتب تخليص الجـوازات، وبعد الانتهاء توجَّهنـا إلىٰ مكان عمـل الفحص ووجدنـا أكثر من عشـرين كابينة مُخصَّصة لذلـك، فاخـترتُ أنا وعبد الله مسـحة الأنـف في حين اختارت أختي مسـحة الحلـق، وبعـد أن انتهينا توجَّهنـا إلىٰ مكان وضع سـوار التعقُّب، ثم تسـلَّمنا

حقائبنـا ووجدنـا ابني مُصعبًا قد أحضر سـيارة ابن أخي أيـوب التي جئنا فيها من الحمراء، وتوقَّفنا في تنوف لصلاة الظهر والعصر ثم أوصلْنا أختي إلىٰ بيتها ووصلنا إلىٰ بيتنا في الرابعة عصرًا.



رحلاتي إلى دول أخرى

إضافـة إلىٰ الرحلات العديـدة التي ذكرتُها من قبل، وعـلاوة علىٰ المرات العديـدة التي كنـا ننزل فيها بالطائـرة في مطارات الكثير من الـدول، ذهبتُ في رحلات مُسـتَقِلَّة إلىٰ أربع دول أخرىٰ، هي مِصـرُ وتونس والأردن والمملكة المتحدة.

١ رحلة إلى مصر في أغسطس 1995م

كنـتُ في أغسـطس ١٩٩٥م علىٰ أُهبة الذهاب إلىٰ أمريكا لتسـليم رسـالة الماجسـتير ومناقشـتها، وكنـتُ قد جهَّزتُ الرسـالة ولم يتبقَّ هناك شـيءٌ من أعمـال الدراسـة، وكانت جامعة السـلطان قابوس التي أعمل فيهـا تُحرِّر إلىٰ مكتب السـفريات رسـالة لإصدار تذكرة مفتوحة مدة عـام علىٰ متن الخطوط البريطانية أو طيران الخليج، فرأيتُ أن أستفيد من رحلتي تلك بزيارة جمهورية مصر العربية.

طلبتُ من أحد مكاتب السفريات في مسقط أن يُرتِّب لي رحلة سياحية مدة خمسـة أيام وأنا في طريقي إلىٰ أمريكا، بحيث تكون مدفوعة التكاليف شـاملة التجوال السـياحي والإقامة وتذاكر السـفر، وفوجئـتُ بالمُوظَّف يُخبرني بأن علـيَّ أن أدفـع ٢٨٠ ريالًا زيـادة علىٰ قيمة التذكرة، علـىٰ الرغم من أنها كانت علىٰ متن الخطوط الجوية البريطانية ومفتوحة مدة عام؛ ما يجعلها تذكرة عالية القيمة، ووجدتُ المُوظَّف قد عيَّن لي خطَّ سـيرٍ مُتعِبًا من مصر إلىٰ أمريكا، إذ

كان عليَّ أن أنزل في ستة مطارات، ووجدته كذلك قد وضع علىٰ التذكرة كل أنواع القيود التي تمنعني من تغيير المطارات أو التواريخ أو أيِّ شيءٍ آخر في التذكرة.

طبعًا، من المعلوم أن مكاتب السفر عندنا كانت -وربما لا تزال- تستغلُّ جهل المسافرين بأنظمة السفر المُتعارَف عليها فتجني من وراء ذلك ثروات من خلال التلاعب بالتذاكر، فيصدرون أولًا التذكرة الأصلية التي عادة تفوق ألف ريال وهذه يرسلون صورة منها إلىٰ الجهة التي يعمل فيها المسافر لتحصيل قيمتها، ثم يُصدرون تذكرة أخرىٰ للمسافر مُخفَّضة ومُقيَّدة كالتي كان يريد المكتب إصدارها لي، ولكني -بحمد الله- تنبَّهتُ لتلك اللعبة، فأخبرتُ مُوظَّف مكتب السفريات بأن تذكرتي الأصلية علىٰ الطيران البريطاني ومفتوحة مدة عام، وأما مدة بقائي في أمريكا فلن تتجاوز ثلاثة أشهر، وهناك نوع من التذاكر مدتها ثلاثة أشهر فقط والفارق في السعر بينها وبين التذكرة التي مدتها عام - كبيرٌ، ويمكن أن يُوفِّر لي جميع تكاليف الرحلة السياحية إلىٰ مصر.

وبعد مناقشات ومفاوضات معه، أَصدر لي تذكرة مُريحة جدًّا من القاهرة إلىٰ أمريكا أحتاج فيها إلىٰ الهبوط في مكانٍ واحدٍ فقط هو لندن، وكانت تلك التذكرة خالية من جميع قيود السفر، وحَجز لي فندقًا خمسة نجوم في مصر مع مكتب «ميليا» السياحي، وفوق كل ذلك فبدلًا من أن أدفع لهم ٢٨٠ ريالًا فوق التذكرة الأصلية -كما كان قد أخبرني في البداية- أعطاني بدلًا من ذلك ٤٥٠ ريالًا، أي إنهم كانوا سيأخذون لأنفسهم أكثر من ٧٠٠ ريالٍ، فسبحان الله؛ كيف يستغلُّون جهل الناس؟!

أ الوصول إلى القاهرة

غـادرتُ مطار السـيب الدولي في ١٥ من أغسـطس ووصلـتُ إلىٰ القاهرة بعد نحو سـاعتين، وكان بعـض الإخوة قد حذَّرني من محاولات الاسـتغلال والابتـزاز التي يمكن أن أتعرَّض لها في مصر، وأخبروني بأنهم في مطار القاهرة لن يُنهوا لي إجراءات الجوازات إلا بالارتشـاء، فعزمتُ علىٰ عدم دفع رشـوة لأيِّ أحـد مهما حصل لي، ولذا عندما وصلتُ إلىٰ المطار صففتُ في الطوابير الطويلـة مـع بقيـة القادميـن، ولما وصلـتُ إلىٰ مكتـب تخليـص الجوازات وسـلَّمتُ الشـرطي جوازي رأيتُه يُقلِّب صفحاته -ربما بحثًا عن المبلغ الذي يتوقَّـع أني تركته لـه-، وكنتُ قلقًا مـن أن يرميه جانبًا -كمـا أُخبرتُ- ولكني -بحمد الله- رأيته يختم الجواز ثم سلَّمه لي.

وبعـد تسـلّم حقيبتـي وخروجـي مـن المطـار وجدتُ سـائقًا مـن مكتب السـفريات قـد جاء لإيصالـي إلىٰ فنـدق «**فورتـي جرانـد**» في الزمالك الذي حُجز لي، وكان يُعَدُّ وقت بنائه أعلىٰ برج في الشـرق الأوسط بطوابقه الخمسة والأربعين، ويُطلُّ علىٰ جميع أنحاء القاهرة.

ب زيارة المتحف المصري وجامع محمد علي باشا

في صباح اليوم الثاني، جاءني المرشـد السـياحي بسـيارة المكتب، وأخذني أولًا إلـىٰ المتحـف المصـري الذي وجدتُ فيـه الكثير مـن العجائب، ولكن -مع الأسف- لم يُسمَح للزوار بالتصوير داخل المتحف بسبب الآثار السلبية لإضـاءة الكاميرات في ألوان الآثار الصغيرة، ومـن العجائب التي رأيتُها هناك جثة رمسـيس الثـاني المُحنَّطـة الذي يُقـال بأنه الفرعـون المذكـور في القرآن

الكريـم، ومنهـا التابوت الـذي دُفِن فيه الملك توت عنخ آمـون، الذي هو من أغرب الغرائب وأعجب العجائب.

يتكـوَّن التابوت من صندوق خشـبيٍّ خارجي ذي نقـوش مُطَعَّمة بالذهب، وبداخـل الصندوق صندوق ثـانٍ مُزَخرفٌ بنقوش مُطَعَّمـة بالذهب، وبداخل الصنـدوق الثاني صنـدوقٌ ثالثٌ مُطَعَّـمٌ بالذهب، وبداخل الصنـدوق الثالث يوجـد التابـوت الحجري المغطىٰ بطبقة سـميكة من الحجـر المنحوت علىٰ شكل تمثال لتوت عنخ آمون، وبداخل الغطاء الحجري يوجد التابوت الذهبي الرئيـس الـذي كان علىٰ هيئة تمثـال لتوت عنخ آمون، وهـذا التابوت الذهبي يُغطِّـي تابوتين ذهبِيَّيْن آخَرَيْن علىٰ هيئة تماثيل للفرعون الشـاب، وقد أخبرني المرشـد السـياحي -الذي هو خرِّيج آثار- أن وزن الذهـب في تلك الصناديق يزيد علىٰ ١٣٠ كيلوجرامًا.

ولنا أن نتفكَّر في أمر هذا التابوت: هل صنعه توت عنخ آمون بنفسه أم صنعه أتباعـه له بعد موتـه؟ وإذا كان هو من صنع ذلك فأيُّ اسـتنزاف لثروات الأمة مـن أجـل فردٍ واحدٍ فقط؟! وإذا كان أتباعه هـم الذين فعلوا ذلك فما الضلال الفكري والعَقَدي الذي يجعل الإنسان عبدًا للطاغوت حتىٰ بعد موته وذهاب سلطانه؟!

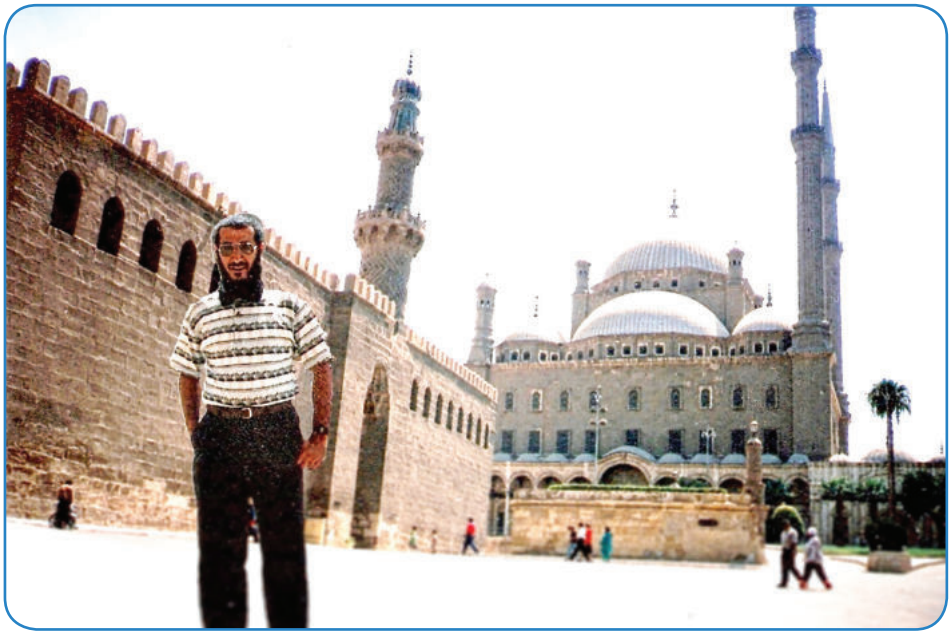
ومن العجائب التي رأيتُها جرار من العطر حُفِظتْ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ومـن العجائب وجود قَبْو دُفِن فيه الملك رمسـيس الثاني وبه ٣٦٠ فُتحة، وفي كل يـوم من أيام السـنة يدخل شـعاع الشـمس من فتحة واحـدة فقط من تلك الفتحات، وفي يوم ميلاد الملك تُشرق الشمس علىٰ وجهه، فسبحان الله؛ كيف أنـه رغم ما وصل إليـه الفراعنة مـن التمكين في الأرض والرقـيِّ في الحضارة

والتقـدُّم في العلم فكلَّ ذلك لم ينفعهم للاهتداء إلىٰ الخالق الحقِّ، فالحمد لله علىٰ نعمة الإسلام والهداية.



أمام مبنىٰ المتحف المصري

بعد ذلك، أخذني المرشـد السياحي إلىٰ جامع محمد علي باشا داخل قلعة صـلاح الديـن، الذي هو آية معماريـة فريدة، ولكون الجامع مفتوحًا للسُّـياح المسـلمين وغير المسـلمين، كانوا عند بـاب الجامع يرمون -عشـوائيًّا- إلىٰ كل سـائح غربـي يريد الدخـول رداءً أخضر يلتحف به لكـي لا تظهر عوراته، وقـد رأيـتُ بعض الرجـال وعليهم ذلك الرداء ونسـاءً مُتعرِّيـات ليس عليهنَّ رداء، وكان المرشـدون لهؤلاء يُصلُّون تحية المسـجد ويقف السَّيَّاح وراءهم يلتقطـون لهم الصور، ومع الأسـف فهذه من الطامَّات التـي ابتُلِيَتْ بها الدول الإسـلامية أن تتحوَّل مسـاجدهم متاحـفَ يدخلها من هـبَّ ودبَّ؛ ما يُفقِدها الروحانية والسكينة التي يعيشها المؤمن في أرجائها.



أمام جامع محمد علي باشا

بعـد أن خرجنا من جامع محمد علي أخذني المرشـد السـياحي إلىٰ مطعم داخل أحد البسـاتين، وكانت هناك مئات الكراسـيّ والطاولات لكثرة السُّيَّاح الذين يُحضِرهم مرشدوهم إليه، وبعد أن تناولنا غداءنا فيه أعادني إلىٰ الفندق.

ج زيارة أهرامات الجيزة وبرج القاهرة

في اليـوم الثالـث جـاءني المرشـد السياحي بسيارته المرسيدس موديل ١٩٦٧م، التي -حسبما أخبرني- كانـت لا تـزال تعمـل جيِّدًا، وأخـذني إلىٰ أهرامـات الجيـزة، وفي طريقنـا إليهـا كانـت الشـوارع مزدحمـة، ولاحظتُ أن بعـض السـيارات تعطـل في الطريـق، ربمـا لِقِدَمهـا؛ مـا يُسبِّب توقُّف الشـارع

بأكمله، فينزل الناس من سياراتهم ويدفعون السيارة المُتوقِّفة إلىٰ أن تعمل أو يُخرجونها من الشارع.

زُرنا أهرامات خوفو وخفرع ومنقرع، ولكون المرشد السياحي مُتخصِّصًا في علم الآثار، كان يشرح لي تاريخ تلك الأهرامات وكيف بُنِيتْ وما وجده علماء الآثار بداخلها، ومما أخبرني به أن المعبد الخارجي كانوا يُغسِّلون فيه الفرعون المُتوفَّىٰ ويُحنِّطونه، ثم كان هناك طريق سِريٌّ يُوصِل إلىٰ الغرفة التي سيُترك فيها الفرعون داخل الهرم، وأخبرني بأنه قد صُوِّرت غرف داخل الهرم بالأقمار الصناعية، ولكن إلىٰ ذلك الوقت لا يُعرف لها طريق يُوصِل إليها، ولا يُعرَف كيف وُضِعت جثة الفرعون داخلها.



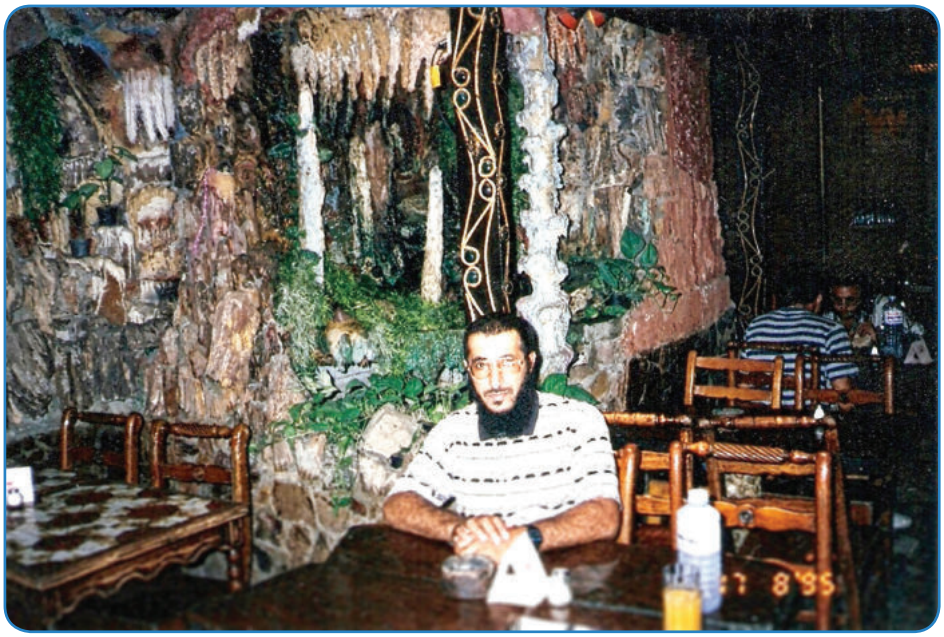
أمام تمثال أبي الهول وخلفه أهرامات خوفو وخفرع

بعـد ذلك، أخذني المرشـد إلىٰ بـرج القاهرة (أو برج الجزيـرة)، وهو برجٌ يرتفـع نحو ١٨٠ مـترًا ويُطلُّ علىٰ نهر النيـل وقد بُنيَ في السـتينيات من القرن الميـلادي الماضي، ويُصعد إلـىٰ أعلاه بمصعد كهربائـي، ويوجد في الأعلىٰ مِنَصَّة يمكن مشـاهدة القاهـرة من خلالها والتقاط الصـور، إضافةً إلىٰ وجود مطعم لمن أراد تناول وجبة تذكارية فيه، وكانت رسوم الدخول عشرين جنيهًا (نحو ريالين ونصف بسعر الجنيه آنَذاك).



في أعلىٰ برج القاهرة، وعن يساري نهر النيل وبعض أرجاء القاهرة

وبعـد أن نزلـتُ من الـبرج أخذني المرشـد إلـىٰ أحـد المطاعـم المُتميِّزة واستضافني علىٰ نفقته.



في المطعم

ثُـمَّ لما انتهينا من الغداء أخذني إلىٰ مصنع لورق البَرديِّ الذي كان الفراعنة يخطُّـون عليـه فيبقـىٰ آلافَ السـنين، وكانت تُبـاع هناك مخطوطـات لبعض الخطَّاطين المصريين المعروفين فاشتريتُ بعضَها.



واحدة من اللوائح التذكارية المخطوطة على ورق البَرديِّ التي اشتريتُها من المصنع

د زيارة الإسكندرية

لـم تكن الإسـكندرية التي تبعُد عـن القاهرة أكثر مـن ٢٠٠ كيلومتر ضمن البرنامـج السـياحي، ولذلك دفعتُ للمرشـد السـياحي ٢٢٠ دولارًا ليأخذني إليهـا، فذهبنا هنـاك في اليوم الرابع واسـتغرقنا قرابة ثلاث سـاعات للوصول إليهـا، وزرنـا فيها متحف الإسـكندرية القومـي الذي يحتـوي على مجموعة كبيرة مـن القطع الأثرية والجواهـر والمقتنيات الذهبية التابعة لأسـرة الملك محمد علي باشا، ثم بعد ذلك مررنا على قلعة قايتباي ولكننا لم ندخلها.

بعدهـا، أخـذني المرشـد إلى مقبرة كـوم الشـقافة، وهي مقـبرة تتكوَّن من ثلاثة طوابق اكتُشـفَت في عام ١٩٦٩م، وكانت يوم اكتشـافها مغمورة بالكامل

بالرمال، وشـرح لي المُرشِـد قصة اكتشـافها وهي أن أحد المزارعين غاصت رجل حماره في الرمل فأخذ يحفر حولها لإخراجها فأحسَّ بأشياء صُلبة، ولما واصل الحفر بدأت آثار مبنىٰ المقبرة تظهر.

وعنـد اكتشـافها كانت المقبرة مغمورة بالماء، فسـحبوا المـاء منها بصورة تدريجية، فكانوا يسـحبون في كل شـهر سـنتميترًا واحدًا فقـط لكي لا تتصدَّع جدرانهـا، والعجيب أن سـقف مبنىٰ المقـبرة المُكوَّن من ثلاثـة طوابق مُحاذٍ لمسـتوىٰ الأرض، أي إن المبنىٰ بكامله مغمورٌ تحت الأرض، ولذلك فهناك سُـلَّمٌ يتكوَّن من ٩٩ درجة للنزول إلىٰ أسـفل، وقد خُصِّص كل طابق لغرض مُعيَّـن وفي الطابـق السـفلي كانت توضـع توابيـت الموتىٰ، وتوجـد النقوش والكتابات الهيروغليفية علىٰ العديد من الجدران والقبور.



في إحدىٰ ردهات المقبرة، وتظهر الصور والكتابات الهيروغليفية

بعـد ذلك، أخذني المرشـد في جولة إلىٰ شـاطئ الإسـكندرية، ورأيتُ من أعلىٰ الطريق هناك عشرات الأمتار من مياه البحر قد غطَّتها أجساد البشر وهم أشباه عراة، وطبعًا كانوا رجالًا ونساءً وأطفالًا، وكانت مظلات الجالسين علىٰ الشـاطئ تلتحم ببعضها بعضًا من شـدة الازدحام، وتوقَّفنـا للتصوير قريبًا من «**قصر المنتزه**» الذي بناه الخديوي إسماعيل في عام ١٨٩٢م.



علىٰ شاطئ الإسكندرية ويظهر من بعيد قصر المنتزه

وأخيرًا، دخلنا في أحد المطاعم وتناولنا غداءنا، ثم صلَّينا الظهر والعصر في أحد المساجد، ثم قفلنا إلىٰ القاهرة.

هـ زيارة المتاحف الأخرى

في اليـوم الخامـس زُرنـا بعض الآثـار والمتاحـف الأخرىٰ، ومنهـا تمثال رمسيس الثاني في سقارة، وأيضًا تمثاله في معبد «مِيت رهينة» في ممفيس.



بجانب تمثال رمسيس الثاني في معبد «مِيت رهينة»

وزُرنـا أيضًـا مقبرة العجول (السـيرابيوم)، وهي عبارة عـن مقبرة للعجول المُقدَّسة، إذ جاءت مدة علىٰ الفراعنة عبدوا فيها العجول، وكانوا عندما يموت أحدهـا يضعونه في تابوت ضخم جدًّا من الصخر الأملس المنحوت، ووجدنا

أحـد تلك التوابيـت الفارغة في الممرِّ فأخبرني المرشـد بأنهم كانـوا يُجهِّزونه للعجـل الذي كان يُعبَـد في تلك الآونة، ثم مات الفرعـون وخلَفهُ فرعونٌ آخر أبطل عبادة العجول، فتركوا التابوت في مكانه من ضخامته وثقله.



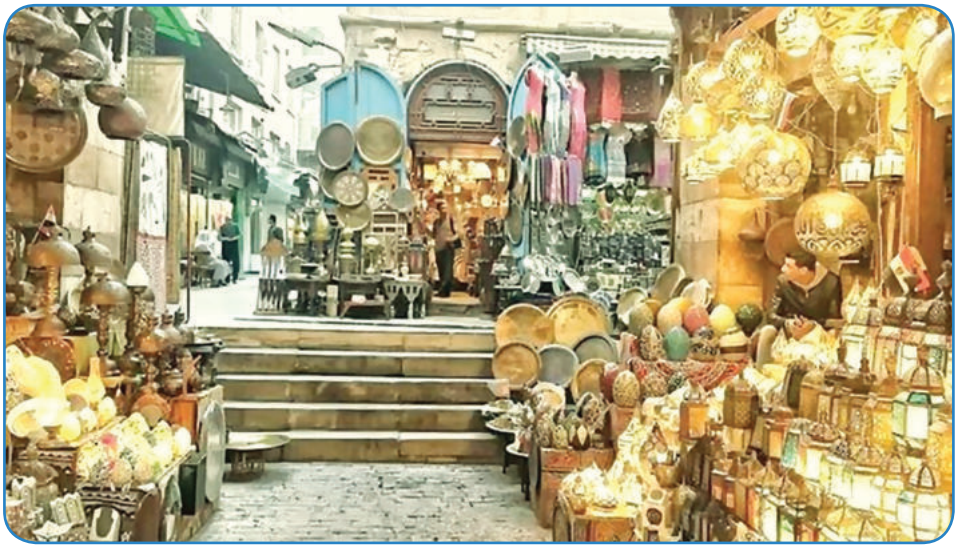
بجانب أحد توابيت العجول المُقدَّسة في مقبرة السيرابيوم

بعدهـا، تجوَّلنا في منطقة سـقارة التي بها الأهرامات، ثـم ركبنا عربة يجرُّها حمار، وكانت تجربة مُثيرة ومُسَلِّية.



أنا والمرشد السياحي في منطقة سقارة

أخيرًا، وبعد أن تناولنا الغداء وصلَّينا الظهر والعصر أوصلني المرشـد إلىٰ سوق شعبية اسمها «**خان الخليلي**»، وفي طريقنا إليها أخذ يُحذِّرني من أن يحتال عليَّ أحدٌ أو يخدعني، وقال بأنه قد يأتيني أشخاصٌ يُرحِّبون بي، وبعضهم مَن سـيدْعونني لشرب القهوة أو الشـاي معهم، ومنهم مَن سيدَّعي أن أخاه أو ابن عمه يعمل في عمان، وقال بأن علَيَّ ألّا أستجيب لأحدٍ منهم أو أُصدِّقه، وفعلًا جاءني العديد من الأشخاص بمثل ما قاله لي، ولكني -بحمد الله- تجوَّلتُ في السوق الممتدة دون أن أقع في فخٍّ، ورغم ذلك لم أشترِ من هناك شيئًا، غير أني رأيتُ شـخصًا يبيع شـرابًا من جَرَّة يحملها، وكان ينادي «**عرق سُوس.. عرق سُـوس**»، وكان الإخـوة المصريون يتهافتون عليه، فقلـتُ أُجرِّب مذاقه، ولما تذوَّقته لم يُعجبني طعمه.



جانب من سوق خان الخليلي

و المغادرة إلى أمريكا

بعد ظهر اليوم السادس غادرتُ مطار القاهرة مُتوجِّهًا إلىٰ مطار هيثرو في لندن، ثـم إلىٰ مطار دالاس في واشـنطن العاصمة، ومنها إلـىٰ مطار مدينة ملبورن التي كنـتُ أدرس فيها، وحدث لي موقفٌ في مطار القاهرة؛ وهو أنه بعد أن أوصلتْني سيارة الفندق إلىٰ المطار، دخلتُ أجرُّ حقيبتي ومباشرة رأيتُ اثنين من الشرطة أمامي، فسألتُهما عن مكتب الطيران البريطاني، فقال أحدهما: «**أنا سآخذك إليه**»، ثم أمسـك بحقيبتي وأدار جسـمه دون أن يبرح مكانه ووضع الحقيبة في الجهة الأخـرىٰ وقال: «**هذا هو مكتبهـم**»، ولـم أنتبه إليه عند قدومي، ثم مدَّ الشـرطي يده يطلب إكرامية علىٰ ما قام به من جهد، فسـلَّمته -فيما أظنُّ- عشرين جنيهًا، وكنتُ بداخلي أضحك من غبائي وتعجُّلي في السؤال قبل أن أنظر حولي، وكانت -بحمد الله- المرة الوحيدة التي احتال عليَّ شخصٌ في زيارتي تلك.

٢ رحلة إلى تونس في مايو 1997م

في مايو ١٩٩٧م انعقد مؤتمر في العاصمة التونسية حول المعلومات في العالم العربي مدة خمسة أيام، وقد رشّحتني جامعة السلطان قابوس للذهاب إليه لتمثيل الجامعة فيه، وكنتُ قبل مغادرتي قد مُنِحْتُ ٥٠٪ من تكاليف الرحلة والمؤتمر والإقامة، ولكن الجهة المُنسِّقة للمؤتمر لم تتحمل أيًّا من تلك التكاليف، فعوّضتني الجامعة عن الباقي.

أ المغادرة وحضور المؤتمر

كانت الرحلة إلىٰ تونس طويلة ومُتعِبة علىٰ الرغم من أنها في العادة لا تستغرق إلا نحو ساعتين؛ فغادرتُ مطار السيب الدولي في التاسعة مساءً عبر الطيران العماني، ونزلنا أولًا مطار دبي وبقينا هناك إلىٰ السابعة صباحًا من اليوم التالي، ثم أقلعنا إلىٰ مطار إسطنبول في تركيا عبر الخطوط التركية، ثم منه إلىٰ مطار تونس في الثانية ظهرًا، وتلك الرحلة الطويلة والتنقُّلات من مطار إلىٰ آخر هي بسبب المكتب السياحي الذي حجز لي التذكرة؛ فإنهم كانوا يستغلُّوننا ويعطوننا أسوأ الرحلات من أجل توفير نسبة كبيرة من قيمة التذكرة لهم، وهذا قد تكرَّر لنا أكثر من مرة عندما كنا طلابًا ولا ندري عن الحِيَل التي يقومون بها، وعندما وصلتُ إلىٰ الفندق الذي سأُقيم فيه تبيَّن أن المؤتمر سيكون في الفندق نفسه؛ ما سهَّل علينا التنقُّل بينهما.

في يوم الأحد ٤ من مايو ١٩٩٧م بدأ المؤتمر واستمرَّ خمسة أيام، وحضره مئات المُتخصِّصين في علوم الحاسوب والشبكات علىٰ وجه التحديد، وكان

غالبية المحاضرين يتكلَّمون بالفرنسية، ولذلك كانت هناك كابينة للمترجمين خلف القاعة، وفي بداية المؤتمر وُزِّعتْ سمَّاعات لنا، وكانت الترجمة إلىٰ العربية واضحة جدًّا ولذلك كنا نتابع ما يقولونه، ولكن بعض الإخوة المصريين اعترضوا علىٰ كون المؤتمر عربيًّا ومعظم المحاضرات تُقدَّم بالفرنسية، فتحوَّل المحاضر الذي كان يتكلَّم في تلك الجلسة من الفرنسية إلىٰ العربية، وعندها توقَّف المترجم عن الترجمة وليته لم يفعل، لأننا -مع الأسف- لم نفهم شيئًا مما قاله ذلك المحاضر لضعف عربيته.

ومَن لم يقرأ عن الآثار السَّلبية للاستعمار الفرنسي لبلدان المسلمين يكفيه أن يرىٰ أولئك الأساتذة الذين نشؤوا علىٰ اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية، ومُسخت هُويَّتهم العربية في جانب اللغة وغيرها من الجوانب، والحال كذلك بالنسبة إلىٰ الاستعمار الإنجليزي والهولندي والبرتغالي، وأيضًا الحال لا يختصُّ بتونس فحسب، بل لجميع الدول الإسلامية التي وَطِئَتْها أقدام المستعمرين الأنجاس.

ب زيارة بعض الأماكن السياحية

خلال الفترة التي قضيتُها هناك أردتُ استكشاف بعض الأماكن السياحية في العاصمة أو قريبًا منها؛ فذهبتُ ذات مرة إلىٰ مدينة «قَرطاج» القريبة من العاصمة، والتي تكثر بها الأماكن الأثرية.



مدينة «قرطاج» بمبانيها الأثرية

كذلـك، ذهبـتُ لزيـارة مدينة «سـيدي بوسـعيد» التـي تبعُد نحو عشـرين كيلومترًا عن العاصمة، وتوجد بها بعض المباني والأسواق الأثرية الجميلة.



في مدينة «سيدي بوسعيد» المُطِلَّة علىٰ البحر المتوسط

وذهبـتُ ذات مرة إلىٰ مدينة «**الحمَّامـات**» التي تبعُد عن العاصمة نحو ٦٥ كيلومترًا، وتجوَّلنا فيها ثم عُدتُ مباشرة.

ج العودة إلى عمان

في صبـاح يـوم الجمعـة ٩ من مايو غـادرتُ العاصمة التونسـية عائـدًا إلىٰ مسـقط، وكان خطُّ السَّـيْر من تونس إلىٰ إسـطنبول عبر الخطوط التونسية، ثم من إسـطنبول إلىٰ مسـقط عبر طيران الخليج، ونظرًا إلىٰ أنـه كانت هناك فترة انتظار طويلة في مطار إسـطنبول، فقد سمحوا لنا بالهبوط من الطائرة والتجوُّل في المطار، فاشتريتُ بعض الحلويات التركية هدايا للأهل.

د مُشاهدات ومواقف

نظـرًا إلـىٰ انشـغالنا بأعمـال المؤتمر لم تحدث لـي مواقف كثيـرة في هذه الرحلة، غير أني أتذكَّر منها ما يلي:

١ قبـل مغادرتي عمـان نصحني أحد الإخـوة بارتداء الـزِّيِّ العماني لكي لا أتعـرَّض لمضايقات ومسـاءلات من الأجهـزة الأمنية وخاصة لأني مُلتـحٍ، وفعلًا سـاعدني ذلك علىٰ التجوُّل في شـوارع العاصمة، فكنتُ أجد الكابينات ورجال الأمن منتشـرين حتـىٰ في الأَزِقَّة، وكان الواحد منهم عندما يراني بلباسي العماني يُعرض بوجهه عني لكي لا يُحرجني، وبحمد الله لـم أتعرَّض لأيِّ مساءلات أو مواقف أمنية.

٢ وبسبب ارتدائي الزيَّ العماني في المؤتمر جاء ليُسلِّم عليَّ أحد الإخوة من جزيرة جربة التـي غالبيتها من الإباضية، وبعد أن تعارفنا تبيَّنتُ أنه والد أحد الإخوة التونسـيين الذين كانوا يدرسون معنا في مدينة توسان بالولايـات المتحدة، وأخبرني بأنه سيُرتِّب لزيارة الشـيخ الصادق بن مـرزوق -أحد علماء جزيرة جربة- الـذي كان آنذاك يُقيم في بيت ابنه الطبيـب الدكتور محمد، وفعلًا شَـرفتُ بزيارته في مسـاء اليوم التالي، وتناولنا وجبة العشاء عندهم.

٣ مـن المواقـف التي لا أنسـاها أني ذهبـتُ ذات مرة إلىٰ شـارع بورقيبة الشـهير، ووجدتُ المقاهي مُرتَصَّة ببعضها علىٰ جانبَي الشارع، لتعوُّد التونسـيين الذهاب إليها بعد خروجهم من العمل في الخامسـة عصرًا، وغالبيـة مـا في هذه المقاهـي الكعـكات والقهوة والشـاي وقد أكلتُ ذات مـرة في أحدها، وفي أثناء تجوالي في الشـارع وجدتُ مطعمًا راقيًا للمشـاوي، فقلتُ سأُجرِّب المشاوي التونسـية، فلما دخلتُ وأحضر لـي النادل قائمة الطعـام وجدتُ من ضمن الأكلات مشـاوي حوت، فطلبتُها مع بيبسي.

بقيتُ أنتظر أكثر من نصف سـاعة وكنتُ أُسـلِّي نفسـي وأقول: «**لا بُدَّ أنه حوتٌ كبير ويحتاج إلىٰ وقتٍ طويلٍ لشَـيِّه**»، وبعد فترة أحضروا لي كوبًا صغيرًا من البيبسـي، ثم أتَوْا بصحن مشاوي الحوت، وكان عبارة عن سمكة ساردين (نُطلق عليها بالعماني «**صَدَّة**»)، ولا يتجاوز طولها عشرة سنتيمترات، وبقيتُ أبحث بالشوكة والسكين عن لحمٍ بداخلها

لآكلـه، فندمتُ علىٰ الدخول إلىٰ ذلك المطعـم، وما زادني غمًّا وقهرًا أن النـادل لما أحضـر الفاتورة وجدتُ أن قيمة تلـك الوجبة ٥٣ ريالًا عمانيًّا، فخرجتُ منه بجوعٍ وحسرة.

٤ ممـا أخـبرني بـه الأخ التونسـي مـن جربة أنـه يعمـل في رابطـة العالم الإسـلامي، وأن لـدىٰ الرابطة مشـروعًا لإيجاد شـبكة إنترنت خاصة بالمسـلمين يستطيعون من خلالها التحكُّم فيما يُبَثُّ فيها مما لا يوافق الشـريعة الإسـلامية، وأيضًا يحجُـب كل الضلالات وأنـواع الفجور التـي تغُصُّ بها الشـبكة العالمية، والتي تُؤدِّي إلىٰ انحراف المسـلمين عن دينهم، ولا أدري أين وصل ذلك المشـروع، وهل سترضىٰ الدول الغربيـة بذلك، وليت المسـلمين تكون لهم محاولات في هذا الجانب حتىٰ وإن كانت في نطاق محدود من حيث الانتشار والخدمات.

٣ رحلة إلى الأردن في مارس 2001م

في رحلـة عـودتي إلىٰ أمريـكا في مارس ٢٠٠١م قرَّرتُ زيـارة الأخ علي بن محمد بن سالم العدوي من بلدتي العارض الذي كان آنذاك يدرس الماجستير في جامعة آل البيت بالمَفْرَق في الأردن، التي تبعُد عن العاصمة عمَّان نحو ٧٠ كيلومترًا، وكان الأخ سـعد العيَّاش -زميل الدراسـة في جامعة وسط فلوريدا- مـن المَفْرَق وأوصاني بزيـارة والديه عندما أذهب إلىٰ هنـاك، فرتَّبتُ للبقاء في الأردن ثلاثة أيام.

أ الوصول وزيارة جامعة آل البيت

وصلتُ إلىٰ الأردن وقت المغرب، واستقبلني من المطار الأخ علي العدوي وزميله الأخ محسن الحجري، وتوجَّهنا مباشرة إلىٰ شقة الأخ علي، وتناولنا القهوة والعشاء عنده، ونِمتُ في شقته وكان الجوُّ عندهم آنذاك شديد البرودة.

في صباح اليوم الثاني أخذني الأخ علي العدوي مع زميله الأخ خلفان السيابي -الذي يدرس أيضًا الماجستير في الجامعة نفسها- في جولة في جامعة آل البيت، ومن ضمن ما زرناه وحدة الدراسات العمانية.



أنا والأخ علي العدوي أمام وحدة الدراسات العمانية في جامعة آل البيت

بعد ذلك، ذهبنا لصلاة الجمعة في أحد الجوامع القريبة منهم، وقد شدَّ انتباهي عدم حضور الأطفال والشباب والصِّغار لصلاة الجمعة، وقد أخبرني

الأخ علي العدوي بأنّ تلك عادةٌ ملاحظة في كثير من مساجد وجوامع الأردن في تلك الفترة ولا أدري ما السبب، والعجيب أنه بعد انتهاء الصلاة وخروجنا من الجامع وجدنا العديد من هؤلاء الصِّغار يبيعون خارج الجامع.

بعد صلاة العصر ذهبنا إلىٰ بادية المَفْرَق لزيارة والدَيْ زميلي الأخ سعد العيَّاش، وقد استقبلانا بتَرحابٍ كبير، وتناولنا القهوة عندهما، وقد رأيتُ فيهما كرم العربي الأصيل وحُسْن معاملته كما كنتُ عايشته في ابنهما الأخ سعد العيَّاش.



في بيت والد الأخ سعد العيَّاش الذي يجلس عن يساري، وعن يساره الأخ محسن الحجري

ب زيارة مدينة عجلون وإربِد

في صباح اليوم الثالث ذهبنا لزيارة مدينة عجلون التي تبعُد عن العاصمة عمَّان نحو ٨٠ كيلومترًا، وفي طريقنا تجوَّلنا في مدينة الكرك والتقطنا بعض

الصـور فيها، ثم لما وصلنـا إلىٰ عجلون تجوَّلنا في غاباتها الجميلة، وشـاهدنا من هناك بحيرة طبرية في فلسطين.



في إحدىٰ المزارع في عجلون

وفي مساء ذلك اليوم ذهبنا إلىٰ مدينة إربِد لزيارة زميلي الأخ صالح العكور الذي يدرس أيضًا الدكتوراة معي في جامعة وسط فلوريدا، وكان آنذاك قد أنهىٰ دراسـته وعاد إلىٰ الأردن، وقد التقينا به وبوالده وأحد إخوته، وتناولنا العشاء عندهم، ورأينا منهم من كرم الضيافة وحُسْن المعاملة ما يفوق الوصف.



في بيت الأخ صالح العكور، وعن يميني الأخ محسن الحجري وعن يساري والد الأخ صالح، ثم الأخ صالح وبعده الأخ علي العدوي

ج المواصلة إلى أمريكا

في اليـوم الرابع غـادرتُ مطار عمَّان إلـىٰ مدينة أورلاندو بولايـة فلوريدا، واسـتقبلني في المطار زميـلاي؛ الدكتور جمعة عبد الصـادق من مصر والأخ سعد العيَّاش من الأردن، ومما لاحظته في مطار عمَّان كثرة المُدخِّنين، حتىٰ إنه لَيصعُب علىٰ غير المُدخِّن أن يجد مكانًا يجلس فيه بحيث لا يتأذَّىٰ من روائح السـجائر، وحتىٰ عندما ركبنا طائرة الطيران الأردني التي أقلَّتنا إلىٰ أمريكا كان بعض الأردنيين يُدخِّنون في الطائرة، وأيضًا مما آلمني في ذلك الطيران تشـغيل الأغاني من السماعات الخارجية، وقد لاحظتُ ذلك أيضًا في المطار؛ ما يُجبر جميع المسافرين علىٰ سماعها سواءٌ أرادوا ذلك أم أبَوْا.



الأخ سعد العيَّاش في الوسط، وعن يمينه الدكتور جمعة عبد الصادق

٤ رحلة إلى بريطانيا في مارس 2002م

بعـد خروجي من أمريكا بسـبب أحداث ١١ من سـبتمبر ٢٠٠١م وعودتي إليها مرة أخرىٰ في مارس ٢٠٠٢م لإكمال رسـالة الدكتوراة، رأيتُ أن أستفيد من التذكرة المُقدَّمة لي من جامعة السلطان قابوس في زيارة المملكة المتحدة التـي يدرس فيها بعض الإخوة العمانيين الذين أعرفهم؛ ومنهم جاري في قلعة المصالحة الأخ سـالم بن عبد الله بن سـعيد الناعبي، وكان يـدرس الدكتوراة في جامعـة برمنجهـام، والأخ خالد بن سـليمان الوردي من بهـلا الذي يدرس الماجسـتير في الجامعـة نفسـها، وصديقي العزيز سـيف بن راشـد بن سـيف الشقصي من الحمراء الذي يدرس الدكتوراة في مدينة نوتنجهام، وزميل العمل

والدراسة ومديرنا في مركز الكمبيوتر في جامعة السلطان قابوس الأخ أحمد بن مسعود الكندي الذي كان يدرس الدكتوراة في مدينة كوفنتري.

في ١٦/ ٣/ ٢٠٠٢م تسلّمتُ رسالة من مالية جامعة السلطان قابوس إلىٰ مكتب السفريات، فحجزتُ علىٰ الطيران البريطاني لتكون رحلة الذهاب من مسقط إلىٰ لندن (هيثرو)، ثم أبقىٰ في بريطانيا أسبوعًا، علىٰ أن أنتقل من مطار هيثرو إلىٰ مدينة برمنجهام بالحافلة، ثم أُغادر إلىٰ أورلاندو في ولاية فلوريدا عن طريق مطار لندن (جاتويك)، وكان الأخ سالم الناعبي قد أجرىٰ عمليتين للعيون لابنتيه ورُزِق بمولودة جديدة ووقع له حادث سيارة، وكل ذلك دعاه إلىٰ تأخير رحلته إلىٰ بريطانيا أسبوعًا، فنسَّقتُ لزيارة الأخ خالد الوردي أولًا.

أ في مدينتَيْ برمنجهام وكوفنتري

أقلعنا من مطار مسقط عند منتصف الليل من يوم ٣٠/ ٣/ ٢٠٠٢م، ووصلنا إلىٰ مطار لندن (هيثرو) في السابعة صباحًا بتوقيت لندن، وبعد أن أنهيتُ إجراءات الخروج من المطار توجَّهتُ إلىٰ مكان الحافلات واشتريتُ تذكرة ذهاب إلىٰ برمنجهام ثم عودة إلىٰ مطار جاتويك في يوم ٧/ ٤/ ٢٠٠٢م، ووصلتُ إلىٰ مدينة برمنجهام في ١٠:٤٠ صباحًا فوجدتُ الأخ خالد ينتظرني في المحطة وقد جاء بسيارة أجرة، فتوجَّهنا إلىٰ شقته التي كانت فوق مطعم لأحد الإخوة من بنجلاديش، ويسكن معه اثنان من أوزباكستان علىٰ الرغم من أنها لا تحتوي إلا علىٰ غرفتين صغيرتين ومطبخًا وصالة صغيرة ودورة مياه، وكان إيجار كل غرفة ٤٥ جنيهًا في الأسبوع.

قضينا ذلك اليوم في الشـقة، وفي المساء جاء لزيارتنا الإخوة أحمد البلوشي وسـعيد البلوشـي، وهما طالبان من ولاية شـناص يدرسـان البكالوريوس في جامعـة برمنجهام، ثم تبعهما زميلي الأخ أحمد بن مسـعود الكندي الذي جاء ومعه الأخ عبد الله بن سيف التوبي من ولاية إزكي، وكان يدرس الدكتوراة في التربية في جامعة كوفنتري، وهذا قد صار فيما بعد عميدًا لكلية العلوم التطبيقية في نـزوىٰ، ثم عميدًا لكلية العلوم والآداب في جامعة نزوىٰ في الفترة التي كنتُ أعمل فيها.

في اليـوم الثاني ذهبنا بالقطـار إلىٰ مدينة كوفنتري، وكانت المحطة قريبة من شـقة الأخ خالد الوردي، فاسـتقبلَنا الأخ أحمد بن مسـعود الكندي بسـيارته وأخَذَنا أولًا لزيارة الأخ عبد الله التوبي، وتناولنا عنده القهوة العمانية والفواكه، وصلَّينا الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، ثم توجَّهنا إلىٰ منزل الأخ أحمد الكندي وتناولنا الغداء عنده، ثم أخَذَنا بسـيارته في جولة حول كوفنتري، ثم أخَذَنا إلىٰ محطة القطار وعُدنا إلىٰ برمنجهام.

في اليـوم الثالث ذهبنا إلىٰ شـارع كوفنتري الذي تكثر فيـه المحالُّ العربية، وأخذنـا تذكـرة يوم كامل للحافلة، فتوجَّهنا مباشـرة إلىٰ مكتبـة **ICPI** التي تبيع كتـب هـارون يحيـىٰ، وكنتُ قد قـرأتُ بعـض كتبـه فأُعجِبتُ بها، فاشـتريتُ بعضَهـا، ثـم توجَّهنا إلىٰ مطعـم صومالي كبير يرتـاده الكثير مـن الصوماليين والعرب وتناولنا الغداء فيه، وفي المساء ذهبنا لصلاة المغرب في مسجد قريب من شـقة الأخ خالد والتقينا هناك بالأخ سعيد الصارمي من ولاية نخل، الذي يدرس الماجستير في الأرصاد الجوية، وفي المساء طبخ «شَهْرَتْ» (أحد الاثنين اللذين يسـكنان مع خالد) طبخة أرز باكستانية، وهي عبارة عن أرز بالجزر مع اللحم المشوي المُقطَّع.

في اليوم الرابع كنا نُزمع الذهاب إلىٰ نوتنجهام لزيارة الأخ سيف بن راشد الشقصي، ولكن الأخ خالدًا كان قد أُصيب في رجله منذ فترة وبدأتْ تُؤلمه فآثرنا زيارة جامعة برمنجهام العريقة مشيًا وذلك لقربها من شقته، وقد أُعجِبتُ كثيرًا بالجامعة الكبيرة ذات المباني المعمارية القديمة المُتميِّزة، ومررنا بمكتبتها الفخمة ومركز المعلومات الفخم، ولكن -مع الأسف- كانت تلك المباني مُغلقة بسبب إجازة عيد الفصح (الإيستر) عندهم.



بعض مباني جامعة برمنجهام

بعد ذلك، ركبنا القطار إلىٰ مركز المدينة ببرمنجهام، وتجوَّلنا في الشوارع المُكتظَّة بالسكان والمُزدانة بالمباني الشاهقة ذات الطراز المعماري القديم، ثم انتهينا إلىٰ إحدىٰ الأسواق المركزية التي تجوَّلنا فيها، ثم دخلنا مكتبة **Waterstones** ذات أربعة الطوابق.



جانب من مبنىٰ مكتبة **Waterstones**

ب في مدينة لندن

في اليـوم الخامـس توجَّهتُ أنا وخالد وأحمد البلوشـي وسـعيد البلوشـي وسـعيد الصارمي إلىٰ محطة القطار القريبة لزيارة مدينة لندن، وكانت تسعيرة القطار ٣٠ جنيهًا للفرد لمَن لا يحمل بطاقة القطار (أنا وسعيد الصارمي) و١٩ جنيهًا لكل واحدٍ من الباقين، واستغرق القطار إلىٰ محطة أوستِن في لندن نحو

ساعة وأربعين دقيقة، وفي تلك الرحلة شاهدنا المزارع الخضراء المُمتدَّة علىٰ طول الطريق، والمباني المُتراصَّة في أسطر (حسب التقليد البريطاني).

بعد وصولنا إلىٰ لندن اشـترينا تذاكر القطار ليوم كامل، وقرَّرنا التوجُّه أولًا إلـىٰ المنتدىٰ الإسـلامي في محطة «بارسـن جرين» (Parson Green) لنسـتأجر منهم الغرفة التي سـأبيتُ فيها، ولنترك فيهـا حقائبي، فأخذنا قطارات عدة من محطة أوسـتِن إلىٰ محطة «بارسِـن جْرين»، وما أدهشني هو أننا لا نكاد نخرج مـن قطار إلا ونجد الآخر ينتظر، وإذا انتظرنـا دقائق في محطة مرَّ علينا خلالها العديـد من القطارات، التي يطلق عليها البريطانيـون (Under Ground)، وكانت معظمها ممتلئة، علىٰ الرغم من أننا لم نكن في إجازة أسبوعية، التي فيها -كما يقولون- يصعب الحصول علىٰ مكان في تلك القطارات لاكتظاظها بالناس.

والشـيء الآخـر الذي أدهشـني أننا -رغم كثـرة القطارات والـركاب- لم نكـن نتعامل مـع مُوظَّفين يُنظِّمون الحركـة فيها، وإنما كنا نسـتخدم التقنيات الحديثة؛ فالتذاكر نشـتريها باسـتخدام الأجهزة المُتخصِّصة لذلك، والدخول إلىٰ المحطة أو الخروج منها آليٌّ باسـتخدام تذكرة الركوب فقط، والمُوظَّفون القلائـل الموجـودون في المحطات هم فقط لمسـاعدة الركاب في حال فقدان التذكرة أو عدم صلاحيتها.

وصلنا إلىٰ المنتدىٰ الإسلامي القريب من محطة القطارات وتسلّمْنا الغرفة، ثم صلَّينا الظهر والعصر جمعًا وقصرًا في مُصلَّىٰ المنتدىٰ، ثم تناولنا الغداء من مطعم المنتدىٰ، وبعدها توجَّهنا إلىٰ متحف العلوم الفخم ذي خمسة الطوابق، وكان الدخول مجانًا، إلا أننا اشـترينا تذكرة بـ٥ , ٢ جنيه لركوب مركبة الواقع الافتراضي (Virtual Reality)، وقد أدهشـني اتِّسـاعُ ذلـك المتحف؛ فلو قضينا

اليـوم بأكمله هناك لما انتهينا من التجـوُّل في الطابق الأول فقط، ولا نعلم ماذا في الطوابق الأخرىٰ.



جانب من متحف العلوم في لندن

بعد خروجنا من متحـف العلوم توجَّهنا إلىٰ المتحف الطبيعي الفخم أيضًا والمجـاور للمتحـف العلمي، وكان الدخـول إليه أيضًا مجانًـا في تلك الفترة ولكننا لم نبقَ فيه كثيرًا، بل توجَّهنا إلىٰ «وَسْـتْ مِنِسْـتَر» (Westminster)، التي بها سـاعة «بِج بَن» (Big Ben) الشـهيرة ومقرُّ البرلمان البريطـاني الملاصق لها والفريد في بنائه، وبعد أن التقطنا بعض الصور توجَّهنا إلىٰ حديقة «هايد بارك» (Hyde Park) الشهيرة، التي فيها ما يُسمَّىٰ «سبيكرز كورنر» (Speakers Corner)، وتعنـي ركن المُتحدِّثين، وهو المكان الذي يـأتي إليه المُتحدِّثون كل يوم أحد لإلقاء كلمة أو مُحاورة حول موضوعٍ مُعيَّن بِكُلِّ حُريَّة.



صورة عُلْوية لحديقة هايد بارك في لندن

بقينا في الحديقة فترة ثم توجَّهنا إلىٰ شارع «**إجوير رود**» (**Edgware Road**) أو شـارع العرب كما يُسـمُّونه، وكان قريبًا من «**هايد بارك**»، وكان مُمتدًّا ومُكتظًّا بالمحـالِّ العربيـة واللافتـات العربيـة، وهنـاك تجد أيضًـا المكتبـات العربية التـي تحـوي الكتب النـادرة (وأحيانًـا الممنوعـة) وكذلك المطاعـم العربية والمصارف والصرافات العربية، وبعد أن تجوَّلنا فيه مدة طويلة تناولنا عشاءنا مـن أحد المطاعـم اللبنانية ثم عُدنا إلىٰ المنتدىٰ الإسـلامي، وصلَّينا المغرب والعشاء في مُصلَّىٰ المنتدىٰ ثم ودَّعْتُ الإخوة الذين توجَّهوا إلىٰ محطة القطار عائدين إلىٰ برمنجهام.

ج الوصول إلى أمريكا

بعد صلاة الفجر من اليوم السادس اتَّصل أحد الإخوة في المنتدىٰ الإسلامي بسائق سيارة أجرة ليُوصلني إلىٰ مطار جاتويك، وبعد وصولي إلىٰ المطار ووقوفي في طابور المغادرين في الطيران البريطاني طلبتْ مني إحدىٰ المُوظَّفات في مكتب الطيران أن أذهب إلىٰ ملحق قريب لتفتيش أمتعتي، وهناك فتح المُفتِّشان -اللذان يبدو عليهما أنهما مسلمان من الهند- إحدىٰ الحقائب الكبيرة ولم يسألاني عن بقية الحقائب، فتوجَّهتُ لإتمام إجراءات السفر.

عندما أردتُ دخول مكان المسافرين أجْرَوْا أيضًا مسحي بأجهزة الأمن الخاصة بهم، ولكن -بحمد الله- لم تكن هناك مفاجآت، فأقلعَتِ الطائرة إلىٰ مطار ميامي في ولاية فلوريدا في الحادية عشرة وقضيتُ مدة الرحلة التي هي نحو تسع ساعات في قراءة بعض الكتيبات التي اشتريتها من لندن، ووصلنا إلىٰ مطار ميامي في الواحدة ظهرًا بتوقيت أمريكا.

وهناك حدث لي موقفٌ أمنيٌّ سأتحدَّث عنه لاحقًا، جعلني أبقىٰ في المطار ما يقارب ستَّ ساعات، ولذا كان لزامًا عليَّ أن أُرتِّب للوصول إلىٰ أورلاندو -المدينة التي أدرس فيها- لأن الرحلة التي كنتُ من المفترض أن أنتقل فيها من ميامي إلىٰ أورلاندو كانت قد غادرت، فتوجَّهتُ إلىٰ مكتب الطيران البريطاني وأخبرتهم بما جرىٰ -وكانوا علىٰ علمٍ بذلك- وأخبرتهم بفوات رحلتي، فكان من توفيق الله أنْ أَلانَ قلوبَهم لتغيير حجزي من الطيران البريطاني إلىٰ أقرب رحلة إلىٰ أورلاندو عبر الطيران الأمريكي علىٰ الرغم من أن تذكرتي لا تسمح بذلك، فتوجَّهتُ مباشرة إلىٰ بوابة الطيران الأمريكي، وما

هي إلا فترة بسـيطة حتىٰ يسَّـر الله الإقلاع من ميامي وأنا أَلْهَج في داخلي بالثناء علىٰ المولىٰ -سبحانه- لرعايته إيّاي وحفظه وتيسيره.





رحلتي مع المرض

أودُّ التنبيه إلىٰ أنني ما أضفتُ هذا الفصل للتشكِّي مما ابتلاني المولىٰ -سبحانه وتعالىٰ- به؛ فلا رادَّ لقضائه ولا اعتراض علىٰ قَدَره، ولكني أردتُ التحدُّث عن نِعَم الله الكثيرة والعظيمة التي أفاءها الكريم الحليم عليَّ بسبب ما أصابني، وليُدرك القارئ أن ما ننظر إليه نحن علىٰ أنه مصائب وابتلاءات ما هو إلا مِنَحٌ عظيمة ونِعَمٌ جسيمة، وقد لا يتبيَّن صاحبُها فضلَها ولا يُدرك أثرَها الإيجابي في حياته إلا بعد حين، وما أعنيه هنا من الفضائل تلك التي هي من أمور الدنيا، فكيف بأمور العقيدة والدين والعاقبة الأخروية؟ إنها -بلا شكَّ- فضلٌ عظيم وعاقبة حسنة إن صبر العبدُ عليها وشكر.

وبالنسبة إليّ فقد حصلتُ علىٰ ما لا يُحصىٰ من المِنح والهِبات بسبب بعض الابتلاءات البسيطة التي تبدو للناس وكأنها مصائب أدركتني وبلايا لحقتني، وبعض تلك المِنح والهِبات لم أنتبه إليها وأشعر بأثرها وبركتها إلا بعد مرور سنوات، وربما تكون هناك غيرها التي لم أدرك فضلها وأثرها إلىٰ يومي هذا، ومن تلك الهِبات والمِنَح التي يسوقها المولىٰ -سبحانه- مع الأمراض والابتلاءات أو بسببها ما يلي:

١ لا شكَّ أن المرض والابتلاء يجعل عجلة الحياة تتباطأ وربما تتوقَّف ولو برهةً من الزمن؛ ما يجعل المرءَ يعيش لحظاتٍ من أجمل ما يمكن أن يعيشها في حياته؛ ففيها يصفو الوُدُّ والأُنْسُ بالرحيم الرحمن؛ فالضعف والانكسار الذي يشعر به المريض في تلك الفترات الجميلة يجعله يتودَّد إلىٰ ربه وخالقه ويُقبل إليه؛ ليس من أجل أن يُخرجه من ذاك المرض والابتلاء فقط وإنما أيضًا لينظر إليه نظر رحمة وشَفَقة.

ومع انكسار القلب وتهيُّؤ النفس تصعد الزَّفَرات من القلب الخاشع المُنكسِر فتلامس عنان السماء، وعندها تبدأ شآبيب الرحمة وفيوضات الأُنْس تهطُل على نفس العبد فتزيدها صفاءً وأُنْسًا وسعادة، وتفتح لها آفاقًا أُخرىٰ من التواصل بالعليِّ العظيم ما كانت لتأتيه لو لا تلك اللحظات الجميلة التي يعيشها، التي تبدو للناس وكأنها من أصعب لحظات الألم والضعف، ولله في خلقه شؤون ولإيصال رحماته سُبُل، وما علىٰ العبد إلا الرضا والتسليم، والإكثار من التسبيح والتهليل والتعظيم والذِّكر والدعاء والتوسُّل إليه سبحانه.

٢ عندما لا يُقْعِدُك المرض في فراشك ساعاتٍ وأيامًا فقط، بل أشهُرًا وسنواتٍ، وعندما يكون كتابُ الله في جَنانك أو -علىٰ الأقل- في هاتفك أو فوق منضدتك، فاعلم حينها أن فرصة العُمُر قد واتتك، وما عليك إلا اغتنامها بكثرة تلاوة كتاب الله ليلَ نهارَ وصباحَ مساءَ، وليس هناك من عجلة لتلهث خلف شؤونك الدنيوية، ولذا فعندك الوقتُ الكافي لتدبُّر آيات الله وتدارس معانيها، فتنتقل من تفسير إلىٰ آخر ومن محاضرة إلىٰ أخرىٰ، فيوم كنتَ لا تقرأ إلا صفحاتٍ في يوم صحتك وأوج قوتك صار المرض والابتلاء سببًا لتُكمِل كلَّ يوم الأحزاب والأجزاء الكثيرة وتقرأ الصفحات والفصول العديدة، فتزداد بذلك علمًا وفضلًا وقُرْبًا من مولاك وخالقك سبحانه.

٣ وإذا كنتَ من مُحبِّي القراءة أو ممَّن آتاهم الله علمًا، فهنيئًا لك السياحة الفكرية والرحلة العلمية التي هيَّأها لك ربك، حتىٰ وإن جاءتك علىٰ

هيئـة مرض أو ابتلاء، فلم يعُدْ أمامك انقضاءٌ للوقت أو انقطاعٌ للفكر، فأنـت مالكُ سـاعاتك ومُنظِّـمُ أوقاتك، ومـا عليك إلا اغتنـام الثواني والدقائق قبل السـاعات والأيـام للتنزُّه بين رياض الفِكْـر والتنقُّل بين ضِياع المعرفة، وسـتجد أنهار العلم مُتْرَعة، ومراكب المعرفة مُشْرَعَة، لتُقِلَّك إلىٰ عالَم الأنوار والحِكمة وفيوضات الأسرار والرحمة.

وإن كنتَ ممَّن قَصُر رَكْبُهم عن إدراك العلماء، أو سـاختْ قوائمُ عقله عن السَّـيْر في رَكْبِ القُـرَّاء، فإن لك بفضل الله وتوافر التقنيات سـبيلًا لنيل حظِّك مـن العلم، وتحقيق رغبتك من المعرفة، وذلك من خلال هاتفـك أو حاسـوبك اللذَيْن سـيأتيانك بكلِّ جديـد، ويُقرِّبان لك كلَّ بعيـد، ويُذلِّلان لـك كلَّ عنيد، فأَقبِـلْ علىٰ العلم من أبوابـه، وتَلَهَّ عن المـرض والألـم بحُسْـن التنقُّل في بسـاتين العلـم، وجميـل التدبُّر في خمائل الفِكْر.

٤ واعلـم أن الله مـا ابتـلاك لِيُعذِّبك، وما أسـقَمَكَ لِيقتُلَـك، وإنما جعل الأمراض والابتلاءات سـببًا لوقايتِك مما هو واقعٌ بك، وشـفائِك مما هـو أعتىٰ من مرضك؛ فكـم من فحوصات سـتُجريها، وكم من أدوية وعلاجات سـتتعاطاها، وكم من نصائح وإرشـاداتٍ ستسـمعها، وكم من أساليب معيشة وأنظمة حياة ستُغيِّرها، وكلُّها قد ساقها ربُّك جنودًا لتنتشـلُكَ مما قد يضرُّ جسـدَك أو يُضعف قدراتِك أو يُربِكُ سعادَتك، فهـي بمنزلة النار التي تجلـو الخَبَثَ عن الذهب، فيعـود ناصعًا بَرَّاقًا، فأَحْسِـنْ الظَّنَّ بمولاك، واشـكره في السَّـرَّاء والضَّرَّاء، فإنه قد أخبرك: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧].

٥ والمرض والابتلاء سببان أيضًا لكسب الوُدِّ والمحبة والعلاقات الطيِّبة مع أهلك وجيرانك ومعارفك والناس أجمعين؛ فأنت حينها لك مكانتك الخاصة في قلوبهم، فتراهم يتقاطرون لمواساتك ومؤانستك، فتتوطَّد العلاقات وتزداد، فمَن كانت بينك وبينه شحناء أو بغضاء أو فتورٌ في التواصل والعلاقات، فيومُ مرضك يكون سببًا لمحوِ تلك الشوائب، وتصفية القلوب من تلك المُكدِّرات، فيُهْرَعُون للتسليم عليك والاعتذار إليك، فتجد منهم بعد الجفاء صفاءً خالصًا لا شائبة تُكدِّره ولا مصالح تُعكِّره، فتعود المياه إلىٰ مجاريها، وتكسب بسبب ما كنتَ تنظر إليه علىٰ أنه ضعفٌ وانكسار، تكسب بذلك الرفعة والإعزاز والمكانة العالية في النفوس، وتزداد معرفتك بالناس وأحوالهم؛ فهذا يقصُّ عليك أحواله، وذاك يشكي إليك شؤونَه وهمومَه، وثالثٌ يصطفيك ليستشيرك في مُعْضلاتِه وأعمالِه، فتكون بينهم كالملِك المُعزَّز والعالِم المُبجَّل.

٦ والمرض والابتلاء يجعلانك تسعىٰ وراء العلاج في بلدك وقريبًا من أهلك، أو ترحل بعيدًا إلىٰ بلدانٍ ما كنتَ تحلُم أن تزورها وأناسٍ ما كنتَ تظنُّ أن تلتقي بهم وتتعامل معهم، وفي كل ذلك من الخيرات العظيمة والفوائد الجسيمة ما لا يخفىٰ علىٰ مُجرِّب ولا يغيب عن فِكْر عاقل؛ فمن يوم خروجك من بلدك وأنت تتقلَّب من موقف إلىٰ آخر، وتعيش تجارب الحياة حُلْوَها ومُرَّها، فهذا يُسرع ليُنجز معاملاتك، وذاك يرفض قبول التماسِك، وثالث يأتيك بالخيارات التي تكون الفرص بين حناياها.

ثـم عندما تصل إلىٰ المستشـفيات والمَصَحَّات تجد ما لم يخطر علىٰ بالك مـن الأجهـزة والعلاجات وأنـواع الخبرات وكثـرة الخيارات، وبحسب ما لديك من إمكانات، وما أَتَيْتَ به من موارد وأموال، تكون أبواب العلاج مفتوحة علىٰ مصاريعها، وأسباب التشافي مُشرَعة تنتظر مَن يأتيها، ولا تظنَّ أنها قد تهيَّأتْ من ذاتها، أو أن أصحابها وأربابها هم المالكون الحقيقيون لها، ولكنها حلقةٌ من حلقات الفُيُوضات الرَّبانية وتجلِّيات القدر التي يُغدقها مولاك عليك، وما تيسـير الأمور وانفراج الأحوال وسرعة الأخذ بأسباب العلاج والتشافي التي قد تحصل عليها إلا من تلـك الفيوضات التي كان المولىٰ -سـبحانه- يُهيِّئُها لك، وما سـعيُك إليها أو إنفاقُك عليها إلا من باب الأخذ بالأسـباب، وإلا فهي منوطـة برضا ربك عنك ومرهونـة بمقدار حبل التواصـل الذي بينك وبينه، فأحْسِـن الظَّنَّ بمولاك، وألبِسْ جَنَانَكَ التسـليم والرضا بكل ما تلقاه أو يلقاك.

فيروس الكبد الوبائي

ذات مـرة كنتُ أشـتكي من ألمٍ في أُصبـع قدمي اليسـار، فذهبتُ في مارس ٢٠٠٧م إلىٰ مستشـفىٰ الشـاطئ في القرم، فلم يتبيَّن الطبيب من الأشـعة التي أخذها أي مشـكلة، فعيَّن لي مجموعـة من فحوصات الدم التي عليَّ إجراؤها للتعرُّف علىٰ أسـباب المشـكلة، وأرشـدني إلـىٰ إجرائها في مستشـفىٰ جامعة السـلطان قابوس التي كنتُ آنذاك أعمل بها، فذهبتُ إلىٰ هناك وقابلتُ زميلي في الثانويـة الدكتور سـلام الكنـدي، وهو اختصاصي أمـراض الدم ومعروف بيـن النـاس بعلمـه وخبراته، فشـرحتُ لـه المشـكلة وأخبرته بسـبب مجيئي عندهم، فنسَّق لي -جزاه الله خيرًا- مع المُمرِّضين المَعنيِّين لأخذ عينات الدم المطلوبة، وأخبرني بأنه سيتَّصل بي عندما تظهر النتائج.

١ التجهيز لبدء العلاج

بعـد أيـام كنـتُ أنـا والأهـل والأولاد بعد صـلاة المغرب في حديقـة ريام بمسقط، وتلقَّيتُ اتِّصالًا من الدكتور سلام يُخبرني أن فحوصات الدم أظهرت أن إنزيمات الكبد عندي مرتفعة؛ ما يعني وجود فيروس الكبد الوبائي عندي، وكنتُ آنذاك في أوج نشاطي في شركة DXN التي تبيع الأعشاب الطبيعية، وكنتُ حينها مُقتنِعًا بمصداقيتها وقدرتها -بإذن الله- علىٰ التشافي من جميع الأمراض حتىٰ المُسـتعصية منها، ولذا تلقَّيتُ الخبر من الدكتور سـلام ببرود، وقلتُ له بأني سـأتناول منتجات DXN وسـيزول الوباء بإذن الله، فردَّ عليَّ بعبارة ما زلتُ

أذكرها: «دكتور: صحيح أنك عبقري ولكن أيضًا فيك «هبولية» (كلمة عمانية تعني سذاجة وحماقة)»، ثم زاد قائلًا: «أنا أقول لك عندك فيروس الكبد، وأنت تقول لي منتجات DXN؟»

عندها، أدركتُ أن الأمر جِدٌّ لا هزل، فقلتُ له: «وماذا تريدني أن أفعل؟» فقال: «تعال إليّ وسنتحدَّث في الأمر»، وعندما ذهبتُ إليه حوّلني إلىٰ عيادة الكبد في مستشفىٰ جامعة السلطان قابوس، فأجرَوْا لي بعض الفحوصات الإضافية التي تُبيِّن نوع الفيروس ومقداره في الدم.

أ تقصّي حالة الالتهاب ونوعه

وبعد تحققهم من وجود الفيروس بكميات كبيرة جدًّا، وخوفهم من أن يكون قد حدث تليُّف للكبد، حاول الطبيب إقناعي بسرعة الموافقة علىٰ أخذ عيِّنة من الكبد، أو ما يُسمونه (liver biopsy)، وأيضًا بدء العلاج بإعطائي حُقَن (Inter–Feron) مباشرة، وأخبرني بأن علاج الإنترفيرون يمكن أن يُحقِّق نجاحًا بنسبة ٨٠٪ فقط، أي إن ٨٠٪ من المصابين بالنوع ٦ من الالتهاب الوبائي C يستفيدون من العلاج ويتخلَّصون من الالتهاب بالكامل، مقارنة بنحو ٤٠٪ فقط للنوع ٢ و٤، وأنا عندي النوع ٢، وقال بأن العلاج للنوعين ٢ و٤ يمكن أن يستمرَّ مدة سنة كاملة، وفي كل أسبوع يأخذ المريض حقنة واحدة، إضافة إلىٰ تناول خمس حبات من دواء آخر اسمه Ribovirin، وأخبرني بأن حُقَن الإنترفيرون تُدمِّر جهاز المناعة لدىٰ المريض بالكامل؛ ما يُؤدي إلىٰ حلق الشعر والإصابة بكثير من نزلات البرد والإنفلونزا والتعرُّض للأمراض الأخرىٰ والحُمَّىٰ المستمرة والأوجاع.

وبسبب اقتناعي آنذاك بفعالية منتجات DXN، تناولتُ مدة شهر كميات كبيرة من فطر الريشي والمنتجات الأخرىٰ؛ ما جعلني أظنُّ أن الالتهاب قد زال، ووجدتُ أني بحاجة إلىٰ صرف ما يزيد علىٰ ألفَيْ ريال شهريًّا لتكثيف الجرعات من تلك المنتجات، ثم حصلتُ علىٰ تقريرٍ طبيٍّ مفصَّلٍ بحالتي من مستشفىٰ الجامعة، فأرسلته إلىٰ أحد أعضاء DXN المشهورين في دبي الذين كانوا علىٰ اتِّصال مباشر برئيس الشركة في ماليزيا، وشرحتُ له المنتجات التي كنتُ أستخدمها وطلبت منه تحويل التقرير إلىٰ المُتخصِّصين في الشركة ليفيدوني ما إذا كانت هناك منتجات يمكن أن تُخلِّصني من هذا المرض، حتىٰ وإن كانت ستُكلِّفني مبالغ طائلة، ولكني لم أحصل علىٰ أيِّ ردٍّ منهم.

وعندما قابلتُ اختصاصي الأمراض الباطنية وأخذ يتفحَّص اختبارات الدم التي أجريتُها تحقق من وجود التهاب الكبد C، وحجز فورًا سريرًا لتنويمي في الجناح الأحمر لبدء العلاج، فحسَب ما أخبروني به فإن تلك الحُقَن تُسبِّب ارتفاعًا كبيرًا في الحرارة وأيضًا أعراضًا أخرىٰ كثيرة، ولا بُدَّ من تنويمي يومين أو ثلاثة لأكون تحت الملاحظة.

ب اكتشاف نقص هرمون الغدة الدرقية

شاء الله في يوم تنويمي للبدء في العلاج في أكتوبر ٢٠٠٧م أن يُخبرني الطبيب الذي يتابع حالتي بأنهم وجدوا انخفاضًا ملحوظًا في الهرمون الذي تفرزه الغدة الدرقية، ولذا لن يبدؤوا علاج فيروس الكبد قبل حلِّ مشكلة الغدة؛ فنقص الهرمون قد يضاعف المشكلات والأعراض التي يُسبِّبها علاج الإنترفيرون، ولذلك سيبدؤون أولًا بإجراء بعض الفحوصات للغدة.

بعد فترة، جاء اختصاصي الغُدَد الدكتور أحمد بن محمد بن سباع (من بلدة تنوف) وأخبرني بأنه من أعراض انخفاض ذلك الهرمون زيادة الوزن وضعفٌ عامٌّ في الجسم، وبحمد الله لم أكن أُعاني شيئًا من ذلك، وأخبرني بأنهم سيبدؤون إعطائي جرعات من ذلك الهرمون كل يوم في الصباح، ولما سألته عن المدة، قال: «**مدىٰ الحياة**».

أجرىٰ لي بعض الفحوصات لمعرفة الجرعة المناسبة من الهرمون التي سيُعطونها لي، وأخبرني بأنهم بعد شهر ونصف سيُعيدون تلك الفحوصات لمعرفة ما إذا كانوا بحاجة إلىٰ تعديل الجرعة، وفي تلك الزيارة بقيتُ في المستشفىٰ يومين، أخذوا خلالهما بعض عيِّنات الدم وأجرَوْا تصويرًا للغدة الدرقية بالأشعة النووية، واستمتعتُ بقراءة كتاب «**قدرات غير محدودة**» لأنتوني روبنز.

٢ خمس دورات من العلاج

بعد ما يقارب العام من اكتشاف فيروس الكبد عندي، وبعد أكثر من شهر من البدء في أخذ علاج نقص هرمون الغدة الدرقية، رأىٰ الأطباء أن حالة الهرمون قد عادت إلىٰ وضعها الطبيعي، وعندئذ بدؤوا الترتيبات لتنويمي في مستشفىٰ الجامعة لبدء العلاج بحُقَن الإنترفيرون وحبوب الرايبوفايرين.

أ الدورة الأولى من العلاج

حاولتُ أن أُخفي موضوع الإصابة بالفيروس والبدء بتعاطي العلاج عن جميع أولادي وأهلي إلا عن زوجتي وابنتي إيمان؛ حتىٰ إني في اليوم الذي

ذهبتُ فيه للتنويم لبدء العلاج تحاشيتُ دخول المستشفىٰ من البوابة الرئيسية لكـي لا أُصـادف شـخصًا أعرفه فينكشـف أمر تنويمـي، وكنتُ أنـوي إيقاف سـيارتي في الجهة الشمالية من المستشفىٰ ثم أصعد إلىٰ الطابق الثاني ومنه إلىٰ المصاعد، ولكني وجدتُ شـخصًا يمنع سـيارات غير المُوظَّفين من الدخول إلىٰ ذلك المكان، فلم أجد بُدًّا إلا الوقوف في مواقف المستشفىٰ.

وقـد كان خـوفي من إفشـاء أمـر تنويمي لمـا عَلُـق في أذهان النـاس من أن المصـاب بفيروس الكبد هو في وضعٍ خطير وكأنـه في أيام حياته الأخيرة، وما كنتُ أريد أن أبعث ذلك الشعور لا في نفسي ولا مع أهلي والآخرين؛ فأنا أنظر إلىٰ ذلك المرض علىٰ أنه مُجرَّد مرحلة من مراحل الحياة التي علىٰ الشـخص تجاوزهـا بنفس راضية ومعنويات إيجابية عاليـة، ولا أريد من أحدٍ أن يُنغِّص حياتي بالأفكار السـلبية والنظرات المُشـفِقة وكأني علىٰ مشـارف الهلاك وأن حياتي قد انتهتْ أو قاربت الانتهاء.

في السابعة صباحًا من يوم ٢/ ٢/ ٢٠٠٨م وصلتُ إلىٰ الجناح الذي سيجري تنويمي فيه، وعيَّنوا لي سريرًا فارغًا وبعد لحظات جاؤوا بالفطور، وفي الحادية عشـرة مرَّ عندي الدكتور مسـعود كشـوب الذي يشـرف علىٰ علاجي -وكان آنذاك يشـغل مدير المستشـفىٰ- فأخبر طبيبًا آخر جاء معه أن يبدأ معي العلاج بالإنترفيـرون من الغد، وقضيـتُ ذلك اليوم في قراءة الجـزء الثالث من كتاب «**جواهر التفسير**» لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي.

في صبـاح اليـوم التالي جاءتني إحـدىٰ المُمرِّضات لتأخـذ عيِّنات دم، وفي العاشـرة والنصـف جاءتنـي مُمرِّضة مـن جنوب أفريقيـا بحقنـة الإنترفيرون وأعطتنـي معهـا حبتين مـن الريبوفايريـن، وكنتُ أظـنُّ أن الحقنة تُؤلـم كثيرًا ولكني -بحمد الله- لم أشـعر حتىٰ بوخزتها فأحسسـتُ بالانشـراح والتفاؤل

أن يجعلها المولىٰ -سبحانه- سببًا لشفائي من ذلك الوباء، وأن يكون العلاج -بإذن الله- سببًا لإعادة الحيوية والقوة والفُتُوَّة لي، ويُزيل عني آثار الألم والضعف والأوجاع التي أُحِسُّ بها في بعض الأحيان، وأن يكون أيضًا سببًا لتقوية ذاكرتي وتحفيز مداركي ورفع همتي ونشاطي لتلقي العلم.

في صباح اليوم الثالث جاءت مُمرِّضة في السادسة والنصف لأخذ عيِّنة دم، وبينما كنت أتناول الإفطار إذ مرَّ عليَّ الدكتور مسعود كشوب ومعه طبيبٌ آخر فسألاني عن حالي، فأخبرتهما بأني -بحمد الله وتيسيره- لا أشعر بأي أعراض جانبية، فطلب الدكتور مسعود من زميله أن يقوم بإجراءات ترخيصي، وطلب منه أن يحدّد لي موعدًا للأسبوع التالي لأخذ حُقْنة الإنترفيرون الثانية في العيادة النهارية.

استمرَّ بي الحال هكذا مدة ستة أشهر؛ ففي كل يوم اثنين أذهب إلىٰ العيادة النهارية بمستشفىٰ الجامعة، ويُجرون لي فحوصات الدم وبعد أن تظهر النتائج يُعطونني حُقنة الإنترفيرون ثم أعود إلىٰ البيت، وفي كل يوم أتناول حبتين في الصباح وحبتين في المساء من الرايبوفايرين، وحتىٰ في الفترات التي وقعتْ لي فيها مشكلات صحية- كما سأُبيِّنها لاحقًا- أو عندما سافرتُ إلىٰ تايلاند للعلاج الطبيعي بعد حدوث مشكلة العمود الفقري، فإني لم أتوقَّف عن أخذ تلك الحُقَن، بل إني عندما سافرتُ إلىٰ تايلاند كانت قد بقيتْ ستُّ حُقَن فاصطحبتها معي، وكنتُ آخذها في مستشفىٰ ويشتاني الذي عولجتُ فيه، وكان من المفترض أن تنتهي هذه الدورة الأولىٰ في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٨م، ولكن بسبب بعض التأخُّر في أخذ الحُقَن بسبب انخفاض مستوىٰ المناعة عندي انتهيتُ منها في ١١/ ٨/ ٢٠٠٨م.

وفي العيـادة النهاريـة كنتُ ألتقي بالعديد من الشـباب والكبار الذين جاؤوا لمثـل حالتي وكنا نتبادل أخبار ما يجري لـكلٍّ منا، فأخبرني أحدهم أنه منذ أن بدأ أخذ حُقَن الإنترفيرون صار لا يسـتطيع النوم ليلًا أو نهارًا، وآخر يقول بأنه صار الدم ينزف من أنفه كالرعاف المتلاحق، وشابٌّ في العشرينيات من عمره كان يحضر إلىٰ العيادة علىٰ كُرسيٍّ مُتحرِّك، وأخبرني بأنه بعد أن بدأ أخذ علاج الإنترفيـرون صار لا يسـتطيع حتىٰ الوقوف علىٰ رجليه وفقد شـهيته فصار لا يأكل إلا نادرًا، وصار لا يرغب إلا في أصنافٍ محدودة من الطعام.

وأمـا أنا فلم تخـلُ تلك الفترة من مشـكلات صحية؛ ففـي معظم الفترات كان مسـتوىٰ كريات الدم البيضاء (أي المناعة) مُنخفضة جدًّا؛ حتىٰ إنه عندما سـافرتُ إلىٰ تايلاند احتاجـوا إلىٰ حقني بأربـع حُقَن متواليـة لتحفيز المناعة قبل اسـتطاعتهم إعطائي حُقْنة الإنترفيرون، وطبعًا فـإن نقص المناعة يُعرِّض الشخص للإصابة بأيِّ مرض، ولكن لطف الله ورحمته حفظاني من ذلك.

أيضًا، في معظم فترة العلاج تدنَّتْ شـهية الأكل عندي فصرتُ لا أُطِيق أكل إلا أطعمة محدودة وبكميات قليلة جدًّا، وصرتُ لا أُطِيق حتىٰ رائحة الطعام، وكذلك تزايدت عندي أوجاع الظهر فصرتُ لو جلستُ ولو فترة قصيرة فإنني أحسُّ بآلام في أعلىٰ الحوض من جهة اليمين ثم ينتقل الألم إلىٰ موضع الحزام ويبقىٰ فترة طويلة، ثم وقعتْ لي مشكلة البواسير التي سأرويها بعد قليل، التي ربما تفاقمتْ بسـبب اسـتخدام ذلك العلاج، ثم بعدها بأسبوعين فقط حدثت لي مشكلة العمود الفقري التي أصابتِ الجزء السفلي من جسدي بالشلل التام وبقيتْ آثارها إلىٰ يومي هذا، وسأتحدَّث عنها بالتفصيل في الفصل القادم.

بعد أسبوعين من انتهاء فترة أخذ الحُقَن للدورة الأولىٰ من العلاج -وكنتُ حينهـا في تايلانـد- أجريـتُ فحصًـا لمعرفة مـا إذا كان الفيروس قـد اختفىٰ،

وكانت سعادتي لا تُوصَف عندما أخبرني طبيب الأمراض الباطنية أن الفيروس قد اختفىٰ بالكامل، وأن الأشعة التلفزيونية أظهرت أن الكبد والطحال والكلىٰ -بحمد الله- كلها سليمة وأن هرمون الغدة طبيعي.

ب مشكلة البواسير وعلاجها

بدأتْ عندي مشكلة البواسير في عام ٢٠٠٦م، واستطعتُ في ذلك الوقت تخفيف حِدَّتها بدهنها بفطر الريشي من شركة DXN بعد أن سمعتُ من أحد الإخوة في الشركة أن والده استعمل ذلك الفطر لعلاج البواسير التي كانت عنده واستفاد، وفعلًا استخدمتُ الفطر في ذلك الوقت لعدة أيام ثم زالت المشكلة، وفي أواخر مارس ٢٠٠٨م عادت إليَّ الآلام من جديد فاستخدمتُ لها ذلك الفطر وخفَّتِ الأوجاع كثيرًا ولكنها كانت تعود بين فترة وأخرىٰ.

وذات مرة كنت ذاهبًا إلىٰ مسقط بسيارتي فأحسستُ بآلام البواسير تتزايد بشدة، وكنت بين نارين؛ فأنا لا أستطيع الرجوع إلىٰ البلد لأنه كان عندي في الغد موعد في عيادة الكبد بمستشفىٰ الجامعة، وفي الوقت نفسه فلو واصلتُ المسير إلىٰ مسقط قد لا أستطيع قيادة السيارة لشدة الآلام، وبعد تفكير قرَّرتُ المواصلة، وكنتُ أشعر بآلام شديدة جدًّا، وعندما وصلتُ إلىٰ غرفتي في الخوض وضعتُ فطر الريشي في الموضع المُلتهِب ولكن الآلام بقيتْ علىٰ حِدَّتها.

في اليومين التاليين تفاقمتِ الأوجاع فذهبتُ إلىٰ مستشفىٰ بدر السماء، ولما رأىٰ الطبيب حراجة الوضع عندي وعرف أني من ولاية الحمراء التي تبعد عن مسقط نحو ٢٠٠ كيلومتر رفض عودتي إلىٰ البلد لطول المسافة ومنعني من قيادة السيارة بنفسي، وألحَّ بأن يأتي ابني ليأخذني من المستشفىٰ إلىٰ غرفتي.

في ذلـك اليـوم أعطوني حُقنة مُهدِّئة للألم وثلاث سـقايات وفي اليوم التالي فعلوا الشـيء نفسـه، ولكن الأوجـاع بقيتْ علـىٰ حالها، وعندهـا ذهبتُ إلىٰ طـوارئ مستشـفىٰ الجامعة فأعطوني حُقنـة مُهدِّئة وبعـض الأدوية، وأعطوني موعدًا بعد يومين لمقابلة الجرَّاح الاستشاري، ولما قابلتُ الجراح طلب مني اسـتخدام الثلج وبعض العقاقير الطبية لمحاولة تخفيف الأوجاع وطلب مني مراجعتـه في عيادتـه بعد ثلاثة أيام، وخـلال تلك الأيام كنتُ أبقىٰ في سـريري طَـوالَ اليـوم ولا أقوم إلا للصـلاة والأكل، وكنتُ أداوم علـىٰ وضع الثلج في الموضـع المُلتهِب، وقد اسـتفدتُ من بقائي في السـرير في سـماع محاضرات السيرة النبوية للدكتور طارق السويدان، وعندما قابلتُ الجرَّاح في المرة الثانية قال بأنه لا بُدَّ من إجراء عملية استئصالٍ للبواسير.

بعـد خمسـة أيام جـرىٰ تنويمـي في مستشـفىٰ الجامعـة لعملية اسـتئصال البواسـير، وفي يوم العملية أجرَوْا فحوصات ما قبل العملية واسـتخدموا معي تخديرًا نصفيًّا، وأظن أن ذلك -حسبما أخبرني به كثير من الأطباء- كان له دورٌ فيما بعد في تفاقم مشـكلة العمود الفقري عندي، مع أن طبيب التخدير أكَّد لي بأنهم يُفضِّلون النصفي لأن آثاره الجانبية أقل وأنه مُريحٌ للكبد.

استغرقتِ العملية نحو ساعتين، وفي مساء ذلك اليوم جاء أهلي من الحمراء لزيارتي، وبعد زوال المُخدِّر بدأ الألم يشتدُّ وجسمي يرتعش، فتيمَّمتُ وصلَّيتُ المغرب والعشاء جمعًا صوريًّا، ثم أعطوني حُقنة مُهدِّئة فاستطعتُ النوم قليلًا، ولكن بدأ الوجع يتزايد مرة أخرىٰ، فوضعوا لي سـقاية مُسكِّن أوجاع، وبقيتُ طَوالَ الليل أغفو فترات ثم أصحو والألم كان لا يزال يتزايد.

بقيتُ في المستشـفىٰ ثلاثة أيام واصلوا خلالها تهدئة الأوجاع بالمُسـكِّنات والحُقَـن، ولكـن المشـكلة لـم تنتهِ بـل بقيتُ أعـاني الأوجاع أكثر من شـهر،

وعندما تشتدُّ بي كنتُ أحيانًا أذهب إلىٰ العيادات الخاصة فيُعطونني حُقنة مُهدِّئة وبعض المُسكِّنات، ولكن أكثر ما عانيتُه الحاجة إلىٰ تطهير موضع العملية خمس مراتٍ يوميًّا، وذلك بالجلوس في حوضٍ به ماء وملح أكثر من ربع ساعة في كل مرة.

ج دورة علاج التهاب الكبد الثانية

بعد نحو ستة أشهر من انتهاء دورة العلاج الأولىٰ في أغسطس ٢٠٠٨م، وتحديدًا في بداية فبراير ٢٠٠٩م، أعادوا لي في مستشفىٰ الجامعة فحوصات فيروس الكبد، وقد كانت الصدمة عندما أخبروني أن الفيروس قد عاد بكميات كبيرة جدًّا (أكثر من ٣١٠ آلاف/ للمليمتر المربع) وأن إنزيمات الكبد عالية جدًّا، وأخبروني بضرورة البدء في دورة علاج جديدة مدة ستة أشهر أخرىٰ، آخذ فيها حُقْنة إنترفيرون كل أسبوع مع خمس حبات يوميًّا من الرايبوفايرين.

أخبرتهم برغبتي في العودة إلىٰ تايلاند مرة أخرىٰ لمواصلة العلاج الطبيعي، فخيَّرني الطبيب بين تأجيل الذهاب إلىٰ تايلاند وتأجيل العلاج إن كانت رحلتي لن تستغرق وقتًا طويلًا، فلما أخبرته بأني أنوي البقاء هناك نحو شهرين، قال: إذًا فلا بُدَّ من بدء العلاج فورًا، وطلب مني مباشرة أن أذهب إلىٰ العيادة النهارية لأخذ فحوصات الدم، ثم عُدتُ إليه وأخبرته برغبتي في الحصول علىٰ سِتِّ حُقَن (كانوا لا يسمحون بأكثر من ذلك) لأخذها معي إلىٰ تايلاند، فأعطاني وصفة الحُقَن والدواء وتسلّمتها من الصيدلية بعد أن أحضرتُ لهم برَّادًا مليئًا بالثلج لوضعها فيه حسب اشتراطهم، ثم أخذتُ أول حُقنة من العيادة النهارية.

عندما ذهبتُ إلىٰ مستشفىٰ بانكوك (المستشفىٰ المَلَكي) في تايلاند في رحلة العلاج الطبيعي الثانية التي تحدَّثتُ عنها سابقًا، وبعد أسبوع من أخذ الحُقنة الأولىٰ في عمان، قابلتُ طبيبة الكبد وشرحتُ لها حالة فيروس الكبد عندي، وأخبرتها بأني أحضرتُ معي سِتَّ حُقَن إنترفيرون وحبوب الرايبوفايرين، فأصرَّت علىٰ إجراء فحوصات دم وأشعة تلفزيونية أولًا، وأخبرتني أنها ستُكلِّفني نحو ٢٤ ألف بات (أي قرابة ٢٥٠ ريالًا)، فأخبرتها أن التكلفة عالية جدًّا بالنسبة إليّ، وبسبب ذلك قرَّرتُ تأجيل البدء في الدورة الثانية إلىٰ بعد عودتي إلىٰ عمان.

بعد نحو شهرين ونصف عُدتُ من تايلاند، وأخبرتُ الطبيب في عيادة الكبد بمستشفىٰ جامعة السلطان قابوس بما جرىٰ في تايلاند، فبدأتُ دورة العلاج الثانية حينها في ٤/ ٥/ ٢٠٠٩م، وسبحان الله سبَّبتْ لي الحُقنة الأولىٰ التي أخذتُها في ذلك اليوم آلامًا وحُمَّىٰ شديدة في كلِّ جسدي؛ حتىٰ إني عندما عُدْتُ إلىٰ البيت في الحمراء توجَّهتُ فورًا إلىٰ السرير وبقيتُ أعتصرُ من الألم ولم أستطِع الذهاب لصلاة المغرب في المسجد، وتواصلتْ معي تلك الآلام والأوجاع طَوالَ فترة العلاج التي انتهت في ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٩م.

د أخذ عيِّنة من الكبد للمرة الثانية

كانوا قد أخذوا مني أول عيِّنة للكبد في سبتمبر ٢٠٠٧م، وفي يوليو ٢٠١٠م قرَّر الأطباء تنويمي مرة أخرىٰ بمستشفىٰ الجامعة لأخذ عيِّنة جديدة، فأجرَوْا بعض الفحوصات الأوَّلية وأخذوا عيِّنات من الدم، ثم بعد الغداء أخذوني إلىٰ قسم الأشعة لعمل أشعة للصدر وطلبوا مني المبيت صائمًا لأخذ أشعة تلفزيونية في الغد.

في اليوم الثاني، جاءني الدكتور عبد الله العلوي من ولاية ينقل وطلب مني التوقيع على عملية أخذ العيِّنة ثم جاءت مُمرِّضة لتضع في يدي إبرة السقاية، وفي العاشرة والنصف أخذتني المُمرِّضة لعمل أشعة تلفزيونية ثم أخبرني الدكتور عبد الله أن الطبيب الذي يُجري العملية في إجازة والطبيب الآخر مشغول وسيُحدِّدون لي موعدًا آخر لتنويمي، ثم لاحقًا جاءتني المُمرِّضة وأخبرتني بأنهم سيأخذون العيِّنة في ذلك اليوم.

عندما وصلنا إلى قسم الأشعة وجدنا الطبيب العماني الذي سيأخذ العيِّنة في انتظارنا، فبدأ أولًا بفحص الكبد بالأشعة التلفزيونية، ثم وضع علامة بقلمه في منتصف القفص الصدري، وبعدها أحضر إبرة تخدير وأحسستُ بها وهي تصل إلى الكبد، وأخبرني بأنه يُخدِّر جدار الكبد، ثم وضع قطعتَي قماش خضراء حول الموضع الذي علَّمه، وبعدها أحضر إبرة طولها أكثر من قدم، ورأيته يغرسها في الموضع الذي علَّمه ويتابع ذلك بالأشعة التلفزيونية.



عملية أخذ عيِّنة الكبد (**liver biopsy**)

أحسستُ بالإبرة وهي تصل إلىٰ الكبد وأحسستُ بها وهو يُحرِّكها لتصل إلىٰ منطقة مُعيَّنة كان يتابعها علىٰ الشاشة، ثم سمعتُ صوتًا وكأنه طلقة مسدس وحينها كان يأخذ العيِّنة، ثم أخرج الإبرة وأحسستُ بألم شديد فأخبرتُ الطبيب بذلك فزادني حُقْنة تخدير أخرىٰ، ثم رأيتُه يُفرِّغ العيِّنة في أنبوب ثم عاود أخذ العيِّنة للمرة الثانية والثالثة وأنا أحسُّ بالألم يتزايد، وعندما انتهىٰ كان ضغط الدم قد ارتفع كثيرًا فانتظروا حتىٰ يهدأ الألم، وكانوا حينها يُضمِّدون البقعة التي أدخلوا فيها الإبرة ويُنظِّفون بقية البطن.

أحسستُ بالألم يتزايد فاتَّصلت بالدكتور عبد الله العلوي فأخبروني بأنهم سيُعطونني حُقنة مهدِّئة عندما يُرجعونني إلىٰ الجناح، ثم شرح لي الدكتور سبب إدخال الإبرة ثلاث مرات وهو أن العيِّنة التي أخذوها مني منذ عامين كانت صغيرة ولم يستطيعوا استنتاج الكثير منها، وأيضًا فهم في هذه المرة أخذوا العيِّنة من موضع مُعيَّن في الكبد، وطلب مني الدكتور أن أنام علىٰ ظهري أربع ساعات وألّا أتناول شيئًا، وطلب من المُمرِّضَيْنِ اللذَيْنِ أحضراني أن يضعاني تحت الملاحظة.

عندما أعادوني إلىٰ الجناح وضعوا لي سقاية وجهاز قياس الضغط ونبض القلب ثم رأوا أن ينقلوا سريري لأكون مقابلًا لمكتب المُمرِّضات، وكان الألم لا يزال في حِدَّته، فلما جاء الدكتور عبد الله طلب منهم أن يعطوني حُقْنة مُهدِّئة، فبدأ الوجع يقلُّ تدريجيًّا وكنتُ أحاول النوم فلم أستطِع، وكان لم يمضِ علىٰ العملية الثانية التي أجريتُها للعمود الفقري في تايلاند إلا نحو شهر فكنتُ أُحِسُّ بأوجاع شديدة في الظهر.

قضيتُ تلك الليلة في أوجاعٍ متواصلة، وأكثر ما آلمني أن الأنوار كانت ساطعة والمُمرِّضين في حركة مستمرة ويتحدَّثون بصوتٍ عال، ورغم كل ذلك

الإرهاق والآلام التي أشعر بها حاولت النوم ولكن دون جدوى، وفي الثانية عشرة والنصف ظهرًا من اليوم الثالث أخذوني إلىٰ قسم الأشعة لعمل أشعة رنين مغناطيسي لظهري لشدة ما أُعانيه من أوجاع، وبقيتُ في الآلة نحو عشر دقائق ثم أخرجوا السرير وحقنوني بمادة لتلوين الأشعة، ثم أدخلوني نحو عشر دقائق أخرىٰ ثم أخرجوني من الجهاز وأعادوني إلىٰ الجناح.

أخبرني الدكتور عبد الله العلوي أن نتيجة عيِّنة الكبد ستظهر بعد أسبوعين وأنهم أخذوها ليعرفوا ما إذا كان الضرر الحاصل للكبد هو بسبب الفيروس أم المناعة التلقائية (أي مهاجمة جهاز المناعة بعض أجهزة الجسم)، وإذا كان الأخير هو السبب فإنهم سيعالجون ذلك بالحبوب بدلًا من الحُقَن، وبقيتُ تلك الليلة عندهم وحدث فيها ما حدث في الليلة التي قبلها من الإزعاج وعدم مراعاة أحوال المرضىٰ فلم أستطِع النوم.

في التاسعة صباحًا من اليوم الرابع مرَّ عندي الدكتور عبد الله وأخبرني بأنه سيمرُّ عليَّ طبيب الأعصاب ولكنه لم يحضر بل أدخل ملاحظة في الحاسوب تُفيد بأنه اطَّلع علىٰ أشعة الرنين المغناطيسي، وأنه لم يرَ من خلالها أي مشكلة في العمود الفقري، وأن عليَّ مراجعة عيادة الأعصاب بعد شهرين، ثم جاء الدكتور عبد الله في الرابعة عصرًا وقام بإجراءات الترخيص وكتب لي بعض الأدوية، فذهبتُ إلىٰ الصيدلية وأحضرتُ الأدوية، ثم أعطتني المُمرِّضة ورقة لموعد في عيادة الأمراض الباطنية بعد ثلاثة أسابيع وموعد في عيادة الأعصاب بعد شهرين وموعد في العيادة الخارجية للعلاج الطبيعي بعد أسبوع، وخرجتُ من المستشفىٰ عند السادسة ووصلنا إلىٰ البلد في التاسعة، ووجدنا -بحمد الله ومِنَّته- جميع أودية الولاية قد جرفتْ بسبب نزول أمطار غزيرة ذلك اليوم علىٰ الحمراء وبهلاء.

هـ دورة العلاج الثالثة

بعد شهرين من أخذ عيِّنة الكبد قابلتُ الدكتور خالد النعماني -اختصاصي الكبد بمستشفىٰ الجامعة- لأعرف رأيه فيما إذا كنتُ سأبدأ الدورة الثالثة من علاج الكبد فورًا أم يُؤجلوها إلىٰ بعد عام لتوقُّعهم توفُّر علاج جديد بعد فترة، فأخبرني بأن نتيجة فحوصات الفيروس لم تظهر بعد ولذا يُفضِّلون الانتظار أو أخذ فحوصات جديدة للتحقق من نوع الفيروس، وأنهم سيرسلون تلك الفحوصات إلىٰ خارج عمان لمقارنتها بالنتائج التي يحصلون عليها، وأما فيما يتعلَّق بعيِّنة الكبد فقال بأنه سيُكلِّم الطبيب الذي أخذ العيِّنة لإعادة تحليلها وأعطاني موعدًا جديدًا بعد شهر، وفي ذلك الموعد أخذوا عيِّنات جديدة للدم لإرسالها إلىٰ فرنسا ليتحقَّقوا من نوع الفيروس.

في نهاية يناير ٢٠١١م قابلتُ اختصاصيّ الكبد فأخبرني بأنهم سيبدؤون دورة العلاج الجديدة معي في ذلك اليوم، وأنهم في هذه المرة سيواصلون العلاج ستة أشهر أخرىٰ بعد اختفاء الفيروس، وأنهم أيضًا سيزيدون حبوب الرايبوفايرين من خمسٍ إلىٰ ستٍّ يوميًّا، وفعلًا أخذوا عيِّنات الدم ثم بعد ساعتين أعطوني حُقْنة الإنترفيرون وطلبوا مني أن آتي إليهم كلَّ أربعاء لأخذ تلك الحقنة.

في الأسبوع الثاني من بدء العلاج أخبروني بأنهم سيأخذون فحص الفيروس في الأسبوع الخامس، ولكوني آنذاك أعمل في جامعة نزوىٰ وأقيم في بركة الموز طلبتُ منهم أن يُعطوني حقنتين لأُحقَن بهما في مركز جَنَىٰ الطبي في بركة الموز، فرفض الاختصاصي ذلك وأصرَّ علىٰ أن أذهب إليهم كل أربعاء علىٰ الأقل مدة شهر، وبعد أخذ فحصٍ للفيروس في الأسبوع الخامس تبيَّن أنه -بحمد الله- نقص من نحو تسعة ملايين في الملم المُكعَّب إلىٰ خمسة ملايين، ثم

أعادوا الفحص بعد شهر ونصف وظهر فيه أن الفيروس قد اختفىٰ، واستمرَّت دورة العلاج هذه تسعة أشهر متواصلة، وبعد انقضائها أخذوا عيِّنات للدم لمعرفة ما إذا كان الفيروس قد زال بالكامل، ووجدوا جميع الفحوصات جيِّدة عدا اثنين من إنزيمات الكبد مرتفعة، وعندما سألتهم ماذا يعني ذلك قالوا بأنه قد يعني انسدادًا في شيءٍ من أوعية الكبد أو المرارة أو ربما وجود حصىٰ في المرارة أو ربما يكون الفيروس قد نشط من جديد.

صُدِمتُ مما قاله الدكتور؛ فكنتُ أحسب أن الفيروس قد زال بالكامل، فقلتُ له: «**وكيف ينشط الفيروس والفحوصات السابقة تُشير إلىٰ أنه اختفىٰ؟**» فقال: «**عندنا حالات حدث فيها أن الفيروس قد اختفىٰ بالكامل، ثم عاود الظهور من جديد رغم الاستمرار في العلاج**»، فسألته عما يقترحه فرأىٰ أن أُجري أشعة تلفزيونية للكبد وأيضًا أن أواصل العلاج شهرًا آخر، فأحببتُ الاطمئنان فطلبتُ منه أخذ رأي الاستشاري، وفعلًا أيَّد الاستشاري مواصلة العلاج، وبعد انقضاء الشهر وإعادة الفحوصات وجد الاختصاصي أن الفيروس لا يوجد له أثر، وأن إنزيمات الكبد التي كانت مرتفعة في الفحص السابق قد انخفضت، ومع ذلك طلب مواصلة العلاج شهرًا آخر للمرة الثانية.

بعد انقضاء العلاج للشهر الثاني وجد الطبيب إنزيمات الكبد منخفضة ولكن لا تزال أعلىٰ من المستوىٰ الطبيعي، ووجد أشعة الكبد والفحوصات التي أجريتُها في المرة التي قبلها كلها طبيعية، وحاول إقناعي بمواصلة العلاج فرفضتُ لما يُسبِّبه من أوجاع متواصلة في الظهر والرجلين، ولمّا رأىٰ إصراري علىٰ الرفض نادىٰ طبيبين آخرين وشرح لهما حالتي ونتائج الفحوصات فأجمعا علىٰ ضرورة المواصلة بحُجَّة أنها الدورة الثالثة التي أقوم فيها بعلاج الفيروس، وأنه كان في المرتين السابقتين يعود بعد اختفائه،

فلم أجد إلا الانصياع لأمرهم وانتهتْ دورة العلاج في ٢٨/ ١٢/ ٢٠١١م بعد أن استمرت عامًا كاملًا.

و دورة العلاج الرابعة

بعد ستة أشهر من انقضاء الدورة الثالثة أجرَوا لي فحصًا للفيروس تبيَّن منه أنه قد عاد من جديد، وأن تركيزه كان في وقت أخذ الفحص نحو ٩٠ ألف للمليمتر المُكعَّب، ومع ذلك فإن وظائف الكبد والغدة كانت -بحمد الله- بحالة طبيعية، وقال الدكتور خالد النعماني -اختصاصي الكبد- بأنه لكونهم أعادوا لي العلاج ثلاث مرات في الماضي وفي كل مرة كان الفيروس يختفي ثم يعود، فليس من حاجةٍ لإعادة العلاج مرة أخرىٰ وخاصة أن وظائف الكبد بحالة طبيعية، وأضاف بأنه يوجد آنذاك أكثر من ٢٥ دواءً جديدًا تحت التجربة، وأنهم سيتابعون حالتي كل ستة أشهر، وإن ظهر دواء جديد ورأَوْا داعيًا لاستخدامه فسيخبرونني، ثم أمَر لي بإجراء أشعة تلفزيونية للكبد.

بعد ثلاثة أشهر من مقابلة الاختصاصي قابلته مرة أخرىٰ فأخبرني بأن الدواء الجديد الذي ينتظرونه قد وصل، وأنهم بدؤوا استخدامه مع بعض المرضىٰ، وأنهم سيُدرجون اسمي ضمن قائمة المنتظرين، ومنذ ذلك الوقت صاروا يُعطونني موعدًا لعمل أشعة تلفزيونية كل ستة أشهر، وزيارة لهم كل ستة أشهر إلىٰ سنة.

في نهاية ٢٠١٥م كان عندي موعدٌ في عيادة الكبد فأعاد الاختصاصي الكلام الذي أخبروني به من قبل من أنهم لا يزالون يترقَّبون وصول العلاج الجديد قريبًا، وأنني سأكون ضمن الذين سيبدؤون العلاج معهم، وأخبرني

بأن العلاج سيكون عبارة عن حبوب وحُقَن أو حبوب فقط وخيَّرني بينهما، فقلتُ له بأني لا أريد الحُقَن لما لها من أعراض جانبية كثيرة عانيتُها في المرات الثلاث السابقة، فأعطاني ورقة لعمل أشعة تلفزيونية خاصة بتصوير تليُّف الكبد، وأعطاني كذلك موعدًا بعد تسعة أشهر، وورقة لفحوصات الدم التي عليَّ أخذها عندما آتي في ذلك الموعد.

في ٢٢/ ٩/ ٢٠١٦م أخبرتُ الطبيب بأنهم وعدوني أن يبدؤوا معي العلاج، فأكَّد لي ذلك وأخبرني بأني بحاجة إلىٰ عمل منظار، لأن مَن عنده تليُّف في الكبد يحدث له أحيانًا «دوالي» (أي انتفاخات في الأوعية الدموية)، ويريدون أن يعرفوا ما إذا كانت موجودة عندي أم لا، وفي حال وجودها فإما أن يعالجوها بأدوية وإما أن يربطوها، وأعطاني موعدًا للمنظار بنهاية ٢٠١٦م.

أما بالنسبة إلىٰ العلاج فأخبرني بأنه عبارة عن ثلاث حبات في الصباح وثلاث في المساء من الرايبافايرين التي كنتُ أتناولها من قبل في فترات العلاج السابقة، ولكن في هذه المرة ستُستبدل الحُقَن بحبة واحدة فقط من العلاج الجديد الذي صاروا ينتظرونه منذ سنوات، وأخبرني بأن سعر الحبة من ذلك العلاج عندما بدأ طرحه في الأسواق كان بنحو ٣٠٠ ريال عمانيّ، وسيستمر العلاج مدة ١٢ أسبوعًا وربما أطول من ذلك، وفعلًا بدأتُ ذلك اليوم العلاج، وبعد شهر ذهبتُ لموعد المراجعة فأخبرني الطبيب بأن إنزيمات الكبد صارت -بحمد الله- طبيعية، وأن الفيروس قد نقص من ٨ ملايين في المليمتر المُكعَّب إلىٰ ١٠٠٠ فقط، وأعطاني وصفة الدواء لشهرٍ آخر وموعدًا بعد شهر.

في ١٩/ ١٢/ ٢٠١٦م كان موعد المنظار لمعرفة ما إذا كانت عندي «دوالي» بسبب تليُّف الكبد، فأخبروني بأنهم سيُخدِّرونني بالكامل ولذا عليَّ ألّا أقود السيارة يومًا كاملًا بعد المنظار، فاتَّفقتُ مع ابني مصعب أن يُرجعني إلىٰ بركة

المـوز، وعندما وصلتُ إلىٰ العيادة النهارية قالـوا بأنه من الضروري أن يكون المرافق موجودًا معي، وعيَّنوا لي سريرًا لأبقىٰ فيه بعد إخراجي من المنظار.

أدخلوني إلىٰ غرفة أشبه بغرفة العمليات، ووجدتُ الاختصاصي الذي يتابع حالتي ومعه شـخصٌ آخر وبعض المُمرِّضات، وأخبروني بأنهم لن يستخدموا التخدير وإنما سـيُعطونني مُنوِّمًا، ثم بخُّوا بعض الدواء في حلقي وحقنوا دواءً آخر عن طريق إبرة السـقاية، ولم أدرِ ما حصل لي بعد ذلك غير أني اسـتيقظتُ بعد نحو ساعتين، ولم أشعر -بحمد الله- بأي آلام أو أعراض جانبية، فقدَّموا لي الغداء وأزالوا إبرة السقاية ثم أوصلني ابني إلىٰ بركة الموز.

في الموعـد الدوري التالي الذي كان في بداية ٢٠١٧م أخبرني الاختصاصي بأن نتائج المنظار كانت طيبة ولم يجدوا شـيئًا مُقلقًا، وفي الشهر التالي أخبرني الدكتور بأن الفحوصات -بحمد الله- كلها طيبة وأنه تبقَّىٰ لي فقط شهرٌ واحدٌ مـن العلاج، وفي الموعـد الأخير قابلتُ الدكتور خالـد النعماني -اختصاصي الكبد- وأخبرني بأن دورة العلاج الرابعة قد انتهتْ، وأنهم سيُجرون لي فحصًا للفيروس بعد ثلاثة أشهر وآخر بعد ستة أشهر.

في يونيـو ٢٠١٧م أجريْـتُ فحصًـا للفيـروس، ولمـا ذهبـتُ إلـىٰ موعـد المراجعـة في عيادة الكبد في أغسـطس ٢٠١٧م أخبرني الطبيـب بأن الفيروس قـد عاد مـرة أخرىٰ، وأخبرني بأن هنـاك علاجًا جديدًا قـادرًا -بإذن الله- علىٰ القضاء علىٰ الفيروس ولكنه غير مُتوفِّر في مستشـفىٰ الجامعة ولكنه مُتوفِّر عن طريق مُوزِّع بقيمة ١٠٠ ريال لثلاثة أشـهر وأعطاني وصفة لشـرائه، فتواصلتُ مـع المُوزِّع وأرسـلتُ إليهم صورة من الوصفة التي حصلـتُ عليها من عيادة الكبد فأخبروني أن العلاج سـيُكلِّفني نحو ٩٠٠ ريال لثلاثة أشهر، ولذا آثرتُ الانتظار إلىٰ حين توفُّره مجانًا من مستشفىٰ الجامعة.

ز دورة العلاج الخامسة والأخيرة

انتظرتُ قرابة تسعة أشهر إلىٰ أن تواصلوا معي في عيادة الكبد ليُخبروني بتوفُّر العلاج الجديد عندهم، وفي ٢١/ ٦/ ٢٠١٨م بدؤوا معي الدورة الخامسة من العلاج، ولكن هذه المرة باستخدام علاج جديد كانوا ينتظرونه منذ فترة طويلة، ولم أحتَج إلىٰ ترتيباتٍ كبيرة للحصول عليه إلا ما قام به الدكتور من شرحٍ لطبيعة الدواء، ثم تبيّن من عدم تعارضه مع الأدوية التي كنتُ أتناولها، وغيّر دواء الحموضة إلىٰ نوعٍ آخر لا يتعارض مع الدواء الجديد.

في الموعد التالي الذي كان بعد أسبوعين غيّر الطبيب جرعة ذلك الدواء من ٢٠٠ ملجم للحبة إلىٰ ٤٠٠ ملجم، وبقيتُ أذهب إليهم كل أسبوعين لتسلّم وصفة الدواء ثم أعود إلىٰ أن أنهيتُ الدورة في ٦/ ١٢/ ٢٠١٨م، وبعد أن أجريتُ فحصًا للفيروس بعد ثلاثة أشهر تبيَّن -بحمد الله وفضله- أنه اختفىٰ، فأجروا لي فحصًا آخر بعد ثمانية أشهر فكانت النتيجة تُشير إلىٰ اختفائه بالكامل وأن تليُّف الكبد أيضًا قد بدأ في الانخفاض، فلله الفضل والمنة أن خلَّصني من هذا الوباء.

وعلىٰ الرغم من أن هذا الوباء لم تكن له تأثيرات تُذكَر في صحتي، فإن إهمال علاجه كان سيُؤدِّي إلىٰ تليُّف الكبد، وفشلها -والعياذ بالله- سيُؤدِّي إلىٰ انهيار كامل لوظائف وأعضاء الجسم بسبب عدم قدرة الكبد علىٰ التخلّص من السموم، وهذا ما شاهدناه في العديد من الناس، ومنهم والدتي عليها رحمة الله.

لذا، فإن محاولات الأطباء المُستميتة لتخليصي من هذا المرض، التي قد تفوق حرصي أنا علىٰ ذلك هي بسبب معرفتهم لما سيؤول إليه حال المريض

فيما لو أهمل علاج ذلك الوباء، ومن هنا فإن مدة عشـر السنوات التي قضيتُها في تعاطـي عـلاج هذا الفيـروس ومـا صاحب ذلك مـن آلام وأوجـاع وتوتُّر وقلق نفسـي وتعطيل للأعمال وضياع للأموال، كل ذلك لا يسـاوي شـيئًا مع اللحظات الأخيرة التي نُقلت فيها البشـارة لي باختفاء الفيروس بالكامل، فلله عظيم المِنَّة والفضل علىٰ هذه النعمة العظيمة.

والمريـض بهـذا الوبـاء لو وصل إلـىٰ مرحلة الفشـل التام للكبـد، وبدأت أعـراض ذلـك تظهر علىٰ الجسـم، فإنه لـن يُبالي أن يُنفـق كل ثروته من أجل التشـافي التام من ذلك الوباء، فما بالنا لا نشـكر الله وقد هيَّأ لنا العلاج المجاني والأطبـاء المُتخصِّصين والأجهـزة المُتطـوِّرة والمرافق المُريحـة والمُجهَّزة بـكل ما يحتاج إليه المريـض والطبيب؟! أفلا نحتاج إلىٰ أن نبقىٰ طَوال حياتنا شـاكرين ساجدين مُنيبين خاشـعين له سـبحانه، اعترافًا بفضله وردًّا لإحسانه ولو أننا لن نُوفِّيه حقَّه ولن نبلغ ولو شكر شيءٍ يسيرٍ من فضائله ونَعمائه.

مشكلات العمود الفقري

بدأتُ أعاني أوجاع الظهر منذ أن كنتُ في أمريكا في التسعينيات، واستمرَّت معـي بتزايـد مُطَّـرد إلىٰ أن وقعتْ لي مشـكلة الشـلل الكامل للجزء السُّـفلي مـن جسـدي في آخر أبريـل ٢٠٠٨م، وكنـت في أغسـطس ٢٠٠٣م قد ذهبتُ إلىٰ مستشـفىٰ ميـوت في مدراس بالهنـد، وهناك قابلتُ ملـك العظام الدكتور موهنداس، وبعد أخذ الأشـعة المقطعية لي أخبرني أن عندي كسـرًا في إحدىٰ الفقرات، وكانت تلك التي تسبَّبت فيما بعد في غضروف الظهر.

وقبل وقوع مشـكلة الشلل بفترة طويلة كنت أجد صعوبة بالغة في الجلوس والوقـوف؛ حتـىٰ إني عندمـا أذهـب إلـىٰ المحـالِّ التجارية كنتُ لا أسـتطيع الجلـوس بعـد فترات الوقـوف والمشـي إلا بالإمسـاك بالعربة التـي أجرُّها، وصارت المشـكلة تُؤَرِّقني عندما أقضي الساعات الطويلة في مكتبي في جامعة السلطان قابوس، وأيضًا خلال التدريس عندما أُحاضِر واقفًا.

وقبل وقوع المشـكلة بنحو ثلاثة أشـهر بدأتُ في أخذ عـلاج التهاب الكبد باسـتخدام حُقَن الإنترفيرون وكانت معروفة بتسـبُّبها في العديد من مشكلات الأعصاب والعضلات، وقد ذكرتُ كيف أن أحد الشـباب بقي سـتة أشهر بعد بـدء أخذه ذلك العلاج وهو لا يقوىٰ علىٰ الوقوف أو الحركة وإنما ينتقل فقط بكُرسيٍّ مُتحرِّك، وقد لاحظتُ أن أوجاع الظهر قد تفاقمتْ عندي كثيرًا منذ أن بدأتُ في أخذ العلاج، ولذا قد تكون مُشـكلة الظهر التي وقعتْ لي هي بسـبب ذلك الدواء.

كذلك، فإني قبل أسبوعين فقط من وقوع المشكلة أجريتُ عملية البواسير في مستشفىٰ جامعة السلطان قابوس، واستخدموا فيها تخديرًا نصفيًّا (Block Anesthesia)، وحسبما أخبرني به بعض الأطباء في عمان والخارج فإن ذلك النوع من التخدير قد يكون السبب في وقوع الشلل عندي، والله أعلم بالمُسبِّبات، وبيده الأمر من قبل ومن بعد.

١ الشلل الكامل للجزء السفلي من جسدي

بعد خروجي من جامعة السلطان قابوس في سبتمبر ٢٠٠٧م احتفظتُ بغرفتي التي كنتُ أستأجرها في الخوض، وكنتُ أحيانًا آتي من البلد وأقضي فيها أيامًا، واشتريتُ جهازًا للمشي لأستخدمه في الغرفة، وعوَّدتُ نفسي أيضًا المشي في شوارع الخوض بعد صلاة العشاء أكثر من ساعة، وكل ذلك لتخفيف الأوجاع التي كنتُ أعانيها.

أ وقوع مشكلة الشلل

قبل أيام من وقوع المشكلة كانت عندي مراجعة في مستشفىٰ الجامعة لأخذ حُقْنة الإنترفيرون، ففضَّلتُ البقاء أيامًا في مسقط بسبب استمرار أوجاع وآثار عملية البواسير، وفي مساء يوم الأربعاء ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٨م تناولتُ عشائي في الغرفة ثم خرجتُ لأرمي كيس القمامة وكنتُ أشعر بآلام مُبرحة في الظهر؛ حتىٰ إني كنتُ أمشي مُحدَودِبَ الظهر، ولما عُدتُ إلىٰ الغرفة شرعتُ في غسل الأواني وانحنيتُ لأتناول صحنًا من الأرض، وما إن رفعتُ ظهري حتىٰ أحسستُ بصعقٍ كهربائيٍّ في ظهري صاحبه ألمٌ شديد كدتُ أصرخ منه، فتركتُ غسل الأواني واستلقيتُ علىٰ السرير.

بقيـتُ أُقاسـي الأوجاع الشـديدة طَوالَ الليـل، وكنتُ لا أسـتطيع تحريك جسـمي يَمنة أو يَسرة ولا الجلوس، وكلما تحرَّكتُ أحسستُ بصعقٍ كهربائيٍّ مُبْـرِح، وعندمـا رأيتُ الحال قد طـال أردتُ أن أذهب إلىٰ طوارئ مستشـفىٰ جامعة السـلطان قابوس ولكني لا أسـتطيع الجلوس فضلًا عن المشي وقيادة السـيارة، والأدهـىٰ من ذلك أن بـاب الغرفة كان مُقفلًا ولا أسـتطيع الوصول إليـه لفتحه أو إزالة المفتاح منه، وعند منتصف الليل أرسـلتُ إلىٰ أولاد أختي ناصر وخالد وإلىٰ بعض أصدقائي أسألهم إن كانوا في مسقط فردَّ عليَّ بعضهم والبعـض كان نائمًـا، ومَن ردَّ أخـبرني بأنه في البلد، وسـألوني عن حاجتي فلم أُفصِح لهم بشيء.

وسـبحان الله، في تلك اللحظات الحرجة مـن الآلام المُبرِحة والحال التي لا أُحسَـد عليها شـعرتُ بعظيم نعمة الله سـبحانه التي جعلتنيَ أقضي أكثر من أربعيـن عامًـا وأنا ألهو وألعـب وأجري وأركض وآكل وأنام ولكني لم أشـعر بوجودها ولا شكرته -سبحانه- عليها، وفي هذه اللحظات صارت القدرة علىٰ تحريـك الرجل أو الظهر أو خفض الألم فضـلًا عن زواله، صارت كلها أمانيَّ أسـتغيث به -جلَّ شأنه- أن يهبني ولو شيئًا يسـيرًا منها، فيا لَجحودنا وتنكُّرنا للخالق العظيم الذي إن أراد أن يُغيِّر شيئًا من أحوالنا فإنّ أمرَه كُنْ فيكون!

بقيتُ طَوالَ الليل وأنا أكاد أصرخ من شدة الوجع، ومن شدة الإعياء أردتُ النـوم ولكني لم أسـتطِع، وأردتُ تغييـر وضعيتي فتحاملتُ علىٰ نفسـي بقوة واسـتطعتُ الجلوس فأسـندتُ ظهري إلىٰ الجدار، وعندهـا نِمتُ قليلًا وكان الفجـر قد قـارب البزوغ، فـأردتُ الذهاب للوضوء واسـتطعتُ -بحمد الله- تحريك جسـدي قليلًا قليلًا إلىٰ أن نزلتُ من السـرير، ثم زحفتُ باتِّجاه دورة المياه إلىٰ أن دخلتُها فتوضأتُ، ثم خرجتُ بالطريقة نفسـها واتَّجهتُ مباشـرة

إلىٰ الباب لأفتحه فلعلِّي أستطيع التواصل مع أحد زملائي أو أصدقائي ليأتيني.

بعد أن عُدتُ إلىٰ السرير صلَّيتُ الفجر بالإيماء ثم أرسلتُ رسالة إلىٰ أحد زملائي في توسان، وهو الأخ مسعود بن سعيد بن سالم الكندي الذي يُقيم في الخوض، وطلبتُ منه أن يأتي إلىٰ غرفتي مباشرة، وفعلًا لم تمضِ إلا دقائق حتىٰ وصل عندي فشرحتُ له ما جرىٰ، وطلبتُ منه أن يأخذني إلىٰ مستشفىٰ الجامعة فأعانني علىٰ الخروج من الغرفة، وسبحان الله؛ بدأتُ أمشي ولكن مع وجود الآلام الشديدة وانحناء الظهر.

أوصلني إلىٰ طوارئ مستشفىٰ الجامعة فدخلتُ إليهم ماشيًا، وبعد أن عاينوا حالتي وعيَّنوا لي سريرًا جاءني الطبيب المناوب وبدأ يسألني عما جرىٰ وعن تاريخي الصحي، ثم أمر لي بفحوصات للدم والبول فذهبتُ إلىٰ دورة المياه بنفسي، وعندئذٍ رأيتُ أن وضعي قد تحسَّن فطلبتُ من الأخ مسعود أن يعود إلىٰ بيته وأخبرته بأني إن احتجتُ إلىٰ شيءٍ فسأتواصل معه.

كان الطبيب يعتقد أن عندي حصًىٰ في المثانة أو الكُلَىٰ ولكنه لم يجد ثمة مشكلة في الفحوصات والأشعة، فأخبرته بأني منذ فترة أُعاني آلامًا في الظهر فأخبرني باحتمال وجود غضروف واستدعىٰ لي طبيب عظام، ولما جاء ذلك الطبيب وشرحتُ له ما أجد طلب مني أن أعمل بعض الحركات برجليَّ ثم أمر لي بأشعة عادية للعمود الفقري وخرج.

عندما خرج طبيب العظام من عندي كنتُ مُستلقيًا علىٰ ظهري ورجلاي مَثْنِيَّتان، وفجأة أحسستُ بصعقٍ كهربائيٍّ شديدٍ في ظهري جعلني أشعر بآلام لم يمرَّ عليَّ مثلها في حياتي، فبدأتُ أصرخ بأعلىٰ صوتي وأستغيث ليأتيني ذلك الطبيب، فجاءتني مُمرِّضة فصرختُ فيها: «**نادي الطبيب.. نادي الطبيب!**»،

وما هي إلا لحظاتٌ حتىٰ جاء الطبيب ورآني أصرخ وأتلوَّىٰ من الألم، فسألني ماذا جرىٰ فلم أستطِع أن أُجيبه من شدة الوجع والصراخ، فقال بأنه سيأمر لي بحُقنة مهدِّئة.

بعد قليل جاءت مُمرِّضة، وأعطتني حُقنة مُهدِّئة فلم يتناقص الألم فبقيتُ أصرخ بشدة، فأمر لي الطبيب بحُقنة أقوىٰ منها ولكن الألم والصراخ تواصلا، فأمر لي بحُقنة ثالثة أظنُّهم لا يُعطونها إلا في الحالات النادرة، وعندها أحسستُ بالألم يتناقص، وبعد قليل جاء الطبيب ومعه الأشعة ورأيته يضع يده علىٰ رجليَّ ويمدُّهما، ولكني لم أشعر بلمس يده فشككتُ أني قد أُصِبتُ بالشَّلَل، فأخبرني بأنه يظهر في الأشعة وجود غضروف ولذلك سيُحوّلني إلىٰ مستشفىٰ خولة ليُجروا لي أشعة رنين مغناطيسي، وكان المستشفىٰ الوحيد في السلطنة الذي به ذلك الجهاز.

ب عملية إزالة الغضروف

أجرَوا اتصالاتهم بمستشفىٰ خولة وعند الظهيرة أخذوني إليه بسيارة الإسعاف، وفي الطريق أرسلتُ رسالة إلىٰ زوجتي أُخبرها بأن ظهري يُؤلمني وأني حُوّلتُ من مستشفىٰ الجامعة إلىٰ مستشفىٰ خولة بسيارة الإسعاف، وسبحان الله؛ بدأتْ حينها تأتيني الوساوس حول ما يمكن أن تؤول إليه حياتي بعد أن أُصِبتُ بالشَّلَل، ومَن سيعتني بي، ومَن سيُنفق عليَّ وعلىٰ زوجتي وأولادي، وحاولت أن أُقاوم تلك الوساوس، وأُذكِّر نفسي أن يكون إيماني بالله وحُسْن ظنِّي به قويًّا، فهو -سبحانه- بالتأكيد لن يُضيِّعني.

عندما أوصلوني إلىٰ طوارئ مستشفىٰ خولة اجتمع حولي الأطباء المناوبون يسألونني عمَّا جرىٰ، وكانوا يتعجَّبون كيف دخلتُ طوارئ مستشفىٰ الجامعة ذاك الصباح ماشيًا وبعد ساعات فقدتُ الإحساس للنصف السفلي من جسدي؟ استدعَوْا لي أطباء من قسم العظام فأعادوا عليَّ الأسئلة واختبارات الإحساس لرجليَّ وبقية جسدي ثم طلبوا تحويلي إلىٰ قسم العظام.

ما إن أنزلوني في سريري في قسم العظام حتىٰ عاودني ذلك الألم الشديد الذي وقع لي في طوارئ مستشفىٰ الجامعة، فبدأتُ أصرخ بصوتٍ عالٍ وأستغيث الأطباء أن يُعطوني تلك الحُقنة التي حقنوني بها في مستشفىٰ الجامعة، فأخذ منهم وقتًا ليعرفوا نوعية تلك الحُقنة، وكانت زوجتي قد أخبرتْ ابنة أخي التي تسكن بجوار مستشفىٰ خولة بما جرىٰ لي، فجاءت بسرعة مع زوجها، وصادف مجيئهم وأنا أصرخ وأستغيث، ولم أستطِع أن ألتفت إليهم أو أُكلمهم وإنما أخذوا هم يستغيثون بالأطباء ليُعطوني تلك الحُقنة.

بعد إعطائي الحُقنة بدأ الألم -بحمد الله- يهدأ، وما هي إلا دقائق حتىٰ زالت الآلام واستطعتُ الحديث مع ابنة أخي وزوجها، وقد حدث لي ذلك الألم للمرة الثالثة بعد العصر عند مجيء والدتي وأخي وأختي وزوجتي وابنتي وابني عبد الله لزيارتي، فأخذتُ أيضًا أصرخ وأستغيث ليُعطوني تلك الحُقنة.

قضيتُ تلك الليلة في قسم العظام، وبسبب قرب أَسِرَّة المرضىٰ ببعضها وحركة الزوار والمُمرِّضين والعمال كان القسم يعجُّ بالحركة والكلام طوال الليل؛ ما يجعل السهر والألم أشدَّ وَطْئًا علىٰ المريض، وكل ذلك جعلني في اليوم التالي أطلب من أهلي أن يذهبوا لإدارة المستشفىٰ للحصول علىٰ غرفة خاصة، وبعد عناءٍ وجُهْد حصلْنا علىٰ واحدة، وعلىٰ الرغم من أنها خاصة فإن الضجيج الخارجي والإزعاج بسبب حركة المُمرِّضين والعمال بقيا علىٰ حالهما.

عند منتصف ليلة الجمعة جاء دوري لأخذي لعمل أشعة رنين مغناطيسي تبيَّن منها وجود غضروف يضغط على النخاع؛ ما يعني أن المشكلة تتعلَّق بالأعصاب لا بالعظام، وهناك حُوّلتُ من قسم العظام إلى قسم الأعصاب، وبعد أن اطَّلع الأطباء في قسم الأعصاب على الأشعة أخبروني بضرورة إجراء عملية فورية لإزالة الغضروف لكي يعود الإحساس والحركة إلى الجزء السفلي من جسدي.

ولكون سمعة مستشفى خولة في عمليات الظهر آنذاك مُتدنِّية كثيرًا بين العمانيين لكثرة الأخطاء الطبية التي حصلت عندهم، أخذ بعض أهلي وأصدقائي الذين زاروني في ذلك اليوم والذي قبله يُثبِّطونني عن إجراء العملية فيه ويقترحون عليَّ السفر إلى الخارج، وكنتُ بين نارين؛ فإما أن أُجازف وأُجري العملية في مستشفى خولة ويُقدِّر الله ما شاء، وإما أن أسافر إلى الهند أو تايلاند لإجراء العملية، ولكن حالي لا يُمكِّنني من السفر، كما أنّ ترتيب تكاليف السفر والعملية يحتاج إلى وقت طويل.

كان الأطباء يأتون إليَّ بين حينٍ وآخر يريدونني التوقيع بسرعة على إجراء العملية، ولذا اتَّصلتُ بصاحبي الدكتور سلام الكندي لأستشيره في الأمر، فأخبرني بأن سمعة المستشفى بدأت تتحسَّن، وأنه قبل شهرٍ من ذلك اليوم أُجرِيتْ لوالدته عملية في الظهر في ذلك المستشفى وكانت -بحمد الله- ناجحة، وقال بأن تعجيل العملية أو تأجيلها يعني إمّا أن أخرج من المستشفى أمشي وإمّا أن أخرج على كُرسيٍّ مُتحرِّك، وعندها اطمأنَّ قلبي إلى إجراء العملية هناك.

في صباح اليوم التالي الذي وافق السبت أخبرتُ الأطباء بقراري وصرتُ أنتظر إجراء العملية على أحرَّ من الجمر، ولكن الأطباء صاروا يتلكَّؤون في

إجرائها ومضى ذلك اليوم ويوم الأحد وأنا أنتظر منهم ردًّا، وفي صباح يوم الاثنين وعندما كانوا على أُهبة أخذي إلى غرفة العمليات أخبروني بأن هناك عملية مستعجلة لطفل وسيأخذونه قبلي، ثم بعد فترة جاؤوا وقالوا بأنهم جاهزون للعملية ولكن يجري تعقيم غرفة العمليات.

في الواحدة ظهرًا أخذوني إلى غرفة العمليات وأفقتُ من التخدير بعد نحو أربع ساعات، وبدءًا من اليوم التالي بدؤوا يُجرون لي بعض التمارين البسيطة لإعادة الحركة إلى الرجلين والقدمين، ثم بعد فترة بدؤوا يأخذونني على كُرسيٍّ مُتحرِّك لعمل تمارين على بعض الأجهزة، وكانت لتلك التمارين أثرها في إعادة الحركة إلى بعض الأجزاء من رجليَّ وقدميَّ.

في طوال فترة بقائي في المستشفى كنتُ أنام معظم الوقت على ظهري، وكنتُ أحيانًا أحتاج إلى أن أنقلب إلى أحد جانبيَّ لتخفيف آلام الظهر ولكن لكثرة الزوار الذين كانوا يأتون للسلام عليَّ كنتُ -أحيانًا- أقضي ساعات طويلة وأنا نائم على ظهري؛ ما كان يُضاعف الألم كثيرًا، وكان بعض الزوَّار -هداني الله وإياهم- لا يُراعون مشاعر المريض وما يعانيه؛ فكان بعضهم يأتي لزيارتي بعد خروجهم من الدوام في الثانية ظهرًا، مع أني كنتُ أنتظر ذلك الوقت بفارغ الصبر لأرتاح قليلًا قبل أن يداهمني الزوار عند الرابعة.

وكان أشدُّ الأيام عليَّ يومَيْ الإجازة الأسبوعية (الخميس والجمعة)، إذ كانت الزيارة في مستشفى خولة فيهما تفتح من التاسعة صباحًا إلى السادسة مساءً، وكان بعض الزوار لا يتقيَّد حتى بتلك الأوقات؛ فهناك مَن يأتي قبل السابعة صباحًا، وهناك مَن يأتي بعد التاسعة ليلًا، ولا أدري لماذا يسمحون لهم بذلك!

بقيتُ في المستشـفىٰ أسـبوعين، ثم بعد ترخيصي أعطوني تحويلًا إلىٰ قسم العلاج الطبيعي بمستشـفىٰ نـزوىٰ القديم، وموعدًا لمراجعة مستشـفىٰ خولة بعد أسـبوعين لإزالة الخياطة، وخلال فترة بقائي في المستشفىٰ بدأ الإحساس -بحمـد الله- يعود تدريجيًّا وبـدأتِ الحركة تعود قليلًا إلـىٰ الرجلين وبعض أجزاء من القدمين، وكنتُ لا أسـتطيع الجلوس أو البقاء جالسًـا إلا بمساعدة آخرين، وبقيت القدم اليمنىٰ من دون حركة لا في القدم نفسها ولا في الأصابع، وأيضًا صار التنمُّل في كلتا الرجلين وخاصة القدمين شـيئًا مألوفًا، وصرتُ منذ ذلك الوقت وإلىٰ يومنا هذا أسـتخدم مُهدِّئات له، ولو نسيتُ أخذها لاشتدَّتْ حساسية الرجلين والقدمين وزاد التنمُّل.

ج التكيُّف مع الحياة الجديدة

بسبب تأخُّر إجراء العملية خرجتُ من المستشفىٰ علىٰ كُرسيٍّ مُتحرِّك كما توقَّع الدكتور سـلام الكندي، وصرتُ في البيت أتحرَّك فقط علىٰ كُرسـيٍّ، وما همـا إلا يومان بعـد ترخيصي حتىٰ انتفختْ رجلاي وقدمـاي، فظننتُ أن ثمة مشـكلة كبيـرة قد حصلت للعمليـة فأخذني أولادي مرة أخرىٰ إلىٰ مستشـفىٰ خولـة وجـرىٰ تنويمي فيه ثلاثة أيـام، وخلالها أجرَوا فحوصات وأشـعة ولم يتبيَّنوا أي مشـكلة، وفي الليلة الأخيـرة عندهم جاءني طبيب هندي وأخبرني أن الانتفاخ سببه عدم حركة الدم في الرجلين والقدمين بسبب ضعف الأعصاب، وأن كل مـا أحتـاج إليه هو رفعهمـا في أثناء النوم علىٰ وسـادة، وفعلًا أبقيتهما تلك الليلة ليس فقط علىٰ وسادة بل مرفوعتين علىٰ طاولة الأكل، وفي الصباح زال -بحمد الله- ذلك الانتفاخ وجرىٰ ترخيصي من المستشفىٰ.

عندما حدثت مشكلة الشلل ضمُرتْ جميع العضلات من الخاصرة إلىٰ القدمين، فصرتُ أجدُ صعوبة حتىٰ عند الجلوس لكوني أجلس فقط علىٰ الجلد والعظم بسبب ترهُّل العضلات، وكل ذلك جعل جلوسي علىٰ الكُرسيِّ أو عند التنقُّل بالسيارة مُؤلمًا كثيرًا، وبقيتُ معظم أيامي طريح الفراش، وفي فترة بقائي في المستشفىٰ بعد العملية وبعد ترخيصي منه كنتُ لا أقوىٰ علىٰ الجلوس بنفسي بل أحتاج إلىٰ مساعدة الآخرين، وأحيانًا إلىٰ إسنادي أو الإمساك بي من أجل مواصلة الجلوس.

حاول أهلي في البيت أن يُؤقلموا المكان لي، ونظرًا إلىٰ وجود سُلَّم إلىٰ مدخل البيت كان الأولاد في بداية الأمر يتعاونون علىٰ حمل الكُرسيِّ المُتحرِّك وأنا عليه بكامل ثقلي، وكان في ذلك مشقة عليهم لصغر سِنِّهم آنذاك، فرأىٰ أهلي ضرورة إقامة مَمرٍّ خشبيٍّ لصعود الكُرسيِّ المُتحرِّك إلىٰ البيت والنزول منه، فطلبنا من الأخ محمود بن علي بن محمد بن مسعود العدوي من القلعة الذي يعمل في النجارة أن يصنع ذلك لي فعمل مَمَرًّا دائريًّا مناسبًا.

كذلك، كنتُ بحاجة إلىٰ التمرُّن علىٰ الوقوف والحركة، وكان في مستشفىٰ خولة ممرٌّ به عمودان حديديَّان للإمساك بهما في أثناء المشي، فكانوا يرفعونني من الكُرسِّي ثم يطلبون مني أن أخطو خطوات وأنا أُمسك بيديَّ علىٰ ذَينِك العمودين، فاحتجتُ إلىٰ أن أُقيمَ ممرًّا شبيهًا به في البيت، وفعلًا أقمنا ذلك -بحمد الله وتيسيره-، وكان الأولاد يُنزلونني في الصباح الباكر هناك، وأبقىٰ أتحرَّك فيه فترة ثم يُعيدونني إلىٰ الكُرسيِّ المُتحرِّك ومنه إلىٰ الفراش، وطبعًا كنتُ أجدُ صعوبة بالغة في الوقوف والحركة بسبب ترهُّل العضلات.



التمرُّن علىٰ المشي في الممرِّ الحديدي الذي صنعه الأولاد لي في فناء المنزل

وقـد كان يُؤنـس المرءَ في تلك الظـروف الصعبة وقـوفُ الأهل والأقارب والأصدقـاء وعمـوم الناس من الولاية وخارجها معي؛ سـواءٌ أكان بالزيارة أم بالرسـائل المتواصلة التي يسألون فيها عن حالي، ويدعون الله لي فيها بالشفاء العاجـل، وكان البيـت لا يـكاد يخلو من الـزوار في الصباح والمسـاء، وكنتُ أحيانًا أجد عناءً ومشـقة بسـبب ذلك؛ ففي بعض الأوقات أكون مُنهكًا بسبب الجلـوس أو التماريـن أو أحسُّ بآلام وحُمَّىٰ من أثر العملية أو بسـبب تعاطي علاج التهـاب الكبد ورغم ذلك أضطرُّ -مراعاةً للعـادات- إلىٰ الجلوس مع الضيوف مجاملةً لهم.

وبعض الضيوف -هداهم الله- لا يراعون مشاعر المريض وما يحسُّ به من آلام، ولذا كانوا يبقون عندي فترات طويلة وأنا جالسٌ على الكُرسيِّ المُتحرِّك، وأذكر أن شخصًا زارني مرة بعد صلاة العشاء، وبقي عندي إلى العاشرة والنصف وأنا في حالة نفسية سيِّئة من طول الجلوس والأوجاع التي أشعر بها، وعندما أراد الخروج قال: «**أستأذن للانصراف عنك لأني لا أُريد أن أكون مثل غيري الذين لا يراعون مشاعر المريض، ويُطيلون السَّهَر عنده**»، فتعجَّبتُ مما قال ومن غفلته عن مراعاة مشاعر الآخرين، وإن بدا من كلامه أنه يفعل ذلك.

من عادات العمانيين أنه عندما تُجرى لشخصٍ عمليةٌ جراحية فإنهم يعملون له «**حَريمة**»، أي يُكثرون إطعامه اللحم والعسل، ويُكثرون استخدام الثوم والسَّمن العماني عند طبخ الدجاج واللحم، وكل ذلك من أجل تسريع عملية التشافي عنده، وأيضًا لتسريع بناء العضلات الضعيفة أو المُترهِّلة بسبب ما يحدث في العمليات الجراحية من شقٍّ لمكان العملية وقطعٍ لبعض العضلات.

من أجل ذلك ألحَّ العديد من أهلي وأصدقائي عليَّ لتناول «**حَلْواة الكَبْش**»، وهي طبخة عمانية مشهورة بدسامتها وقوة تأثيرها على الجسم، وتتكوَّن من لحم «**الكَبْش**» (أي الخروف) الذي يشترطون فيه أن يكون ذكرًا وعمانيًّا غير مستورد، ويطبخونه بعد تصفيته من جميع العظام والشحوم مع حليب البقر الصافي وما يقارب كيلوجرامين من السَّمْن العماني النقي ونحو خمسة كيلوجرامات من الثوم العماني الأصيل، ويبقى في النار ساعات إلى أن يُصبح سائلًا غليظ القوام، ثم يُضيفون إليه قنينة من العسل العماني الخالص سعة لتر ونصف، وقد اشتريتُ من أحد الإخوة الذين يُتقنون

صناعتها صحنًا بأربعين ريالًا، وفي فترة متأخرة اشتريتُ كذلك صحنين من «حَلْواة الثوم» التي يُستعاض فيها عن اللحم بكميات أكبر من الثوم العماني، وكان كل صحن بثلاثين ريالًا.

د معاناة الحصول على علاج طبيعي مناسب داخل عمان

بعد ترخيصي من مستشفىٰ خولة أعطوني تحويلًا إلىٰ قسم التأهيل والعلاج الطبيعي القريب من مستشفىٰ نزوىٰ القديم، فذهبتُ إليهم فخصَّصوا لي يومًا واحدًا فقط في الأسبوع، وكنتُ عندما أصل عندهم أبقىٰ أنتظر فترةً إلىٰ أن يأتي دوري، ثم عندما يأتيني المُدرِّب يطلب مني القيام بالتمارين التي علَّمني إياها من قبل ثم يتركني ويذهب إلىٰ غيري، ولذا لم أستفِد شيئًا يُذكَر من تلك الجلسات رغم ما كنتُ أعانيه في الذهاب والإياب خلال تنقُّلي بالسيارة، مع أني كنت أبقىٰ مُستلقيًا علىٰ ظهري، إذ لم أكن آنذاك أستطيع الجلوس إلا بصعوبة، وبسبب كل ذلك واصلتُ العلاج معهم بعضَ الأسابيع ثم تركتهم.

أُخبِرتُ أيضًا عن عيادة هندية في سوق نزوىٰ يُجرون التدليكَ باستخدام زيوت خاصة، فذهبتُ إليهم واتَّفقتُ معهم علىٰ سبعَ عشْرةَ جلسة بقيمة ٣٠٠ ريالٍ، ولم يكونوا يُجرون لي تمارين غير تدليك الرجلين والظهر، وكانوا يصبُّون علىٰ جسدي زيوتًا خاصة مَغلية وكثيفة القوام، حتىٰ إن ملابسي الداخلية والمناشف التي كنتُ أستخدمها قد تحوَّل لونها من تلك الزيوت إلىٰ الأصفر، وكانت لا تزول منها ولا من الجسم بسهولة، فأكملتُ عندهم جميع الجلسات ولكني لم أجد فائدة تُذكَر من وراء ذلك.

كذلك، أخذني أولادي إلىٰ الصالة الرياضية في فندق سفاري في فرق فوجدناها غير مناسبة لحالتي، وذهبنا إلىٰ المستشفىٰ السلطاني فأخبرونا أن لديهم مُدرِّبتين فقط مُتخصِّصتين لمثل حالتي، وإحداهن في إجازة والأخرىٰ عليها ضغطٌ كبيرٌ، وقالوا بأنهم لا يستقبلون المرضىٰ دون تحويل، فذهبنا إلىٰ مركز بوشر الصحي المقابل للمستشفىٰ السلطاني، فوجدتُ المُدرِّب الهندي الذي كان يُقدِّم لي العلاج الطبيعي في مستشفىٰ خولة، فأخبرني أن المركز مُهتمٌّ فقط بالعظام وأن عليَّ متابعة العلاج في عيادة الأعصاب في خولة، فلما ذهبتُ إلىٰ مستشفىٰ خولة أعطوني فقط بعض التمارين البسيطة، ورتَّب لي أحد الإخوة جلسة في مستشفىٰ جامعة السلطان قابوس ولكني أيضًا لم أستفِد منها شيئًا.

كانت عضلات الجزء السفلي من جسدي آنذاك لا تزال ضعيفة ولذلك كان التنقُّل بالسيارة بين البلد ومسقط يُتعبني، ومع ذلك لم أستطِع البقاء في مسقط لعدم وجود مكان أسكن فيه غير الفنادق المرتفعة السعر؛ فالغرفة التي كنتُ أُقيم فيها في الخوض قد سلَّمتها لصاحبها بعد حدوث مشكلة الظهر، وقد بحثنا عن غرفة أو ملحق في أحد البيوت فوجدنا غرفة صغيرة بدورة مياه وستائر وفرشة وقيمتها ١٤٠ ريالًا ولكنها كانت لا تزال مُؤجَّرة، وأُخبِرنا عن غرفة أخرىٰ مُؤثَّثة بـ١٠٠ ريال ولكن وجدناها قد أُجِّرت قبل شهرين.

هـ مواصلة العلاج الطبيعي في الخارج

بقيتُ في البيت بعد العملية قرابة شهرين، ومعظم أوقاتي كنتُ أبقىٰ مُستلقيًا علىٰ السرير أو جالسًا علىٰ الكُرسيِّ، ورأيتُ أن وضعي ذاك لن

ينفعني في عودة الحركة إلىٰ الجسد، وأن العلاج الطبيعي المُتوفِّر في عمان كما بيَّنتُ لا يكفي، وإنما أنا بحاجة إلىٰ علاجٍ مُكثَّف، ومن هنا جاء القرار -بعد بحثٍ وسؤال- بالذهاب إلىٰ تايلاند، كما بيَّنتُ تفاصيل ذلك في رحلتي الأولىٰ إلىٰ تايلاند.

وبعد أن عُدتُ من هناك بعد شهرين ونصف كنتُ -بحمد الله وفضله- قد بدأتُ الوقوف علىٰ رجليَّ والمشي بالعُكَّازات، وواصلتُ العلاج الطبيعي في البيت وبعض العيادات فتحسَّن حالي قليلًا، وعندها حسبتُ نفسي قادرًا علىٰ العودة إلىٰ الوظيفة لتغطية مصاريف العلاج المُتزايدة، فقرَّرتُ الالتحاق بجامعة نزوىٰ، وبعد أن بدأتُ العمل معهم أسبوعين شاء الله أن يحدث لي ما أقعدني في الفراش مرة أخرىٰ، وعندها قرَّرتُ الذهاب إلىٰ تايلاند للمرة الثانية كما بيَّنتُ في رحلة العلاج الثانية إلىٰ تايلاند، وقضيتُ هناك مدة شهرين ونصف أخرىٰ عُدتُ بعدها -بحمد الله وتوفيقه وتيسيره- وأنا أمشي دون عُكَّازات، فعاودتُ العمل في جامعة نزوىٰ.

٢ عملية العمود الفقري الثانية

في فترة عملي في جامعة نزوىٰ أُسنِدَتْ إليّ -إضافةً إلىٰ مهمة التدريس- رئاسة شعبة الحاسوب، فتضاعفتْ عليَّ الأعمال الإدارية والأكاديمية وخاصة أننا كنا نراجع الخطط الدراسية ونعيد صياغتها، وكل ذلك جعلني أقضي معظم فترة النهار في العمل، ولا أجد وقتًا للعلاج الطبيعي ولا حتىٰ للمشي، ولذلك بدأتْ عضلات الظهر والرجلين تضعف مرة أخرىٰ؛ ما أدَّىٰ إلىٰ عودة الآلام وزيادة التنمُّل في الرجلين والقدمين.

أ إجراء العملية في تايلاند

ما زاد الطين بلَّة وجود غضروف ثانٍ في الظهر أثَّر فيّ كثيرًا، فصرتُ أراجع مستشفىٰ خولة ومستشفىٰ مسقط الخاص بزيارات مُتكرِّرة، وكان في مستشفىٰ مسقط استشاري فرنسي للعمود الفقري هو الدكتور هنري جراف، وكان يعمل في مستشفىٰ مسقط ومستشفىٰ خولة والمستشفىٰ العسكري، وبعد أن تحقق من خلال أشعة الرنين المغناطيسي من وجود الغضروف وضرورة إجراء عملية لاستئصاله، أعطاني تقديرًا بتكاليف العملية وهي ٤٠٠٠ ريالٍ، فتواصلتُ مع مستشفىٰ ويشتاني في تايلاند الذي كنتُ أذهب للعلاج الطبيعي فيه فمالَ قلبي إلىٰ إجرائها هناك، وفعلًا ذهبتُ إليهم في يونيو ٢٠١٠م وبقيتُ هناك نحو أسبوعين، وقد فصَّلتُ ما جرىٰ هناك في رحلتي الثالثة إلىٰ تايلاند.

ب المعاناة بعد العملية

كان ذهابي إلىٰ تايلاند في فترة إجازتي السنوية، وعلىٰ الرغم من أن العملية قد شملت أربع فقرات من الظهر وكان من المفترض أن أقوم بعلاج طبيعي مُكثَّف بعدها -كما أخبرني بذلك أحد الأطباء لاحقًا- فقد عُدتُ إلىٰ العمل في جامعة نزوىٰ فورًا بعد انتهاء إجازتي، وصرتُ أقضي الساعات الطوال هناك؛ ما جعل الأوجاع تتزايد عندي حتىٰ صرتُ لا أستطيع الجلوس أو القيام أو النوم، وزاد الأمر سوءًا أني كنتُ حينها آخذ حُقَن الإنترفيرون لعلاج التهاب الكبد، وكانت معروفة -كما ذكرتُ- بتسبُّبها في زيادة الأوجاع والحُمَّىٰ والتنمُّل وغيرها من الأعراض.

ومع استمرار تلك الأوجاع والأعراض بدأتُ أشكُّ في فشل العملية الثانية، أو حـدوث خلـل في البلاتين الذي ثُبـتَ في الفقرات، فحاولـتُ إقناع الدكتور هنري جراف في مستشـفىٰ مسـقط بإجراء عملية ثالثة لـي ولكنه أكَّد لي نجاح العمليـة السـابقة، وأنه ليس هناك ما يسـتطيع فعله إلا ربمـا تغيير نوع البلاتين المسـتخدَم إلىٰ نوع أكثر مرونة، وأخبرني أن مثل تلك العمليات غير مضمون نجاحها ولا أنها ستُزيل ما أعانيه من أوجاع.

وبسـبب تزايـد تلك الأوجاع ورغبتـي في إجراء عملية ثالثة رأيـتُ أنه من غير المنطقي مواصلة العمل في جامعة نزوىٰ لاحتمال تغيُّبي عن العمل أشهرًا، فقدَّمتُ في أبريل ٢٠١١م اسـتقالتي لإدارة الجامعة فرفضوها في البداية، ولكني ألحَحْتُ عليهم بذلك، وبدأتُ أُجهِّز نفسي لما سيؤول إليه حالي بعد العملية الثالثة.

ج التخطيط للعملية الثالثة

ألححـتُ علـىٰ الدكتور هنري جـراف بضرورة إجراء العمليـة فقال بأنه لا يسـتطيع ضمـان نجاحهـا، وكنتُ قد وصلـتُ إلىٰ مرحلة من اليأس من شـدة الأوجـاع التي أعانيها فقلتُ له: «**لا أريـد أيَّ ضمان، فقط أجرِ العملية وليُقدِّر الله مـا يشـاء، فربما يتغيَّـر الحال عمَّـا أُعانيـه**»، وعندما رأىٰ إصـراري عليها سـألني إن كان لديّ تأمين صحي لإجراء العملية في مستشـفىٰ مسقط، وعندما أخبرتـه بالنفـي قال: «**لماذا لا تُجريها في مستشـفىٰ خولـة، فأنت عماني ويحقُّ لك إجراءها في مستشفىً حكومي؟**»، فقلتُ له: «**ولكن مستشفىٰ خولة لا يقبل المرضىٰ دون تحويل**»، فقال: «**تعال إلىٰ عيادتي في خولة وسـنرىٰ ما يمكن أن نفعله**»، ثم كتب ملاحظة علىٰ ظهر ظرف الأشعة، ووقَّع عليها وختمها.

في يوم الموعد قابلتُ الدكتور جراف فأدخلني إلىٰ مكتب طبيب عراقي وشرح له حالتي وأراه الأشعة وتناقش معه خطته لتصحيح العملية السابقة، وطلب منه البدء بإجراءات العملية وذلك بعمل الأشعة المقطعية، فطلب مني الطبيب العراقي الذهاب معه إلىٰ الإخوة في الاستقبال لفتح ملف لي، فطلب المُوظَّف منه أن يتَّصل بمسؤول السِّجِلات الطِّبية لفتح الملف.

طلب مني الدكتور العراقي الانتظار ثم عاد بعد قرابة ساعة ليخبرني بأنه لم يستطِع التحدُّث إلىٰ مسؤول السِّجِلات الطِّبية وطلب مني الذهاب إليه بنفسي، وكان المسؤول في الطابق الثاني فصعدتُ السُّلَّم إلىٰ مكتبه بصعوبة، ولما شرحتُ له موضوعي غضب، وقال: «**قبل أن يفتحوا ملفات لآخرين -ويقصد بذلك الدكتور جراف- عليهم أن ينتهوا من المرضىٰ الذين لديهم مواعيد عندهم**»، فقلت له: «**وماذا ذنبي أنا؟ أنا أخذتُ جميع الفحوصات والأشعة المطلوبة في مستشفىٰ مسقط وصرتُ أتردَّد إلىٰ الأطباء هناك منذ أشهر علىٰ نفقتي الخاصة، ولولا اضطراري إلىٰ العملية لما جئتُ إليكم**»، فقال: «**ليس ذنبك أنت، وإني سأتَّصل بهم بنفسي**»، وطلب مني الرجوع إلىٰ العيادة.

لم يُعجبني ذلك التصرُّف منه؛ فأنا أولًا مواطن يحقُّ لي من العناية والعلاج ما يحقُّ لبقية المرضىٰ الذين يأتون إليهم، وأنا لم آتِ إليهم إلا بعد تفاقم وضعي الصحي وإيعازٍ من أحد الاختصاصيين المعروفين لديهم، ثم إني وفَّرت عليهم المبالغ الكثيرة للفحوصات والأشعة ومراجعات الأطباء، وإذا كان يتخوَّف من تحايل الناس للحصول علىٰ مواعيد في مستشفىٰ خولة من خلال عيادات خاصة وأطباء غير معروفين، فأنا جئتهم من واحد من أشهر المستشفيات الخاصة والموثوق بها في السلطنة، فالله المستعان علىٰ تلك التصرُّفات.

أخبرتُ الدكتور العراقي بما جرىٰ، فقال بأنه سيحاول الاتِّصال بمسؤول السِّجِلات الطِّبية بنفسه، وبعد محاولات أخبرني بأن هاتفه مشغول وكأنه في اجتماع، فعدتُ مرة أخرىٰ إلىٰ مسؤول السِّجِلات وأخبرته بأن الدكتور يحاول الاتِّصال علىٰ رقمه، فقال: «**لقد أخبرتك بأن تبقىٰ في مكتب الاستقبال بعيادة العظام**»، فقلتُ له: «**أنت ترىٰ حالتي؛ فأنا لا أستطيع المشي أو الوقوف إلا بصعوبة**»، فكأنه رقَّ لحالي، وأعطاني رقمًا آخر للدكتور ليتَّصل به من خلاله.

أعطيتُ الرقم للدكتور العراقي فاتَّصل به وكلَّمه، وكنتُ أتوقَّع أن يحدث نزاعٌ بينهما في الهاتف ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث، وإنما كل ما أخبره به الدكتور أنهم اطَّلعوا علىٰ حالتي وأنه لا بُدَّ من إجراء عملية لي، وفي خلال ثوانٍ فُتح الملف، ولا أدري لِمَ كان كل ذلك الغرور والتأخير من مسؤول السِّجِلات!

طلب مني الدكتور العراقي أن أذهب عند الإخوة في الاستقبال في العيادة ليحجزوا لي موعدًا في غضون خمسة أسابيع، فردُّوا عليَّ بأنه لا توجد مواعيد في أقل من ثلاثة أشهر، وأن علىٰ الدكتور الاتِّصال بمسؤول السِّجِلات للحصول علىٰ موعد أقرب، فعدتُ إلىٰ الدكتور وأخبرته بذلك فطلب مني الانتظار، وبعد قليل جاءني وطلب مني تسلّم ورقة الموعد وأيضًا الذهاب إلىٰ قسم الأشعة لحجز موعدٍ للأشعة المقطعية، وعندما نظرتُ إلىٰ ورقة الموعد وجدتُه بعد أربعة أشهر، فذهبتُ إلىٰ قسم الأشعة وحجزتُ موعدًا للأشعة المقطعية للأسبوع التالي.



في يوم إجراء الأشعة المقطعية في مستشفىٰ خولة

في تلك الأثناء أُخبِرتُ بوجود مدينة حمد الطِّبية في قطر، وأنهم يُعالِجون الخليجيين مجانًا، فأجريتُ الأشعة المقطعية في مستشفىٰ خولة لأخذها معي، وقد شرحتُ ذلك في رحلتَيَّ إلىٰ قطر اللتين كانت الأولىٰ منهما في يوليو ٢٠١١م والثانية في سبتمبر ٢٠١١م، فقابلتُ في الثانية اختصاصيّ العمود الفقري الذي تفحَّص الأشعة المقطعية وأخبرني بأن العملية التي أجريتُها في تايلاند ناجحة، وأن سبب الأوجاع التي أعانيها ضعف عضلات الظهر، وأني بحاجة إلىٰ علاجٍ طبيعيٍّ مُكثَّف، واقترح أيضًا أن أبدأ برنامجًا للمشي، وكنتُ قد توقَّفتُ عنه خشية أن يكون السبب في الأوجاع التي أُعانيها.

د مواصلة العلاج الطبيعي في عمان

بعد عودتي من قطر بدأتُ المشي مسافاتٍ طويلةً بالتدريج؛ فكنتُ أخرج من المسجد بعد الفجر وأجوب شوارع الولاية، وأحيانًا كنتُ أستغرق قرابة ساعتين ونصف في كل رحلة ثم أعود إلىٰ البيت وأنا في غاية الإنهاك، ولكني -بحمد الله- أحسستُ بتحسُّنٍ كبيرٍ في حالتي، فبدأتِ الأوجاع تخفُّ تدريجيًّا وبدأتْ عضلات رجليَّ وظهري تتقوَّىٰ.

لكن القدم اليمنىٰ لم تعُد إلىٰ حالتها منذ أن حصلتْ لي مشكلة الظهر في ٢٠٠٨م وإلىٰ يومنا هذا؛ فكانت تبقىٰ مُتدليّة في أثناء المشي وخاصة مع ثقل النِّعال، وكثيرًا ما أسقط علىٰ وجهي بسبب ذلك، وقد حصل لي ذلك في جامعة نزوىٰ مرات عدة، ومرة سقطتُ في طريق المركاض علىٰ ركبتي؛ ما أدَّىٰ إلىٰ تمزُّق إزاري وخروج الدم من ركبتي اليسرىٰ، وسبَّب لي ذلك جُرْحًا غائرًا فترة طويلة.

وإضافة إلىٰ المشي رأيتُ أنه من الضروري البحث عن أماكن أستطيع فيها مواصلة العلاج الطبيعي، فأُخبِرتُ عن عيادة تقويم العظام والمفاصل عند جامع سعيد بن تيمور في الخوير فكنتُ أذهب إليهم كل أسبوع، وكانت تكلفة كل جلسة ٢٥ ريالًا، ولكني لم أواصل معهم إلا ستَّ جلسات لأني وجدتُ أني لا أبقىٰ معهم إلا نحو نصف ساعة وهي لا تكفي لتقوية العضلات، علىٰ الرغم من أني كنتُ أذهب إليهم من البلد وأعود في اليوم نفسه .

كذلك، كنتُ أذهب إلىٰ قسم العلاج الطبيعي في مستشفىٰ جامعة السلطان قابوس، وكانوا يُجرون لي فقط بعض التمارين الخفيفة، ولذلك لم أُواصل

معهم، وذهبتُ إلىٰ مستشفىٰ نزوىٰ الجديد فوجدتُ غرفة العلاج الطبيعي عندهم صغيرة وإمكاناتها محدودة، وكذلك الحال كان في مستشفىٰ مسقط.

هـ العودة إلى العلاج في الخارج

بعد مرور خمسة أعوام منذ حدوث مشكلة العمود الفقري والشلل الكامل، بقيتْ عندي مشكلة فقدان الحركة في القدم اليمنىٰ، فقرَّرتُ الذهاب إلىٰ عيادة صينية في ماليزيا تعالج الأعصاب بالإبر الصينية مع التنشيط بالكهرباء، وكنتُ أيضًا أذهب إلىٰ مركز رياضي للعلاج الطبيعي، فقضيتُ هناك ثلاثة أشهر وقد فصَّلتُ ذلك في رحلتي الأولىٰ إلىٰ ماليزيا.

وبعد رحلة ماليزيا أردتُ تقوية بقية رجليَّ وظهري فتوجَّهتُ إلىٰ تايلاند للمرة الرابعة، وقضيتُ هناك شهرًا كاملًا كما بيَّنتُ في رحلتي الرابعة إلىٰ تايلاند، وبعد تلك الرحلة بأربع سنوات ذهبتُ إلىٰ تايلاند للمرة الخامسة للعلاج الطبيعي وتقوية الظهر والرجلين، وقد بيَّنتُ تفاصيل ذلك في رحلتي الخامسة إلىٰ تايلاند، وبعد تلك الرحلة اكتفيتُ بمواصلة المشي يوميًّا قَدْر المستطاع.



مواقف لا تُنسى

في ثنايا الكتاب ذكرتُ العديد من المواقف التي بقيتْ مشاهدها محفورة في ذاكرتي إلىٰ يومي هذا، وبعضها كان له أثرٌ كبيرٌ في حياتي إيجابًا أو سلبًا، ولكنها رغـم ذلك كانت مواقف محدودة التأثير مقارنة ببعض المواقف الأخرىٰ التي كان لهـا صدًىٰ كبيرٌ ووقـعٌ عظيمٌ في حياتي، ولذلك أحببـتُ أن أُفرِد لها فصلًا خاصًّـا يُميِّزها عـن المواقف الأخـرىٰ، وهـذه المواقف مُتنوِّعـة في طبيعتها، مُتفاوتـة في مدىٰ تأثيرها، وللقارئ أن ينظر إلىٰ كلٍّ منها بما يتوافق مع أحكامه وتقديراته.

مواقف طريفة

الحياة -كما يُقال- مدٌّ وجَزْرٌ، وكما يتعرَّض الواحد لمواقف تُفقده -أحيانًا- صوابه، هناك مواقف يسوقها المولىٰ -سبحانه- لتُنفِّس عنه كُرَب الحياة وغُصَصها، وتبقىٰ تلك المشاهد عالقة في الذاكرة كلما تذكَّرها ابتسم ونسي أو تناسىٰ همومه وأتعابه، وفي هذا الفصل أذكر بعض تلك المواقف التي ما زال عَبَقُها يُلطِّف الأجواء كلما تذكَّرتها أو قصصتها علىٰ أحد.

١ عمل الشاي للأساتذة

عندما كنتُ في الصف الثاني الابتدائي سألني مرة أحد المُعلِّمين المصريين عن مزرعتنا وماذا يوجد بها، فأخبرته بأن بها خضراوات، فقال لي: «**إذا أتينا لزيارتك فماذا ستسقينا؟**» فقلتُ له: «**حليبًا**»، وكنتُ أقصد لبن البقرة، فقال لي ممازحًا: «**وفي أيِّ شيء ستُقدِّمه لنا؟ في خُفٍّ؟!**» ولم أكن أدري ما معنىٰ خُفّ، فقلتُ له: «**نعم**»، فرأيتُهم يضحكون، فأدركتُ أن الخُفَّ شيءٌ مضحك، فقلتُ له بسرعة محاولًا إظهار فصاحتي: «**بل في وعاء**»، وكانت كلمة وعاء غريبة عليَّ وعلىٰ المجتمع، فلم نكن نستخدمها ولكني حفظتها من المدرسة.

عندما جاؤوا لزيارتي جلسوا بالقرب من بئر «**الخطايط**» التي في جنوب بيتنا الحالي، وأُحرِجتُ ألّا أُقدِّم لهم شيئًا، ولذا بعد أن صافحتهم طلبتُ منهم أن ينتظروني لأذهب إلىٰ المنزل فأصنع لهم الشاي، فذهبتُ إلىٰ بيتنا في «**خبَّة الكارجة**» المبنيِّ من الطين، ولم أجد أحدًا من أهلي هناك ليعمل لي الشاي،

وكان في البيت مَوقِد بجانب السُّلَّم المُؤدِّي إلىٰ سطح المنزل، ولم تكن مواقد الغاز المعروفة في أيامنا هذه موجودة في ذلك الزمان، وإنما كنا نستخدم «القْلاليم» (أي سعف النخيل اليابسة) لإشعال النار.

أخذتُ بعض «القلاليم» وأشعلتُ فيها النار، ووضعتُ علىٰ النار إناءً كبيرًا يتَّسع لما يقرب من عشرة لترات من الماء، وملأته بالماء إلىٰ النصف، ورميتُ فيه بعض حَبَّات الشاي، ولا أدري إن كنتُ قد أضفتُ إليه سُكَّرًا أم لا، وبقيتُ أنتظر غليان الشاي فترة طويلة، وخفتُ أن أتأخَّر علىٰ الأساتذة، فملأتُ به إبريقًا وأخذتُه إليهم وأخذتُ معي كوبَيْن زجاجيَّيْن كبيرين، ولما وصلتُ عندهم وصببتُ الشاي ظهر الماء وقد بدا عليه شيءٌ من الاصفرار، وأما حبَّاتُ الشاي فكانت لا تزال علىٰ حالها نظرًا إلىٰ أن الماء لم يغلِ، ولما رأوْا ذلك ضحكوا، وقالوا: «ما هذا الشاي؟» فشكروني عليه ولكنهم لم يشربوا منه شيئًا.

٢ حُلْم CTRL-C

عندما ذهبتُ إلىٰ أمريكا لدراسة البكالوريوس رأيتُ أنه لن يُلبِّي طموحاتي إلا التعمُّق في علوم الحاسوب والإبحار في عالم البرمجة، فكنتُ شغوفًا بذلك وأُصِبتُ بالهَوَس من فَرْط حُبِّي لهما، حتىٰ إنني في يوم من الأيام رأيتُ في المنام شخصًا يُطارد آخر ويُحاول اللَّحاق به ولكنه لا يستطيع، فناديتُه أن يضغط CTRL-C، وكان هذا هو الزِّر المُستَخدَم لإيقاف برامج الحاسوب، ومن كثرة تفكيري في الحاسوب والبرمجة حسبتُ أن إيقاف الناس يكون أيضًا بالضغط علىٰ ذلك الزِّر، وفجأة استيقظتُ من النوم وتذكَّرتُ ذلك الحُلم فبقيتُ أضحك.

٣ حلاقة شعر رأسي

من المواقف الطريفة التي حصلتْ لي في عامي الأول في أمريكا أنه بسبب ضعف لغتي وعدم معرفتي بالمحالِّ والأماكن التي حولنا بقيتُ أشهُرًا عديدةً لم أحلق شعر رأسي، وطال حتىٰ صار مَن يراني يحسبني أني من الهِبِّيز، ثم أخبرني أحد الإخوة بوجود محلٍّ للحلاقة قريب من الجامعة، فذهبتُ إليه فبادرني بسؤاله: «هل عندك موعد؟» فتعجَّبتُ من السؤال لأننا ما كنا تعوَّدنا في عمان مواعيد لمحالِّ الحلاقة، فلم أجد بُدًّا إلا حجز موعد عنده، وعندما ذهبتُ إليه في الموعد أسند رأسي إلىٰ مغسلة خلف كُرسيِّ الحلاقة ثم بدأ يغسل شعري بالشامبو وكل ذلك بالنسبة إليّ كان مُستغربًا.

بدأ يحلق الشعر الطويل والكثيف، وكانت لحيتي قد بدأتْ تنبتُ من الخدَّين فما شعرتُ إلا وآلة الحلاقة تحلقها من أحدهما، وبسرعة أزحتُ رأسي عنه، وقلتُ له: «لا تحلق اللحية!»، فلما توقَّف رأيتُه قد أتىٰ علىٰ معظم الشعر في ذلك الخدِّ، فقال بأنه لا يصلح أن يترك الخدَّ الآخر دون حلق لأن وجهي سيبدو مُشوَّهًا، وطبعًا حلق اللِّحية بأكملها، وكانت تلك -بفضل الله وحفظه- المرة الوحيدة التي حلقتُ فيها لحيتي.

ما إن فرغ حتىٰ سألته عن أجرته، فقال بأنها ٢٦ دولارًا (أي قرابة تسعة ريالات)، فتعجَّبتُ من غلاء الحلاقة عندهم لأننا كنا في عمان نحلق فيما أظن بمئتي بيسة فقط، أي نحو نصف دولار، فأعطيته أجرته وزدتُ عليها فيما أظنُّ دولارين إكرامية له؛ حسب العُرْف المُتَّبع عندهم.

٤ طلبية البيتزا

من الطرائف أيضًا ما وقع لي في شـقتنا في السـنة الأولىٰ في أمريكا؛ وهو أن زملائـي في البناية اجتمعوا مرة في شـقتنا وطلبوا بيتزا دون أن أعلم، وسـمعتُ طرقًا في الباب فذهبتُ لأفتحه، فوجدتُ شخصًا يحمل بيتزا فقال: «**أنتم طلبتم بيتزا**»، فقلت له: «**لا**»، فأخبرني برقم الهاتف الذي وصل إليهم اتِّصالٌ منه فإذا به رقم هاتفنا في الشقة، فاستحييتُ أن أردَّه وسألته عن قيمتها ودفعتها له، وكانت العادة أن يُعطىٰ الشـخص الذي يُحضِر هذه الطلبيـات إكرامية، فأخرجتُ من جيبـي ورقـة نقدية علىٰ عدّ أنها دولار ودفعتها لـه دون أن أنظر إليها لأني كنتُ بداخلي أغلي غيظًا مما فعله زملائي، فأخذتُ البيتزا إليهم، ولما رأوني غاضبًا صاروا يضحكون مني.

ما هي إلا لحظات حتىٰ طُرِق الباب مرة أخرىٰ، فلما فتحتُه وجدتُ الشخص نفسـه الـذي أحضر البيتـزا، ومدَّ لي بالورقـة النقدية التي أعطيتُهـا إكرامية له، وقـال: «**أظـن أن هذا لك**»، فقلتُ له وبدون أن أنظر إليها: «**بل هي لك**»، وبعد أن أكلنا البيتزا وتذكَّرتُ ما قاله الشخص لي، أدخلتُ يدي في جيبي، فوجدتُ أن الإكرامية التي دفعتُها له كانت عشـرين دولارًا وليس دولارًا واحدًا، فازداد غمِّي مما فعله أصحابي بي.

٥ سحب «جونية» الأرز في المطار

مـن المواقـف الطريفـة كذلـك أنـه عندما ذهبـتُ لدراسـة الماجسـتير في مدينـة ملبـورن بولاية فلوريدا أول مرة في عـام ١٩٩٣م وأخذتُ معي زوجتي

وأولادي، قال لي أحد الإخوة العمانيين قبل مغادرتي بأن عليَّ أن أصطحب معي أرزًا لعدم توافره عندهم، فأخذتُ معي جونية[١] أرز كاملة وزنها ٤٥ كيلوجرامًا، ووضعتها داخل كرتون لكي لا يراها أحد في المطارات فيسخرون من حملي إياها، وشاء الله أن تكون في تلك الفترة في المطارات التي نزلنا فيها أمطار غزيرة، ولذا فعندما تسلّمتُ الكرتون في مطار أورلاندو رأيتُه قد لان وتمزَّق وبقيتِ الجونية، فصرتُ أسحبها في المطار بصعوبة والناس تنظر إليَّ باستغراب، وعندما وصلنا إلىٰ ملبورن وجدنا المحالَّ العربية وحتىٰ الأمريكية تبيع الأرز البسمتي والأمريكي بأسعار مناسبة.

٦ «قوطي» التمر والعُوال

في بعض السفرات إلىٰ أمريكا كنا نصطحب معنا التمر، وكان الأمريكان في المطارات لا يعرفونه وإنما يسألوننا عنه ويخافون أن يكون نوعًا من المُخدِّرات، فذات مرة أخذتُ معي تمرًا في قوطي نيدو[٢] ولما فتحه الشرطي ورآه أسود اللون شكَّ أن يكون شيئًا آخر، وكان هناك مُوظَّف صينيٌّ يجلس بعيدًا وربما يعرف التمر فأمال الشرطي القوطي نحوه، فما إن رآه الصينيُّ حتىٰ هزَّ رأسه أنه تمر.

وكان بعض الإخوة العمانيين يأخذون معهم العُوال[٣] والشواء العماني

(١) الجونية: وعاء عميق مصنوع من ألياف ثمار النارجيل، ويُستخدم لتخزين الحبوب والتمور وغيرها.

(٢) القوطي: علبة معدنية لتخزين المُعلَّبات والحليب المجُفَّف وغير ذلك، و«قوطي النيدو» علبة حليب مُجفَّف تُنتجه شركة Nestle العالمية.

(٣) العُوال: السمك المجفف.

وكانت رائحتهما نفَّاذة جدًّا، فكان الشـرطة في المطارات يحضرون -أحيانًا- الكلاب للتفتيش، وكانت الكلاب عندما تشمُّ رائحة العُوال تبقىٰ مُلصقة أنفها بتلـك الحقائـب وهي تنبـح، فيُجبِر الشـرطة أصحابها علىٰ فتحهـا لمعرفة ما هناك، ولكنهم عندما يرون أنه سمك مُجفَّف يتركونهم.

٧ أُضحية العيد

في أيام دراسـة الماجستير خرجنا ذات يوم نبحث عن مكان تُباع فيه خرفان أو عجـول لنذبحها لأُضحية العيد، فمررنا علىٰ مزرعة لأحد الأمريكان ورأينا عنده عجولًا صغيرة فأردنا شـراء واحدٍ منها، فتناقشـنا معه حول سعر العجل الواحـد وكان فيما أظن بقيمة ١٤٥ دولارًا (أي نحو ٥٠ ريالًا)، ثم سـألناه إن كان يوجد عنده مكان لذبحه، فسـألنا مـاذا نقصد بالذبح، فأخبرناه بأننا نذبحه من رقبته بالسكين ونتركه إلىٰ أن يخرج كل الدم الذي فيه ويموت.

ما إن سـمعنا نقول ذلك حتىٰ ثار علينا، وأخذ يصرخ علينا: «يا مجرمون.. يـا سـفَّاحون.. تريدون أن تقتلوا هذا الحيوان؟!» فقلنا لـه: «**إذًا فكيف تقتلونه أنتم؟!**» فقال: «نطلق عليه الرصاص في الرأس وعندما يموت نذبحه، وأما أنتم فتُعذِّبـون الحيوانـات»، ثم هدَّدَنا إن لم نخرج من مزرعته في الحال فسـيُخرج مُسدَّسه ويُطلق الرصاص علينا، فهربنا قبل أن يفعل بنا شيئًا لا تُحمَد عقباه.

٨ حفل تخرُّج الدفعة الأولى لجامعة السلطان قابوس

في مسـاء يـوم الثلاثاء ٩ مـن ربيع الثاني لعـام ١٤١١هـ الموافـق له ٢٩ من أكتوبر لعام ١٩٩٠م كان حفل تخرُّج الدفعة الأولىٰ لجامعة السـلطان قابوس

الذي رعاه السلطان قابوس بنفسه، ولكوني أنا والأخ خلفان بن زهران الحِجِّي من ولاية منح مُلتَحِيَيْنا؛ اختارتنا الجامعة لمرافقة الدكتور بكر بن عبد الله بن بكر -رئيس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران بالسعودية- والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي -رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض-، ولم تخلُ الأيام التي قضيناها معهما من بعض المواقف الطريفة التي حدثت لي.

أ استقبال الضيوف في المطار

كان عدد المرافقين للضيوف سبعة عشر شخصًا، وقد سلّم ديوان البلاط السلطاني كلَّ واحدٍ منا خنجرًا وبِشتًا ومَصَرًّا، ولكوني لم ألبس خنجرًا في حياتي طلبتُ من صديقي سيف بن راشد بن سيف الشقصي أن يأتي إلىٰ شقتي في الخوض في اليوم الذي سبق حفل التخرُّج لإلباسي الخنجر، وبعد صلاة المغرب ذهبتُ إلىٰ الجامعة للذهاب إلىٰ المطار لاستقبال الضيف، فجاءت سيارتان من الديوان لتأخذاني أنا والأخ خلفان الحِجِّي إلىٰ مطار السيب الدولي لاستقبال الضَّيْفَيْنِ.

وعلىٰ الرغم من أن لجنة المراسم في الجامعة قد أخبرتنا بـ«**الإتيكيت**» المُتَّبع عند استقبال الضيوف ومرافقتهم فإنهم لم يُخبرونا بكل التفاصيل لما يمكن أن يحدث، وعندما أوصلتنا سيارات الديوان إلىٰ المطار وجدنا رئيس الجامعة يحيىٰ بن محفوظ المنذري قد حضر لاستقبال الضَّيْفَيْن، وبعد وصولهما تبادل الرئيس معهما المصافحة والقُبَل، ثم صافحانا نحن وبقية مَن حضر من الجامعة، تم توجَّه بهما الرئيس إلىٰ قاعة كبار الشخصيات في المطار لتناول القهوة وذهبنا نحن معهم.

بعـد القهوة خـرج الضيفان ومعهما الرئيـس، وكانت سـيارات الديوان في انتظارهما، وفتح شخصٌ من المراسم الباب للضيف الذي عليَّ مرافقته فركب في الكُرسيِّ الخلفي من جهة اليمين، وحدث لي هناك موقفٌ مضحكٌ ما زلتُ أتذكَّره، وهو أننا تعوَّدنا عندما يركب شـخصٌ في الكُرسـيِّ الخلفي أن يتحرَّك إلىٰ الداخل ليُفْسِح المجال للشخص الآخر للركوب بجانبه، فظننتُ أن الحال هنا مشـابهٌ لذلك، فبقيتُ أنتظر عند الباب لعلَّ الضيف يتحرَّك للداخل ليُفسح المجـال لي ولكنه لم يفعل، فلاحـظ يحيىٰ بن محفوظ المنذري ذلك فجاءني وهمس بصوتٍ خافت: «**اركب من الباب الآخر**»، وعندها توجَّهتُ إلىٰ الباب الآخر، وركبتُ بجانب الضيف.

أوصلْنا الضَّيْفَيْن إلىٰ فندق قصر البسـتان الذي يقيم فيه الضيوف، وبعد أن رافقناهما إلىٰ غرفهما أعادتنا سيارات الديوان إلىٰ الجامعة، ثم عُدنا بسياراتنا إلىٰ شققنا.

ب مأدبة عشاء في قصر البستان

في اليـوم التالي كان حفل التخرُّج في المسـرح المفتوح بالجامعة بعد صلاة المغرب، وقد أحضرتْ سـيارات الديوان الضيـوف قبل الحفل وأعادتهم إلىٰ فندق قصر البستان بعده، وفي اليوم الثالث أقام السلطان قابوس للضيوف مأدبة عشاء في فندق قصر البستان وذهبنا نحن المرافقين إلىٰ هناك، ودخل الضيوف ومعهـم السـلطان قابـوس والعديـد من الـوزراء والـوكلاء ورئيـس الجامعة وغيرهـم إلىٰ قاعة الطعام، وبقينا نحن المرافقين ننتظر في صالة الاسـتقبال في الفندق إلىٰ أن انتَهَوْا من العشاء.

وخلال فترة انتظارنا أحضروا لكل واحدٍ منا كوب عصير ليمون طازج، ومن باب الفضولية سألناهم عن قيمته، فأخبرونا بأن كل كوب بريال، فتعجَّبنا في ذلك الوقت من غلاء سعره مع أنه في أيامنا هذه قد يصل إلىٰ أضعاف ذلك، وعلىٰ كل حال فبعد أن انتهىٰ الضيوف من العشاء طلب منا المُنظِّمون الدخول إلىٰ قاعة الطعام لنتناول عشاءنا فوجدناها قاعة ضخمة جدًّا وبها مائدة فيها ما لذَّ وطاب، ولكن -مع الأسف- كان الضيوف قد قضَوْا علىٰ معظم ما فيها، ولم يتبقَّ إلا الشيء اليسير من الطعام، وبعد العَشاء أوصلنا الضيوف إلىٰ غرفهم ثم أعادتنا سيارات الديوان إلىٰ بيوتنا.

ومما أتذكَّره أنه في طريق العودة إلىٰ الخوض كنتُ أركب في الكُرسيِّ الخلفي بنفسي، وعندما كنا قريبينَ من مطار السيب الدولي كانت الساعة قد تجاوزتِ الثانية عشرة ليلًا، وكنتُ أريد النوم ولم أكن أشعر بتحرُّك سيارة المرسيدس ولا أسمع لمُحرِّكها صوتًا ولا تأتي من نوافذها أصواتٌ كما هو الحال في سياراتنا، فحسبتُ أن السائق لا يُسرِع فنظرتُ إلىٰ عدَّاد السرعة فرأيته يسير بسرعة ٢٠٠ كم/ الساعة، فألصقتُ ظهري بالكُرسيِّ من شدة الخوف فلم أكن أتجاوز بسيارتي أكثر من ١٢٠كم/ الساعة.

ج مأدبة عشاء في بيت السفير السعودي

في اليوم الرابع رافقنا الضَّيْفَيْن السعوديَّيْن إلىٰ بيت السفير السعودي في مرتفعات القرم لتناول مأدبة العشاء، وبعد المسامرة وتناول القهوة توجَّهنا إلىٰ العشاء الذي كان فيه ما لذَّ وطاب، وبعد العشاء وتناول بعض الحلويات ودَّعْنا السفير وأخذنا الضَّيْفَيْن إلىٰ فندق قصر البستان، ثم أعادتنا سيارات الديوان إلىٰ شققنا في الخوض.

٩ «رُبَّ في التأخيرة خيرة»

هـذا مثـلٌ عمانيٌّ؛ وهـو يعني أنه قـد يحصل للإنسـان تأخيرٌ لظـرفٍ مُعيَّن فيحسـب أن ذلك سيُسبِّب له حدوث ضُرٍّ أو فواتَ خيرٍ، ثم يشاء الله أن يكتب له الخير في ذلك التأخير، فهو سبحانه بيده تصريف الأمور، وإحسان الظنِّ بالله يُعدُّ من أساسـات عقيدتنا، وقد وقع لي ذات مرة تطبيقٌ حيٌّ لهذا المثل؛ وهو أني في إحـدىٰ رحلاتي إلىٰ أمريـكا عبر الطيران البريطاني زُرتُ -وأنا في طريقي إلـىٰ المطار- صديقـي الحميم وزميل دراسـتي الدكتور عبـد العزيز الكندي الذي كان يسكن في الخوض.

أبَىٰ الدكتور عبد العزيز أن أُغادر بيته قبل تناول العشـاء عنده، مع أنه ينبغي أن أكون في المطار في التاسعة مساءً (أي قبل ثلاث ساعات من إقلاع الطائرة)، وكلمـا أخبرتـه بأني سـأتأخَّر عن الرحلة ردَّ علـيَّ بأنه لا يزال هناك مُتَّسـع من الوقـت، وبعد أن تناولنا العشـاء توجَّهنا إلىٰ المطار، وما إن سـلَّمتهم التذكرة حتـىٰ أخبروني بأني قد تأخَّرتُ كثيرًا وأنهم سـيُغلقون البوابة بعد قليل، فقلقتُ كثيرًا من فوات الرحلة وخسـارة التذكرة، وبـدؤوا اتِّصالاتهم وأنهَوْا إجراءات الشحن بأقصىٰ سرعة.

كانـت من عادة الطيران أنه قبل نحو نصف سـاعة من إقلاع الطائرة يبيعونَ المقاعـد التـي لم يحضر أصحابهـا، ولهذا لم تبقَ في الطائرة كراسـيٌّ فارغة في الدرجة السـياحية ولا درجة رجال الأعمال؛ ما جعلهـم يُقعدونني في الدرجة الأولىٰ، ورأيتُ هناك فخامة تلك المقاعد وجودة الخدمات والطعام والشراب الذي يُقدِّمونه لرُوَّادها، وطبعًا لم يعلم المُضيفون بأن تذكرتي في الأصل كانت في الدرجـة السـياحية، ولذا عاملوني مثـل بقية المسـافرين في الدرجة الأولىٰ،

وقدَّموا لي في تلك الرحلة ما لم أُجرِّبه في حياتي إلىٰ اليوم من أنواع الأطعمة والأشربة الفاخرة، وكان الكُرسيُّ يتحوَّل إلىٰ سرير كامل، فاستمتعتُ بالنوم الهانئ، وصدق المثل: «رُبَّ في التأخيرة خيرة».

١٠ الجهل قد يكون منجاة

ذهبتُ ذات مرة مع بعض زملائي في جامعة السلطان قابوس إلىٰ معرض الكتاب في الشارقة، وعندما توقَّفنا في منفَذ «وادي الجزي» الحدودي مع الإمارات، طلب منا الشرطي فتح «صندوق السيارة» (أو «الدَّبَّة» باللهجة العمانية)، فأخذ يُفتِّش حقائبنا، وكنتُ قد أحضرتُ معي من البلد إلىٰ مسقط كتاب «اللؤلؤ الرَّطِب» لفضيلة الشيخ سعيد بن حمد الحارثي -عليه رحمة الله-، وكان الكتاب آنذاك ممنوعًا من التداول، وكنتُ قد نسيتُ الكتاب في الحقيبة ولم أُفكِّر بأننا سنمرُّ علىٰ مركز حدوديٍّ قد يُفتِّشون فيه أمتعتنا، ولذا ما إن رفع الشرطي الكتاب حتىٰ كاد قلبي وقلب زميلي الواقف بجانبي ينخلعان من شدَّة الهلع، وحسبتُ أن الشرطي -لا محالة- سيعتقلني بسببه، ولكن لحُسْن حظِّنا أن الشرطي لم يسمع عن ذلك الكتاب ولا يعرف عنه وعن منعه شيئًا، فأخذ يُقلِّبه لوهلة ثم أعاده إلىٰ الحقيبة، فتنفَّستُ الصعداء لسلامتي وسلامة مَن معي من مساءلات وإجراءات قد تطول.

١١ سامحني يا سيِّدي

أخذتُ والدي ذات مرة في يوم الخميس إلىٰ سوق نزوىٰ لبيع «نبات» (أي طلع النخيل)، وكانت السوق قد نُقِلت مُؤقَّتًا غربيّ دوار الكتاب بسبب

إعادة بناء السـوق القديمة، وكان الشـارع القديم في ذلك الصباح شبه فارغ من السـيارات، وعندما كنا في جحفـان قريبًا من مقرِّ جمعية المـرأة العمانية حاليًّا تجاوزتُ سيارة كانت تمشـي في الشارع ببطء، ولما وصلنا إلىٰ السوق أنزلتُ «**النبات**» لوالدي وأوصلتُه عند «**الدلَّال**» (أي السمسار)، ثم عُدتُ إلىٰ السيارة لتحريكها إلىٰ موقف مناسب.

فوجئتُ بشـرطي بجانب سيارتي يُحرِّر مخالفة، فطلب مني أن أُعطيه ملكية السـيارة ورخصة القيادة، ولما سـألته عن السـبب قال بأني تجاوزتُ في مكان ممنـوع فيه التجاوز، فتذكَّرتُ تلك السـيارة التي تجاوزتهـا في جحفان، فقلتُ للشـرطي بأن التجاوز في ذلك المكان لم يكن ممنوعًا، وكان صاحب السيارة يسـير ببـطء، فأخبرني بأن صاحب السـيارة هـو ضابط المركز، وهـو مَن أمره بتحرير المخالفة، واقترح عليَّ أن أذهب إليه داخل السـوق وأستسـمحه، وأن أقول له: «**سيِّدي، أنا غلطان فسامحني**»!

ذهبتُ إليه ووجدتُه يحمل معه «**قفيرًا**»[1] يضع فيه الأغراض التي يشتريها، فأبَتْ نفسـي أن أخاطبه بكلمة «**سـيِّدي**»، وإنما أخذتُ أُكلِّمه بخصوص ذلك التجـاوز وأعتذر إليه، وهو صامتٌ لم يردَّ علـيَّ بكلمة ولم يُقبِل بوجهه عليَّ، فقلـتُ في نفسـي: «**إن دفـع قيمـة المخالفة أهون علىٰ نفسـي مـن التذلُّل لهذا الشـخص المُتكبِّر!**»، فعدتُ إلىٰ الشـرطي وقلتُ له: «**إنه لم يردَّ عليَّ بكلمة، فأكمل تحريرك المخالفة**».

كانـت الإجازة آنذاك يومَـيْ الخميس والجمعة، وكانـت العادة أن يحتجز الشـرطي رخصـة القيادة ويذهـب المُخالِف في أيام الدوام إلىٰ مركز الشـرطة

(١) القفير: وعاء متوسِّط الحجم مصنوع من سعف النخيل، يُستخدَم لحمل الأشياء فيه.

لدفع قيمة المخالفة وتسلُّم رخصة القيادة، ولذا مررتُ في السبت التالي علىٰ مركز قيادة الشرطة في نزوىٰ وأنا في طريقي إلىٰ جامعة السلطان قابوس التي كنتُ أعمل فيها، وأخبرتُ الشرطي في الاستقبال بأن هناك مخالفة أريد دفعها، فذهب ليبحث عنها وبعد فترة عاد وقال بأنه لم يجدها، ولما أكَّدتُ أنه فعلًا قد حُررت المخالفة وأن رخصة قيادتي مُحتجزة عندهم، طلب مني أن أذهب إلىٰ ضابط المركز في الداخل لأتفاهم معه.

عندما دخلتُ علىٰ الضابط إذا به أحد أقاربنا من نزوىٰ، فأخبرته بما جرىٰ، فقال بأن نوبته كانت مساء الخميس الماضي فرأىٰ المخالفة من بين بقية المخالفات فأراد أن يقدّم لي معروفًا فلم يعتمدها، ثم سلَّمني رخصة قيادتي وأسقط -جزاه الله خيرًا- المخالفة عني.

مواقف أمنية

علـىٰ الرغم من أني لا أنتمي إلىٰ حزبٍ سياسـيٍّ أو جماعة دينية فإنه لكوني عربيًّا مسلمًا وتبدو علىٰ ملامحي علامات التديُّن، لكلِّ ذلك -وربما لأسباب خَفِيَّـة لا أعلمها- تعرَّضتُ في سـنوات حيـاتي التي قضيتُهـا في عمان وأمريكا والـدول الأخرىٰ التي سـافرتُ إليها إلىٰ بعض المواقـف الأمنية التي كان لها وقعٌ كبيرٌ في نفسـي، سـواءٌ في وقـت حدوثها أم بعـد مرور السـنوات الطويلة عليها، وسأذكر هنا بعضَها.

١ طلعة توسان

مـن الأحداث التي وقعـتْ لي عندما كنـتُ أدرس البكالوريوس في جامعة أريزونا أني ذهبتُ ذات مرة مع بعض الإخوة في نزهة خارج مدينة توسـان التي أدرس فيهـا، ولم يكن ذلك المكان المُخصَّص للنزهة بعيـدًا عنها كثيرًا فبقينا هناك إلىٰ الليل، وسـبحان الله؛ لا ندري لأيِّ سبب فوجئنا بأجسادٍ عملاقة من رجال الشرطة تحمل مُسدَّسـات مُصوَّبة نحونا وتصرخ فينا وتأمرنا بالانبطاح علىٰ الأرض.

بالطبـع ما كان لنـا أن نقاوم وليـس الوضع مناسـبًا للتفاهم معهـم، فهَوَيْنا بأجسـادنا إلىٰ الأرض، وإذا بتلك الكُتَل البشرية العملاقة ترتمي علىٰ ظهورنا وتُكبِّـل أيدينـا ثم بقوة الوحوش أمسـكونا مـن أغلالنـا وانتزعونا من الأرض وقالـوا: «ماذا تعملون هنـا؟» فأخبرهم أحد الإخوة بأننا جئنـا للنُّزهة، فقالوا:

«هل عندكم تصريح؟» وبحمد الله كان الإخوة قد استأجروا ذلك المكان من إدارة المتنزَّه وعندهم تصريحٌ بذلك، فلما رأىٰ الشرطة التصريح فَكُّوا الأغلال عن أيدينا واعتذروا إلينا، ثم غادرونا بعد أن تركوا قلوبنا ترجُف من الهَلَع.

٢ اتِّصال من FBI

عندما ذهبتُ لدراسة الماجستير في عام ١٩٩٣م، وصلتْ إليّ بعد فترة قصيرة من وصولي رسالةٌ بالبريد تدعوني للمشاركة في مشروع استثماري لإحدىٰ الشركات التي تعمل بنظام الهرم، وزيَّنتْ لي الرسالة الفكرة فقالت بأن هناك مَن شاركوا في هذا المشروع وصاروا يمتلكون الجزر واليخوت وملايين الدولارات، وأن فكرة المشاركة في المشروع بسيطة جدًّا وهي أنهم أرسلوا قائمة بها عشرة أسماء، وكل ما عليَّ فعلُه أن أحذف الاسم الأول من القائمة وأضع اسمي بدلًا منه، ثم أُرسل القائمة إلىٰ جميع أصدقائي ومعارفي، وكذلك أرسل دولارًا واحدًا لكل واحدٍ من التسعة الباقين في القائمة.

استهوتني الفكرة فوضعتُ دولارًا لكل واحدٍ من أولئك التسعة في ظرفٍ مُستقلٍّ وعَنونتُ المظاريف بالعناوين التي وردت في الرسالة، وأرسلتُ كذلك القائمة التي فيها اسمي إلىٰ مجموعة من أصدقائي وزملائي في أمريكا.

لم تمضِ إلا أيامٌ حتىٰ تلقَّيتُ اتِّصالًا من المُخابرات الأمريكية (FBI)، وقالوا بأنهم وجدوني أتعامل بنظام الهرم، فأخبرتهم بأني لا أعلم عن ذلك النظام شيئًا، فأخبروني عن الرسائل التي أرسلتُها منذ أيام، وحينئذٍ أدركتُ خطورة ما وقعتُ فيه وأنهم -لا بُدَّ- سيعاقبوني علىٰ ما فعلته، فشرحتُ لهم أني طالبٌ جديد في أمريكا ولا أعرف شيئًا عن طبيعة تلك الرسالة وذلك النظام، فقالوا بأنهم اتَّصلوا بي فقط ليُحذِّروني من الانجراف وراء تلك الأساليب المُغرضة

التي تنتشـر في أوسـاط المجتمع، فحمدتُ الله أنها انتهـتْ بذلك ولم يُهملوني حتىٰ تتفاقم الأمور وأقع فريسة في أيادي النصَّابين والمُجرمين، وربما أتعرَّض حينها لعقوبات الجهات الأمنية.

٣ تفجيرات مركز التجاري العالمي في نيويورك

عندمـا كنتُ أدرس الدكتـوراة في جامعة وسـط فلوريدا (UCF) اسـتيقظتُ -كالعـادة- في يـوم الثلاثاء ١١ من سـبتمبر لعام ٢٠٠١م قبيـل الفجر لإيقاظ زملائـي في الشـقة للذهـاب معًا لأداء صـلاة الجماعة في المسـجد، ولم يكن عندي فرصة للنوم بعد رجوعي من المسجد، إذ كان عليَّ أن أحضر في التاسعة ندوة تُقدِّمها شركة «راشنال» في فندق الماريوت بمركز المدينة، وفور وصولي الفندق أخذتُ بطاقة التعريف الخاصة بي، ثم تناولتُ بعض الحلويات وعصير الكرانبري، ثم توجَّهتُ إلىٰ كُرسيٍّ وانتظرتُ بدء الدورة.

أ التفجيرات والتَّداعيات التي أعقبتها

في العاشـرة أُعطينا اسـتراحة قصيـرة، وبعدها أعلن المحاضـر أن طائرتين قـد تحطَّمتا فـوق المركز التجـاري العالمي بنيويورك؛ فبادرني شـعور غريب عندما سمعتُ الخبر، وهو مزيج من الفرحة والخوف؛ الفرحة بأن الله قد أخذ القِصاص للمسـلمين مما يتعرَّضون له في العالـم من اضطهاد، وخاصة الظلم الواقع لهم من اليهود في فلسـطين، وما لأمريكا من دور كبير في مسـاندة ذلك الظلـم علنًا، والوقوف بجانب إسـرائيل دون أي مراعاة لمشـاعر المسـلمين، حتىٰ أولئك الذين يعيشون علىٰ أرضها.

كذلـك، تذكَّرتُ ما تقوم به أمريكا من ممارسـات فيها مـن الظلم الواضح ضدَّ المسلمين، التي كان آخرها مقاطعة مؤتمر محاربة العنصرية الذي عُقِد في جنوب إفريقيا بحُجَّة أنه يتَّهم إسرائيل بالعنصرية، وأيضًا ما حدث منذ أيام من هجوم المخابرات الأمريكية والعديد من المؤسسات القانونية والقضائية علىٰ مقرِّ شـركة «إنفوكَم» الموجودة في تكسـاس، التي تُزوِّد خدمة الإنترنت لأكثر من ٥٠٠ موقع إسلامي من بينها مواقع الجزيرة والاتحاد الإسلامي لفلسطين والإسنا والأرض المُقدَّسة.

مع تذكُّري كلِّ تلك السلسلة من الأحداث والممارسات أحسستُ بالفرحة من أن الله قد انتقم للمسلمين وأخذ القِصاص لهم، ولكنني -بالمقابل- انتابني شـيء من القلق والخوف حول ما يمكن أن يحدث بعد تلك التفجيرات، وقد رأيـتُ المحاضر والشـخص الذي نقل لـه الخبر ينظران إليَّ، وكنتُ المسـلم الوحيـد بينهـم بلحيتـه، فأحسسـتُ وكأنهمـا يعتقـدان أنّ لـي دورًا في تلـك التفجيرات.

وقد ازداد قلقي كثيرًا عندما عدتُ إلىٰ شقتي ورأيتُ في التلفاز عِظَم الكارثة التـي حلَّـت، إذ اصطدمتْ طائـرة نفَّاثة بأحد بُرجَـيْ مركز التجـارة العالمي، وبعد نحو عشـر دقائق اصطدمتْ طائرة نفَّاثـة أخرىٰ بالبرج الآخر، وقد أظهر التلفاز الطائرتين وهما تتَّجهان نحو البرج وتصطدمان به، ثم بعد فترة شـاهدنا انهيـار الـبرج الأول وبعدها بقليل انهار البرج الثـاني، ورأينا كذلك كيف يرمي الناس أنفسـهم من البُرجَيْن قبل انهيارهما أمـلًا في الفرار من الموت، وكذلك كان هنـاك في الوقت نفسـه تقريبًا حادث آخر؛ وهو اصطدام طائـرة نفَّاثة ثالثة بمقرِّ وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) في واشنطن العاصمة، واصطدام آخر لطائرة نفَّاثة رابعة في فيلادلفيا.



بُرْجا مركز التجارة العالمي في نيويورك بعد اصطدام الطائرتين بهما

يبلغ ارتفاع كلا البُرْجَيْن ما يقارب المئة والعشرين طابقًا، ورأيتُ بأمِّ عيني عملية انهيارهما، فكان الانفجار يبدأ من الأعلىٰ ثم تنهار الطوابق التي تحته مثل الموجة العاتية التي تغمُر ما دونها بمثل الفيضان العظيم من الحُطام المُتهشِّم، ورأيتُ كيف يفرُّ آلاف الناس الذين كانوا في الشوارع والبنايات والمناطق القريبة من تلك الأمواج العاتية من الرُّكام، وما يحمله من الزجاج المُتهشِّم وأعمدة الإسمنت المُتفتِّتة وأشلاء ما يزيد علىٰ خمسين ألفًا يعملون في المركز.

وعلىٰ الرغم من أنه قد انتابني شعور بالأسىٰ لما حدث وخاصة تجاه الضحايا المسلمين الذين كانوا في المركز التجاري والآخرين الذين ليس لهم يد فيما يحدث في السياسة الأمريكية، فإني شعرتُ بالقلق الشديد لما سيأتي بعده من ردود فعل ضدَّ المسلمين وخاصةً إن كان -فعلًا- لهم يدٌ فيما حدث.

بدأ الإعلام يُهيِّج الجماهير ضدَّ المسلمين بالتصريح المباشر بأن أسامة بن لادن وحكومات وجهات أخرىٰ هم وراء ما جرىٰ، ورغم تصريح طالبان في أفغانستان بأن أسامة بن لادن ليس له علاقة بما جرىٰ، وتصريح السعودية بأن السعوديين لن يقوموا بشيء من ذلك، وتصريح ياسر عرفات بأن الفلسطينيين لن يقوموا أيضًا بمثل ما جرىٰ، فإني كنتُ لا أزال أشعر بالقلق والخوف تجاه ما يمكن أن تفعله أمريكا ضدَّ المسلمين.

لم يكن تخوُّفي حول عاقبة الفاعل الحقيقي إن كان فعلًا من المسلمين ولكن في الإجراءات التي يمكن أن تقوم بها حكومات العالم أجمع -وخاصة أمريكا- ضدَّ المسلمين، وكنتُ مُتخوِّفًا أيضًا من ردَّة فعل الشعب الأمريكي فيما لو ثبت أن الفاعل هو من المسلمين، فإنهم لن يكُفُّوا عن محاربتهم إعلاميًّا -كما يفعلون دومًا- بل ربما تتحوَّل أمريكا إلىٰ حرب عصابات تتعقَّب كل مسلم موجود علىٰ أرضها وتقتله.

عندما ذهبتُ لصلاة الظهر في المركز الإسلامي وجدتُ سيارة لمحطة التلفاز المحلي وسيارة شرطة بجانب المسجد، ولا أدري هل سيارة الشرطة جاءت لحماية الصحفيين الذين أتَوْا لعمل مقابلات مع رئيس المركز وغيره، أم جاءت بطلب من المركز تحسُّبًا لوقوع عدوان ضدَّ المركز أو المدرسة الإسلامية المجاورة له.

كذلك، رأيتُ المسلمين في المسجد في وُجوم شديد، ولستُ أدري أهو حزنٌ علىٰ ما جرىٰ، كما هو حال الأمريكان في تلك اللحظات، أم خوفٌ مما يمكن أن تأتي به الأحداث وخاصة ضدَّ المسلمين، وبعد صلاة الظهر رأيتُ مسلمَيْن يتعانقان، ولا أدري أكان يُعزِّي الواحد منهما الآخر فيما جرىٰ، أم يُهنِّئان بعضهما بعضًا بنصر الله للمؤمنين، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

بقيتُ ذلك اليوم مُستيقظًا إلىٰ الثانية عشرة ليلًا أُتابع كلَّ ما يُبَثُّ في التلفاز، واستمرَّتْ وسائل الإعلام تقرع الطبول وتُؤجِّج النفوس تجاه أسامة بن لادن علىٰ أنه وراء تلك الأحداث، وربطت المحطات ذلك الحدث بأحداث أخرىٰ وقعتْ في منطقة الشرق الأوسط، وما لفتَ نظري أنهم كانوا يرجعون إلىٰ مراسلين من إسرائيل ليُدْلُوا بدَلْوهم في التعليق حول مَن يمكن أن يكون وراء ما حدث، وما عسىٰ أن يقوله المراسلون الإسرائيليون إلا تأكيد أن أسامة بن لادن ومَن سار علىٰ نهجه -مثل الإرهابيين الفلسطينيين، هكذا يصفونهم- هم وراء كل ما يحدث، ويستدلُّون علىٰ ذلك -حسب زعمهم- بما تتعرَّض له إسرائيل من هجمات وعمليات انتحارية من الفلسطينيين، وكان الإعلام أيضًا يضع السعودية وأفغانستان وإيران والعراق والأردن وسوريا ومصر علىٰ أنها راعية للإرهاب.

وحسبما ذكره الإعلام فإن الحادث قد نُفِّذ بمهارة فائقة وتوقيت عجيب؛ فقد استُخْدِمتْ في التفجيرات طائرات نفَّاثة مُتَّجِهة إلىٰ أقصىٰ غرب الولايات المتحدة؛ ما يعني أنها كانت طائرات ضخمة جدًّا وسريعة جدًّا وتحمل كميات كبيرة من الوقود تكفي لأن تقوم بدور القنبلة الضخمة، وذلك ما حدث فعلًا، فاشتعال النيران العالية بسبب الانفجار الضخم أدَّىٰ إلىٰ رفع درجة الحرارة إلىٰ ما يزيد علىٰ ١٥٠٠ درجة فهرنهايتية، وهو ما أدَّىٰ بدوره إلىٰ صهر أعمدة الفولاذ في بُرجَيْ مركز التجارة فأدَّىٰ إلىٰ انهيارهما.

كذلك، فإن الضربات كانت مُوَقَّتة ومُنسَّقة بطريقة عجيبة لكي لا تَدَعَ مُتَّسعًا من الوقت لإفشالها، فقد حدثت في أوقات متقاربة جدًّا، وأيضًا فإنه -لا شكَّ- أن المختطفين كانوا مهرة في قيادة ذلك النوع من الطائرات وإلا لما استطاعوا تنفيذ تلك العمليات بالدِّقة التي وصفتُها، وكل ذلك يضع علامات استفهام حول المُنفِّذ الحقيقي لتلك التفجيرات، وأيضًا الراعي الحقيقي لها.

من الأمور التي يجب ذكرها هنا هو أن المركز الإسلامي في أورلاندو (وربما المساجد والمراكز الإسلامية في أمريكا كلها) قد تلقَّىٰ مكالمات تهديد من أشخاص مجهولين، ولذلك طلب المركز حراسة مُشدَّدة من الشرطة ومن مُتطوِّعين مسلمين، ونُصِح المسلمون بأن يبقوا في بيوتهم خوفًا من التعرُّض لأي اعتداءات أو مضايقات.

ب الأيام التالية للتفجيرات

في اليوم التالي للتفجيرات بقيتْ وسائل الإعلام في أوج افتراضها أن أسامة بن لادن هو المُدبِّر الأول لما حدث، وأجرَت شركة الأي.بي.سي (ABC) لقاءات مع أناس يشيرون في تصريحاتهم أن الفاعلين لهم علاقة بأسامة بن لادن وبما جرىٰ، وأنهم إما من أفغانستان وإما من فلسطين وإما من دول الشرق الأوسط، واللافتُ للنظر أن تلك التصريحات كانت تأتي من أماكن من فلوريدا مثل «تامبا» التي يقطنها أعداد كبيرة من اليهود، وكان لها دور كبير في عرقلة مسار الانتخابات الأمريكية التي مَضَتْ.

ظهر أيضًا العديد من المسؤولين في الحكومة ومنهم وزير الخارجية «كُولِن بأول» الذي صرَّح بأنه علىٰ اتِّصال بوزراء الخارجية في دول العالم (طبعًا عدا باكستان الموالية لطالبان)، ولَمَّح أن أسامة بن لادن ومَن يدعمه (وخاصة الطالبان وباكستان) سيكونون هدفًا لهجوم عالمي ما لم يتعاونوا مع السلطات الأمريكية لتسليم أسامة بن لادن لهم.

ومما صرَّح به أيضًا أن وزيرة الدفاع ووزير الاستخبارات الأمريكية (FBI) ذكرا أن التَّحَرِّيات تُشير إلىٰ أن كل طائرة قد اختُطِفَتْ من ثلاثة إلىٰ ستة أشخاص،

وبعضهـم تدرَّب علىٰ الطيران في أمريكا، وأن الاستخبارات الأمريكية تحاول التعرُّف علىٰ هوية المُختطفين ومَن يساعدهم داخل وخارج أمريكا.

وزعم وزير الدفاع أن عدم الإحساس بالمسؤولية من بعض المُوظَّفين فيما يخصُّ المعلومات السِّرية التي تصل إلىٰ أيديهم كان له دور كبير في إيصال تلك المعلومات إلىٰ مَن قام بتلك التفجيرات أو دعمها.

من جهة أخرىٰ بقيتْ جميع المطارات في أمريكا مُغلقة، وقد لفت نظري أيضًا أن المؤسسات الإسلامية كانت تدعو الرعايا المسلمين إلىٰ المبادرة بمساعدة المُتضرِّرين في تلك الأحداث، سواءٌ بالتطوُّع بالنسبة إلىٰ الأطباء والمُمرِّضين أم بالتبرُّع بالدم أو المال، وكذلك دعتِ المسلمين إلىٰ اتِّخاذ الحيطة والحذر من التعرُّض لمضايقات، ونصحتْ بعدم الخروج من المنازل إلا للضرورة.

إحساسي مما شاهدته وسمعته في وسائل الإعلام إلىٰ ذلك الحين هو أن مَن خطَّط لتلك التفجيرات ليس أسامة بن لادن ولا أحدًا من الفلسطينيين، وأن الحكومة الأمريكية تعرف ذلك ولكنهم يُموِّهون ويُضلِّلون الرأي العام، وما ذلك إلا لأنهم يُرتِّبون ضربة قاصمة لأسامة بن لادن ومَن يقف معه من المنظمات والحكومات الإسلامية.

ما دعاني إلىٰ ذلك الاستنتاج هو أن أحد الإخوة ذكر أنه قرأ أن منظمة يابانية ادَّعَتْ مسؤوليتها عما حدث انتقامًا لما حدث في نجازاكي وهيروشيما، وأيضًا فإن وزير الخارجية الأمريكي كان في كولومبيا عند وقوع الحادث في مفاوضات حول مكافحة تجارة المُخدِّرات، وأذيع كذلك أن البيت الأبيض وليس البنتاجون كان الهدف للطائرة التي تحطَّمتْ علىٰ البنتاجون.

من خلال تلك التصريحات والمشاهدات، ففي تقديري هو أن إحدىٰ المنظمات العنصرية في اليابان أو غيرها من المنظمات التي تدعم تجارة المُخدِّرات هي وراء ما حدث، وذاك كان تحليلي واستنباطي إلىٰ أن تتَّضح أمور أكثر.

أما وسائل الإعلام فبحمد الله بدأتْ تُهدِّئ قليلًا من الهجمة الشرسة علىٰ الإسلام والمسلمين، واتِّهامهم بأنهم المسؤولون عمَّا حدث، وبدؤوا يملؤون قنواتهم الفضائية بلقاءات مع أقارب الضحايا، غير أنه صُرّحَ بأن المخابرات لديها معلومات عما يقارب ١٢ من المختطفين، ويحلو لبعض القنوات -كما هو الحال دومًا- استغلال تلك النقطة في تلفيق التُّهمة بالمسلمين؛ فادَّعَتْ أن أحدهم من السعودية والآخر -واسمه محمد عطا- من مصر، وأن له علاقة وثيقة بأسامة بن لادن.

وعلىٰ صعيد وضع المسلمين حدثت اعتداءات كسر نوافذ لمسجد في تكساس ومكتبة يمتلكها فلسطيني في فرجينيا، وأما في أورلاندو التي كنتُ أدرس فيها فقد عقد المركز اجتماعًا للمسلمين لتوضيح الإجراءات التي ينبغي اتِّباعها في تلك الظروف، وعندما ذهبنا لصلاتَيْ المغرب والعشاء وجدنا هناك حراسة للمركز الإسلامي والمدرسة المُلحَقة به من بعض الإخوة المسلمين إضافةً إلىٰ ترتيبات أمنية أخرىٰ، ومن جهة ثانية لا تزال المطارات وأسواق المال مُغلقة.

لم يتَّضح إلىٰ اليوم الثالث من التفجيرات شيءٌ عن الفاعل الحقيقي، غير أن طبول الإعلام تقرع أن باكستان لها دورٌ فيما جرىٰ، وذكرت وسائل الإعلام أنه في مكالمة هاتفية لبوش مع حاكم نيويورك ذكر له أنه تكلَّم مع الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وليِّ عهد السعودية، وأن الأمير عبد

الله دعاه إلىٰ مراعاة المسلمين والعرب الموجودين في أمريكا وألّا يُؤجِّجوا مشاعر الناس ضدَّهم.

وقد ظهر في وسائل الإعلام أيضًا لقاء مع أحد أصحاب نوادي العراة الليلية الموجودين في فلوريدا، وذكر أنه كان عنده ثلاثة من العرب ليلة التفجيرات يتحدَّثون عن الدم الذي سيُسفَك في الغد، الذي ستتحدَّث عنه وسائل الإعلام، وأعتقد أن تلك التصريحات التطوُّعية هي من يهود يحاولون استغلال الوضع لإثارة الحقد والكراهية ضدَّ المسلمين، ولا أنسىٰ أيضًا تعليقًا سخيفًا من إحدىٰ الأمريكيات من فلوريدا قالت فيه بأن أحد المُتَّهمين في التفجيرات -وأظنُّه محمد عطا- قد مرَّ ذات مرة بجانبها فحاول كلبُها أن يقترب منه فأومأ محمد عطا إليه بمِظلَّته ليُبعدُه عنه، فأخذوا تصرُّف محمد عطا ذاك للتدليل علىٰ أنه إرهابي، فيا للعجب من تلك العقول السخيفة!

وذكر لي أحد الزملاء أنه قرأ تحليلًا لأحد الصحفيين المسلمين يقول فيه إن الصهاينة هم وراء ما حدث، ولا أستبعد أن يكون ما قاله صحيحًا؛ فإنهم لن يتورَّعوا عن القيام بأيِّ عمل يخدمهم حتىٰ وإن كان علىٰ حساب الملايين الذين سيموتون والمليارات التي ستذهب هباءً، ومما يُعطي بعض الثقة بما قاله ذلك الأخ أن التقنية العالية والخبرة الكافية التي يتمتَّع بها الذين قاموا بعمليات الاختطاف والاصطدام أحرىٰ أن تُنسَب إلىٰ اليهود لا إلىٰ المسلمين.

وهناك أمرٌ آخر قد يكون وراء ما حدث، وهو أنه بسبب حلول الألفية الثالثة فإن هناك مجموعات دينية مُتطرِّفة في أمريكا (وطبعًا في بقية العالم) تقول بأنه بحلول الألفية لا بُدَّ من وقوع حَدَثٍ يهزُّ العالم، وقد كان العالم في تحسُّبٍ لوقوع تفجيرات ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث، وإني لا أستبعد أن يكون الفاعل خليطًا من تلك المنظمات، ووصفُ وسائل الإعلام الفاعلين بأنهم

عربٌ أو مسلمونَ لا يستبعد ما قلتُ، لأن تزوير الهُوِيَّات وانتحال الشخصيات يُعدّ من الصناعات الشائعة في هذا العصر وخاصة في أمريكا.

ومما قرأته أن أحد العنصريين في أُنتاريو بكندا أشعلَ النار في أحد المساجد، ولكن -بحمد الله- لم تمتدّ النار إلىٰ بقية المسجد لوجود باب فولاذي منعها من الامتداد، وظهر كولن باول -وزير الخارجية- ليُؤكِّد أن أسامة بن لادن هو من وراء الأحداث، وأعلَنت الأنباء أنه تم التعرُّف علىٰ ١٨ من المُختَطِفين في الطائرات الأربع، وأن واحدًا منهم -علىٰ الأقل- قد تلقَّىٰ تدريبه في أمريكا، وكان من المفترض أن يُعلَن عن أسماء وصور الثمانية عشَر الذين اختطفوا الطائرات الأربع ولكنْ لم يحدث ذلك.

بعد دخولنا المسجد لصلاة المغرب شدَّ انتباهي وجود بعض النسوة في زاوية من المسجد، وكانت هناك بعض النساء الأخريات يصلِّين في الصفوف الخلفية لمُصلَّىٰ الرجال، وتبيَّن أن النسوة الموجودات عند زاوية المسجد هُنَّ صحفيات ومعهنَّ كاميرات تصوير وكُنَّ يُصوِّرْنَنا ونحن نُصلِّي المغرب، وبعد الصلاة تقدَّم رئيس المركز الإسلامي (وهو من سوريا) وأعلن أنه سيدعو لضحايا الحادث الذي وقع في نيويورك وواشنطن.

كانت تلك بالنسبة إليّ لحظة صعبة؛ فمن ناحيةٍ: أنا لا أريد مشاركتهم في الدعاء خوفًا من الوقوع في مخالفات شرعية، ومن ناحية أخرىٰ لا أريد الآخرين أن يعرفوا أنني لا أدعو فيدخلوا معي في نقاشات، وعلىٰ كل حال مددتُ يديَّ (وكنا وقوفًا) وكنتُ أُؤمِّن عندما أسمع دعاءً يخصُّ المسلمين وأتوقَّف عندما يُدعىٰ لغيرهم.

وعلىٰ الرغـم من أني أعلـم أن رئيـس المركز والجالية المسـلمة بأسْـرها يمـرُّون بلحظات صعبة في كيفية التعامل مع تلك الأحداث، لم تعجبني بعض العبارات التي كان يختارها الشـيخ في الدعاء الذي كان طبعًا باللغة الإنجليزية لأن الصحفيين كانوا لا يزالون يُصوِّرون، والمشكلة الكبرىٰ -حسب تحليلي- هي أن معظم المسـلمين الذين يسـمعون مثل ذلك الدعاء وتلك التصريحات لن يفهموا أن رئيس المركز كان فقط يُوَرِّي ليدرأ عن نفسه وإخوانه المسلمين الشرَّ الذي يمكن أن يُحدِق بهم.

ومما لم أرضَه منه الدعـاء بالرحمة لمن تُوفِّي في الحادث، وأسـأل الله أنه كان يقصد المسـلمين الذين كانت أعدادهم بالمئات، وكان مما ذكره في دعائه أنه يُشـهِد الله أنَّ مَن أقدم علىٰ الحادث ومَن أعانهم عليه هم ليسـوا مسـلمين، وظاهر قوله هذا فيه تجريدٌ لمَن أقدم علىٰ الحادث من الإسلام، وهذا في رأيي خطير وخاصة أن الأصابع تُشـير إلىٰ أسـامة بن لادن وجماعته، وبالمقابل لم يكن في دعائه ما يُشير إلىٰ أن مَن أقدم علىٰ الحادث هم من غير المسلمين.

من ذلك الدعاء وما قيل فيه يستنتج المرء منا حالة البلبلة التي عاشها معظم المسلمين في أمريكا في تلك الآونة؛ فهم -من ناحية- يحاولون أن يُخفِّفوا قَدْر الإمكان عن أنفسـهم وذويهم ومسـاجدهم وممتلكاتهم ما يمكن أن يتعرَّضوا له من الأمريكان من عمليات إرهابية قد تُؤدِّي إلىٰ القتل والتخريب لا سـمح الله، ولـذا كانـوا يُطلقون تلك التصريحات لإشـعار المجتمـع الأمريكي أنهم جـزءٌ منه، وأن مـا حدث في نيويورك وواشـنطن يعنيهم كما يعنـي غيرهم من الأمريكان، وفي الوقت نفسـه يحاولون ألّا يتجاوزوا الحدود الشرعية حتىٰ لا يقعوا في معاصٍ ومخالفات.

بعد صلاة السُّنة ذهبنا إلىٰ قاعة المدرسة، وكانت قد تشكَّلتْ في المركز لجان للإعلام والدعوة والأمن والدعم، واجتمعت تلك اللجان بعد صلاة العصر وكان عليها أن تُلخِّص ما توصَّلتْ إليه من قرارات، وفي بداية اللقاء تحدَّث مسؤول اللجنة الإعلامية، وهذه بعض النقاط التي أوردها:

١ أن تُشكَّل لجنة من أشخاص عدة تكون مسؤوليتها اللقاء مع الصحفيين والإجابة عن تساؤلاتهم، وذاك في رأيي كان أمرًا مُهِمًّا لكي لا يُدلي كلُّ واحدٍ بدَلْوِه، فتُحسَب زلَّات المُغفَّلين منهم علىٰ عموم المسلمين.

٢ أن تُوزَّع قرابة ٤٠٠ إلىٰ ٥٠٠ نسخة من نشرة أصدرتها اللجنة علىٰ المُصلِّين في يوم الجمعة في المساجد المختلفة، وتحتوي النشرة علىٰ أرقام الهواتف والبريد الإلكتروني لوسائل الإعلام في وسط فلوريدا والشخصيات السياسية البارزة في فلوريدا عامة ووسط فلوريدا خاصة، وأكَّد مسؤول اللجنة أن علىٰ المسلمين أن يتصلوا بأولئك، ويُبدوا لهم تأسُّفهم علىٰ ما جرىٰ في نيويورك وواشنطن.

٣ أن يُستدعَىٰ الصحفيون إلىٰ قاعة المدرسة يوم الجمعة ويُعقَد معهم مؤتمر صحفي.

٤ أن يُنبّهَ المُصلُّون في خطبة الجمعة إلىٰ ألّا يتحدَّثوا مع أيِّ صحفي، لأن الصحفيين سيحاولون إيقاف المسلمين بطريقة عشوائية وطرح أسئلة عليهم قد تُثير حفائظهم وتُرغمهم علىٰ الإجابة بأسلوب لا يتناسب مع الوضع القائم.

بعدها، قام مسؤول لجنة الدعوة وأتىٰ باقتراحات منها:

١ تعليق عَلَم أمريكا علىٰ كل سيارة لإشعار الناس بالتضامن معهم.

٢ الاتِّصال بالمسلمين في وسط فلوريدا عن طريق البريد الإلكتروني وحثِّهم علىٰ تعليق عَلَم أمريكا علىٰ بيوتهم.

٣ وضع ملصقات علىٰ السيارات تُشير إلىٰ الحزن والأسىٰ الذي يشعر به المسلمون تجاه ضحايا الحادث.

٤ وضع لائحة كبيرة من القماش علىٰ مدخل المركز تُكتَب فيها عبارة تُؤكِّد أن المسلمين يشعرون بما يشعر به الأمريكان من الأسىٰ والحزن.

٥ وضع بطاقة تُعرِّف غير المسلمين بالإسلام، وأن ما حدث مخالفٌ للإسلام، بحيث يُوزِّعها المسلمون علىٰ زملائهم ومَن يعرفون من الأمريكان.

أما فيما يخصُّ اللجنة الأمنية فلم تكن ثمة قرارات نظرًا إلىٰ عدم تبلورها بعد، إلا أنّ المُتحدِّث أورد ما يلي:

١ تعرُّض المسلمين أو مساجدهم لما يزيد علىٰ سبع حوادث اعتداء في ذلك اليوم، وكان أشدُّها اعتداء بالرشاشات علىٰ أحد المساجد في تكساس، الذي -بحمد الله- لم يُصَب فيه أحد لوقوعه بعد انقضاء الصلاة.

٢ تعرُّض الكثير من المسلمات للمضايقات، وخاصة اللواتي يرتدين الحجاب، واقترح رئيس اللجنة ألّا تخرج النساء إلا مع صُحبة، وقد

سألتْ إحدىٰ الحاضرات عن حضور الجمعة فأجاب رئيس المركز الإسلامي بأنه ليس عليهن جمعة، وخاصة إذا وجدْن مَن يَنقُل إليهن ما يقال في الخطبة.

٣ تعذُّر رجال الأمن (التابعون لمدينة أورلاندو) عن الحضور لحماية المسجد نظرًا إلىٰ أنه يحتاج إلىٰ حجزٍ مسبق، ولارتفاع كُلفة تأجيرهم للقيام بالمهمة، ولذلك اقترح مسؤول اللجنة الأمنية أن تقوم اللجنة بنفسها بالحراسة المُشدَّدة، وخاصة في وقت صلاة الجمعة.

٤ تأكيد إلزام كل سيارة تأتي لصلاة الجمعة بالوقوف في الأماكن المُخصَّصة لها، لإتاحة الفرصة لسيارات الشرطة والطوارئ بالتحرُّك بيُسْر إن حدث شيء لا سمح الله.

وأخيرًا، قام مسؤول لجنة الدعم واقترح ما يلي:

١ أن تُجمع تبرُّعات لضحايا الحادث، ثم أوضح رئيس المركز أن بعض النساء سيَبِعنَ الزهور بدولارٍ للزهرة، علىٰ أن توضع تلك الزهور (أي بعد شرائها من النساء) عند مدخل المركز للتعبير عن الحزن والأسىٰ، وسيُرسَل رَيْعُها إلىٰ نيويورك تعبيرًا عن أسىٰ مسلمي وسط فلوريدا علىٰ ضحايا الحادث.

٢ اقترح بعض الحاضرين التبرُّع بالدم، ولكن رئيس المركز أخبرهم أن المستشفيات أصبحتْ تَردُّ المُتبرِّعين نظرًا إلىٰ كثرتهم، وأنه طلب حافلة مُتنقِّلة للتبرُّع بالدم ولكنهم اعتذروا نظرًا إلىٰ استخدامها في عمليات التبرُّع في المستشفيات، واقترح علىٰ لجنة الدعم أن تتابع الموضوع.

بعد رجوعنا إلىٰ المنزل أسـرعنا إلىٰ التلفاز لنسمع ما قيل في غيابنا وخاصة عن موضوع الإعلان عن أسـماء وصور المُختَطِفين، ولكن عرفنا فيما بعد أن الإعـلان عن الأسـماء قد أُجِّلَ إلىٰ اليـوم التالي، ولكنهم أعلنـوا أنه قد قُبِضَ علىٰ عشـرة أشخاص بهويات وبطاقات مُزوَّرة يحاولون مغادرة مطارَيْ JFK و Liguardia في نيويـورك، وكان حديث المحطة عـن أن رحلات الطيران لا تزال في خطـر رغم الإجراءات المُشـدَّدة التي أُوجِـدتْ في المطارات، ورغم العدد القليل من الرحلات المسموح بها.

استشـففنا مـن الحـوارات الجارية في المحطـة أن وزارة الدفـاع أصبحتْ لا تثـق بنتائـج الاسـتخبارات؛ مـا اسـتدعاها إلـىٰ إخـلاء مجلـس الشـيوخ والكونجـرس، وأُخذ نائب الرئيس «ديك تشـيني» إلىٰ مـكان غير معروف في كامب ديفيد، وبالمقابل شـاهدنا الناس في الأسواق المالية والمراكز التجارية وهم غير مُكترثين كثيرًا بما جرىٰ ويجري من أحداث؛ ومن ذلك أنه في إحدىٰ البورصـات وقف الناس لحظات حِدَاد، ومـا إن انقضتْ تلك اللحظات حتىٰ امتلأ المبنىٰ ضجيجًا وصخبًا، كعادة البورصات.

اتَّصلتُ بأهلي وكلَّمتُ ابن أخي أحمد ووالدتي، وطمأنتهم أن الأمور تسير علىٰ ما يُرام، ولما اتَّصلتُ بأولادي حاولتْ ابنتي أن تُعبِّر عمَّا يشـعر به الناس في عمان من فرحة بما جرىٰ، ولكني كنتُ أصرف حديثها إلىٰ شيء آخر خشية أن تكـون المحادثات الهاتفية مراقبة، ثم كلَّمـتُ زوجتي وتحدَّثنا عن الوضع سطحيًّا وطمأنتُها علىٰ ما يجري عندنا.

عندما ذهبنا لصلاة الجمعة سـرَّني ما رأيتُ من مجموعة من قرابة عشـرين شـخصًا تُعنىٰ بأمن وسـلامة المُصلِّين، وتُرتِّب السيارات في المواقف لكي لا يحـدث تعطيل لحركة سـيارات الطـوارئ إن حدث أمرٌ اسـتدعىٰ حضورها،

وكانت هناك مجموعة أخرىٰ تحرس المسجد والمدرسة من جميع الجهات، وكان ذلك منظرًا جيِّدًا بعث في نفسي الإحساس بالطمأنينة والأمن، وأما خطبة الجمعة فكانت تدور حول وجوب الدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتعرَّض فيها الشيخ رئيس المركز الإسلامي إلىٰ ما جرىٰ من أحداث، وقال بأن ذلك الفعل ليس الطريق الذي يجب سلوكه للدعوة إلىٰ الله وإقامة الحق والعدل، وكأنه يُعرِّض بأن مَن قام بها المسلمون.

بعد صلاة الجمعة كانت هناك جلسة في قاعة المدرسة للحديث عما جرىٰ في نيويورك وواشنطن، وكانت الجلسة مفتوحة لمن يرغب من جميع الأديان، وقد أُعلِن عنها في الليلة السابقة في نشرة الأخبار في المحطة التابعة للمدينة، وبسبب ذلك اكتظَّت القاعة بالحضور، وكان كثيرٌ منهم من غير المسلمين، ومن ضمنهم العديد من القساوسة والشخصيات المعروفة، وتحدَّث رئيس المركز الإسلامي وبعض المسلمين، ثم دعا رئيس المركز بعض القساوسة للحديث، ثم بدأ ينتقي بعضَ غير المسلمين ويطلب منهم الحضور والحديث عما يجيش في قلوبهم.

عبَّر معظم أولئك عن أسفهم لما جرىٰ، وعن إحساسهم بما يشعر به المسلمون من خوف علىٰ أرواحهم وممتلكاتهم، وأكَّدوا أنهم ما جاؤوا إلىٰ هناك (ومعظمهم جاؤوا من ذوات أنفسهم) إلا ليُطَمئِنوا المسلمين أن هناك في المجتمع مَن يُحبُّهم ويتعاطف معهم ويهتمُّ بأمورهم، وفي آخر الجلسة التي استمرَّت أكثر من ساعتين دعا رئيس المركز وثلاثة من القساوسة لضحايا الحادث، وطلبوا من الجميع الوقوف وعقد الأيادي والدعاء معهم -علىٰ شاكلة ما يجري في الكنائس-، ودعا كُلٌّ منهم بدعاء.

في المساء اجتمعتِ الجمعية العمومية لاتِّحاد الطلبة المسلمين في الجامعة، وقد ذهبتُ إلىٰ هناك ولكني وصلتُ متأخِّرًا، وقد شدَّ انتباهي حضور رئيس الجامعة وأحد نوابه ورئيس الأمن ورؤساء آخرين، إضافةً إلىٰ مجموعة من رجال الأمن في الجامعة والعديد من أساتذة الجامعة المسلمين وطلابها، وتحدَّث الجميع بما فيهم رئيس الجامعة، وأَبْدَوْا أسفهم لما جرىٰ، وأكَّدوا أن الجامعة كانت -وستبقىٰ- مكانًا آمنًا لجميع الأساتذة والطلاب، بغضِّ النظر عن دينهم ولونهم وجنسيتهم.

ج دقُّ نواقيس الحرب على أفغانستان

بدأ الإعلام يدقُّ نواقيس الحرب علىٰ أفغانستان، وطلب الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن من الكونجرس تفويضًا بصرف عشرين مليار دولار لمحاربة الإرهاب -كما يقول-، فوافق الكونجرس وزاد عليها عشرين مليارًا أخرىٰ لتعويض ضحايا الحادث، وطلب أيضًا من الكونجرس السماح لخمسين ألف جندي بالذهاب إلىٰ أفغانستان.

وفعلًا، بدأت الحكومة حملة لإقناع الدول لفتح أراضيها وأجوائها وقواعدها للجيش الأمريكي للانطلاق وراء أسامة بن لادن -كما يقولون-، وطلبتْ من باكستان إغلاق حدودها مع أفغانستان وأن تعرض علىٰ «طالبان» إما تسليم أسامة بن لادن وإما التعرُّض للحرب، وأُعلِن عن الأسماء التسعة عشر للمُخطِّطين للتفجيرات -كما يزعمون- وكانت كلها أسماء عربية، ومعظمها من السعودية والإمارات وواحد من مصر، وأكَّدتِ الاستخبارات الأمريكية أن هويات أولئك قد تكون مُزوَّرة، ولكن -طبعًا- نُسِب جميعهم إلىٰ تنظيم أسامة بن لادن.

تواصلتِ الطبول تُدَقُّ والجماهير تُهيَّج لحرب أفغانستان، والغريب في الأمر أن جميع الدول -بما فيها روسيا وبريطانيا- قد رفضت الوقوف مع أمريكا ما لم تُدلِ بأدلة واضحة بأن الفاعل الحقيقي هو أسامة بن لادن، ومن خلال قراءاتي وحديثي مع آخرين وصلنا إلىٰ قناعة بأن الصِّهيونية العالمية التي يقودها الموساد الإسرائيلي وتُغذِّي عقول أتباعها الماسونية العالمية هي وراء ما حدث، وذلك للأسباب الآتية:

- النموُّ المُطَّرد للمسلمين في أمريكا عددًا وإعدادًا، إذ إن أعدادهم صارت في تسارعٍ كبير، وبدؤوا يُؤثِّرون تأثيرًا كبيرًا وواضحًا في الرأي العام والسياسة الأمريكية والاقتصاد الأمريكي، وبدأتِ المنظمات الإسلامية مشروع الوحدة واليد الواحدة بينها، وذلك كله يُحزِن -بل يُؤلِم- الصِّهيونية العالمية.

- أن عملية تنفيذ الحادث كانت علىٰ أعلىٰ مستوىٰ ممكن من التخطيط والتوقيت والدِّقة في التنفيذ، وكل ذلك يحتاج إلىٰ تقنيات وخبرات وأموال فوق الإمكانات المتاحة لأسامة بن لادن أو غيره من الحكومات والجماعات الإسلامية.

- ليس للمسلمين مصلحة من وراء ضرب مركز التجارة العالمي والبنتاجون وغير ذلك، ويعلمون -يقينًا- أن مثل تلك الأحداث ستَجُرُّ علىٰ المسلمين ويلاتٍ أكبر وأكبر، وأما الصهاينة فإنهم -بحكم سيطرتهم علىٰ الإعلام الأمريكي- سيكسبون توجيه الرأي العام لمزيد كراهية وحقد ضدَّ المسلمين، وذلك ما حدث بالفعل.

- تُشير بعض التقارير إلىٰ أن اليهود الذين يسيطرون علىٰ البورصات العالمية قد باعوا أسهمهم قبل وقوع الحادث بأسعار عالية، وكأنهم يعلمون بوقوع مثل ذلك الحادث، وأنه بسببه ستصل أسعار الأسهم إلىٰ أدنىٰ مستوياتها، وتصرُّفهم ذلك -في حدِّ ذاته- سببٌ كافٍ لابتلاع المال الأمريكي والعالمي.
- تُشير التقارير إلىٰ أن اليهودي الذي يمتلك مركز التجارة العالمي كان قد أمَّن عليه مدة تسعة وتسعين عامًا ضدَّ أيِّ عملٍ إرهابي، وذلك يعني أنه لم يخسر شيئًا من وراء تدميره، وتذكر التقارير أيضًا أنه قبل التفجيرات بفترة قصيرة قد باعه ليهودي آخر؛ ما يعني أن الأول قد ربح من البيع والثاني سيربح من التعويضات من شركة التأمين، وأما مالك المركز (ولا أدري هل هو المالك الأول أم الثاني) فقد اقترح أن يتولَّىٰ بناء المركز من جديد، وذلك استثمار آخَر لليهود.

٤ شراء الكتاب

من الأحداث المُثيرة الأخرىٰ التي وقعت لي في أمريكا هو أنه بعد تفجيرات ١١ من سبتمبر لمركز التجارة العالمي في نيويورك، بقيتُ أيامًا وأنا أبحث عن الحقيقة حول مَن يمكن أن يكون وراء تلك الأحداث، فكما ذكرتُ من قبل فإن أصابع الاتِّهام أشارت منذ أول وَهْلة إلىٰ المسلمين وخاصة من السعودية، وبسبب تركيزي وانهماكي في تتبُّع المعلومات من خلال مواقع الإنترنت، كان أحد المواقع التي زرتها هو overthron.com، وفيما يبدو أنه موقعٌ للمعارضة الأمريكية أو أنه يتبنَّىٰ دور الكشف عن الحقائق المَخفِيَّة عن الناس حول

ما يدور في أمريكا، وقد وجدتُ فيه الكثير من المقالات والتحليلات التي تُبرهن على أن المسلمين ليس لهم يدٌ في تلك الأحداث، وإنما القائمون بها والمُخطِّطون والمُنفِّذون لها هم اليهود.

ومما وجدته في ذلك الموقع مجموعة من الكتب باللغة الإنجليزية تكشف حقيقة ما يجري في أمريكا، ومن ضمنها كتاب بعنوان «**كيفية إشاعة الفوضى في العالم**»، وكتاب آخر حول صنع المُتفجِّرات، فأثارني موضوع هذا الكتاب الأخير، وعزمتُ على شرائه وأخذه إلى عمان، وكان يُباع في واحدة من المكتبات الشهيرة في أمريكا التي لا تكاد تخلو منها مدينة، وهي مكتبة «**بارنس آند نوبل**» (**Barnes – Noble**).

كنتُ بين الخوف والاطمئنان من شرائه؛ فمن ناحيةٍ كنتُ مُطمئنًّا لشرائه لكونه يباع داخل أمريكا وفي مكتبة معروفة بين الناس، وبالمقابل كنتُ في خوف من أن يقع الكتاب في أيدِي أجهزة الأمن عندنا في عمان أو في أحد المطارات فيتسبَّب لي في حدوث مشكلة كبيرة عندهم.

على كل حال، طلبتُ الكتاب ولم يستغرق وصوله إليّ إلا يومين، ولم يكن لديَّ آنذاك وقتٌ لقراءته أو تصفُّحه فتركته في غرفتي ونسيتُ الأمر، وما هي إلا أيام حتى سمعتُ بعد العصر طرقًا على باب شقتي المجاورة للجامعة، وكنا في ذلك الوقت في قلق من أن يصيبنا مكروه من الأمريكان بسبب الهجمة الإعلامية ضدَّ المسلمين واتِّهامهم بأنهم الذين فجّروا أبراج المركز التجاري العالمي، فتخوَّفتُ من فتح الباب، ولكن بعد تواصل الطَّرْق عليه فتحته، فإذا بي أرى شخصين عملاقَيْن بزيِّهما المدني، وأخرج أحدهما بطاقته وأراني إياها وهو يقول بأنه من جهاز الاستخبارات الأمريكية (**FBI**)!

ظننتُ في البداية أنهما جاءا ضمن حملة التحقيقات والمضايقات التي تشنُّها الأجهزة الأمنية على المسلمين في أمريكا بعد تفجيرات ١١ من سبتمبر، فبادرني الشخص قائلًا بأنه يريد التحدُّث إليَّ، وكان الإخوة في المركز الإسلامي قد حذَّرونا من التحدُّث مع أيِّ شخص من الأجهزة الأمنية أو وسائل الإعلام، وأنه إن ساءلتنا الأجهزة الأمنية فعلينا ألّا نجيبهم، وإنما نطلب منهم التحدُّث إلىٰ المحامي، فقلتُ للشخص بأني لن أتكلم بشيء إلا بحضور المحامي الخاص بي، فردَّ عليَّ ساخرًا وكأنه يعرف عني كلَّ شيء: «**وهل عندك محامٍ؟!**»

أدركتُ أنْ لا مفرَّ من الكلام، فقلتُ له: «**وماذا تريد؟**» فقال: «**وهل ستتكلم ونحن واقفون؟!**» فأذنتُ لهم بالدخول إلىٰ الشقة، وقلتُ لنفسي: «**ربما يريدون استدراجي لتفتيش الشقة**»، فجلسوا علىٰ الكنبة ثم بادرني قائلًا: «**إنك اشتريتَ كتابًا**»، فذهب تفكيري مباشرة إلىٰ ذلك الكتاب ولكني تصنَّعتُ التغابي معه، فقلتُ له: «**أيَّ كتاب تقصد؟**» فقال: «**أنت تعرف قصدي**»، فسبحان الله؛ ذلك يُؤكِّد أن المكتبات والإنترنت ووسائل التواصل -سواءٌ في ذلك الوقت أم في الوقت الحالي- كلها مراقبة من الأجهزة الأمنية.

أدركتُ أنْ لا جدوىٰ من المراوغة، فقلتُ له: «**نعم اشتريته، ولكني لم أفتحه وسأُسلِّمه لكم**»، فقال: «**نحن لا نريد الكتاب**»، فأصررتُ علىٰ إحضاره وتسليمه لهم، فذهبتُ إلىٰ غرفتي لأحضر الكتاب، فرأيتُ شيئًا مُرعبًا، إذ حين نظرتُ من النافذة إلىٰ مواقف السيارات الملاصقة للسكن، رأيتُ هناك أكثر من ٢٠ فردًا من رجال الأمن ومعهم بعض الكلاب البوليسية، وكانوا يُحيطون بسيارتي والكلاب تشمُّ السيارة من كل مكان، ولأني اشتريتُ ذلك الكتاب فربما كانوا يظنُّون أني أشتغل بصنع المُتفجِّرات ويشكُّون أن سيارتي بها مُتفجِّرات،

فزاد قلقي من وجود أولئك في الخارج والاثنين اللَّذَيْن في الشـقة، وأدركتُ أنْ لا مناص من اعتقالي وسَجني.

عُـدتُ إلىٰ الشـخصين، ومددتُ يدي بالكتاب للشـخص، وقلتُ له: «**هذا هو الكتـاب وأنا لا أريده**»، فقال: «نحن لا نريد الكتـاب، ويمكنك الاحتفاظ بـه، ولكنا أردنـا تحذيرك مـن أن محتوىٰ الكتـاب يضرُّ بك ويضـرُّ بالناس»، فقلتُ له: «**إني لا أعلم شيئًا عن الكتاب ولم أقرأ منه شيئًا، وإن كنتم لا تريدونه فسـأرميه في مسـتودع القمامة أو أعيده إلىٰ المكتبة، وأرسـل إليكم إيصالًا بأني أعدتُـه**»، فقال: «**تصرَّف بالكتاب كيفما شـئتَ، ونحن فقـط جئنا لتنبيهك إلىٰ خطورة الأمر**»، وبعد ذلك استأذنوا بالخروج، فحمدتُ الله -سبحانه وتعالىٰ- أن نجَّـاني مـن بلائهم، وطبعًا في اليـوم التالي ذهبتُ إلىٰ مركـز البريد وأعدتُ الكتاب إلىٰ المكتبة.


U.S. Postal Service
CERTIFIED MAIL RECEIPT
(Domestic Mail Only; No Insurance Coverage Provided)
OFFICIAL USE
MEMPHIS TN 38141
Postage $3.95
Certified Fee $2.10
Return Receipt Fee (Endorsement Required) $1.50
Restricted Delivery Fee (Endorsement Required) $0.00
Total Postage & Fees $7.55
0599 18 Postmark Here
06/21/2002
7001 2510 0000 0515 3248
Sent To Barnes & Noble.com - Customer Returns
Street, Apt. No.; or PO Box No. 5000 Freeport Ave Suite 101 Memph
City, State, ZIP+4 Memphis, TN 38141
PS Form 3800, January 2001 See Reverse for Instructions

إيصال البريد بإرجاع الكتاب

٥ الهروب إلى عمان

بعـد وقوع تفجيرات سـبتمبر وتصاعد حِـدَّة العداء ضدَّ المسـلمين وكثرة الاعتـداءات عليهـم، بقيتُ في خـوفٍ ووَجَلٍ مـن أنْ يلحقني ضـرر إن بقيتُ في أمريـكا ولذا قرَّرتُ العـودة إلىٰ عمان، وفي الليلة التي سـبقتْ رحلة عودتي كنـتُ قد التقيتُ في المُصلَّىٰ القريب من الجامعة ببعض زملائي العرب، فكان بعضهـم يُعلِّق بأنه ربما يقبضون عليَّ في المطار، وكنتُ أردُّ عليهم بأنه خيرٌ لي أن يضعوني في قفص ويعيدوني إلىٰ عمان مُكبَّلًا من أن أبقىٰ في أمريكا.

كانت طائرتي سـتُقلع من مدينة ميامي التي تبعُد نحو أربع ساعات بالسيارة من أورلاندو، فاستأجرتُ سيارة وقُدتُها إلىٰ هناك بمفردي وكنتُ في الطريق لا أستثني وقوع أيِّ شـيءٍ لي، ولذا كنتُ أشعر بداخلي باضطرابٍ كبير، وعندما وصلتُ إلىٰ مطار ميامي وأنزلتُ حقائبي تركتُ السيارة في المواقف، وأخذتُ أجـرُّ حقائبي إلىٰ داخل المطار وأنا لا أشـكُّ في أنه في أيِّ لحظة سـتأتيني فرقة من رجال الأمن وتقبض عليَّ.

كنـتُ أدور بعينيَّ هنا وهنـاك وأنتظر أن يأتيني أولئـك في أيِّ لحظة، ولكن -بحمد الله- لم يحصل شـيءٌ إلىٰ أن وصلتُ إلـىٰ منضدة تخليص إجراءات المسـافرين، وبعـد أن وضعـتُ حقيبتَيَّ طالتْ مـدة الانتظـار والمُوظَّفة تُنهي إجـراءات شـحنهما، وكان قلبـي خلالها يرجف مـن الخـوف والقلق من أن أُعتَقَل في أيِّ لحظة، ثم بعد فترة تحدَّثَتْ إليَّ وأخبرتني أن لديّ زيادة في الوزن، فشكَكْتُ من أن تكون مُجرَّد حيلة لأكشف لهم عمَّا بداخل حقائبي، فأعطتني كرتونًا وطلبتْ مني تفريغ الوزن الزائد في ذلك الكرتون.

أخذتُ أجرُّ الحقائب إلىٰ مكان بعيد قليلًا عن حركة المسافرين، وبدأتُ أنقل بعض الأغراض من الحقيبتين إلىٰ الكرتون، وكانت حالتي النفسية في غاية التوتُّر والقلق من أن يكون كل ما يحدث هو خطوات ليجدوا مُبرِّرًا لإدانتي واعتقالي، وبعد أن انتهيتُ أعدتُ الحقائب والكرتون إلىٰ المُوظَّفة.

كان من المفترض أن أدفع لهم مبلغًا إضافيًّا عن الوزن الزائد، ولكن شاءتْ عناية الله -سبحانه وتعالىٰ- ورحمته بي أن تأتي امرأة من مُوظَّفي الطيران فرأتني واقفًا هناك فسألتني عن رحلتي فأخبرتها، فقالت: «**إذًا فعليك أن تُسرِع إلىٰ البوابة لأنه لم يتبقَّ إلا وقتٌ يسير للإقلاع**»، وطلبتْ من المُوظَّفة أن تُسرع في إنهاء الإجراءات، فأنهَتِ الإجراءات بسرعة وتسلّمَتِ الحقائب والكرتون دون أن تطلب مني دفع أيِّ مبلغ، ورغم ذلك قلتُ لنفسي بأن ما يجري أمامي ما هو إلا مشهدٌ آخر من الخطة التي رسموها لاعتقالي، وما هذه المُوظَّفة التي تصنَّعتْ أنها مُوظَّفة شركة الطيران إلا واحدة من رجال الأمن، ولذا لم أجد بُدًّا من الانقياد لها فمشيتُ خلفها.

كان علينا ونحن في طريقنا إلىٰ البوابة أن ندخل في كبسولة أمنية ربما تكشف لهم ما إذا كان الواحد منا يحمل معه شيئًا من المُخدِّرات أو الأسلحة، فدخلنا فيها والمرأة تشير إلىٰ الشرطة بأنها في عجلة وتريد أن تأخذني معها بسرعة، وبعد خروجنا لم نقف ليفتِّشونا أو يفعلوا أيَّ شيء معنا، وواصلتِ السَّيْر بخُطًا سريعة وأنا أمشي وراءها، وأقول لنفسي بأن هذه ستكون نهاية حياتي لأنهم سيأخذونني إلىٰ السجن، وكنتُ أفكِّر في السجن وما يمكن أن يكون فيه من أنواع التعذيب التي سألاقيها.

كنتُ أمشي خلف تلك المرأة وجسدي يرتجف ولا أكاد أستطيع حمله، وبعد أن مشينا عدة مئات من الأمتار وصلنا إلىٰ بوابة الدخول إلىٰ الطائرة

وأنا أترقَّب الفرقة الأمنية التي ستأتي بغتة وتهجم عليَّ، فإذا بتلك المرأة تقول لي: «**هذه البوابة، وأتمنىٰ لك رحلة سعيدة**»، وسبحان الله؛ لم أصدِّق ما أرىٰ وأسمع؛ فما كنتُ أتوقَّع أن أخلُص من قبضتهم بمثل تلك الطريقة، ولكنها إرادة الله -سبحانه وتعالىٰ-، ومن شدة فرحي أني اتَّصلتُ بأحد زملائي السعوديين الذي يدرس معي الدكتوراة في الجامعة نفسها، فأخبرته بما جرىٰ وأنني بجانب بوابة الدخول، فقال لي: «**هذا غير معقول!**»، فأخبرته بأنه ذلك ما حدث فعلًا، ولله الحمد والمنة.

عندما نزلتُ في مطار لندن-هيثرو كانت قد بقيتْ ساعات طويلة إلىٰ حين موعد الإقلاع إلىٰ عمان، وكانت عادتي في السابق -سواءٌ كنتُ بمفردي أم مع عائلتي- ألّا أبقىٰ في المطار وإنما أخرج وأستأجر غرفة في أحد الفنادق، ثم قبل الرحلة بقليل أعود إلىٰ المطار، وكانوا يعطوننا تأشيرة ترانزيت مُؤقَّتة مدة أربعٍ وعشرين ساعة.

لكن هذه المرة عندما وصلتُ إلىٰ مطار هيثرو كانت هناك امرأة وقحة لم ترضَ أن تعطيني الترانزيت، فأخبرتها بأني حصلتُ علىٰ تلك التأشيرة مرات عدة في الماضي ولم يعارض أحد، فقالت: «**إن إعطاءك تلك التأشيرة ليس حقًّا لك وإنما هو تفضُّل منا عليك**»، وعندما سمعتُ منها ذلك الكلام أخذتُ جوازي إلىٰ الإدارة وكلَّمتُ أحد المسؤولين هناك، فجاء معي وكلَّمها فأحسَّت بإحراج ولم تجد بُدًّا من أن تختم التأشيرة في جوازي، ثم تركتني وانصرفتْ مسرعة وكأنها غاضبة مما حصل لها، ونسيَتْ أن تفتح لي البوابة لأخرج منها، فبقيتُ أنادي وأُلوِّح بيدي إلىٰ الشرطة الموجودين هناك فناداها أحدهم، فعادتْ وأحسَّت بإحراج أكبر، وبحمد الله خرجتُ وبقيتُ في الفندق ساعات ثم عُدتُ إلىٰ المطار ولم أتعرَّض خلالها لأيِّ مساءلات أو مضايقات أمنية.

٦ استدعائي في عمان للتحقيق

بعدما وصلتُ إلىٰ عمان لم تمرّ إلا أيام حتىٰ تلقَّيتُ اتِّصالًا من القيادة العامة للشرطة في القرم وطلب مني المُتَّصِل الذهاب إليهم، وأخبرني بأنه عندما أصل أُخبِرهم باسمي وسيُوجِّهونني إلىٰ الشخص الذي سيقابلني، وطلب مني أن أصطحب معي بطاقتي الشخصية، فلما وصلتُ إليهم طلبوا مني الانتظار وبعد قليل جاءني شخص وطلب مني الذهاب معه، فجلسنا في أحد المكاتب وبدأ يسألني بعض الأمور، ثم سألني عن ذلك الكتاب الذي اشتريته وعن رجال الأمن الذين جاؤوا إلىٰ شقتي، وسبحان الله؛ أدركتُ حينها أن الأمن مِلَّة واحدة وكأنه جهاز واحد حتىٰ وإن اختلفت الدول فبينهم من الترابط وتبادل المعلومات ما يفوق التصوُّر، فوجدتُ عند ذلك الأخ كل الأخبار عمَّا جرىٰ لي مع رجال FBI الذين زاروني وعن الكتاب، فأخبرته بكل ما طلب وأني أرجعتُ الكتاب وتخلَّصتُ منه، فخرجتُ من عندهم -بحمد الله- بسلام.

٧ استقبال مُثير في مطار ميامي

بعد عودتي إلىٰ أمريكا بعد أن قضيتُ قرابة ستة أشهر في عمان عقب خروجي منها بسبب تفجيرات ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م، وبعد وصولي إلىٰ مطار ميامي في ولاية فلوريدا وقفتُ في طابور تخليص الجوازات، فشاهدتُ معظم الطلبة الفلبينيين والكوريين يُحوَّلون إلىٰ طابور خاص، وأما أنا فأعطاني مُوظَّف تخليص الجوازات جوازي وأوراقي دون أن يختم الجواز وطلب مني الانتظار خلف كابينات تخليص الجوازات، فظننتُ أني الوحيد الذي طُلِب

منه ذلك، ولكني دُهِشتُ عندما أتاني أحد مسؤولي الأمن وأخذني إلىٰ قاعة مجاورة فوجدتُ هناك بين الثلاثين إلىٰ الأربعين شخصًا ينتظرون جوازاتهم.

لم أكن قلقًا مما يجري، إذ كنتُ مُتوقِّعًا قيامهم بمثل تلك الإجراءات الأمنية، ولكني كنتُ أتوقع أن أبقىٰ هناك ساعة أو ساعتين علىٰ الأكثر، فإذا بي أبقىٰ قرابة خمس ساعات، فاتتني بسببها صلاتَا الظهر والعصر، لأني لم أكن علىٰ وضوء، ولم تكن هناك إلا دورة مياه واحدة ليس بها قفل، ولا يوجد مكان للصلاة.

منذ وصولي إلىٰ تلك القاعة رأيتُ العدد يتزايد فوصل في آخر فترة بقائي هناك إلىٰ ما يزيد علىٰ مئة شخص، وبعضهم كان لا يطول بهم الانتظار أكثر من ساعة، وأما الذين كانوا معي في الرحلة -وهم نحو عشرين شخصًا معظمهم من البريطانيين- فبقوا ما يزيد علىٰ أربع ساعات، وكانت إحدىٰ مُوظَّفات الطيران البريطاني تأتينا بين حين وآخَر لتُخبرنا عن حقائبنا وأين هي موجودة، ولكنها كغيرها لم تجرؤ علىٰ الحديث عن طول مدة الانتظار ولا لماذا نحن هناك، وكان ردُّها بأنه مكتب حكومي ولهم الحق أن يفعلوا ما يشاؤون.

كان أول نداء لي بعد نحو ثلاث ساعات، فسألني مُوظَّف الأمن عن سبب زيارتي لأمريكا، فأخبرته بأني أدرس الدكتوراة في جامعة وسط فلوريدا (UCF)، فطلب مني الانتظار لكي يُجروا اتِّصالًا بالجامعة لمعرفة ما إذا كنتُ ما زلتُ طالبًا عندهم، وخلال فترة الانتظار ذهبتُ مرتين لأعرف سبب التأخير، وكان مسؤول الأمن يردُّ عليَّ بأنهم ما زالوا يحاولون التحدُّث مع الجامعة، وكان هناك مسؤولو أمن آخرون ينادون المسافرين ثم يُسلِّمونهم جوازاتهم، ولا شكَّ أنهم يقومون بالتحريات في المكاتب الداخلية.

بعد نحو ساعة من الانتظار ناداني أحد مُوظَّفي الأمن الذين يعملون في المكاتب الداخلية وطلب مني الدخول معه إلىٰ مكتبه، وكان عبارة عن غرفة صغيرة، فجلستُ أمام طاولته، فبادرني قائلًا: «**إننا نحاول أن نعرف ما إذا كنتَ ما تزال طالبًا في الجامعة، ولكننا لم نجدك في قاعدة بيانات الطلاب الخاصة بنا**»، فأجبته مندهشًا: «**لا أدري لماذا لم تجدوني في قاعدة بياناتكم، ولكنني كنتُ من قبل أخرج من أمريكا وأدخل إليها دون أيِّ مشكلة**»، وأخبرته بأني أحمل تأشيرة سارية الصلاحية، وتصريح «**I-20**» الذي تعطيه الجامعات للطلاب الدوليين ما زال ساريًا ومُوقَّعًا، فأشار إلىٰ مكان التوقيع في ظهر الـ I-20، وقال: «**لماذا هذا غير مختوم؟**» فقلت له: «**لا أدري، فهذه مشكلتهم** (أي في الجامعة) **أنهم لم يختموها**»، فقال: «**ربما أدركتَ الآن لماذا نحاول أن نُقرِّر ما إذا كان بإمكاننا السماح لك بدخول أمريكا أم لا؟**» فلم أردَّ عليه بشيء.

بدأ بعد ذلك يسألني أسئلة يبدو منها أنه يريد أن يكتشف ما إذا كنتُ حقيقة طالبًا أم لا، ولكن الأسئلة بدتْ لي سخيفة، إذ ظهر هو فيها وكأنه جاهل لا يعرف شيئًا عن تخصُّصي، فسألني أولًا: «**ماذا تدرس؟**» فقلت له: «**أدرس الدكتوراة في هندسة البرمجيات**»، فقال: «**ما علاقة الرقم الثنائي** (binary) **بقاعدة البيانات** (database)**؟**» فتعجَّبتُ من ذاك السؤال السخيف، وشعرتُ نحوه بشيءٍ من الازدراء، فقلت له: «**إني لم أفهم السؤال، فليستْ هناك علاقة واضحة بينهما**»، فردَّ عليَّ ساخرًا: «**يعني أنك لا تعرف ما هو الرقم الثنائي؟**» فقلتُ له: «**بل أعرف ما يعنيه الرقم الثنائي، فهو عبارة عن سلسلة من الصفر والواحد، تتحوَّل إليها برامج الحاسوب من أجل أن يستطيع الحاسوب فهمها، وأما قاعدة البيانات فهي مستودع لمختلف أنواع البيانات، ويُخزَّن كلُّ شيءٍ فيها علىٰ شكل أرقام ثنائية**».

بعدها، سألني عن تخصُّصي، فأخبرته بأنه يُعنَىٰ بإدارة مشاريع الحاسوب لضمان تنفيذها بطريقة علمية صحيحة، فسألني إلىٰ أيِّ مرحلة وصلتُ في دراستي، فأخبرته بأني أنهيتُ امتحان الترشُّح (Candidacy Exam)، وحاليًا أُكمل الرسالة لمناقشتها، فقال: «**وكيف تتم المناقشة؟**» فأخبرته بأن هناك لجنة إشراف علىٰ الرسالة مُكوَّنة من خمسة أشخاص، وهؤلاء يجتمعون في وقتٍ مُتَّفقٍ عليه بيننا، ثم أُقدِّم لهم عرضًا بما قمتُ به في رسالتي، ثم يتبع ذلك مناقشتي في العرض والرسالة، فقال: «**ومَن المشرف علىٰ رسالتك؟**» فأخبرته بأنها الدكتورة «**جويندولين والتن**»، فقال: «**لماذا لم يردُّوا علىٰ اتِّصالنا؟**» فقلتُ له: «**لا أدري، وإن كنتَ تريد هاتف القِسم فسأعطيك إياه**».

رفعتُ حقيبتي الدبلوماسية لأبحث له عن رقم القسم ووضعتُها علىٰ فخذي، ثم فتحتها بحيث لا يرىٰ ما بداخلها، وبعد أن أعطيته الرقم أخذه إلىٰ مُوظَّف في غرفة مجاورة ليتصل بالقسم، وأما هو فبعد أن عاد إلىٰ مكتبه، فوجئتُ به وهو يطلب مني أن أضع حقيبتي علىٰ منضدة المكتب، فاضطربتُ كثيرًا لعلمي أن بها أوراقًا خاصة وبعض المقالات التي بدأتُ كتابتها، ولم يكن في تلك الأوراق شيئًا من السِّرية أو المنع، ولكني أعلم أنهم يبحثون عن أيِّ شيءٍ يمكن أن يُدينوا به الشخص ومن ذلك ما يتعلَّق بالدين، ولم أضع في الحسبان تلك المرة أنهم سيُفتّشون أوراقي مثلما فعلوا يوم غادرتُ أمريكا في المرة السابقة، إذ أخليتُ آنذاك حقيبة اليد من جميع الأوراق التي يمكن أن يمسكوا عليَّ منها شيئًا.

وضعتُ الحقيبة علىٰ الطاولة وفتحتها له، وبدأتُ أدعو الله أن يُعمي بصره، وبقيتُ أُردِّد الآية من سورة يس: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس:٩]، ورأيتُ الحقير يضع يده علىٰ المصحف

ثم أخذ يُقلِّبه في يده، فندمتُ فيما بعد لتركي إياه يلمسه، وكان من المفترض أن أُنبِّهه لكي لا يمدَّ إليه يده، ولو أراد تقليبه لفعلتُ ذلك بنفسي.

على كل حال، قلَّب المصحف برهة ثم وضعه على المنضدة، ثم أخذ الكتاب الذي بدأتُ في تأليفه الذي كان بعنوان «**أثر الاستقامة على الاقتصاد الوطني**»[1]، فسألني عن ماهيته فحاولتُ ألّا أجيبه عن حقيقته، وقلتُ له: «**إنها فكرة جاءتني فدوَّنتُها هنا**»، فردَّ عليَّ بغضب -وقد شكَّ أني أحاول أن أُخفي معلومات عنه-: «**ستبقى هنا إلى مدة غير معلومة إذا لم تُجبني بصراحة عن أسئلتي**»، وقال بأنه سيُحضِر مترجمًا ليعرف ما هو مكتوب في تلك الأوراق.

هنا، رأيتُ أنْ لا جدوى من المراوغة معهم، فبدأتُ أشرح له ما في الكتاب من مواضيع، وحاولتُ أن آتي بعموميات لكي لا يتشبَّثَ بشيءٍ من المعلومات لمحاولة الحصول على معلومات أخرى، وبحمد الله مررتُ على جميع ما في الحقيبة من أوراق بتلك الطريقة، وعندما رآني مُتجاوبًا معه بدأتْ نفسه تهدأ، وانتهت الأمور -بحمد الله- بسلام، وأخذني إلى مُوظَّف الجوازات لختم جوازي، وكنتُ لا أُصدِّق أني نجوتُ منهم، فمع أولئك كلُّ شيءٌ مُحتمَل ولا يُؤمَن جانبهم.

٨ تحقيقات أمنية في ماليزيا

بقيتُ في رحلة العلاج إلى ماليزيا في ٢٠١٣م ثلاثة أشهر، وقبيل مغادرتي منها بنحو أسبوع، وكنتُ آنذاك أُقيم في فندق صغير في مدينة «**أمبانج**» خارج كوالالمبور، نِمتُ بعد أن صلَّيتُ الظهر واستيقظتُ على طَرْقٍ خفيفٍ على

(١) بحمد الله تمَّت طباعة الكتاب في عام ٢٠١٩م بعنوان «أثر الاستقامة في انتعاش الاقتصاد».

الباب، فحسبتُ أنه في الباب المجاور فلم أنهض لفتحه، ولكن الطَّرْق بدأ يعلو فظننتُ أنه سائق الأجرة عبد الحكيم، وكنتُ مُتعبًا فلم أقُم له، وبعد قليل سمعتُ صوت إمرار بطاقة الفندق علىٰ الباب ثم لاحظتُ الباب يفتح فعرفتُ أنهم أصحاب الفندق ولكن قلتُ لنفسي: «**ماذا يريدون؟**».

عندما رآني صاحب الفندق نائمًا أغلق الباب، فقمتُ من نومي وأنرتُ المصباح ثم فتحتُ الباب، فوجدتُه مع ثلاثة أشخاص آخرين، وقال لي بأن هؤلاء قد جاؤوا للفحص، فظننتُ أنهم يريدون فحص الغرفة، فقلتُ لهم: «**تفضَّلوا**»، وبعد أن دخل أحدهم -وكان ماليزيًّا- مدَّ إليّ يده ببطاقة وقال: «**الشرطة**»، ثم قال: «**نريد أن ندخل ونرىٰ الغرفة**»، فقلتُ له: «**تفضَّلوا**».

كان الشخصان الآخران أحدهما صيني والآخر ماليزي، وكان الجميع بزيّهم المدني، وعرفتُ أنهم من التحرِّيات، إذ إنهم بدؤوا يسألونني عن وقت مجيئي إلىٰ ماليزيا وماذا أعمل، وكنتُ أجيب عن أسئلتهم من دون قلق أو خوف، ثم سألوني عن جوازي فأعطيتهم إياه، فأخذ الصيني يتصفَّحه، وسألني بعض الأسئلة عن التأشيرة فأجبته عنها، ثم ناول زميلَهم الثالث الجوازَ فأخذه ثم أعاده إليَّ بعد فترة.

بعد ذلك، طلب الماليزي أن يُفتِّش الحقائب، فقلتُ له: «**تفضَّل**»، فبدأ بالحقيبة الكبيرة، ووجد بها أكياسًا بها خبز عماني فسألني عنه فأخبرته، ثم وجد الكتب والروايات التي ألَّفتها وأخذتها معي لمراجعتها، ورأيته يُقلِّبها فقلتُ له: «**هذه لي**»، فربما لم يفهم أنها من تأليفي، فأدخل يده في الجيب الخارجي للحقيبة فوجد صورة فورية، فقال لصاحبه شيئًا فظننتُ أنه وجد صورة ارتاب في أمرها، ولما نظرتُ إليها عرفتُ أنها صورة لولدَيَّ عبد الله وإشراق عندما كانا صغيرين، وكانا راكِبَيْن جملًا عندما ذهبنا إلىٰ العمرة في نهاية التسعينيات.

في أثناء قيام الماليزي بالتفتيش كان الصيني يقف بجانب الباب ويسألني عن عملي وزواجي وعدد أولادي وغير ذلك، فقلتُ له: «**هل وصل إليكم بلاغٌ عني؟**»، فقال: «**لا، وإنما نقوم بالتفتيش الدوري على الفنادق**»، وبعد أن انتهى الماليزي من الحقيبة الكبيرة ذهب للحقيبة الأخرى، ثم فتَّش حقيبة الحاسوب المحمول، ثم حرَّك السرير وفتح الدرج ولم يجد فيه شيئًا، وبعد أن أعاد كلَّ شيءٍ في مكانه شكرني على تعاوني معهم ثم انصرفوا، وبعد ذهابهم جاءني مسؤول الفندق واعتذر إليّ عمَّا جرى، فقلتُ له: «**لم يحصل شيء، ولم أفتح الباب لأني كنتُ نائمًا وظننتُ أن الطَّرْق في الباب المجاور**»، فقال بأنهم يقومون بهذه الزيارات بين حين وآخر، وهم قد زاروا ذلك الفندق منذ تأسيسه ثلاث مرات، وأنهم يُصِرُّون على فتح جميع غرف الفندق حتى وإن لم يكن بها نزلاء.

٩ اعتقال بسبب صلاة العيد

في عيد الأضحى لعام ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م حدثت بلبلة في عمان بشأن رؤية هلال ذي الحجة؛ فالحكومة أخذت بتقويم مكة المكرمة الذي كان أسبق بيومٍ عن ميعاده الصحيح حسب الحساب الفلكي الدقيق، وقد أصدر سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي -المفتي العام لسلطنة عمان- فتوى ردًّا على سؤال أحد الإخوة، وفيها أنه مَن أراد الاحتياط لدينه وصلَّى العيد في بيته أو مكان آخر فعلى الحكومة عدم تعقُّبه وتعنيفه.



بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة شيخنا العلامة أحمد بن حمد الخليلي وفقكم الله وبارك فيكم

المفتي العام للسلطنة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،،،

الموضوع: طلب الفتوى حول دعوة الناس للخروج إلى المصليات يوم الأحد والامتناع عن أدائها يوم السبت

فتعلمون سماحتكم ما حدث من أمر هلال ذي الحجة عندنا من الأخذ بتقويم أم القرى مع أن معطيات علم الفلك تؤكد عدم إمكان رؤية الهلال في كل أرجاء السلطنة، لكن بعض الخطباء وأهل الصلاح أخذوا يدعون الناس في البلدان والقرى إلى الخروج إلى أداء صلاة عيد الأضحى علنا في المصليات والمساجد فما هو رأي سماحتكم في هذه الدعوة؟ وهل ترون الأولى الاقتصار عليها في خاصة نفس المرء وأهله؟

فتوى سماحة الشيخ الخليلي بشأن صلاة عيد الأضحى لعام ١٤٣٥هـ

من أجل ذلك، لم أحضر صلاة العيد في اليوم العاشر حسب تقويم الحكومة، وإنما اتَّفقتُ مع بعض الشباب من العارض أن نُصلِّي العيد في جامع الإمام أبي سعيد الكدمي في اليوم التالي -وهو اليوم الصحيح لعيد الأضحى حسب الحسابات الفلكية-، واتَّفقتْ مجموعة أخرى من القلعة على الصلاة في مسجد «المسقري» في سحرا.

كانت الصلاة -حسبما اتَّفقنا- في السادسة والنصف، وعندما وصلتُ إلىٰ الجامع كنتُ أشعر بمغصٍ شديد، وكنتُ أقول في نفسي: «**ربما هذه رسالة إلىٰ أن هناك شيئًا ما سيحدث**»، وعندما وصل أحد الشباب قال بأن هناك سيارة واقفة خارج الجامع، فقال شابٌّ آخر مازحًا: «**ربما جاء ليذبح** (أي أضحية العيد)»، وتبيَّن لنا فيما بعد أن تلك السيارة هي لأحد أفراد التَّحرِّيات، وهو من الحمراء، وقد جاء بلباس نومه تمويهًا لئلا يعرفه أحد.

صلَّىٰ بنا أحد الشباب ثم خطب خطبة الوزارة لذلك العيد من الهاتف، وبعد أن صلَّينا هممنا بالخروج من الجامع فرأينا الشرطة علىٰ الباب، ودخل علينا ضابط برتبة مُقدّم وسلَّم علينا ثم قال: «**صلَّيتم العيد؟**»، فقلنا: «**نعم**»، ثم قال: «**وخطبتم؟**»، فقلنا: «**نعم، خطبة الوزارة**»، فقال: «**أحسن**»، ثم قال: «**أنتم تعلمون أن العيد كان البارحة، وأنتم خالفتم الدولة بصلاتكم في هذا اليوم، ولذا نريدكم أن تأتوا معنا المركز لنتَّخذ بعض الإجراءات**».

بدا الخوف علىٰ بعض الإخوة، فردَّ أحدهم: «ولكننا لم نفعل شيئًا غير أننا صلَّينا»، فقال: «**ولكن العيد كان البارحة**»، فقلتُ له: «أرأيتَ إن أحدَثْتَ شيئًا ما في الصلاة، ألا تسجد سجود السهو؟ فنحن احتطْنا لديننا بصلاتنا في هذا اليوم»، فقال الضابط: «**أنا لستُ فقيهًا**»، وبقينا نحاول أن نقنعه فترة ولكن دون جدوىٰ، ثم قال: «**علىٰ كل حال أنتم ستأتون معنا ونتَّخذ معكم الإجراءات اللازمة**»، وكان معنا بعض الأطفال فسألناه عنه، فقال: «**يأتون معنا**»، ثم طلب منا أن ننتظر في الجامع.

خرج من المسجد ثم بعد قليل عاد والتقط لنا بعض الصور، فبدأ الخوف يتزايد عند بعض الشباب وحاولتُ أن أطمئنهم بأن تلك إجراءات عادية، وأنه قد حدثتْ اعتقالات في السنوات الماضية للقضية نفسها وهي الصلاة في

يوم بعد يوم العيد الرسـمي، ولما خرجنا من الجامـع أذهلنا ما رأينا، إذ كانت الشـرطة تحيط بالجامع من جميع الجهات، وهناك العديد من سيارات المهام الخاصة، وكان بعض الشباب خارج الجامع يشاهدون ما يجري لنا.



سيارات المهام المُتأهِّبة لاستقبالنا خارج الجامع

أركبونا في حافلة مُغلَقة وركب معنا بعض أفراد الشـرطة، وكان الضابط قد سألنا إن كان هناك آخرون غيرنا فلم نُخبِر عن الإخوة الذين يُصلُّون في مسجد «**المسـقري**»، وأخذونا إلىٰ مركز شـرطة بهلا، وعندما كنا عنـد دوار الحمراء رأينـا مجموعة من سـيارات المهام مُتَّجِهة إلـىٰ الحمراء، فظننـا أنهم ذاهبون للقبـض علىٰ آخرين غيرنا فالشـرطة تبحث عنهم في جميع المسـاجد، ولكن تبيَّن فيما بعد أن تلك السيارات توجَّهتْ مرة أخرىٰ إلىٰ جامع الإمام أبي سعيد الكدمي وانتظرتْ خارجه فترة، وربما يكون ذلك تحسُّبًا لقدوم آخرين ليُصلُّوا العيد هناك.

عندما دخلنا المركز لم نرَ أشخاصًا آخرين غير الشرطة العاملين في المركز، فعرفنا أننا الوحيدون الذين قُبض عليهم أو ربما يكون الآخرون في طريقهم إلىٰ المركز، فأدخلونا إلىٰ أحد المكاتب وبقي معنا شُرطيَّان، وبقينا نتجاذب الحديث مع الشُّرطيَّيْن إلىٰ نحو التاسعة والنصف، وخلال تلك الفترة رأيتُ اتِّصالات من بعض أهلي فلم أردَّ علىٰ أيٍّ منها، وربما عرفوا عن اعتقالنا من خلال الأشخاص الذين كانوا يراقبون ما يجري خارج الجامع.

سألونا في المركز إن كنا قد أفطرنا فأخبرناهم بأننا لم نفطر بعد، فقال الشُّرطِيَّان بأنه يُقدَّم عندهم «**دال**» (أي عدس)، فقلنا لهم مازحين: «**لا بأس بالدال مع البراتا والشاي**»، ولكنهم لم يحضروا لنا شيئًا، ولم نفعل شيئًا في فترة الانتظار غير أنهم أخذوا بياناتنا الشخصية، ولما سألناهم: «**لماذا نحن جالسون هنا؟**» أخبرونا بأنهم ينتظرون وصول الضابط الذي دخل علينا في الجامع، وكانت هواتفنا لا تزال عندنا فرأينا أن الخبر قد انتشر كثيرًا، إذ رأيناه في مجموعات واتساب المُتعلِّقة بالبلد.

في التاسعة والنصف أخبرونا أن الضابط يريد مقابلتنا، وفي طريقنا إلىٰ مكتبه رأينا الشباب الذين كانوا يُصلُّون في مسجد «**المسقري**» جالسين في الاستقبال، وربما قد وصلوا في ذلك الوقت، ولما دخلنا علىٰ الضابط قال لنا: «**لقد أحضرناكم إلىٰ هنا بناءً علىٰ أوامر تلقَّيناها ولسنا مَن سيحقق معكم، ولكننا ننتظر أشخاصًا آخرين سيأتون ويأخذونكم للتحقيق معكم ولا ندري إلىٰ أين**».

بعدها، بدأ يخبرنا أن ما قمنا به خطأ، إذ إن هناك نظامًا في الدولة ونحن خالفنا ذلك النظام بتأديتنا الصلاة في غير اليوم الذي أُعلِن عنه رسميًّا، وبعد كلام نحو عشر دقائق سَألَنا إن كانت عندنا تساؤلات أو نطلب شيئًا، فسأله

الإخـوة إلىٰ أين سـيأخذوننا فقال بأنه لا يدري، وأخبرنـاه بأننا لم نفطر ونريد إفطارًا فقال: «**سـننتظر إلىٰ أن يأتي المُحقِّقون ونعرف إلىٰ أين سـيأخذونكم، فربما يُقدِّمون لكم الإفطار**»، ثم طلب منا أن ننتظر في قاعة مجاورة إلىٰ أن يأتي إلينا المُحقِّقون ويأخذوننا إلىٰ المكان الذي يريدونه.

أدخلونـا إلىٰ قاعـة الانتظار وهي عبارة عن صفٍّ دراسـي، وبعد قليل جاء الإخـوة الآخرون مـن القلعـة وأخبَرَنا أحدهم أنهـم فوجئوا بالشـرطة تدخل عليهم المسـجد بعـد انتهائهم من الصـلاة وقبل الخطبة، وقال لهم الشـرطي بأنهم خالفوا النظام بتأديتهم الصلاة في مكان عام، فقال له أحد الشـباب: «**هذا المسـجد داخل مزرعة مُسـوَّرة وأنتم دخلتـم علينا فأنتم مَن خالـف النظام**»، ولكـن الشـرطي لم يسـتمِع لكلامه وأخبرهم بأنهم سـيأخذونهم إلـىٰ المركز للتحقيق معهم، فطلبوا منهم أن يسمحوا لهم بإكمال خطبة العيد فرفضوا.

وعندما شـاهد أحد الشباب سيارات الشرطة واقفة في الخارج أخبرهم بأنه لـن يركب معهم، وإنما سـيأخذ سـيارته الخاصة ومَن يشـاء أن يأتي معه منهم فليأتِ، فلم يجد الشـرطة بُدًّا إلا الانصياع لكلامه، وطلب من الشـرطي الذي ركب معه أن يُخبر الشرطة الآخرين بألّا يأتوا من طريق القلعة وإنما من طريق غمـر، وكان يخشـىٰ كلام الناس عندما يَرَوْن الشـباب في سـيارات الشـرطة، فرفـض الشـرطي، فقـال له ذلـك الأخ: «**إذًا فسـأمرُّ أنا من طريـق غمر**»، ولم يستطِع الشرطي منعه.

بقينا إلىٰ قرابة الثانية عشـرة ظهرًا، وخلال تلك الفترة جاءنا بعض الشـرطة وسـألونا إن كنا نريد شـيئًا فأخبرناهم بأننـا نريد إفطارًا ومـاءً فوعدونا بذلك، ولكنهـم لم يحضروا لنـا إلا كرتون ماء، ولمـا جاء المُحقِّقـون أخبرونا بأنهم يريـدون ترخيصنا بسـرعة، ولكنهم سيجلسـون مع كل واحد منـا دقيقتين أو

ثلاثًا، وخلال تلك الفترة أيضًا اتَّصل بي ابن أختي فرددتُ عليه، فهنَّأني بالعيد لأني لم ألتقِ به البارحة، وكذلك اتَّصلتْ زوجتي وأخبرتها بأننا بخير وننتظر فقط البدء للتحقيق معنا، ثم اتَّصلتُ بابني وطلبتُ منه أن يأتي ليأخذنا وسَأَلني إن كانوا قد رخَّصونا، فقلتُ له: «**قريبًا بإذن الله**».

بدؤوا بمجموعة شباب القلعة، ولم تَطُل الجلسات معهم وإنما كانت بضع دقائق لكل شخص، وعندما يخرج الشخص من المكتب الذي يجلس فيه المُحقِّقون يُطلَب منه النزول إلىٰ الطابق الأرضي مباشرة، ولما جاء دور مجموعتنا كانوا قد سجَّلوا اسمي في بداية القائمة، ولكنهم طلبوا مني أن أنتظر لأني «**دكتور**» -كما كانوا يمزحون معي- ويحتاجون إلىٰ الجلوس معي وقتًا أطول، فتوجَّستُ من أنهم يريدون التحقيق معي طويلًا أو ربما يسجنونني.

لذلك، عندما جاء ابني طلبتُ من الإخوة في مجموعة القلعة أن يذهبوا معه، وطلبتُ من شباب العارض أن ينتظروني، وقلتُ لهم: «**إن رأيتموني تأخَّرتُ كثيرًا فاذهبوا عني**»، وبعد قليل جاء شخصٌ آخر غير الذي كان ينادي أسماء الإخوة، وناداني وطلب مني أن أنزل معه إلىٰ الطابق الأرضي، فأخذني إلىٰ المكتب الذي كنا نجلس فيه عندما قَدِمنا إلىٰ المركز.

وجدتُ هناك شخصين مدنيَّيْن، فسألاني في البداية عن بياناتي الشخصية، وكانا يناديانني بلقب الدكتور، ثم سألاني «**لماذا صلَّيتَ العيد اليوم وليس البارحة؟**»، فأخبرتهما بأنه كانت هناك شبهة في ثبوت رؤية الهلال ليلة الخميس، ولذلك أردتُ أن أحتاط لديني فصلَّيتُ العيد اليوم، فسألاني: «**وكيف عرفتَ أنه لم تثبت رؤية الهلال في تلك الليلة؟**»، فقلتُ لهما: «**من خلال الرسائل التي كانت تصل إليّ عن طريق واتساب**»، فقال أحدهما بتهكُّم: «**يا دكتور، أنت**

مستواك الفكري لا يُقارَن ببقية الناس، فهل ترىٰ أن واتساب يمكن أن يُعوَّل عليه في مثل هذه الأمور؟».

قلتُ له: «كثرة الرسائل وفتوىٰ سماحة الشيخ أحمد الخليلي والمواقع الفلكية كلها تُؤكِّد عدم ثبوت الرؤية»، فقال: «وكيف تحققتَ من ذلك؟» فقلتُ له: «فتوىٰ سماحة الشيخ صادرة من مكتب الإفتاء»، فقال: «وهل تحقَّقتَ من تاريخها؟» فقلتُ له: «لا، ولكنها مختومة بختم مكتب الإفتاء»، فقالوا: «ألا تعلم أنه يمكن التلاعب بمثل تلك الصور؟ وهل اتَّصلتَ بسماحة الشيخ لتتحقق من أن الفتوىٰ صادرة منه؟» فقلتُ له: «لقد رأيتُ تلك الفتوىٰ في مجموعات عديدة، وإذا كنا سنُشكِّك في كل شيء فلن يبقىٰ هناك ما نثق به حتىٰ الرسائل الرسمية التي تصل إلينا منكم، ولو تسلّمناها باليد»، فقال: «ذلك شيء يختلف».

بعد ذلك، قال: «وهل قرأتَ الفتوىٰ؟» قلتُ له: «نعم قرأتُها»، فقال: «وهل تتذكَّر ما جاء فيها؟» فأخبرته بما أتذكَّره منها، فأخرج أحدهما هاتفه وأراني الفتوىٰ وطلب مني أن أقرأها، فبدأتُ أقرأُها وكنتُ عندما أمرُّ علىٰ موضع يُؤكِّد عدم ثبوت الرؤية أقول لهم: «انظروا، إن سماحته يُؤكِّد عدم ثبوت الرؤية»، فقالوا: «دعنا من ذلك وواصل»، وعندما وصلتُ إلىٰ الموضع الذي ذكر فيه أن يُصلِّي الشخص في بيته أو مكانه الخاص، قال: «توقَّف»، فتوقَّفتُ، ثم قالوا: «سماحة الشيخ يقول بأن مَن يريد أن يحتاط لدينه فليُصلِّ في بيته أو مكانه الخاص، فهل صلَّيتَ في بيتك؟» قلتُ له: «لا، ولكني صلَّيتُ في الجامع وهو مكان خاصٌّ بالعبادة»، فقالا: «ذاك مكان عام، ونحن ما جئنا بكم إلىٰ هنا إلا لنقول لكم بأنكم خالفتم نظام الدولة بتأديتكم الصلاة في مكان عام».

قلتُ له: «اسألوا الضابط: هل كانت أبواب الجامع مُغلقة عندما دخل علينا؟ لقد كانت الأبواب مفتوحة علىٰ مصراعيها، والجامع بجانب طريق سيارات، والناس منتشرون يذبحون أُضحياتهم، فنحن لم نجلس هناك لنفعل أمرًا مخالفًا وإنما فقط لتأدية الصلاة. كذلك، فنحن لم نُجبِر أحدًا علىٰ عدم الخروج إلىٰ العيد يوم السبت، ولم نجبر أحدًا بالصلاة معنا اليوم»، فأخذوا يشرحون لي كيف أن الصلاة في الأماكن العامة قد تُسبِّب فتنة بتحريض الناس علىٰ مخالفة أنظمة الدولة.

وفي النهاية قالوا بأنهم لا يريدون مني غير الإقرار بأن ما فعلته كان خطأً، فقلتُ لهم: «**لكم ذلك، ولكني أيضًا أعترض علىٰ شيء**»، فقاطعني أحدهم قائلًا: «**أعلم ما تعنيه وهو أن الخبر قد انتشر**»، فقلتُ له: «**إن الولاية بأكملها صارت تعرف ما جرىٰ، وما دام الموضوع هو كما أخبرتموني، فلم يكن هناك من داعٍ لتأتوا بكل ذلك الحشد من الشرطة والسيارات، وإنما كان يكفي أن يأتي رجل بزيّ مدنيٍّ ويخبرنا بأننا مطلوبون في المركز، وسنأتي بسياراتنا الخاصة، وسنختلق الأعذار لأهلنا**».

قال المحقِّق: «نحن نعتذر عما جرىٰ، ولكن ليس لنا يدٌ فيه، وإنما هي أوامر عُلْيا وصلت إلينا، وقد كنا في غرفنا ثم اتَّصلوا بنا لنأتي إلىٰ هذا المكتب للتحقيق معكم»، ثم قال: «**أريدك أن تخرج من هنا راضيًا، وخذ رقمي وسأتَّصل بك بعد العيد لأزورك في بيتك**»، فأخذتُ رقمه، وسلَّمنا علىٰ بعضنا ثم ودَّعوني إلىٰ خارج المركز.

مَواقِفُ مُتفرِّقة

في الصفحات الآتية سأذكر بعضَ المواقف التي كان لها وقعٌ كبيرٌ في النفس عنـد حدوثها، وبقيتْ أحداثها مُنعَقِدة في الذاكرة، ويمكن أخذ العِبَر والعظات منها.

١ على وَشْك وقوع حادث دهس

في بداية عملي في جامعة السـلطان قابوس عُدتُ ذات مرة في نهاية الأسـبوع بسـيارتي الأمـازون، وجـاء معي زميلـي وابن بلدتي الأخ سـعود بـن حمد بن خلفان الهاشـمي، وذهبنا لنُوصِل أحد الإخوة من الحمراء -لا أذكر اسـمه-، وكان وقت أذان المغرب، وعندما كنا في طوي سـليم رأيتُ طفلتين صغيرتين علىٰ يمين الشـارع تُريدان العبـور إلىٰ الجانب الآخر، وكانـت البنت الكبرىٰ تُمسِـك بأختها، فصرتُ أمشـي ببطء تحسُّـبًا من تحرُّك البنتين، ولكني عندما شـاهدتُهما واقفتَيْن تحرَّكـتُ، وما هي إلا لحظات حتـىٰ أفلتَتِ الصغرىٰ من يـدِ أختهـا وركضَتْ إلـىٰ الجهة الأخـرىٰ، وفي أثنـاء عبورها وحركة سـيارتي اصطدمَت بالسيارة فسقطتْ علىٰ الأرض.

أوقفنـا السـيارة، وحملـتُ البنت معـي في السـيارة، وأخذناها إلـىٰ العيادة الحكوميـة الوحيدة آنذاك في الولاية، التي كانت في مكان مكتبة وقف الحمراء الأهليـة الحالـي، وأخـبرتُ المُمرِّضات بمـا جـرىٰ، فوَضَعْنها علىٰ السـرير لفحصها إن كان بها شيء، وبعد قليل جاء أبوها وأمها وعرفاني، فتأسَّفتُ لهما

ممَّا جرىٰ فعذراني وصارا هما يتأسَّفان مما قامت به البنت، وبحمد الله عندما فحَص الطبيب البنت تبيَّن أنها لم تُصَبْ بمكروه.

وبعد مرور أشهر من الحادثة، ذهب بعض أصحاب القلوب المريضة إلىٰ والد البنت، وأجَّجوا فؤاده لكي يرفع دعوىٰ قضائية ضِدِّي في محكمة الحمراء الشرعية، وكان القاضي حينها الوالد علي بن ناصر المفرجي من بهلا، المعروف بالقاضي داود، وادَّعىٰ والدُها حينها أنّ البنتَ قد أُصيبتْ بالعديد من الإصابات، فاستدعاني القاضي وبيَّنتُ له أن البنت لم تُصَبْ بمكروه بشهادة والديها، فاقترح القاضي صُلْحًا بيننا علىٰ أن أدفع لوالدها خمسمئة ريال، وأُلغِيَتِ القضية، وبحمد الله كَبِرَتِ البنت وتخرَّجَتْ في الجامعة.



بسم الله الرحمن الرحيم

سلطنة عمان

وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية

رقم الاضبارة

رقم التسجيل

فصل الدعوى

تاريخ عرض الدعوى
١/٩/١٩٩٠م

صادر من المحكمة الشرعية بالحمراء

تاريخ صدور الحكم
١٤١١/٢/١٢هـ
٢/٩/١٩٩٠م

المدعي [redacted]

الدعي عليه صالح بن طارن بن محمد المطالسي

قد اصطلح [redacted] وصالح بن طارن بن محمد المطالسي وذلك من قبل الحادث الواقع على [redacted] من قبل دهس السياره التي يقودها صالح وقد تم الصلح بعد ان عولجة [redacted] في مستشفى السلطان فقرر الطبيب جميع الاصابات التي وقعت على الابنه المذكوره وهو كسر في الرأس ونزيف دم مع البول لمدة اسبوع واحد وبعد ثمانية واربعين ساعه حدث معها ورم في الجانب الايمن من البطن وكانت غير خطيره فلما رجعت من المستشفى تم الصلح برضى [redacted] عن ابنته البالغة من العمر سنتين وكذلك صالح وافق على الصلح ودفع المتفق عليه خمسمائة ريال عماني وتعتبر الدعوى منتهيه صلحا والابنه بخير والحمد لله ...

وكتبه / علي بن ناصر بن سيف الخرجي قاضي المحكمة الشرعيه بولاية الحمراء .

علي بن ناصر بن سيف الخرجي

صحيح لدى وأنا [redacted]

صحيح ما ذكره المدعي صالح بن طارن بن محمد المطالسي

قاضي المحكمة الشرعية بالحمراء

٧ على وشك وقوع حادث دهس آخر

في أغسطس ٢٠١٠م أعددْنا وليمة للأهل، وطبخ الطعام مطعم في بهلا جنوب مُجمَّع بهلا الصحي، وبعد انتهاء الوليمة ذهبتُ بعد صلاة العشاء لإرجاع المراجل[١]، وأتيتُ من دوار المعمورة، وبعد أن دخلتُ الشارع الفرعي المُوصِل إلىٰ المُجمَّع الصحي، فوجئتُ بطفلين يَهُمَّان بقطع الشارع، فلما رأيتهما ضغطتُ علىٰ مزمار السيارة ضغطًا متواصلًا فارتبكا، وتوقَّف الأكبر مكانه وكان عُمُره نحو اثنىٰ عشر عامًا، وأما الصغير -وعُمُره نحو خمس سنوات- فقد رأيته يجري وهو يقطع الشارع فأيقنتُ أني سأصطدم به لا محالة.

كنتُ في حالة من الذُّعر لا توصف، وفي تلك الثواني القليلة كنتُ أُفكِّر فيما سيؤول إليه أمري في الدنيا والآخرة إنْ قتلتُ طفلًا بريئًا، وبينما كنتُ أضغط علىٰ فرامل السيارة ومزمارها بكل ما أوتيتُ من قوة، وعيناي ترقبان لحظة التصادم إذ بالسيارة تقف، فركَّزتُ بصري خلف السيارة في جهة اليمين لأرىٰ ما آل إليه حال الطفل فلم أرَ أحدًا، فأيقنتُ أني قد صدمتُه، وأنه لا بُدَّ أن يكون قد فارق الحياة، وفي لمح البصر برقتْ بعيني إلىٰ جهة اليسار فرأيتُ الطفل الأكبر مُتسمِّرًا مكانه، وكاد قلبي يطير من الفرحة عندما شاهدتُه يُمسِك بأخيه الصغير، فحمدتُ الله علىٰ أن أنقذ ذلك الطفل وأنقذني معه.

هبطتُ من السيارة بسرعة وذهبتُ نحو الطفلين، وقد كانا علىٰ بعد نحو مترين عن مؤخرة السيارة، وكنتُ لا أزال في حالةٍ من الهلع والذُّعْر، فلم أُعنِّفهما وإنما أردتُ استرضاءهما، وشاهدتُ الطفل الأكبر خائفًا، وأما الصغير فقد

(١) مَراجل: جمع «مِرْجَل» وهو الإناء الكبير الذي يُطبخ فيه الأرز واللحم.

كان في حالة ذُعْرٍ شـديد، فقلتُ للأكبر: «**لماذا تقطعان الشارع وأنتما تشاهدان السـيارة قادمة؟**» فردَّ الصغير وهو يكاد يبكي: «**هو لم يمسكني**»، ويقصد أخاه الكبير، فسـألتُ الصغير: «**هل أنت بخير؟**» فقال: «**نعم**»، فسـألته وأنا أمسـح علىٰ رأسه: «**هل صدمتك السيارة؟**» فقال: «**لا**»، وعندها أحسستُ بالاطمئنان علىٰ الرغم من أني ما زلتُ أشعر برعشة في جسدي.

بدأتُ أسـأل الأكبر بعض الأسـئلة فأخبرني بأنهما راجعان من حفلٍ أُقِيم في نادي بهلا الرياضي، وأن أحد الأولاد افتُقِد فطَلَبَتْ منهما النسـاء اللواتي ذَهَبْنَ معهما أن يبحثا عن الطفل المفقود، وسألته عن بيته وأبيه فأخبرني بأنهم يسكنون في الشعبية المقابلة للمُجمَّع الصحي، وأن أهلهما ربما خرجوا للبحث عنهما.

أخبرتهمـا بأني سـأُوصلهما إلىٰ البيت، وطلبتُ منهما الركوب، وأمسـكتُ بيد الصغير وأركبتُه ثُم ركب الأكبر، وبعد أن تحرَّكتُ قلتُ لهما بأني سـأذهب أولًا لتوصيل المراجل إلىٰ المطعم وأشرتُ إلىٰ مكانه خشية أن يشُكَّا في نيَّتي، وأخرجتُ من جيبي عشَـرة ريالات وأعطيتُ كل واحد منهما خمسـة، وقلتُ لهمـا بأني أريـد أن أُوصِلهما إلىٰ بيتهما لأعتذر إلـىٰ والديهما، فأخبرني الأكبر بأن والده ليس في البيت.

أوصلـتُ المراجل ثم ذهبتُ إلىٰ الشـعبية، وعندمـا اقتربتُ منها طلبتُ من الأكـبر أن يصف لـي الطريق إلىٰ بيتهمـا، وعندما وصلنا طلبـتُ منه أن ينادي أيَّ شـخص في البيت، فدخـل البيت ثم عاد وقال: «**لا يوجـد أحدٌ في البيت**»، وكانت السـاعة حينهـا تقترب من الحادية عشـرة والنصف ليـلًا، وكنتُ أريد أن ألتقـي بأيٍّ أحد من أهلهما لأقصَّ عليه ما جرىٰ، ولأعتذر إليهم وأسـألهم إن كانوا يطالبونني بأيِّ تعويض، فسـألتُ الطفل الأكبر عن اسـمه واسم أخيه وأبيه، فأخبرني بذلك ثم انصرفتُ.

٣ المعاناة في مطارات السعودية

عندما أخذتُ زوجتي وأولادي إلىٰ أمريكا في السنة الثانية من دراسة الماجستير، كانت رحلة الذهاب إلىٰ أمريكا علىٰ متن الطيران السعودي فمررنا أولًا بالرياض، ثم ركبنا طائرة أخرىٰ من الرياض إلىٰ جُدَّة، ثم واصلنا رحلتنا من جُدَّة في رحلة طويلة إلىٰ مطار John F. Kennedy في نيويورك استغرقتْ قرابة ست عشرة ساعة.

وعندما عُدنا إلىٰ عمان في نهاية العام الدراسي في مايو ١٩٩٥م سلكنا خطَّ السَّيْر نفسه، وكانت تلك الرحلة من أسوأ الرحلات في حياتنا؛ فقد عانينا فيها الكثير من السلطات السعودية ومُوظَّفي الطيران السعودي، وما زاد معاناتَنا أننا أحضرنا معنا أحد عشر كرتونًا كبيرًا، إذ كنا اشترينا الكثير من الأواني لبيتنا الجديد، وأحضرنا جميع لعب الأولاد، إضافةً إلىٰ الكثير من الملابس والهدايا، وكان من المفترض أن تواصل الطائرة التي أتينا عليها من نيويورك إلىٰ الرياض مباشرة بعد هبوطنا في جُدَّة، ولكن قبل هبوطنا في مطار جُدَّة أخبرونا بوجود عطل في الطائرة، وأن علينا أن نستقِلَّ طائرة أخرىٰ إلىٰ الرياض.

وحسَب ما نعلمه من قوانين الطيران المُتعارَف عليها دوليًّا فإنه في مثل تلك الحالات يُغيّر الركاب الطائرة، وأما أمتعتهم فتُنقَل مباشرة إلىٰ الطائرة التالية، ولكنهم في مطار جُدَّة -مع الأسف- طلبوا منا تسلّم أمتعتنا قبل تغيير الطائرة، ثم كان علينا أن ننقلها بأنفسنا إلىٰ الطائرة الأخرىٰ، ونظرًا إلىٰ كوننا أتينا في موسم الحج وعيد الأضحىٰ كان مطار جُدَّة غاصًّا بالمسافرين، وقد حاولتُ الحصول علىٰ أحد العمال الوافدين الذين يساعدون الركاب في نقل أمتعتهم بأجرة ولكنهم لم يُعيروني أيَّ اهتمام، بل كانوا يلاحقون الأوروبيين

والأمريكان، وربما لأن أولئك يدفعون لهم إكراميات أكبر مما يمكن أن يحصلوا عليها من أمثالي، ولذا لم أجد بُدًّا من نقل الأمتعة بنفسي لكون الأولاد ما زالوا صغارًا، وقد تعبتُ في ذلك كثيرًا.

كانت رحلتنا التالية إلىٰ الرياض ثم مباشرة إلىٰ مسقط، ولكنه بسبب التأخير في جُدَّة فاتتنا رحلة الرياض، ولذلك فعندما وصلنا إلىٰ مطار الملك خالد في الرياض أخبرونا أن علينا المبيت في الرياض لأنه لا توجد رحلة أخرىٰ إلىٰ مسقط في ذلك اليوم، وكان علينا تسلّم أمتعتنا مرة أخرىٰ وأخذها معنا إلىٰ الفندق، وقد حاولتُ إقناع مُوظَّفي الطيران بتركها عندهم في المطار فرفضوا، وبعد جدالٍ بيني وبينهم طلبوا مني التواصل مع المسؤول، فتواصلتُ معه وجاء بنفسه وبعد حوارٍ ونقاشٍ معه رضوا في النهاية بتركها عندهم، فنِمنا ليلتنا في فندقٍ في الرياض علىٰ نفقتهم، ثم عُدنا إلىٰ المطار في العاشرة صباحًا من اليوم التالي، ووصلنا إلىٰ مطار السيب الدولي -بحمد الله وتوفيقه- في الرابعة مساءً.

٤ السفر على الطيران الماليزي

بعد إحضار زوجتي وأولادي معي في أغسطس ١٩٩٨م في أثناء دراستي الدكتوراة في مدينة أورلاندو، وبعد بقائهم معي هناك ما يزيد علىٰ تسعة أشهر صار حنين الرجوع إلىٰ عمان حديث الساعة، وكان عليَّ أن أعود إلىٰ أمريكا مرة أخرىٰ لحضور الدراسة الصيفية؛ ما جعلني لا أستطيع البقاء في عمان أكثرَ من أسبوع.

كنا أتينا من عمان علىٰ الخطوط الماليزية، وكانت رحلة العودة من مطار «نيو وارك» بولاية نيوجرسي إلىٰ دبي، ولذا واجهتنا في البداية مشكلة شراء تذاكر من أورلاندو إلىٰ نيويورك، وكانت أسعارها من ٨٠ إلىٰ ٥٢٦ دولارًا للتذكرة الواحدة، وأيضًا كان علينا أن نبيت ليلة في الطريق لأنه لا توجد رحلة من نيويورك في يوم السفر لتُوصِلنا إلىٰ «نيو وارك» قبل إقلاع الرحلة الماليزية.

اشترينا ثمانيَ تذاكر بقيمة ٩٥ دولارًا للتذكرة، علىٰ أن نُقلِع من أورلاندو في الصباح ثم نصل إلىٰ مطار «ليجواردیا» في نيويورك، وبعدها كان علينا أن نأخذ سيارة أجرة إلىٰ أحد الفنادق في مدينة «نيو وارك» في ولاية نيوجرسي، وأن نأخذ جميع حقائبنا وكراتيننا الأربعة عشر الكبيرة معنا إلىٰ الفندق ونبيت ليلتنا هناك، ثم نذهب إلىٰ المطار في اليوم التالي.

في يوم المغادرة من أورلاندو استيقظنا قبل الفجر بنحو ثلاث ساعات، ونظرًا إلىٰ أنّ سيارتي لا تتَّسع لجميع الحقائب والكراتين، أخذتُ أولًا شِحنة منها إلىٰ المطار وتركتُ بعض أولادي عندها، ثم عدتُ إلىٰ البيت وأخذتُ زوجتي وأولادي وبقية الأمتعة، ولما أنزلناها في المطار تركتُ السيارة في المواقف ليأتي أحد زملائي لأخذها في الصباح، ووجدنا طابورًا طويلًا من المسافرين في انتظار إنهاء إجراءات سفرهم، فجاءني أحد العمال وقال بأنه يمكنه أن يُنهِيَ لنا جميع إجراءاتنا في الخارج علىٰ أن نأخذ بطاقات الركوب من بوابة الدخول، وفعلًا أنهىٰ أمورنا بسرعة وأعطيتُه عشرين دولارًا إكرامية، ثم ذهبنا إلىٰ البوابة وحصلنا علىٰ بطاقات الركوب، ثم صلَّينا الفجر وانتظرنا إلىٰ أنْ حان وقت الإقلاع في السادسة والنصف.

توجَّهتِ الرحلة أولًا إلىٰ مدينة أتلانتا في ولاية جورجيا ووصلنا إليها في الثامنة والربع، ثم أقلعنا إلىٰ مطار «ليجواردیا» في نيويورك في التاسعة

والربع ووصلنا إليه في الحادية عشرة والنصف، وبعد تسلّم الأمتعة خرجتُ لأطلب سيارة أجرة، فلما أخبرتُ المُوظَّف الذي يُرتِّب توزيع سيارات الأجرة بأننا عائلة مُكوَّنة من ثمانية أشخاص وأن لدينا أربع عشرة قطعة حمولة، قال بأننا سنحتاج إلىٰ حافلتين، وطلب مني الذهاب إلىٰ المكتب الداخلي ليُرتِّبوا لنا ذلك.

رآني شخصان (وأظنُّهما من المكسيكان) وقالا بأنهما سيأخذوننا إلىٰ «**نيو وارك**» بـ١٦٠ دولارًا، فقلتُ لهما: «**انتظراني لأسأل في الداخل**»، فقالا بأنهم في الداخل سيأخذون عشرين دولارًا عن كل شخص إضافةً إلىٰ مبلغ آخر للأمتعة، فذهبتُ إلىٰ المكتب الداخلي وأخبرتهم بما أريد، فأخبروني بأن عندهم سيارات بقيمة ٦٥-٩٠ دولارًا، ولكن عليَّ أن أُخبرهم بالضبط بالمكان الذي نريد الذهاب إليه، واقترحوا عليَّ أولًا حجز الفندق.

اتَّصلتُ برقم عندهم خاص بحجز الفنادق، فأخبروني بأن أرخص سعر هو ٨٩ دولارًا للغرفة الواحدة، وأن عليَّ أخذ غرفتين لأنهم يسمحون بأربعة أشخاص فقط في كل غرفة، وأن ٨٩ دولارًا هي لشخصين في كل غرفة، ولذا عليَّ أن أدفع عشرة دولارات إضافية عن كل شخص إضافي، وبعد الحساب وجدتُ أن عليَّ أن أدفع للفندق ٢٢٠ دولارًا، إضافة إلىٰ الضرائب.

عُدتُ إلىٰ المُوظَّفة في المكتب الداخلي وأخبرتها بما أخبروني به في الفندق فاقترحتْ أن أستأجر سيارة، وأن أبحث بنفسي عن فندق، فوجدتُ أن استئجار السيارة سيُكلفني ١٦٥ دولارًا لليوم الواحد، فطلبتُ من المُوظَّفة شخصين ليساعداني علىٰ نقل الأمتعة إلىٰ السيارة، وعندما جاءا أخبرتهما بما عندي من أمتعة، فقدَّما لي اقتراحات عدة ومنها أن أوصِلها إلىٰ مطار «**نيو وارك**»، وأخزّنها هناك، ثم أستأجر غرفتين دون أن أخبرهم بالعدد.

اتَّصلتُ مرة أخرىٰ برقم حجز الفنادق، فأخبرتني المُوظَّفة بأن أقلَّ سعر هو ٥٩ دولارًا لكل غرفة، بحيث يكون شخصان في كل غرفة، وعندما سألتها ما إذا كان بالإمكان بقاء أربعة في كل غرفة قالت بأنهم لا يسمحون بذلك، ثم أخبرتني بأن فندق «**المرياد**» لديه سريران كبيران بكل غرفة ولكنه من الفنادق المُكلِّفة جدًّا، وعندما سألتها عن فندق «**إكونو لودج**» الذي سعره ٥٩ دولارًا اقترحتْ عليَّ الاتِّصال بهم مباشرة.

اتَّصلتُ بفندق «**إكونو لودج**» وأخبرتهم بعددنا وأمتعتنا، فقالوا بأن عندهم غرفة بها سريران وكنبة بها سرير، وأن الغرفة ستكفي لنا جميعًا وسعرها ٨٩ دولارًا، فأعطيتهم رقم بطاقة الفيزا وحجزتُ الغرفة، ثم توجَّهتُ إلىٰ المُوظَّفة في مكتب سيارات الأجرة وأخبرتها بأني حجزتُ الغرفة وأريد السيارة، فقالت بأن عليَّ الانتظار نحو نصف ساعة إلىٰ أن تتوفر عندهم سيارة، وأن عليَّ أن أدفع للسائق ٦٥ دولارًا إضافة إلىٰ ١١ دولارًا ضريبة للشارع السريع و٩,٧٥ دولارات إكرامية للسائق، فقلتُ لها: «**لا بأس بكل ذلك**».

انتظرنا نحو نصف ساعة إلىٰ أن جاء السائق، وعندما رأىٰ الأمتعة قال بأن سيارته لا تتَّسع لها، فأخبرته بأنه يمكنه وضع بعضها علىٰ الكراسيّ، فرفض وقال بأن القانون لا يسمح بذلك، ثم عاد إلىٰ الأمتعة وقال: «**أكلُّ هذه بـ٦٥ دولارًا؟**» ففهمتُ أنه لا يمانع من أخذها بمبلغ أكبر، فسألته: «**كم تريد؟**» فقال: «**إن أعطيتني ٨٠ دولارًا فسآخذها**»، فقلتُ له: «**لا بأس**»، وبحمد الله اتَّسعَتِ السيارة لنا جميعًا وللأمتعة.

استغرقنا في الطريق نحو ساعة، ورأينا نيويورك وجسورها الشاهقة ومبانيها القديمة وناطحات السحاب وملاعب اليانكيز والجايتسن، ووصلنا إلىٰ الفندق في الثانية ظهرًا، ورأينا الغرفة فكانت مناسبة، ولكنهم قالوا بأنه لا

يوجـد عندهم مكان لوضع الأمتعة ولكن يمكـن تركها داخل الغرفة، فدفعتُ لصاحب سـيارة الأجرة مئـة دولار وأنزلنا أمتعتنا، ثم دفعـتُ ١١٠ دولارات للغرفة.

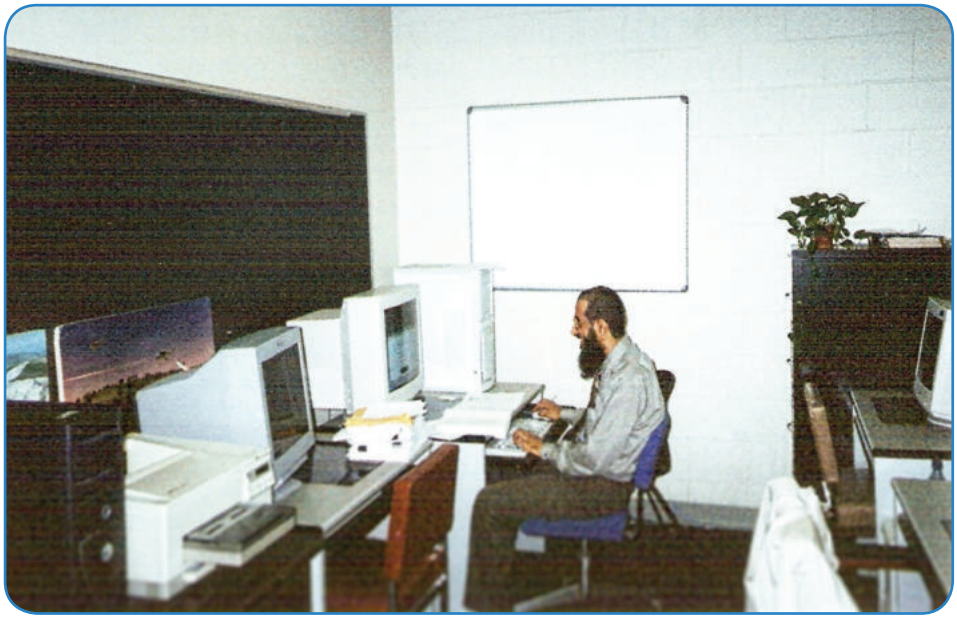
بعد تسلُّمنا الغرفة اتَّصلتُ بمطعم للبيتزا وطلبنا منه غداءنا، ثم صلَّينا الظهر والعصر جمعًا ثم تناولنا الغداء ونِمنا، ولم نسـتيقظ إلا في العاشرة ليلًا فصلَّينا المغرب والعشـاء، وبقيتُ أنا والأولاد إلىٰ منتصف الليل وكنتُ أسـتيقظ بين فـترة وأخرىٰ بسـبب الكحَّة، ثـم نِمتُ ولم أسـتيقظ إلا في السـابعة والنصف فصلَّينـا الفجر حينَها، ثم ذهبنـا إلىٰ غرفة خلف مكتب الفنـدق خاصة بإفطار النزلاء، فوجدنا بها كعكًا وقهوة وشايًا فأخذنا شيئًا منها وأفطرنا بحمد الله.

بعدهـا، أخذنا بعض الأمتعة بسـيارة الفندق إلىٰ المطـار وأبقيتُ ابني عمر عندهـا، ثم عُدنا وأخذتُ زوجتـي والأولاد وبقية الأمتعة، وبعد أن أنزلناها في المطار أعطيتُ السائق عشرين دولارًا إكرامية، ثم أخذناها إلىٰ داخل المطار، ومرَّت الإجراءات -بحمد الله- علىٰ أحسن ما يرام، ثم دفعتُ ثلاثة دولارات لـكل تذكـرة ضريبة للمطار، ثـم انتظرنا نحو عشـرين دقيقة إلـىٰ حين دخول الطائرة، ثم بعد قليل من الانتظار أقلعَتِ الطائرة في الحادية عشْرة.

كانت رحلتنا إلىٰ دبي تسـتغرق قرابة سـت عشـرة سـاعة متواصلة، وعلىٰ الرغم من أن سعر التذكرة الواحدة للطيران الماليزي ذهابًا وإيابًا هو فقط ٣٥٠ ريالًا، فإننا وجدناه أفضل طيران ركبناه علىٰ الإطلاق، إذ كانت خِدماتهم راقية جـدًّا ومعاملتهم فوق الامتياز؛ حتىٰ إن أولادي بقوا مسـتيقظين طَوال الرحلة وهـم أمام الشاشـات الصغيـرة المتوافـرة أمام كل راكـب، وكانوا بيـن الفينة والأخـرىٰ يضغطون زر طلب الخدمة، فيأتي أحد المُوظَّفين فيطلبون العصائر والسندويشات، والمُوظَّفون يُقدِّمون لهم ما يطلبون دون نقاشٍ ولا تذمُّرٍ.

٥ حذف ملفات رسالة الدكتوراة

عندما كنتُ أدرس الدكتوراة في ولاية فلوريدا، وكنتُ علىٰ مشارف الانتهاء منها، وقعتْ في تلك الفترة تفجيرات ١١ من سبتمبر، وبعدما كثرَتِ الاعتداءات علىٰ المسلمين رأيتُ خطورة بقائي هناك، فقرَّرتُ العودة إلىٰ عمان، وفي تلك الفترة كانت رسالة الدكتوراة شبهَ جاهزةٍ، وكان لي في الجامعة مكتب مُموَّل من مُشرفتي يشاركني فيه أحد الأمريكان، ويوجد في المكتب طابعة مشتركة وجهاز حاسوب لكلِّ واحدٍ منا.



في مكتبي في جامعة وسط فلوريدا

وقبل مغادرتي إلىٰ عمان بأيام ذهبتُ في الصباح إلىٰ مكتبي، وعندما أردتُ فتح الملف الخاص برسالة الدكتوراة لم أجده في مكانه، ووجدتُ جميع الملفات الأخرىٰ المُتعلِّقة بالرسالة والنُّسَخ القديمة من الرسالة غير موجودة،

وبحثتُ عنها في جميع مُجلَّدات الجهاز فلم أجدها، وأظهرتُ الملفات المَخْفِيَّة في الجهاز فلم أجدها فيها.

لم يكن الأمر ليقع خطأً، وإنما هو -لا محالة- مُتعمَّد من أشخاص أو ربما جهات أمنية، فحاولتُ تحرِّي الأمر من زميلي الأمريكي الذي معي في المكتب فنفىٰ علمه بأيِّ شيء من ذلك، وأخبرتُ مُشرفتي فأظهرتْ تعجُّبها مما جرىٰ، ولكني -في حقيقة الأمر- شككتُ في زميلي الأمريكي، وذهبتْ شكوكي حتىٰ في المُشرفة نفسها من أن يكون لها دور فيما جرىٰ، مع أن علاقتي بها طيِّبة جدًّا، ولم أُلاحظ عليها أو علىٰ زميلي الأمريكي مِن قبلُ أيَّ تصرُّفات تُثير الشكوك، ولكن ربما بسبب الأحداث في تلك الفترة وتغيُّر الرأي العام ضدَّ المسلمين تغيَّرت نظرة المُشرفة أو زميلي الأمريكي نحوي.

علىٰ كل حال تداركني المولىٰ -سبحانه وتعالىٰ- برحمته ومَنِّه وفضله، فتذكَّرتُ أني في اليوم السابق كنتُ قد أرسلتُ إلىٰ مشرفتي نسخة من الرسالة بالبريد الإلكتروني لمراجعتها، فاستطعتُ استرجاعها من ذلك البريد، ولم أخسر إلا بضع صفحات أضفتُها وعدّلتُها بعد إرسالها إلىٰ المُشرفة، واستطعتُ -بتوفيق الله- أن أُنهي الرسالة في وقتها وعلىٰ أكمل وجه.

٦ دراما عاملة المنزل

في عام ٢٠٠٨م كانت عندنا عاملة منزل إندونيسية اسمها فاطمة، وكانت لا تزال عندي آنذاك صعوبة المشي أو الحركة بسبب ما جرىٰ لي في متصف ذلك العام من مشكلة الظهر، كما تحدَّثتُ عنها سابقًا، وذات يوم كنتُ في البيت بمفردي أعمل علىٰ الحاسوب، وفُوجئتُ بالعاملة تدخل عليَّ وهي

تبكي، وقالت بأنها تريد الذهاب إلىٰ بلادها، فسألتها عن السبب، فأخبرتني بأن زوجتي تقسو عليها في الكلام، وكانت زوجتي قبل يوم قد أغلظَتْ عليها الكلام لأنها خلطَتِ الملابس المُلوَّنة والبيضاء عند غسيلها، ولذا تظهر البيضاء وكأنها مُتَّسِخة، فأخبرتُها بأني سأتحدَّث مع زوجتي.

كنتُ أتحيَّن الفرصة للحديث مع زوجتي حول ذلك الأمر، ولكني فوجئتُ بزوجتي تدخل عليَّ وتقول بأن العاملة قد هربتْ، وأنها وجدتها خارج البيت ومعها حقيبتها وأبلغتها بأنها لا تريد العمل عندنا ثم ولَّتْ، فاتصلَت زوجتي ببعض الأهل للبحث عنها ولكنهم لم يجدوها، فطلبتُ من ابني مصعب أن يتَّصل بمركز الشرطة ليُبلغهم بهروبها، وعندما ذهبتُ لصلاة المغرب أخبرتني أمي بأنهم وجدوها في غرفة مضخة الماء التي بجوار بيت والدي.

الغريب في الأمر أن العاملة كانت صائمة، وحاولتْ أمي أن تعطيها شيئًا تأكله فرفضتْ، وأخبرتني أمي بأنها مُستَلقية في غرفتها وتأبىٰ أن تتناول شيئًا، وعندما عدتُ إلىٰ البيت طلبتُ من زوجتي الذهاب لإحضارها إلىٰ بيتنا فرفضَتْ في البداية التذلُّل لها -حسب رأيها-، ولكني أقنعتها بأنه لا يمكن تركها في بيت أخي، فطلبتْ مني أن أتَّصل بالمكتب الذي أحضرناها منه -وكان في البريمي-، فاتَّصلتُ بهم وأخبرتُ المرأة الموجودة في المكتب بما جرىٰ، فطلبتْ أن تتكلَّم مع العاملة فأخبرتها بأنها موجودة في مكان آخر، فسألتُ صاحبة المكتب عمَّا يمكن فعله، فقالت بأنهم لا يتحمَّلون أيَّ شيء، ولكن يمكننا أن نأخذها إليهم وندفع لهم تكاليف ترحيلها وسيتكفَّلون بذلك.

ذهبنا إلىٰ بيت أخي لنُعيد العاملة إلىٰ بيتنا فوجدناها شبه ميِّتة، ولم يبقَ فيها إلا التنفُّس، وصارت تتقيَّأ كثيرًا وتُخرِج الزَّبَد من فمها، فساورتني شكوك بأنها إما تُمثِّل وليس بها شيء وإما أنها تناولتْ شيئًا لمحاولة الانتحار، فكلَّمتُها

وحاولتُ إقناعها بالعودة إلىٰ البيت إلىٰ أن نتمكَّن من أخذها للمكتب، وقلتُ لهـا: «**أنتِ تسـمعينني، وإن كنتِ راغبـة في العودة إلىٰ بلادكِ فلـن نمنعكِ من ذلك، ولكن علينا القيام بترتيبات السـفر؛ كالحجز وشـراء التذكرة وتوصيلِكِ إلىٰ المطار، وكل ذلك لن يحدث هذه الليلة**»، وأخبرتها بأنه لا يمكنها المبيت في بيت أخي، وإنما عليها الرجوع إلىٰ بيتنا والمبيت فيه.

أحسسـتُ بأنها قد اقتنعـتْ بكلامي، ففتحتْ عينيها وكأنها ليس بها شـيء، وعندهـا زادتْ شُـكوكي بأنهـا فقـط تُمثِّل، فطلبـتُ مِن زوجتي أن تسـاعدني لإخراجهـا مـن بيت أخي، فلمـا رأتْ زوجتي بدأتْ مرة أخـرىٰ تتقيَّأ وتخرج أصواتًا وكأنها تُحتَضَر، ثم بدتْ وكأنها قد أُغمِيَ عليها، فأشفقتْ عليها زوجتي وبـدأتْ تضع الماء علىٰ وجهها ورأسـها علَّها تُفيق من إغماءتها، وفعلًا بدأتْ مـرة أخرىٰ تَنْتحِب وتُخـرج أصواتًا، فطلبتُ من أحد أولاد أخي أن يسـاعدنا لأخذها إلىٰ مستشفىٰ بهلا، ثم طلبتُ من بعض أولاد وبنات أخي أن يساعدوا زوجتي لحملها إلىٰ السيارة.

أحضرتْ زوجة أخي مَرْتَبَةً وضعوها عليها، ثم تعاونوا لحملها إلىٰ السيارة وهي تبدو وكأنها ميِّتة، ثم أخذناها إلىٰ طوارئ مستشفىٰ بهلا، ففحصوا نبضها وضغـط الدم وعينيها، ثـم أمر الطبيب بأن تُعطىٰ سـقاية، وأن يأخذوا لها عيِّنة دم، فعدتُ أنا إلىٰ البيت وبقيتْ زوجتي وابني عبد الله معها، وعندما عادوا إلىٰ البيت عند منتصف الليل، رأيتُ العاملة مُسَدَّاة علىٰ المَرتبة التي أخذوها فيها، وكانوا يسـحبون المَرتبة ليُدخلوها إلىٰ البيت علـىٰ الرغم من أنها كانت بدينة وعظيمة الجسم، ثم تركوها في غرفتها وكأنها جُثَّة هامدة.

كانـت زوجتـي وابني عبـد الله في غضب شـديد ممـا أصابهم مـن الجهد، وشُـكوكهم التـي زادت مـن أنهـا فقـط تُمثِّـل، وخاصـة بعدمـا أخبروهم في

المستشـفىٰ بأنهم لم يجدوا عندها شـيئًا، وكان الأولاد ينامون معها في الغرفة، فطلبنـا منهـم ألّا ينـاموا تلـك الليلة في غرفتهـا، وبعد أن أدخلوهـا إلىٰ غرفتها أحضـرتْ لها زوجتي عصيرًا وكعكًا وحاولـتْ أن تعطيها إياه ولكنها أظهرت وكأنهـا ميِّتة فتركته بجانبها، ثم أقفلت باب الغرفة من الخارج مخافة أن تخرج في الليل وتفعل شـيئًا في نفسـها أو في البيت، والحقيقة أني عندما شاهدتها علىٰ تلـك الحـال أخذتنـي الشـفقة عليها، وأخـبرتُ زوجتي بـأنّ علينا أن نسـعىٰ جاهدين لعلاجها ثم نُعيدها إلىٰ مكتب البريمي لترحيلها.

في اليوم التالي عندما استيقظنا صباحًا، طلبتُ من زوجتي أن تذهب لترىٰ ما حدث لها، فوجَدَتْها علىٰ الحال التي تركوها عليها ولم تتناول شيئًا من الطعام أو الشراب، فطلبتُ من ابني عبد الله أن يبقىٰ في البيت لنأخذها إلىٰ المستشفىٰ ثـم إلىٰ مكتـب البريمي، وبعد أن أفطرنـا وضعتها زوجتي وابنـي علىٰ مَرْتبة، ثم سـحبوها إلىٰ السـيارة وأخذوا معها أمتعتها، وكنتُ أنـوي الذهاب بها إلىٰ المُجمَّـع الصِّحـيّ في بهلا، ولكن رأيـتُ أن نذهب بها أولًا إلىٰ مركز الشـرطة لنُخبرهم بحالتها علَّهم يدلُّوننا علىٰ حلٍّ.



ابني عبد الله وأمه وهما يُخرجان العاملة من البيت لأخذها إلىٰ مركز الشرطة

بعد وصولنا إلىٰ مركز الشـرطة أخبرتُ الشـرطي بما جـرىٰ، فقال بأنهم لا يسـتطيعون فعـل شـيء في الوقـت الراهن لأنه لـم يحدث إلىٰ الآن أيُّ شـيء يسـتدعي تدخُّلهم، وعندما ألححتُ عليه طلب مني التحدُّث إلىٰ ضابط قسم التَّحرِّيـات، فأخبرتُ الضابط بشـكوكي بأنها تُمثِّل أو أنهـا تحاول الانتحار أو قـد تكون حاملًا، فاسـتبعد محاولـة الانتحار لأنه لم يظهـر في فحص الدم أيُّ أثر لتناول شـيء يمكـن أن يضرَّها، وقال بأن المُرجَّح أنهـا تُمثِّل لأن كثيرًا من عاملات المنازل يَفْعَلْن ذلك.

خرج الضابط ومعه واحدة من الشـرطيات للحديث مع العاملة في السيارة، فلمـا وصلنا عندهـا وجدناهـا مُرتَمِية تحـت الكُرسـيِّ بجانب باب السـيارة

الخلفـي، فطلبتُ من زوجتي أن ترفعها وتُجلسـها علىٰ الكُرسـيِّ لنتمكَّن من فتح الباب، ثم بدأ الشـرطي يُكلِّمها ويسـألها ما بها وهي لا تنطق ولا تتحرَّك، فبدأ يُغلِظ عليها في الكلام وطلب منها أن تفتح عينيها وفعلًا فتحتْ عينيها، ثم أخذ يضربها علىٰ يدها بقلم في يده فبدأتْ في البكاء والكلام، وعندما شـاهدتها زوجتـي وهـي تبكي وتتكلَّم ثارتْ مـن الغضب، وقالت للشـرطي بأنها كذَّابة وتسـتحقُّ العقـاب لأنها ترفض حتـىٰ تناول الطعـام، فأخذ الشـرطي يُهدِّدها بالسـجن إن لم تتناول الطعام، ثم قال لي بأنه ليس بها أيُّ شـيء، وأن صحَّتها أفضـل من صحتـه وصحتي، واقـترح علينا الذهاب بها إلىٰ مكتب في السـوق لإنهاء إجراءات ترحيلها.

عندمـا غادرنا المركز اشـترينا لها بعض الكعـك والعصير وطلبت زوجتي منها بغلظة أن تأكل، وهدَّدتها بأنها إن لم تأكل فسـنعيدها مرة أخرىٰ إلىٰ مركز الشـرطة ليسجنوها، وعندما سمعتْ ذلك الكلام تصنَّعتْ بأنها غير قادرة علىٰ الإمسـاك بالكعـك والعصير ففتحـت زوجتي لها الكعك وسـقط العصير من يدها فطلبتْ منها زوجتي أن تأخذه بنفسها.

ذهبنا إلىٰ مكتب السـفريات فسـألونا عـن موعد مغادرتهـا فأخبرناهم بأننا نريـده في ذلك اليوم، فوجـدوا لها مقعدًا شـاغرًا بقيمة ١٤٠ ريـالًا والتذكرة، واتَّفقنـا معهم علىٰ توصيلها إلىٰ المطار فطلبوا منا إحضارها في الرابعة عصرًا، ولما عُدْنا إلىٰ البيت طلبنا منها النزول من السـيارة والمشـي إلىٰ داخل البيت بنفسـها، وفعلًا نزلتْ من السيارة وتصنَّعتْ أنها لا تستطيع المشي أو الجلوس فبدأتْ تزحف، فسـاعدتها زوجتي إلىٰ أن أدخلتها إلىٰ غرفتها ثم أحضرتْ لها فواكـهَ وماءً، وطلبتْ منها أن تـأكل ولا تتقيَّأ وإن لم تأكل فلن يمكنها الذهاب إلىٰ المطار، فأكلتْ وشربتْ ولم تتقيَّأ.

عنـد العصر أخبرناهـا بالذهاب إلىٰ مكتب السـفريات فخرجتْ من البيت وهـي ترتدي بنطلون جينـز وقميصًا وحملـتْ حقائبها بنفسـها، وعند مكتب السـفريات في بهلا وجدنا حافلة تنتظر ركوب العديد من المسـافرين الأجانب لنقلهـم إلـىٰ المطـار فطلبتْ زوجتـي منها ركـوب الحافلة، وفعـلًا نزلتْ من السـيارة وهي تحمـل حقائبها ثم توجَّهتْ إلىٰ الحافلـة، ووجدَتْ هناك عاملة إندونيسـية أخرىٰ فجلسـتْ بجانبها وبدأتـا التحدُّث مع بعضهمـا، فعُدنا إلىٰ البيت بعدما انتهتْ تلك الدراما المُثيرة.

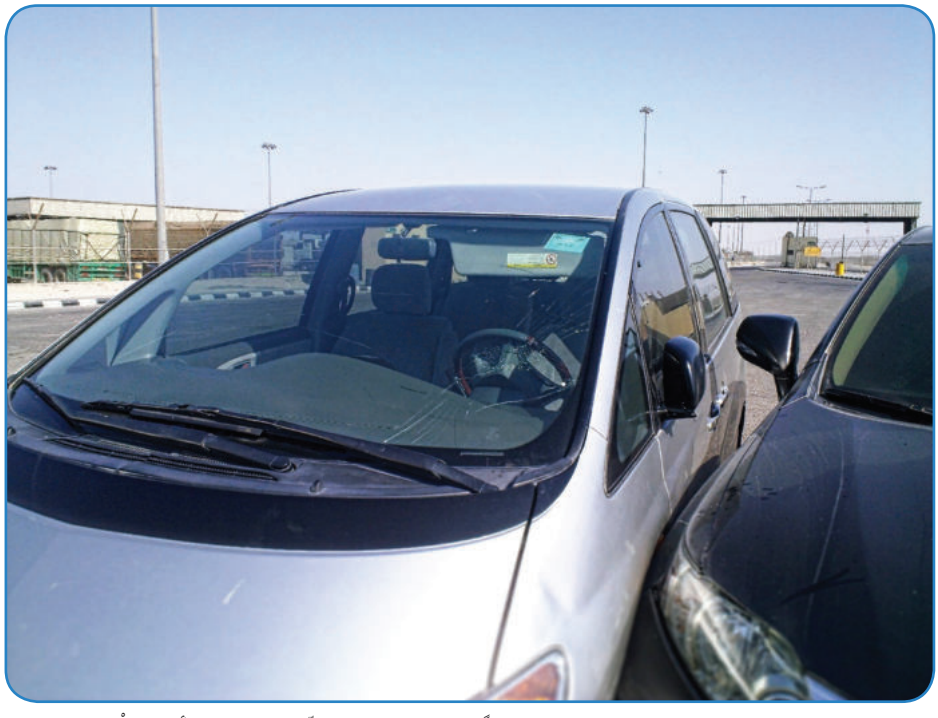
٧ طيشُ شابٍّ سعودي

عندمـا ذهبتُ بمفردي بسـيارتي البريفيـا في رحلتي الثالثة إلـىٰ دولة قطر في سـبتمبر ٢٠١١م لغـرض العـلاج وقع لي في مركـز البطحاء التابع للسـعودية موقـفٌ لا أنسـاه أبـدًا؛ وذلك أنـه عندما وصلتُ إلـىٰ المركز كانـت كابينات الجـوازات مُغلقة لصلاة الظهر فبقينا ننتظر في سـياراتنا نحو سـاعة، تجمَّعتْ خلالها طوابير من السـيارات، وقد لاحظتُ أن شـابًّا سـعوديًّا يقود ليكسـس ستيشـن واجـن صغيـرة ومعه أربعة مـن إخوانـه وأخواته قد جاء من يسـاري وأوقف مُقدِّمة سيارته اليمنىٰ ملاصقةً إطار سيارتي الأمامي، وبدأتِ السيارات تصطفُّ خلفه مُشَكِّلةً طابورًا آخَر من السيارات.

عندما فُتِحَتِ الكابينات بدأتِ السـيارات تتسـابق للوصول إلىٰ الكابينات، وصار يدخل بعضها علىٰ بعض، وبعضها كانت تأتي من مُؤخِّرة الطوابير وتتقدَّم قريبًا من الكابينات، ولم يكن هناك شـرطة يُنظِّمون الأمر وربما لحدوث مثل ذلـك يوميًّا، وحاول الشـاب السـعودي أن يدخل أمامي فلم أُفْسِـحْ له، وكان

كلما تحرَّكتِ السيارة التي أمامي حاول أن يُدخِل سيارته أكثر، وفجأة صدمتْ مُقدِّمة سيارته الإطار الأمامي لسيارتي من جهة اليسار وعَلِقَ جناح إطار سيارته بجناح إطار سيارتي.

وقفتُ مكاني مذهولًا مما حصل ولم أدرِ ما أفعل؛ فحالتي الصِّحية لا تُتيح لي الخروج والتشاجُر معه ولذلك بقيتُ في سيارتي وأغلقتُ أبوابها ونوافذها، وأما هو فقد هبط من سيارته ولما رأىٰ سيارته قد دخلت في سيارتي سمعته يصرخ فيَّ بغضب: «**ارجع يا حيوان**» وكنتُ أنظر إليه ولا أفعل شيئًا، وعندها ازداد غيظُه اقترب من زجاجة سيارتي الأمامية وضربها بكفِّه من جهة السائق فهشمها في موضع الضربة وتصدَّعَتْ جوانبها.



سيارتي (يسارًا) وسيارة الشاب السعودي (يمينًا)، وتظهر ضربة الشابِّ علىٰ الزجاجة أمام المِقْوَد

بقيتُ جامدًا في كُرسيِّي لا أدري ما أفعل ولا أكاد أُصدِّق أنه وقع لي حادث، وكنتُ علىٰ أمل أن يرىٰ الشـرطة في الكابينـات ما يجري فيأتوا ليحكموا بيننا، وكانت السيارات تتجاوزنا وتذهب إلىٰ الكابينات ولم تبقَ إلا سياراتنا، فتوجَّه الشـابُّ إلىٰ الكابينات وبعد فترة عاد ورأيتُه يتَّصـل بهاتفه، وعندما طالت مدة انتظاره فهمتُ أنه ربما اتَّصل بالشرطة فانتظرتُ نحو ٤٠ دقيقة.

عندمـا رأيـتُ أنه لـم يأتِ أحـدٌ من رجـال الأمن إلينـا ذهبتُ إلـىٰ إحدىٰ الكابينات، فأخبرتُ الشـرطي بما جرىٰ فطلب مني أن أُكلِّم رئيسـهم وكان في مكتـب مجـاور، فذهبتُ إليه وأخبرته بما جرىٰ وأننـا ننتظر منذ ٤٠ دقيقة ولم يأتِ أحد من الشـرطة إلينا فأخبرني بأنه أعطىٰ رقم الحوادث للشـابِّ وأنهم في طريقهم إلينا.

بعـد قليل جاء شـرطي بسـيارته فتوجَّهتُ إليه فسـألني عما جـرىٰ فأخبرتُه وفهمتُ من كلامه أنه قد سـأل الشـابَّ قبلي، فهبط من سيارته للحظات ليرىٰ الحادث ولم يقُم بأيِّ تخطيط له وإنما طلب مني تحريك سـيارتي لتنفصل عن سـيارة الشابِّ، ثم سـألنا ما إذا كنا قد أنهينا الجوازات فأخبرناهُ بالنفي، فطلبَ منا ملكيات سياراتنا ورُخص القيادة فأعطيناه إياها فأخبرنا بأنه سيمشي أمامنا حتىٰ نُنْهي إجراءات الجوازات.

بعـد أن خرجـتُ من كابينة الجـوازات طلب مني أن أُجري تأمينًا لسـيارتي داخل السعودية ففعلتُ ثم طلب منا أن نتبعه إلىٰ مركز الشرطة، وكنتُ بحاجة إلـىٰ بنزين فأخبرتُه فقال بأنه سيَسـبِقنا إلىٰ المركز، وأن عليَّ أن أمشـي خلف الشـابِّ إلىٰ أن نصـل إلىٰ المركز الـذي علىٰ بُعْد نحـو ١٥ كيلومترًا، فملأتُ السيارة بالوقود ثم تبعتُ الشابَّ إلىٰ المركز.

عندما وصلنا أخبرهم الشابُّ بما جرىٰ فطلبوا منا الانتظار إلىٰ مجيء الشرطي، فلما وصل أخبر الضابطَ بما جرىٰ فسألني الضابط فأخبرته بالتفاصيل، وعندما سأل الشابَّ أنكر كلَّ ما قلتُه وادَّعىٰ أنه كان يمشي في خطِّه فدخلتُ عليه فصدمته، وعندما سأله الضابط ما إذا كان قد ضرب الزجاجة الأمامية بيده أنكر الشابُّ ذلك، وقال بأنه كان يحاول بهدوء وأدب أن يطلب مني تحريك سيارتي ثم يذهب كلٌّ إلىٰ سبيله، وقال بأنه سيحلف علىٰ صحة ما قاله إن أرادوا، فلم أُصدِّق ما أسمعه من الكذب وقلب الحقائق.

حاول الشرطة أولًا أن يُسوُّوا الأمور بيننا علىٰ أن يُصلِح كل واحد منا سيارته فرفضتُ، فسألني الضابط ماذا أريد، فقلتُ له بأني أريد الإنصاف، وأقلُّ ما أتوقَّعه إصلاح سيارتي، فسألني كم أطلب فقلتُ له لا أدري، فقال: «**ما رأيك في ٥٠٠ ريال سعوديّ** (أي نحو ٥٢ ريالًا عمانيًّا)؟» فأخبرتُه بأن الزجاجة الأمامية تُكلِّف الكثير، ولِأُثبت له ذلك اتَّصلتُ بوكالة تويوتا في عمان فقدَّروا قيمة الزجاجة الأصلية بنحو ٣٦٥ ريالًا عمانيًّا، فلما أخبرتُ الضابط بذلك قال بأن ذلك سعر الوكالة ويمكنني الحصول علىٰ زجاجة مُستعملة بنحو ٢٥٠ ريالًا سعوديًّا فقط.

فلما رأيتُ أن الأمور لن تسير بأحسن من ذلك قلتُ لهم: «**افعلوا ما تَرَوْنه مناسبًا**»، فسأل الضابط الشابَّ إذا كان يوافق علىٰ تعويضي ٥٠٠ ريال فرفض، وعندها سأله الضابط عن التأمين فقال بأنه قد انتهىٰ فاستغلَّها الضابط فصار يضغط عليه ليدفع لي والشابُّ يرفض، وعندما قال له إن الأمور ليست في صالحك لأنه ليس عندك تأمين، ردَّ الشابُّ بأنه لم يكن عندي أنا أيضًا تأمين، فأخبره الضابط بأن عندي تأمينًا فقال الشابُّ بأني عملتُه بعد الحادث، ففي البداية رفض الضابط أن يأخذ بتلك الحجة وقال

لـه: «لا يهـمُّ إن كان قبـل الحـادث أو بعده، المهمُّ أن عنده تأمينًا»، فردَّ الشـاب: «إذن أقـدر أن أذهـب الآن وأعمـل تأمينًا».

عندها سألني الضابط: «هل عملتَ التأمين قبل الحادث أم بعده؟» فشرحتُ له بأن عندي تأمينًا داخل عمان، ولما دخلتُ الإمارات عملتُ تأمينًا للإمارات، وكان مـن المفترض أن أعمل تأمينًا للسـعودية بعد إنهاء إجراءات الجوازات، ولكـن صار الحـادث قبل أن أصل إلىٰ كابينة التأميـن، وهنا قال الضابط: «إما أن تُسـوُّوا الأمور بأنفسكم، أو نقوم بالإجراءات الرسمية؛ وهي أن يُحضِر كل واحد منكم كفيلًا، وبعدها تُقيّم تكاليف إصلاح السـيارات في منطقة الإحساء من خلال ثلاثة كراجات، ثم يدفع كلُّ واحد منكم للآخر نصف قيمة التصليح لسيارته».

أما الشـابُّ فاتَّصل بشخص ليكفله، وأما أنا فأخبرتُ الضابط بأني لا أعرف أحدًا في السـعودية، وقد جئتُ للعلاج وليس بإمكاني البقاء في السـعودية أيامًا لإنهاء تلك الإجراءات، وعلىٰ ذلك فإني أتنازل عن كل شـيء، وطلبتُ منه أن يُنهي الإجراءات بسـرعة، وقلـتُ للضابط بأنّ بيني وبين الشـاب يومَ القيامة، وأنكـم ستشـهدون، فقـال الضابـط: «لا تُحمِّلنا أيَّ شـيء؛ فنحن لم نشـاهد الحـادث، وإنمـا نحاول الصُّلْـح بينكما»، فقلـتُ له: «إنكم ستشـهدون علىٰ مـا قاله هذا الشـابُّ، وكيف أنـه قلب كل الحقائق بالرغم من أني لم أُسِـئْ إليه بشيء، بل علىٰ العكس كنتُ أدعو له».

وقَّعتُ علىٰ محضر الحادث، وأعطوني ورقة لتمكيني من إصلاح سـيارتي، فشكرتهم ثم خرجتُ من عندهم ومشاعري النفسية لا تكاد توصف.

٨ التذكرة بدرهم والحقيبة بألف

قبل ذهابي إلىٰ ماليزيا في رحلتي الأولىٰ خطَّطتُ للذهاب إلىٰ تايلاند مدة شهر بعد انتهاء فترة العلاج في ماليزيا، فنصحني أحد أهلي باستخدام الطيران الصيني (Air Asia) للانتقال من ماليزيا إلىٰ تايلاند لأسعار تذاكره المُخفَّضة، وفي يوم مغادرتي ماليزيا تواصلتُ مع صاحبي سائق الأجرة عبد الحكيم ليأخذني إلىٰ مطار Terminal LLC الخاص بالطيران الصيني.

وبعد أن أنزلنا الحقائب وأعطيتُ عبد الحكيم أجرته وكانت ١٣٠ رنجتًا، أخذتُ أجرَّ حقائبي إلىٰ كاونتر شحن الأمتعة، وهناك حدث لي موقفٌ لن أنساه طَوالَ حياتي؛ فما إن رأتِ المُوظَّفة كِبَر حقائبي وثِقْلها اندهشتْ، ولما أعطيتها التذكرة قالت لي بأني لم أشترِ في تذكرتي حقائب، فقلتُ لها: «**كيف ذلك وجميع شركات الطيران تسمح للراكب بحقيبتين؟!**» فقالت: «**في هذا الطيران يُسمح فقط بحقيبة يد لا يزيد وزنها علىٰ سبعة كيلوجرامات، وأما الباقي فعليك أن تشتريه عندما تعمل الحجز**»، ولما حَسَبَتْ ما يمكن أن أدفعه أخبرتني بأنهما ستُكلِّفانني أكثر من ٢٠٠٠ رنجت (أي قرابة ٢٦٦ ريالًا).

وقع كلامها عليَّ كالصاعقة، وشُلَّ تفكيري، فقلتُ لها: «**لا يمكن أن أدفع ذلك المبلغ وأنا اشتريتُ التذكرة فقط بنحو ٢٣٠ رنجتًا**»، فأخبرتني ببعض الخيارات، ومنها أن أذهب إلىٰ موقع الطيران في الإنترنت وأضيف الحقائب من هناك فستكون أرخص بكثير؛ فالحقيبة ذات ٢٠ كيلوجرامًا تُكلِّف فقط نحو ٤٠ رنجتًا، ثم استدركتْ وقالت بأنه لا يمكنني فعل ذلك حينها لأن تلك الخدمة تغلق قبل ٤ ساعات من موعد الرحلة، ولم يبقَ علىٰ الإقلاع إلا نحو ثلاث ساعات.

ثم أعطتني خيارًا آخر وهو أن أشتري تذكرة جديدة لرحلة قادمة في السادسة والنصف أو العاشرة مساءً وأضيف الحقائب معها، فقلتُ لها: «**لا يمكنني تأجيل الرحلة لأني أخبرتهم في تايلاند بأن يستقبلوني في المطار**»، فقالت: «**يمكنك الاتِّصال بهم**»، فقلتُ لها: «**وكم سأدفع لو غيَّرتُ الرحلة؟**» فأخذتْ تحسب، ثم قالت: «**ستُكلِّفك تقريبًا القيمة نفسها؛ فالتذكرة قيمتها أكثر من ٦٠٠ رنجت، وعليَّ أن أدفع أكثر من ٧٠٠ رنجت للوزن الزائد للحقائب، وفوق ذلك سأخسر التذكرة التي عندي**».

كنتُ لا أصدق ما أسمع، وكانت مشاعري الداخلية يمتزج فيها الشعور بالإرهاق من إنزال الحقائب ورفعها الذي قمتُ به مرات عدة، وكذلك الشعور بالغيظ من ذلك الطيران التعيس ونظامه البغيض وعدم وضوح تلك الإجراءات في أثناء الحجز، إذ كنتُ قرأتُ عما يتعلَّق بالحقائب من هنا وهناك في موقعهم ولم أجد شيئًا يُفيد ما حدث لي.

أخبرتُ المُضيفة بأني لن أُوجِّل رحلتي وطلبتُ منها إنهاء إجراءات الشحن، فقالت بأن الحقيبة الكبيرة وزنها قرابة ٤٠ كيلوجرامًا، ولا يُسمح بأكثر من ٣٢ كيلوجرامًا للحقيبة الواحدة، واقترحتْ عليَّ أن أشتري كرتونًا وأنقل إليه بعض الأغراض من الحقيبة الكبيرة، فسألتها إن كان بإمكاني أخذ الوزن الزائد معي إلىٰ الطائرة، فقالت: «**بشرط ألا يزيد علىٰ سبعة كيلوجرامات**».

لحسن حظي أني كنتُ اشتريتُ حقيبة بلاستيكية تخوُّفًا من حدوث مثل هذا، ولذا أخذتُ حقائبي إلىٰ مكان منعزل عن الطوابير وأخليتُ مجموعة من ملابسي في الحقيبة البلاستيكية، ثم عدتُ ووقفتُ في الطابور مرة أخرىٰ، وعندما جاء دوري مع مُوظَّفة أخرىٰ وكانت قد سمعتْ ما دار بيني وبين المُوظَّفة السابقة من حوار، قالت بأن عليَّ أن أدفع ٢٢٥٥ رنجتًا (أي قرابة

٣٠٠ ريال)، ولم أجد بُدًّا من دفعها، فأعطيتها البطاقة وسحبت المبلغ، ثم عدتُ أدفع العربة التي بها حقيبة الحاسوب والحقيبة البلاستيكية.

قلتُ في نفسي: «سبحان الله؛ دفعتُ من قبل ٦٤٧ رنجتًا لتأخير موعد الذهاب إلىٰ عمان إلىٰ نهاية يونيو وأيضًا للعودة من بانكوك بدلًا من كوالالمبور، ثم دفعتُ ٢٣٢ رنجتًا قيمة التذكرة من كوالالمبور إلىٰ بانكوك، ثم دفعتُ اليوم ٢٢٥٥ رنجتًا، وذاك يعني أني دفعتُ ٣١٣٤ رنجتًا (أي أكثر من ٤٠٠ ريال)، ولو أني لم أقم بشيء من ذلك وعدتُ إلىٰ عمان بالتذكرة التي جئتُ بها وقضيتُ بعض الأيام مع الأهل، ثم اشتريتُ تذكرة أخرىٰ إلىٰ تايلاند؛ لما كلَّفتني كل ذلك المبلغ، ولكنْ قدَّر الله وما شاء فعل».

بعد أن سلَّمتُ حقائبي ذهبتُ إلىٰ بوابة المغادرة، وفي الطريق طلبوا مني ترك العربة فحملتُ حقيبة الحاسوب علىٰ كتفي وبقيتُ أجرُّ الحقيبة البلاستيكية وأنا لا أقوىٰ علىٰ ذلك إلا بصعوبة، وعندما فتحوا البوابة للدخول كان علينا أن نمشي نحو ٣٠٠ متر إلىٰ مكان الطائرة وكنتُ أسحب حقيبتي بصعوبة، وعندما وصلنا إلىٰ الطائرة صعدتُ سُلَّمها وأنا أشعر بتعب وإرهاق، وفي أثناء الرحلة وزّع المُضيفون الصينيون وجباتٍ وعصائرَ فقط لمن اشترىٰ وجبة في أثناء الحجز، وأما الباقون فلم يحصلوا إلا علىٰ الروائح.

٩ دودة الوادي

في ١٤/ ٤/ ٢٠١٩م هطلتْ عندنا أمطار بغزارة غير معهودة وتواصلت طوال الليل إلىٰ الثامنة صباحًا، وعُطِّلت المدارس في جميع محافظات السلطنة ما عدا الوسطىٰ وظفار، وبعد توقُّف الأمطار في الصباح اتَّفقتُ مع الأهل علىٰ أن نأخذ جولة في الولاية لمشاهدة الأودية، وأخذتُ سيارتي

البريفيا لأنها مرتفعة أكثر عن الأرض من سيارتي السيينا، وجاءت معي زوجتي وبنتايَ تقوىٰ وسارة، وعاملة المنزل.

مررنـا علىٰ وادي شـعمىٰ عند قريـة بني صبـح فوجدناه قد شـكَّل بحيرة يصعـب المرور خلالها، فذهبنا إلىٰ ذات خيـل وتجاوزناه من هناك، ثم مررنا علـىٰ وادي الخـور وتجاوزناه، ثم أردنـا تجاوز وادي غول فرأينـا العديد من سيارات الشرطة تمنع الناس من تجاوزه إلا أصحاب سيارات الدفع الرباعي، فذهبنا لنرىٰ فلج الحمراء، وفي أثناء ذلك اتَّصلتُ بابنتي فأخبرتنا بأنهم ذاهبون لرؤية سد وادي غول، واقترحتْ علينا أن نلحق بهم من طريق «**العقبة الطويلة**».

عُدنـا عن طريق العارض، ولمـا وصلنا إلىٰ وادي الخور رأيتُ السـيارات الكثيرة علىٰ جانبَي الوادي، ولم يخطر ببالي أن الوادي قد هبط مرة أخرىٰ بعد أن تجاوزناه بسـبب أمطار الصباح، فدخلتُ الوادي ولاحظتُه يسحب السيارة باتِّجـاه الجنوب، ولم يتبقَّ من الشـارع إلا قليل حتىٰ نهـوي في الحفرة التي في جنوبه، فضغطتُ بقوة علىٰ الفرامل وأوقفتُ السيارة.

أدركتُ أننا -لا محالة- هالكون لأن الوادي قد يتزايد ويقلب السـيارة، أو أنني لن أستطيع إيقافها فتنزلق وتهوي في تلك الحفرة، وبدأ الخوف يدبُّ فينا، وبـدأتْ ابنتـي تقوىٰ تبكي، وصـرتُ أُفكِّر في عاقبتي الأخرويـة ونحن نموت غرقًا، وخاصة أنني السـبب فيما جرىٰ، وفكَّرتُ فيما سـيؤول إليه حال أسرتي بعـد أن تفقد أربعة منها، وبـدأتُ حينها أُفكِّر في كلِّ الذنـوب والمُوبقات التي اقترفتُها، وخفتُ من أن الله لن يغفرها لي فتكون عاقبتي النار والعياذ بالله.

رأيتُ الشباب الذيـن في الضفـة الشـرقية ينظرون إلينـا ولم يتصرَّفوا بشيء لإنقاذنـا فأخـذتُ أُلـوِّح إليهـم بيـدي، ومـا هـي إلا لحظـات حتىٰ جـاء الأخ سـليمان بـن سـعيد بـن خلـف الناعبي -جـزاه الله خيـرًا في الدنيـا والآخـرة-

ومعه شابٌّ أصغر منه لا أعرفه، وركبوا في صهريجٍ للماء كان هناك، وأظنه كان لابن عمي محمد بن حميد بن حمد الهطالي.

قرَّبوا الصهريج قريبًا من سيارتنا، وأخذوا يبحثون عن مكان لربط حبلٍ في سيارتي فلم يجدوا، وسألوني عنه فأخبرتهم بأني لا أتذكَّر مكانه، وعندها رأَوْا أنه لا مجال لسحب السيارة ولا بُدَّ من إنقاذنا، فبدؤوا بابنتي سارة، ثم جاء الأخ سليمان إلىٰ زوجتي فحملها إلىٰ أن أخرجها إلىٰ الضفة الشرقية، ثم جاء إلىٰ العاملة وابنتي تقوىٰ وفعل الشيء نفسه معهما، وبعدها طلبوا مني أن أطفئ السيارة، وأن أنتقل إلىٰ الكُرسيِّ اليمين المعاكسِ اتِّجاهَ الماء ليستطيعوا إخراجي، وجاء ابن عمي ناصر بن حميد بن حمد الهطالي وساعد سليمان علىٰ حملي، وأخرجوني -جزاهم الله خيرًا- من الوادي، وشعرتُ حينها أن الله قد أعطاني عُمُرًا ثانيًا بعد أن كنتُ مُتيقِّنًا من الموت.

أخذ محمد بن حميد زوجتي والبنات في سيارة الجيب التابعة لأولاد سعيد بن خلف الناعبي إلىٰ بيتنا، ولكنه عندما وصل إلىٰ وادي شعمىٰ وجده قد هبط فأخذهم إلىٰ بيت جدِّه حمد بن حميد، وفي تلك الأثناء اتَّصلَتْ بي أختي وهي تبكي وقالتْ بأنها وابنها زاهرًا في الضفة الغربية من الوادي ويشاهدون ما يجري ولكنهم لا يدرون ما يفعلون، فأخبرتها بأننا -بحمد الله- في خير وعافية.



سيارتي (خلف صهريج الماء) ومحاولات الشباب لإخراجها

بدأ الشباب محاولاتهم لإخراج السيارة، وجاء مسعود بن حمد الهاشمي بسيارة لاند كروزر، وربطوا الحبال في الدعائم التي تُمسِك بأبواب السيارة من الجهتين وسحبوها، فخرجَتْ بحمد الله، وشكرتُ الشباب علىٰ ما فعلوه، ثم ذهبتُ إلىٰ بيت عمي حمد وتناولنا القهوة، وطلبوا منا البقاء عندهم للغداء لأن وادي شعمىٰ يصعُب اجتيازه فاعتذرنا إليهم عن ذلك.

عندما وصلنا إلىٰ وادي شعمىٰ وجدناه قد هبط مرة أخرىٰ ولكن ليس بتلك الغزارة، ومع ذلك بقينا ننتظر نحو نصف ساعة، وكلما أردنا التحرُّك أوقَفَتْنا ابنتي تقوىٰ من شدَّة الهلع الذي أصابها، وتقول بأنه إن حاولنا اجتياز الوادي فستنزل من السيارة، ولكن رأينا الأطفال يسبحون في الوادي ورأينا عمالًا بنجاليين يغسلون دراجاتهم فيه، فقلتُ لأهلي بأنه من الممكن الآن اجتيازه،

ولما هجمتُ بالسيارة فيه ارتفع الماء وغطَّىٰ مُحرِّك السيارة ودخل من النوافذ وكِدْنا نعيد الكرَّة، ولكن السيارة -بحمد الله وفضله- لم تتوقَّف فخرجنا من الوادي، وشكرنا الله علىٰ أن نجّانا من تلك البلوىٰ مرة أخرىٰ.



في انتظار عبور وادي شعمىٰ